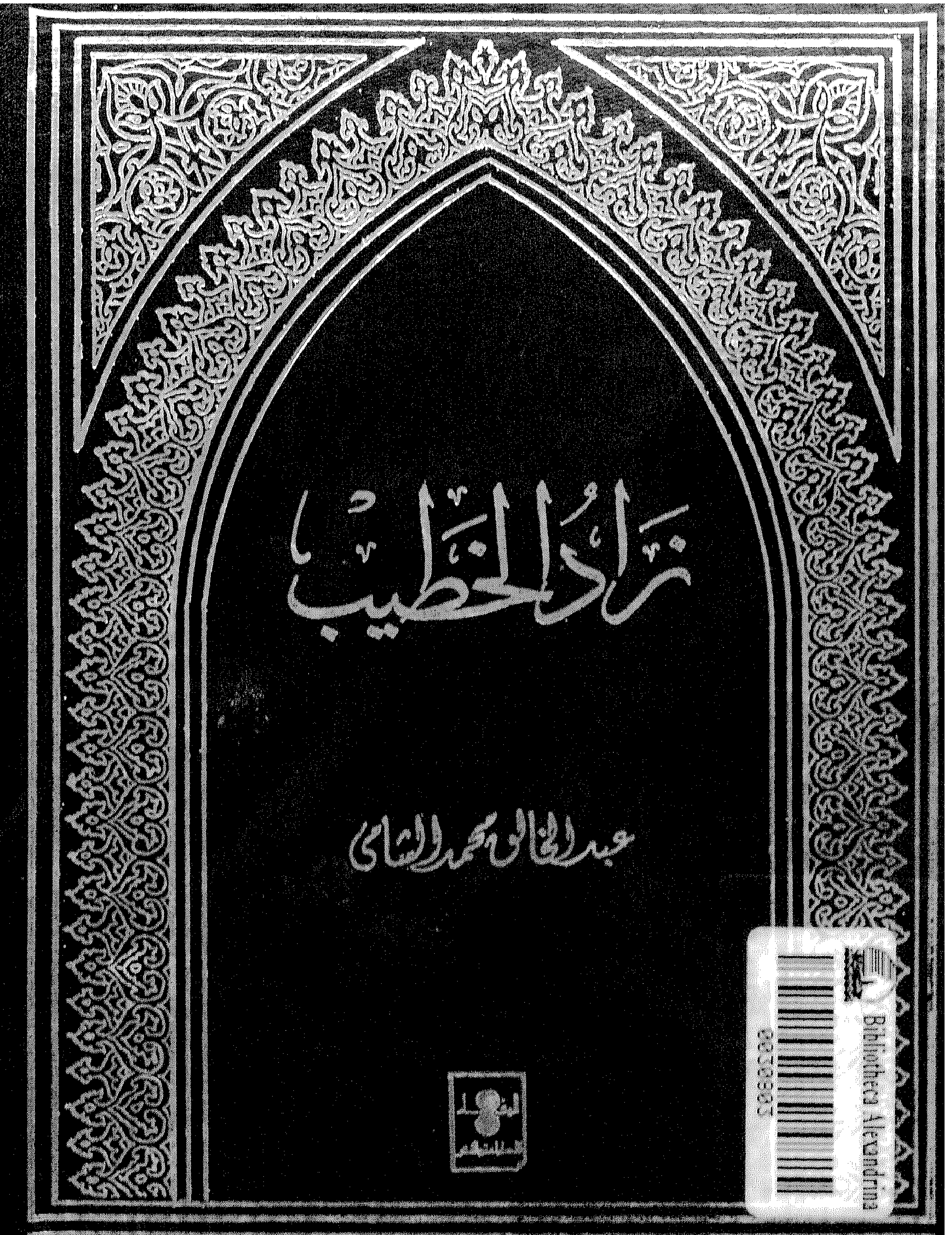

زاد الخطيب
عبد الخالق محمد الشامي
Bibliotheca Alexandrina







زادُ الخَطيب

الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م

الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ ــ ١٩٩٠ م



دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

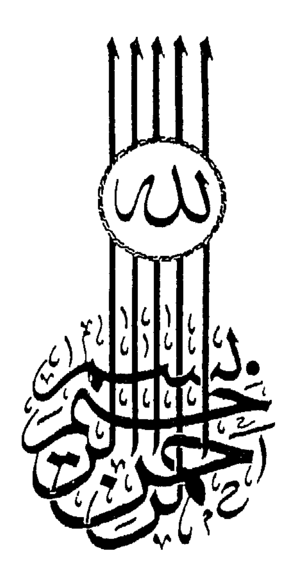
ت ٣٤٢٧٢١ / ٢٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت ٣٤٧١٢٣ ص ب ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

زاد الخطيب

عبد الخالق محمد الشامي

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش.م.م


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

أحمد الله سبحانه وتعالى وأستعينه ، وأستهديه وأستغفره ، وأتوب إليه ، وأعوذ بالله من شرور نفسي ومن سيئات أعمالي ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأصلي وأسلم على سيدنا وزعيمنا وأسوتنا رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعــــد

فقد كرمنى الله ـ وكم له على من فضائل ومنن ـ بأن أكون خطيبا وإماماً لمسجد الزناتى بشبين الكوم التابع لجمعية التربية الإسلامية بمحافظة المنوفية وكنت آنئذ قد استقلت من عملى بوزارة التربية والتعليم حيث كنت أعمل بها مدرساً لمادتى التربية الإسلامية واللغة العربية ومشرفا على التربية العملية بمعاهد المعلمين والمعلمات ، ثم موجها بهذه الوزارة انتدبنى إخوانى لهذه المهمة الشاقة فقبلت مستعينا بالله مهتديا بهديه وقد انتهجت فى خطبى ـ وهى لم تكن خطبا بالمعنى الاصطلاحى ـ بل يصح أن يطلق عليها محاضرات كذلك ـ أقول انتهجت نهجا أحسست بأن الشباب بخاصة والمسلمين بعامة بحاجة ماسة إليه ، وهو أن أضع بين يدى المستمع من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تصوراً شاملا لمفهوم مبادىء الإسلام ، كما وضح لنا ذلك الإمام الشهيد حسن

فيها أن الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعها . فهو دولة ووطن ،أو حكومة وأمة ، وهو خلق وقوة ، أو رحمة وعدالة ، وهو ثقافة وقانون ، أو علم وقضاء ، وهو مادة وثروة ، أو كسب وغنى ، وهو جهاد ودعوة ، أو جيش وفكرة ، كما هو عقيدة صحيحة وعبادة صادقة سليمة .

وقد حملنى على أن أنهج هذا النهج ما كان يتردد دائما فى المجتمع بأنه لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة ، إلى غير هذه الأفكار الاستعمارية الدخيلة الخبيثة الغريبة عن الإسلام .

وكان عملى فى تحضير الخطبة هو أن أحدد موضوعها وعناصره ثم أختار من كتب مشاهير العلماء والمفكرين من المسلمين ومن كتب التفسير والحديث مايشرح هذه العناصر ، وفى كثير من الأحيان كنت أنقل هذا الشرح للعناصر نقلا حرفيا نظرا لجمال أسلوب هؤلاء العلماء ، وحسن تصويرهم ودقتهم بل كنت احيانا أختار الخطبة كلها وأنقلها بنصها وبخاصة بعض ما كان يكتبه الإمام الشهيد تحت عنوان " منبر الجمعة " وكل من فضيلة الشيخ محمد الغزالى والدكتور على عبد الواحد وافى والشهيد سيد قطب وبعد تحضير الخطبة ألقى بنورها على المستمعين ، ولما حيل بينى وبين الخطابة والإمامة بمسجد الزناتى بعد أن مكثت أعمل به سبع سنوات تقريبا ـ إذ ضم المسجد إلى وزارة الأوقاف على غير موافقة من جمعية التربية الإسلامية التابع لها المسجد . انتدبنى " مسجد الشهيد أسامة أبو زيد " للقيام بالخطابة والإمامة فيه وما كدت أمكث شهوراً معدودة حتى حيل بينى وبين هذا العمل كذلك إذ ضم المسجد إلى وزارة الأوقاف كذلك ـ والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه .

ثم بدا لى أن أجمع هذه الخطب لعل الله يمن علىّ بمن يطبعها وينشرها فى الناس . فإنى أعتقد أن فيهاخيرا كثيرا ، وقلت لعلها تكون علما

ينتفع به لا ينقطع به عمل كل من أسهم فيه * ، ولم أشأ أن أسأل عليه أجراً دنيويا ماديا إن أجرى إلا على الله نرجو المثوبة على ذلك منه سبحانه { ويأبى الله إلا أن يتم نوره }[1] .

والله أسأل أن يجزينى أنا والعلماء الذين نقلت عنهم وأفدت منهم خير الجزاء إنه أكرم مأمول وأفضل مسئول .

عبد الخالق محمد الشامى

مدرس التربية الدينية واللغة العربية بمعاهد المعلمين والمعلمات ـ وخطيب وإمام مسجد الزناتى ـ فمسجد الشهيد أسامة أبو زيد ـ بالبر الشرقى بشبين الكوم " سابقا "

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٢ .

* ملحوظة عدد الخطب التى اخترتها ـ ٦٣ ـ خطبة تقريبا .



فى العقيدة الإسلامية

بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه بما هو أهله وبعد الصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين يقول الله عزوجل .

{ فاعلم أنه لا إله إلا الله }[1] .
{ قل هو الله أحد الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد }[2]
{ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير }[3]
{ هو الأول والآخر والظاهر والباطن }[4]
{ فعال لما يريد }[5] { وربك يخلق مايشاء ويختار }[6]

أيها المسلمون : لقد وجه القرآن الكريم إلى وجوب الإيمان بالله عز وجل ، والاعتقاد بوجوده لذاته غير المستمد من سواه ، ووصفه جل وعلا بصفات الكمال كلها ، وأنه سبحانه منزه عن صفات النقائص كلها ، فلا علم أوسع من علمه ، ولاقدرة أعظم من قدرته ، ولاكمال أفضل من كمـاله ، وهو معهم أينما كانوا ، يرى ويسمع ويحصى ما يقولون ، وما يعملون ، وأنه أمر الناس بالخير كله لأنفسهم ولغيرهم ، ونهاهم عن الشر

---

(١) سورة محمد الآية ١٩ .
(٢) سورة الإخلاص كاملة .
(٣) سورة الشورى الآية ١١ .
(٤) سورة الحديد الآية ٣ .
(٥) سورة البروج الآية ١٦ .
(٦) سورة القصص الآية ٦٨ .

كله لأنفسهم ولغيرهم ، وأن تعرفهم إليه ، وصلة أرواحهم به هى السعادة كل السعادة . والفوز العظيم ، والنعيم المقيم ، وذلك واضح معلوم علم اليقين ، لكل من نظر فى هذا الكون البديع الصنع ، فالخالق حكيم لوضوح أسرار هذه الحكمة فى المخلوقات ، وقادر وعالم بأجمع معانى العلم والقدرة وأسماها ، لأن هذا الكون البديع لا يكون إلا عن علم واسع ، وقدرة محيطة ، والقرآن الكريم يعدد هذه الصفات فى كثير من المناسبات ، ومن أجمع آياته فى ذلك خواتيم سورة الحشر { هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له مافى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم } [٧] .

ولقد رسم القرآن الكريم الطريق إلى معرفة صفات الخالق ، وإدراك كمالات الألوهية ومميزاتها وآثارها ، والوصول إلى ذلك عن طريق النظر فى الكون نظراً صحيحا ، وتحرير العقول والأفكار من الموروثات والأهواء ، والأغراض ، حتى تصل إلى الحكم الصائب ، والقرآن يحث دائما على النظر والتأمل فى المخلوقات ، ويرفع من قيمة العقل ، ويعلى من قدر الفكر، حتى لقد ذكر العقل فى أكثر من أربعين موضعاً مقرونا بالتبجيل والتكريم ، والحث على الجد إلى إدراك الحقائق ، وكشف مستورات الوجود ، مثل قول الله سبحانه { إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر } [٨] { إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب } [٩] { ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها } [١٠] .

---

(٧) سورة الحشر الآيات ٢٢، ٢٣ ، ٢٤ .
(٨) الآية ١٦٤ سورة البقرة .
(٩) سورة آل عمران الآية ١٩٠ .
(١٠) سورة فاطر آية ٢٧ .

وفى هذه الآية يحث على اكتشاف غرائب النبات والحيوان والجماد ، ثم يرتب على العلم بذلك الخشية من الله ، إشارة إلى مابين معرفة الكون والعلم به . ومعرفة مكنونه . والعلم به كذلك من صلة .

لكن أمراً واحداً هو الذى لا يفكر فيه ، وهو ماهية الذات الإلهية ، وماهية صفاته ، لأن العقل الإنسانى قاصر عن التفكير فى ذلك والإحاطة به { **ولا يحيطون به علما** }[11] { **ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء** }[12] وفى الأثر " تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا " وتعدد الروايات يكسبها قوة .

بل إن القرآن الكريم ليوجه إلى أن العقيدة فى الله الخالق العظيم فطرة فى نفوس البشر فطر الله عليها الناس يوم خلقهم[13] ويقول فى هذا المعنى أحد علماء الغرب " إننى إذا سئلت لماذا أنا مؤمن بالله ؟ لاأستطيع الإجابة عن هذا السؤال إلا بنفس الجواب الذى أجيبه إذا سئلت لماذا آكل ؟ ولماذا أشرب ؟ ولماذا أنام ؟ لأن الأكل والشرب والنوم ضروريات لوجودى المادى ، وكذلك الإيمان ضرورى لوجودى الروحى . سأل رجل جعفر الصادق رضى الله عنه ؛ عن الله فقال له : ألم تركب البحر ؟ قال بلى : قال : فهل هاجت بكم الريح عاصفة ؟ قال : نعم . قال : وانقطع أملك فى النجاة حينئذ عن الملاحين ووسائل النجاة ؟ قال : نعم . قال : فهل خطر ببالك وانقدح فى نفسك أن هناك من يستطيع أن ينقذك إن شـاء الله ؟ قال : نعم . قال : فذلك هو الله . وإلى هذا أشارت الآية الكريمة { **وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه** }[14] والآية الكريمة { **هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك** }[15] .

---

(١١) سورة طه آية ١١٠ .

(١٢) سورة البقرة آية ٢٥٥ .

(١٣) وصدق الله العظيم { **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم . . .** } الآية ١٧٢من سورة الأعراف .

(١٤) سورة الإسراء آية ٦٧ .

(١٥) سورة يونس آية ٢٢ .

أيها المسلمون : والقرآن يوجه إلى نفى صفات المشابهة والنقص عن الخالق سبحانه فالتجسيم منفى عنه ، والتعدد منفى عنه ، والأبوة والبنوة بعيدان عن صفاته ، والقرآن الكريم يقرر هذا فى وضوح فيقول فى نفى المشابهة { **فاطر السماوات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير** } (١٦) { **قل هو الله أحد** } (١٧) الآيات .

ويقول فى نفى التعدد { **أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** } (١٨) وفى نفى البنوة والتعدد معا { **ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله** } (١٩) .

ونرى ذلك واضحا فى كثيرمن الآيات التى ناقش بها القرآن الكريم عقائد الأمم السابقة فنفى كل معانى النقص والقصور عن الخالق سبحانه وتعالى . فالله فى العقيدة الإسلامية هو الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد { **ما اتخذ صاحبة ولا ولدا** }(٢٠){ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله** } (٢١) { **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة** } (٢٢) { **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله** } (٢٣) والقرآن الكريم يدور حول تقرير الاعتراف بالألوهية ، فهو إما حديث عن ذات الله وصفاته ، وإما حديث عن عبادته والسير وفق منهجه لتحقيق العبودية له ، وإما حديث عن ثواب العابدين وعقاب الكافرين .

ووجود الله سبحانه وتعالى وما يتصل بهذا الوجود من معانى العظمة

---

(١٦) سورة الشورى آية ١١ .
(١٧) سورة الإخلاص .
(١٨) سورة الأنبياء آية ٢١ ، ٢٢ .
(١٩) سورة المؤمنون آية ٩١ .
(٢٠) سورة الجن آية ٣ .
(٢١) سورة آل عمران آية ٦٤ .
(٢٢) سورة المائدة ٧٣ .
(٢٣) سورة التوبة آية ٣٠ .

من البداهة التى لاتحتاج إلى بيان ، وإنما جاءت الرسل ونزلت الكتب لتدل الناس على ما سوى ذلك من صفات الكمال ، وما يجب أن يتنزه عنه من صفات النقص ، ولترشدهم إلى حقه عليهم ، وحدود صلتهم به وصلتهم بالناس وليس غريبا أن يصدق العقل بشىء دون برهان ، فهذا شأنه فى المسائل البديهية كالواحد نصف الاثنين .

والدلائل على صدق العقيدة فى الله ووجوده وعظمته وجميل صفاته ، وتقدسه عن كل نقص واستحقاقه لكل كمال أكثر من أن تحصر ، وهى واضحة بينة فى كل صفحة من صفحات هذا الكون ومظهر من مظاهر هذا الوجود .

تأمل سطـور الكائنـات فإنهـا   من الملأ الأعلى إليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت سطـرها   ألا كل شىء ماخلا الله باطل

ومن هنا كان علماء الكون أعرف الناس بالله ، وأوثقهم اعتقادا به وكانت العلوم الكونية الطبيعية من الوسائل المقربة إلى معرفة الله ، وإلى هذا أشارت الآية الكريمة { **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها** } [٢٤] .

وهذه بعض أقوال العلماء الكونيين .

قال إسحاق نيوتن : لا تشكوا فى الخالق ، فإنه لايعقل أن تكون المصادفات وحدها هى قاعدة هذا الوجود .

وأفاض فى هذا المعنى هربرت سبنسر فى رسالته فى التربية إذ يقول :

---

(٢٤) سورة فاطر آية ٢٧ .

" العلم يناقض الخرافات ، ولكنه لا يناقض الدين نفسه إلى أن يقول : " والتوجه إلى العلم الطبيعي عبادة صامتة واعتراف صامت بنفاسة الأشياء التى نعانيها وندرسها ، ثم بقدرة خالقها فليس هذا التوجه تسبيحا شفهيا بل هو تسبيح عملى .. الخ

أيها المسلمون : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم بسند عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه " قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يامحمد أخبرنى عن الإسلام ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا . قال : صدقت ، فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال : فأخبرنى عن الإيمان ، قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، قال : صدقت ، قال : فأخبرنى عن الإحسان ، قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال : فأخبرنى عن الساعة ، قال : ماالمسئول عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرنى عن أماراتها ، قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان ، ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لى : ياعمر أتدرى من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " [٢٥] .



(٢٥) رواه مسلم .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله وبعد الصلاة على رسوله وصحابته ومن دعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أيها المسلمون : الفطرة الإنسانية تهتف بالإنسان دائما أن يتعرف على الله ، وكل مظاهر هذا الكون وموجوداته بما فيها الإنسان لا تجد أمام الفكر الإنسانى المستقيم أى مجال لإنكار وجود الله وعظمته ، والدلالة الواضحة على الله ، وإن القلب الإنسانى إذا صفا وأشرق تذوق حقيقة لذة الإيمان بالله ، ولقد سئل أحد العارفين عن الأدلة التى أقنعته بالإيمان بالله فابتسم وقال " أغنى الصباح عن المصباح متى احتاج النهار إلى دليل " .

أيها المسلمون : إن الإيمان هو وحده لاشىء غيره سر حياة الضمير الإنسانى ويقظة الشعور والوجدان ، وعماد الخلق ومصدر الفضيلة فى الإنسان ، وعن هذا الإيمان وحده تنبعث أكمل الصفات الإنسانية الاجتماعية من الإيثار والتضحية والحب والرحمة وإسداء الجميل ، والتعاون على البر والتقوى ، واحتمال مشاق الجهاد ، والبذل فى سبيل الخير والحق ، وإقرار المثل العليا فى أرض الله .

ولايمكن أن يستقيم فرد بغير ضمير ووجدان مشرق ، ومحال أن تنهض أمة بغير الحب والتعاون والبذل والإيثار والجهاد والتضحية .

ومتى فقد الإيمان فقدت هذه المزايا جميعا ، وانقلب المجتمع إلى قطعان من الوحوش والحيوانات يأكل بعضها بعضا ، ومصداق ذلك فى تاريخ الأمم فى القديم والحديث على السواء .

ولم ير تاريخ الإنسانية انقلابا أعظم ولا إصلاحاً أتم ولا حضارة أنقى وأخلد من الانقلابات والإصلاحات والحضارات التى قامت على الأصول والقواعد التى جاء بها الأنبياء العظام كموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم صاحب الرسالة الخالدة ، وخلاصة هذه الأصول وعصارتها وأثبتها هى الإيمان بالله فماذا يريد الجاحدون أن يفعلوا بأنفسهم وبالناس .

أيها المسلمون : التعبد لإله واحد يرفع الإنسان عن العبودية لسواه ، ويقيم فى نفسه المساواة مع جميع العباد ، فلا يذل لأحد ، ولا يحنى رأسه لغير الله الواحد القهار ، وقد قال ربعى بن عامر لرستم قائد الفرس " إن الله قد ابتعثنا لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام .

إنه ليس هناك إلا قوة واحدة ، وإلا معبود واحد ، والربانية تحدد الجهة التى يتلقى منها الإنسان تصوراته ، وقيمه وموازينه ، وشرائعه وقوانينه فينفى من الحياة الهوى والمصلحة وتحل محلها الشريعة والعدالة .

والاعتقاد بكرامة الإنسان على الله يرفع من اعتباره فى نظر نفسه ويثير فى نفسه الحياء من التدنى عن المرتبة التى رفعه الله إليها .

أيها المسلمون : صلة الإنسان بالله هى صلة العبودية ،وصلة الإنسان

بالرسل هى صلة الاهتداء بهم { أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده }[٢٦] فالأنبياء جميعا عبيد الله كما وصفهم الله سبحانه { سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى }[٢٧]، { تبارك الذى نزل الفرقان على عبده }[٢٨] الآية { قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا }[٢٩] حكاية عن المسيح .

{ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل }[٣٠] الآية { واذكر عبدنا أيوب }[٣١] الآية { واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار }[٣٢] { وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك مايكون لى أن أقول ماليس لى بحق }[٣٣] { لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله }[٣٤] { لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يابنى إسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم }[٣٥] { وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله }[٣٦] .

أيها المسلمون : صلة الإنسان بالله صلة مباشرة بينه وبين الله فكل إنسان يتجه إلى الله مباشرة يستغفره ويستعينه ويصلى ويسجد له ويكون فى الآخرة مسئولا أمامه { ادعونى أستجب لكم }[٣٧] { وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان }[٣٨] الآية { ونحن أقرب إليه من حبل الوريد }[٣٩] .

---

(٢٦) سورة الأنعام آية ٩٠ .
(٢٧) سورة الإسراء آية ١ .
(٢٨) سورة الفرقان آية ١ .
(٢٩) سورة مريم آية ٣٠ .
(٣٠) سورة الزخرف آية ٥٩ .
(٣١) سورة ص آية ٤١ .
(٣٢) سورة ص آية ٤٥ .
(٣٣) سورة المائدة آية ١١٦ .
(٣٤) سورة النساء (١٧٢) .
(٣٥) سورة المائدة آية ٧٢ .
(٣٦) سورة التوبة آية ٣٠ .
(٣٧) سورة غافر آية ٦٠ .
(٣٨) سورة البقرة آية ١٨٦ .
(٣٩) سورة ق آية ١٦ .

ولقد كان أعظم ما جاءت النبوات من أجله تخليص الناس من العبودية لغير الله ومن اتخاذهم معبودات تكون واسطة بينهم وبين الله على زعمهم كما كانوا يقولون { ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى } [٤٠] { وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون } [٤١].

وإنما وظيفة الأنبياء أنهم واسطة فى تبليغ الرسالة { أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده } [٤٢] { وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا } [٤٣] الآية { ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك } [٤٤].

أيها المسلمون : إن الإنسانية الحائرة الضالة المعذبة لن تجد دواءها ، ولا هداها إلا فى ظل عقيدة الإيمان بالله ، وجميلٌ قول ذلك الفيلسوف الغربى " يجب أن يزج فى السجن صاحب أية مدرسة يكون شعارها لا يعلم الدين هنا " وليس الدين إلا الإيمان بالله ، فهل يطلع ذلك الفجر الذى يغمر فيه هذه القلوب الحائرة المظلمة المتعبة ضياءُ الإيمان بالله وتطلع عليها شمس معرفته بالدفء والحرارة والنور ؟

أيها المسلمون : المؤمنون مطالبون بأن تظهر فى أقوالهم وأفعالهم آثار هذه العناصر العقيدية ، فالمؤمن متى اعتقد أن خالقه قادر كانت النتيجة العملية لهذه العقيدة أن يتوكل عليه ، وأن يلجأ إليه ، وإذا اعتقد أنه عالم راقبه واستولت عليه خشيته ، وإذا اعتقد أنه واحد لم يدع سواه ولم يسأل غيره وإذا اعتقد أنه صاحب الحكم والأمر لم يتلق إلا عن شريعته ، ولم يستقم إلا عليها ولم يتبع غيرها .

---

(٤٠) سورة الزمر آية ٣

(٤١) سورة الأنبياء آية ٢٥ .

(٤٢) سورة الأنعام آية ٩٠ .

(٤٣) سورة الحشر آية ٧ .

(٤٤) سورة المائدة آية ٦٧ .

أيها المسلمون : إن مقومات الإيمان هى بذاتها مقومات الإنسانية الرفيعة الكريمة . التعبد لإله واحد يرفع الإنسان عن العبودية لسواه ، ويقيم فى نفسه المساواة مع جميع العباد ، والربانية هى التى تحدد الجهة التى يتلقى منها الإنسان تصوراته وقيمه وشرائعه وقوانينه . ووضوح الصلة بين الخالق والمخلوق وتبين مقام الألوهية ومقام العبودية على حقيقتها الناصعة مما يصل هذه الخليقة الفانية بالحقيقة الباقية فى غير تعقيد وبلا وساطة فى الطريق ، ويودع القلب نورا ، والروح طمأنينة ، والنفس أنسا وثقة وينفى التردد والخوف والقلق والاضطراب كما ينفى الاستكبار فى الأرض بغير الحق والاستعلاء على العباد بالباطل . والاستقامة على المنهج الذى يريده الله ، فلا يكون الخير فلتة عارضة ، ولانزوة طارئة ، ولاحادثة منقطعة ، إنما ينبعث عن دافع ، ويتجه إلى هدف ، ويتعاون عليه الأفراد المرتبطون فى الله ، فتقوم الجماعة المسلمة ذات الهدف الواحد الواضح والراية الواحدة المتميزة ، كما تتضامن الأجيال المتعاقبة الموصولة بهذا الحبل المتين .

والاعتقاد بكرامة الإنسان على الله يرفع من اعتباره فى نظر نفسه ، ويثير فى نفسه الحياء من التدنى عن المرتبة التى رفعه الله إليها .

والحاسة الأخلاقية ثمرة طبيعية وحتمية للإيمان بإله عادل رحيم عفو كريم يكره الشر ويحب الخير ويعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور .

إن الإيمان هو أصل الحياة الكبير الذى ينبثق منه كل فرع من فروع الخير وتتعلق به كل ثمرة من ثماره .

ومن ثم يهدر القرآن كل عمل لا يرجع إلى هذا الأصل ، ولاينبع من هذا المنهج . والإسلام صريح فى هذا كل الصراحة ... جاء فى سورة إبراهيم : { **مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم**

عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شىء } [٤٥] وجاء فى سورة النور { **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا }** [٤٦] وهى نصوص صريحة فى إهدار قيمة العمل كله مالم يستند إلى الإيمان الذى يجعل له دافعا موصولا بمصدر الوجود ، وهدفا متناسقا مع غاية الوجود . وهذه هى النظرة المنطقية لعقيدة ترد الأمور كلها إلى الله .

والله ولى التوفـــيق

يراجع فى هذا الموضوع :

١ـ رسالة العقيدة للشهيد حسن البنا .

٢ـ الإسلام عقيدة وشريعة لفضيلة الشيخ محمود شلتوت .

٣ـ فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب .

---

(٤٥) سورة إبراهيم آية ١٨ .

(٤٦) سورة النور آية ٣٩ .

الصلاة فى النظام الإسلامى الحنيف

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له ، العبادة له وحده ، وطلب العون منه وحده ، { إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين }[1] وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وصفيه وحبيبه إمام المتقين ، وسيد العابدين ، وخير الخاشعين ، وقائد الغر المحجلين ، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين

أما بعـــــد

فيقول الله سبحانه وتعالى :

{ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا }[2] { فأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير }[3] { إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر }[4] { فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا }[5] وقال صلى الله عليه

(١) سورة الفاتحة .
(٢) سورة النساء الآية ١٠٣ .
(٣) سورة الحج الآية ٧٨ .
(٤) سورة العنكبوت الآية ٤٥ .
(٥) سورة مريم الآية ٥٩ .

وسلم (بنى الإسلام على خمس شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا) [٦] .

وقال : أنس " فرضت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به خمسين ثم نقصت حتى جعلت خمساً ، ثم نودى يامحمد إنه لايبدل القول لدى وإن لك بهذه الخمس خمسين " [٧] .

وقال صلوات الله وسلامه عليه (بين الرجل والكفر ترك الصلاة)

أيها المسلمون : من هذه الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة تتقرر فريضة الصلاة فى نظام الإسلام الحنيف ، وقد فرضت على هذه الكيفية ليلة الإسراء خمس فى العمل وخمسون فى الأجر .

والصلاة عبادة بدنية فرضها الله على المسلم فى أوقات محددة يقف فيها أيًا كان مستقبلا بوجهه جهة المسجد الحرام الكائن بمكة يفتتحها بالتكبير وبختمها بالتسليم .

والصلوات الخمس رحلات إلهية أوجبها الله على عباده متفرقة من اليوم والليلة يخلص فيها المؤمن من دنياه ، ويتفرغ لربه بالتكبير والمناجاة وطلب المعونة والهداية ، ويلقى فيها بنفسه فى كفالة الربوبية الرحيمة ممثلة فى العظمة المطلقة التى تصغر أمامها كل عظمة ، وإن هذه الرحلات لجديرة أن تفرج همه وأن تخفف ويله وأن تحقق رغائبه الخيرة .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد فيها راحته وسعادته

---

(٦) رواه مسلم .

(٧) رواه أحمد والنسائى والترمذى وصححه .

وعونه فكان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة يقول : " أرحنا بهــا يابلال"، وجعلت قرة عينى فى الصلاة " .

ويقول الله تعالى { يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة } [8] { واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين } [9]

ولقد كانت الصلاة لما لها من الأثر العظيم في تهذيب النفس وتقريبها إلى ملأ الطهر أقدم عبادة عرفت مع الإيمان ولم تخل منها شريعة من الشرائع ، وقد حكيت عن الأنبياء والمرسلين . فإبراهيم عليه السلام يسكن ذريته بواد غير ذى زرع عند بيت الله المحرم ويقول { ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم } [10] ويجىء فى عهد الله إليه وإلى ولده إسماعيل { أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود } [11] ، وكان إسماعيل يأمر أهله بالصلاة يقول الله عز وجل { وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا } [12]، وتنادى الملائكة أم عيسى عليه السلام { يامريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين } [13] ، وعيسى عليه السلام يحدث بنعمة الله عليه فيقول { وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دامت حيا } [14]، ولقمان يعظ ابنه بالإيمان والإحسان إلى الوالدين ، وبمراقبة الله فى السر والعلن ويوصيه بالصلاة { يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك إن ذلك من عزم الأمور } [15]. ويأخذ الله الميثاق على بنى إسرائيل فتكون إقامة الصلاة من أهم مواده وعناصره { ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقال الله إنى معكم لئن أقمتم الصلاة

(8) سورة البقرة الآيه ١٥٣
(9) سورة البقرة الآية ٤٥ .
(10) سورة إبراهيم الآية ٣٧ .
(11) سورة البقرة الآية ١٢٥ .
(12) سورة مريم الآية ٥٥ .
(13) سورة آل عمران الآية ٤٣ .
(14) سورة مريم الآية ٣١ .
(15) سورة لقمان الآية ١٧ .

وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا } [16] الآية .

وهكذا نجد الصلاة فى دين الله عز وجل عنصراً تاليا لعنصر الإيمان بالله فى جميع الرسالات وعلى ألسنة جميع الرسل وقد جاء الإسلام فنسج على منوال الرسالات المتقدمة ، وجعلها ركنا من أركان الدين وأفاض فى ذكر فوائدها ما أفاض ، وأمر بالمحافظة عليها والقيام فيها لله مع القنوت والخشوع وكمال التوجه إليه والتفرغ له ، وقال : { حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين } [17] { إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر } [18] ، وأمريها فى الحضر والسفر والأمن والخوف { فإن خفتم فرجالا أو ركبانا } [19] الآية ، { وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة } [20] الآية ، ولم يصل إلينا عن طريق مؤكد . كم عدد الصلاة عند السابقين ؟ ولا كيف كانت صفتها وأحكامها ؟ ، وقد جاء فى الإسلام الذى أكمل الله به دينه جميع ما يتعلق بهذا الجانب ، وبينت السنة ما أجمل منها فى القرآن الكريم ، وتولى الفقهاء المسلمون شرح كل ذلك .

ولقد بين القرآن الكريم أثر الصلاة فى تهذيب النفس ووقايتها من الفحشاء والمنكر وتطهيرها من غرائز الشر التى تفسد على الإنسان حياته ، {وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر } [21] { إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا . وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين } [22] .

---

(١٦) سورة المائدة الآية ١٢ .
(١٧) سورة البقرة الآية ٢٣٨ .
(١٨) سورة العنكبوت الآية ٤٥ .
(١٩) سورة البقرة الآية ٢٣٩ .
(٢٠) سورة النساء الآية ١٠١ .
(٢١) سورة العنكبوت الآية ٤٥ .
(٢٢) سورة المعارج الآية ١٩ : ٢٣ .

وفى مقابل هذا كله جعل تركها عنوانا للانغماس فى الشهوات وسبيلا للوقوع فى الغى والضلال ، وسببا من أسباب لقاء النار ، { فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا } [٢٣] { كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر . قالوا لم نك من المصلين } [٢٤] الآيات كما جعل الغفلة عن معناها وروحها آية من آيات التكذيب بيوم الدين { أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين . فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون } [٢٥] .

وقد قرنها الله بعد هذا كله بالصبر وجعلها عدة المؤمن فى التغلب على مشاق الحياة { ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين } [٢٦] { واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين } [٢٧] .

هذه الصلوات الخمس يمتاز بها المسلم فى نظام حياته اليومى وهو فى غيرها من أعمال الحياة كسائر الناس يزاول أعماله التى أعدته لها مواهبه يكتسب عيشته وعيش أولاده ويرعى أهله ومصالحه وسائر ما افترضه الله عليه .

والصلوات ليست كما يظن كثير من المسلمين عبادة شخصية تقتصر فائدتها على تهذيب النفس ، وإنما جعلت مع ذلك عن طريق الاجتماع لها سبيلا لتعارف المؤمنين وتفاهمهم فيما يحتاجون إليه من خير فى دينهم ودنياهم وتحقيقا لهذه الغاية أوجب الشرع الجماعة على أهل البلد الواحد

---

(٢٣) سورة مريم الآية ٥٩ .
(٢٤) سورة المدثر الآية ٣٨ : ٤٣ .
(٢٥) سورة الماعون .
(٢٦) سورة البقرة الآية ١٥٣ .
(٢٧) سورة البقرة الآية ٤٥ .

كل أسبوع وجعل ذلك شرطا فى صحة الصلاة التى تؤدى فى ذلك الاجتماع وهى صلاة الجمعة يجتمعون للتعارف واستماع الموعظة ، ودعا إليها بصورة أوسع وأشمل فى صلاة العيدين .

أيها المسلمون : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " **ليست صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا** " ، " **والذى نفسى بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم** " .

ومن السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله " رجل قلبه معلق فى المساجد "

" **لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لا ستهموا ، ولو يعلمون ما فى التهجير لا ستبقوا إليه ، ولو يعلمون مافى العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا** " (٢٨).

وقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه " **أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، أيبقى ذلك من درنه شيئا قالوا لا يارسول الله ، قال ذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا** " .



---

(٢٨) رواه البخارى .

الخطبـة الثانيــة

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله وبعد الصلاة على رسول الله وصحبه وآله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أيها المسلمون : ما أحكم قول العارف بالله : أنا أعبر عن الصلاة فى الإسلام بأنها منهج كامل لتربية الأمة الإسلامية ، فليس المراد بالصلاة فريضة تعبدية تؤدى لمجرد أداء دين الله ، أو أنها مجرد عبادة مفروضة عليك لا تفقه لها معنى ، بل هى صقال يصقل الأمة الإسلامية ، وعبادة تتناول كل مسلم تناولاً عجيبا فتخرجه رجلا كاملا ، وإذا خرج كل فرد رجلا كاملا تكونت من هؤلاء الكملة أمة كاملة فالفكرة عن الصلاة تكوين أمة كاملة .

أيها الإخوة الفضلاء : تعالوا نتحاكم إلى علماء التربية فتعريف التربية الكاملة عند علماء التربية هو أنها تلك التى تربى جسم الإنسان وعقله وروحه لأن الإنسان عبارة عن ثلاثة أشياء معا جسم وعقل وروح فإذا تربى جسم الإنسان وعقله وروحه فقد تربى التربية الكاملة . والمربى الكامل هو الذى يستطيع أن يربى عقل الناشىء وجسمه وروحه معا ، والمربون فى العصر الحديث وضعوا قواعد لتربية الجسم ، هى تدبير

الصحة ، وقواعد لتربية العقل ، هى التدريس والتعليم ، وقواعد لتربية النفس هى علم النفس وفلسفة الأخلاق ، ووضعوا المجلدات الضخمة والكتب الكبيرة فى كل من هذه الفنون .

أيها المسلمون : الإسلام دين عملى وضع هذه العلوم جميعا فى " برشامة " وأوصاك أن تتناولها خمس مرات فى اليوم ، هذه البرشامة هى الصلاة فأنت تتناولها ولاتعرف تركيبها لكن النتيجة أن عقلك وروحك وجسمك قد صح منهم كل شىء . فلكى تصلى ياأخى لابد أن تكون دائما نظيفا طاهر الثوب والبدن والمكان وهى خلاصة تدبير الصحة ولكى تصلى ياأخى لابد أن تنام مبكراً لتستيقظ مبكراً لصلاة الفجر وهذه أولى الإرشادات الصحية ، التى يلقنها التلميذ فى المدرسة ، ويزيد نشاطك لأنك ستقوم من مكانك إلى عملك وستؤدى الصلاة بعد ذلك أربع مرات يوميا وبهذا تسير الدورة الدموية على خير وجه ، وتكون فى صحة ترتاح فيها الأعضاء فالصلاة إذن تنشيط وتنظيف ونوم مبكر واستيقاظ مبكر ولذلك كان أجدادنا الذين أدوا الصلاة كما هى تجاوزوا المائة وأجسامهم كما هى فى صحتها وقوتها ونشاطها .

ثم إنك بعد ذلك تأتى للصلاة فتتجه للقبلة وتحصر عقلك وتفكيرك فى هذا المعنى وتطرح الدنيا وراءك ظهريا ، وهذا له أثره فى تقوية الإرادة وجمع أشعة النفس فالصلاة تدريبات من أقوى التدريبات فى تقوية الإرادة ثم إنك تقول الله أكبر فتتخلص من كل ماحولك وتتجه لله سبحانه وتعالى ...... وتركع تعظيما لمولاك .... وتقول سبحان ربى العظيم .... ثم تسجد وهناك يستيقظ ضميرك ومتى استيقظ الضمير فقد تنبه الميزان الفاضل الذى يستطيع أن يميز بين الخير والشر وهذه اليقظة لن تأتى بدراسة أخلاق وقراءة كتب فكم من علماء وصلوا فى العلم إلى درجة عالية ولكن وجدانهم فاسد وضميرهم منعدم . أما الوجدان الصحيح فهو نور فى القلب الإنسانى يقذفه الله تبارك وتعالى فى صدر من يشاء من

عباده حتى يستطيع أن يميز بين الخير والشر وهذا الإيقاظ الوجدانى يتجدد خمس مرات فى اليوم والليلة { **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر** }[٢٩].

أما طرق التدريس فى الصلاة ياأخى فإنك تسمع من الإمام فى ركعة { **أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى . . .** } الآية وفى ركعة تسمع منه { **ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ....** } الآيات [٣٠] .

وفى ركعة أخرى ياأخى تسمع الآية القرآنية التى هى درس كامل من دروس المعاملات الإسلامية المالية { **يآيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه . . .** }[٣١]

ولو أن المسلمين استطاعوا أن يدركوا هذه المرامى السامية فى الصلاة ، ولو أن الأئمة يتحرون الآيات الكريمة ويلقونها على الناس فى المحراب وهم وقوف بين يدى الله تبارك وتعالى إذن لاستطاعوا أن يلقوا بنور القرآن الكريم على المصلين ، وحينئذ نرى أن الصلاة " برشامة " نافعة تربى وتكون الأمة الإسلامية ، فقد خَرَّج النبى صلى الله عليه وسلم هؤلاء النفر الذين سادوا الدنيا فى هذه المدرسة مدرسة الصلاة وبهذه الطريقة .

هؤلاء النفر ياأخى لم يتخرجوا إلا فى المسجد المفروش بالحصباء المعروش بالجريد .

---

(٢٩) سورة العنكبوت الآية ٤٥ .
(٣٠) سورة النور الآية ٢٧ .
(٣١) سورة البقرة الآية ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

يقول الإمام الشهيد حسن البنا :

قلت ذات مرة مداعبا للسامعين فى إحدى المحاضرات وكانت خطوة موفقة كل التوفيق والحمد لله . إن هذه الصلاة الإسلامية التى نؤديها فى اليوم خمس مرات ليست إلا تدريبا يوميا على نظام اجتماعى عملى امتزجت فيه محاسن النظام الديمقراطى بمحاسن النظام الدكتاتورى بمحاسن النظام الشيوعى . فعجبوا وقالوا كيف كان ذلك ؟ فقلت : إن أفضل مافى النظام الشيوعى من حسنات تدعيم معنى المساواة والقضاء على الفوارق والطبقات ومحاربة الاعتزاز بالملكية التى يكون عنها هذا التفاوت ، وهذه المعانى كلها يستحضرها المسلم ويشعر بها تماماً وتتركز فى نفسه إذا دخل المسجد لأنه يشعر لأول دخوله أن هذا المسجد لله لا لأحد من خلقه وأنه سواء العاكف فيه والباد لاصغير ولا كبير ولاأمير ولاحقير ولافوارق ولاطبقات فإذا صاح المؤذن . قد قامت الصلاة استوى الجميع خلف إمامه كالبنيان المرصوص فلا يركع أحد حتى يركع الإمام ولا يسجد حتى يسجد ، ولايأتى بحركة أو سكون إلا تابعاً له ومقتديا به ومقلدا إياه وهذا هو أفضل ما فى النظام الدكتاتورى الوحدة والنظام فى الإرادة والمظهر على السواء .

لكن هذا الإمام مقيد هو نفسه بتعاليم الصلاة ودستورها فإذا انحرف أو أخطأ فى تلاوة أو عمل كان للصبى الصغير وللرجل الكبير وللمرأة المصلية خلفه كان لكل واحد من هؤلاء الحق كل الحق أن ينبهه إلى خطئه وأن يرده إلى الصواب فى أثناء الصلاة . وكان على الإمام كائنا من كان أن ينزل على هذا الإرشاد ، وأن يعدل عن خطئه إلى الحق والصواب وليس فى الديمقراطية أروع من هذه الحسنات.

فماذا بقى بعد ذلك لهذه النظم من فضل على الإسلام . وقد جمع محاسنها جميعا وألقى بهذا المزج البديع كل مافيها من سيئات ، { ولو

كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) .

أما الفائدة الأخروية للصلاة يا أخي ... أو ناحية الترغيب فيها وكيف كان النبى صلى الله عليه وسلم يتلطف مع أصحابه فى كشف هذا الجمال الذى تنطوى عليه الصلاة فقد جاء فى الحديث الصحيح " أن النبى صلى الله عليه وسلم سار فى طريقه فوجد عودا جافا فأخذ هذا العود ومر عليه بيده الشريفة فتطايرت الأوراق وصار العود أجرد لا ورق عليه فقال صلى الله عليه وسلم . " **لقد رأيتم كيف فعلت قالوا : نعم يارسول الله : قال ذلك مثل الصلوات الخمس تحت الذنوب والخطايا حتا** " .

وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال " **أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، أيبقى ذلك من درنه شيئا قالوا لا يارسول الله ، قال ذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا** " .

وقال صلى الله عليه وسلم " **مفتاح الجنة الصلاة ، ومفتاح الصلاة الطهور** " وقال صلوات الله وسلامه عليه " **إن العبد إذا توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من بدنه حتى تخرج من بين أظافره** " فهذا التشبيه يا أخي هو تجسيد للمعنى الذى يريده رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن الصلاة لاتبقى من هذه الذنوب شيئا .

أيها المسلمون : الواقع أنه إذا صلى المسلم صلاة صحيحة غسلت كل خطاياه ، أما الصغائر فتغسل غسلا مباشراً لأنها من حق الله تبارك وتعالى وأما الكبائر المتعلقة بالله تبارك وتعالى والتى لايكفرها إلا التوبة النصوح فإن هذه الصلاة الصحيحة ستلقى فى قلب صاحبها النور فيبادر إلى التوبة ، وأما حق الخلق الذى لا يسقط إلا بالاستسماح فهذه الصلاة لو صحت لبادر صاحبها بالاستسماح والله تعالى يعامل الإنسان من صدق قلبه .

ويشكو كثير من الناس من أن القلب يتفرق ولا يتجمع على الله تبارك وتعالى فى الصلاة ، والعلاج الذى يبرىء من هذا أو يخفف على الأقل ملاحظة قاعدة هامة هى أن تَفْقَه ياأخى حكم كل عمل من أعمال الصلاة روى الإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال " **من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج** "[٣٢] (ثلاثا) فقيل لأبى هريرة إنا نكون وراء الإمام فقال اقرأ بها فى نفسك فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " **قال الله تعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، ولعبدى ماسأل فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله حمدنى عبدى ، وإذا قال الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى أثنى على عبدى ، وإذا قال مالك يوم الدين ، قال مجدنى عبدى أو قال مرة فوض إلى عبدى ، فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل ، فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين : قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل** "[٣٣].

يراجع فى هذا الموضوع

١- رسالة مقاصد القرآن للشهيد حسن البنا .
٢- نظرات فى كتاب الله للشهيد حسن البنا .
٣- الإسلام عقيدة وشريعة لفضيلة الشيخ محمود شلتوت .

---

(٣٢) خداج : أى غير تامة .
(٣٣)رواه مسلم .

الزكـــاة فى نظـام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن دعا بدعوته

أما بعـــــد

فيقول الله عز وجل { فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم }[1] { فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين }[2] { فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم }[3] ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " بنى الإسلام على خمس : شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا "[4].

وروى الجماعة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن[5] قال " إنك تأتى قوما أهل كتاب ، فادعهم إلى شهادة ألا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فإن أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله عز وجل افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة فإن هم

---

(١) سورة التوبة الآية ٥ .
(٢) سورة التوبة الآية ١١ .
(٣) سورة الحج الآية ٧٨ .
(٤) رواه مسلم .
(٥) أى واليا أو قاضيا .

أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم ، فإن أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب "[٦] .

وقال صلوات الله وسلامه عليه " إن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم ، ألا وإن الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا أليما "[٧] .

أيها المسلمون : من هذه الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة تتقرر فريضة الزكاة فى نظام الإسلام الحنيف ، وهى عبادة مالية عنى بها الإسلام . يمد الغنى يده إلى الفقير بما يسد حاجته وإلى المصالح العامة بما يحققها ، وهى واجبة على الغنى فيما يفضل عن حاجته وحاجة من ينفق عليهم من ماله النقدى ، وقيم أعماله التجارية ومواشيه وثمار زرعه بنسب معروفة عند المسلمين يقوم مجموعها بحاجة الفقير والمصالح ولاترهق أربابها .

وزكاة النقود والتجارة تؤدى كل عام ، وزكاة الزرع تؤدى كل زرعة .

وبهذه العبادة وقف الإسلام بالمسلمين فى المشكلة المالية ـ شأنه فى كل شرائعه ـ عند الحد الوسط الذى يقيهم شر الطغيان المالى المفسد الذى تتكدس به الأموال عند بضعة أفراد من الأمة مع حرمان كثرتها الغالبة ، وتقيهم شر الفوضى الماكرة المخربة التى تضيع بها جهود الأفراد وتكدس الأموال فى اليد الحاكمة باسم المجتمع . فهى تشريع يحفظ للفرد استقلاله وحريته فى العمل والكسب ويحفظ للمجتمع حقه على الفرد فى المعونة

(٦) رواه الجماعة .

(٧) رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير عن على (ر) .

والتضامن وبذلك يبرز المبدأ الإسلامى العام وهوتحميل الفرد من حقوق الجماعة ، وتحميل الجماعة من حقوق الفرد .

وقد ظل القرآن الكريم فى عهده المكى وجزء من المدنى يدفع المؤمنين بأساليب قوية إلى الإنفاق فى سبيل الله ـ لسد حاجة الفقير وإقامة المصالح ـ دون أن يحدد لهم الأنواع المالية التى منها ينفقون والمقادير التى لها ينفقون تاركا ذلك إلى ما تخلفه دعوته السامية فى قلوبهم من الشعور الإيمانى الحى والأريحية الكريمة التى تقتضيها الأخوة الدينية ، وتتحقق بها المسئولية العامة المشتركة ، وقد جاء فى القرآن حين نزوله السؤال مرتين عما ينفقون وكان الجواب فى المرتين يصرفهم عن تحديد ما ينفقون ويكلهم إلى أريحيتهم وشعورهم أو يأخذ بهم إلى بيان موضع الإنفاق والبذل واقرأ إن شئت قول الله تعالى : فى سورة البقرة { **ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو** }[8] واقرأ منها مرة أخرى قوله { **يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم** }[9] وقد ظل القرآن هكذا يأمر بالإنفاق دون تحديد لما ينفق منه حتى إذا ما تركز المسلمون واتسع نطاق حياتهم بالهجرة إلى المدينة وصاروا جماعة متميزة لها منهجها الخاص فى الحياة ، ولها هدفها الذى تعمل له ، وتهيأت فى ظل ذلك نفوسهم لقبول التحديد على الوجه الذى يهدف إلى صالح الفرد والجماعة ، من جعل الزكاة ركنا من أركان الدين وفريضة من فرائضه وبذلك أعلنت فريضة الزكاة وقرنت بالصلاة وشهادة التوحيد وكانت ثلاثتها عنوان الدخول فى الإسلام وعنوان الأخوة الدينية { **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم** }[10] { **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين** }[11] .

---

(٨) سورة البقرة الآية ٢١٩ .
(٩) سورة البقرة الآية ٢١٥ .
(١٠) سورة التوبة الآية ٥ .
(١١) سورة التوبة الآية ١١ .

ومن هنا كانت وصية الرسول لمعاذ حين بعثه إلى اليمن واليا " إنك تأتى قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة ألا إله إلا الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب "(١٢)

وإن دل هذا التعليم النبوى على شيء فأول ما يدل عليه هو أن الزكاة فى نظر الإسلام ليست إلا صرف بعض أموال الأمة ممثلة فى أغنيائها إلى نفسها ممثلة فى فقرائها .

وبعبارة أخرى ليست إلا نقل الأمة مالها من إحدى يديها وهى اليد المشرفة التى استخلفها الله على حفظه والتصرف فيه وتنميته وهى يد الأغنياء إلى اليد الأخرى وهى اليد العاملة الكادحة التى لا يفى عملها بحاجتها أو التى عجزت عن العمل وجعل رزقها فيه ومنه وهى يد الفقراء .

ولعل هذا مايوحي به القرآن حينما يقول : { وءاتوهم من مال الله الذى آتاكم }(١٣) وحين يوجه بوجه عام { وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه } ويوحى به كذلك قول الرسول " إن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم " .

ومهما رفع دعاة الاشتراكية رءوسهم ونادوا بها فيما بين الناس فإنك لست واجداً فى تعبيرهم ولاواقع حياتهم مايقرب من ذلك النظام الاجتماعى فى نظام الإسلام الحنيف النابع من ضمير الإيمان والذى جعله

---

(١٢) متفق عليه .

(١٣) سورة النور الآية ٣٣

الإسلام دينا يقرن كما قلنا فى الدعوة إليه بالصلاة وشهادة التوحيد ، والذى يكون به المال ملكا للأمة تحفظه اليد المستخلفة فيه وتنميه ثم تنتفع به كلها يخرج من أحد جانبيها ويقع فى الجانب الآخر فهو فيها كلها وإليها كلها وما اليد المعطية واليد الآخذة إلا يدان لشخصية واحدة كلتاهما تعمل لخدمة تلك الشخصية لا خادم فيها ولا مخدوم وإنما هما خادمان لشخصية واحدة هى شخصية المجتمع الذى لا قوام له ولابقاء إلا بتكافل هاتين اليدين على خيره وبقائه ، ولعل بهذا يظهر مرة أخرى معنى الوسطية التى حل بها الإسلام المشكلة المالية ، تلكم المشكلة التى ظل بها الإسلام فى أمسه وحاضره يتردد بين الإفراط بالطغيان المالى ، والتفريط بإبقاء الملكية الفردية ، وبذلك تقطعت وسخر الأغنياء الفقراء ، وثار الفقراء على الأغنياء ، ونشبت الحروب المدمرة ، وأفلست دعاوى المدعين الذين يخدمون أنفسهم فى واقع الأمر ويتظاهرون بخدمة المجتمع الإنسانى ﴿ **وما ربك بغافل عما يعملون** ﴾ وقبل أن يعرف المجتمع الغربى نظام التأمين بقرون كان المجتمع الإسلامى يؤمن أفراده بطريقته الخاصة ، إذ كان (بيت مال المسلمين) هو شركة التأمين الكبرى التى يلجأ إليها كل من نكبه الدهر فيجد فيه العون والملاذ إنه لايترك المصاب تحت رحمة تبرعات قد تصل إليه من الخيرين من الناس ، وإن كان لايمنع من ذلك بل يرغب فيه بتنميتهلعواطف الخير ومشاعر الرحمة بين الناس ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه عندما شكا إليه رجل جائحة حلت به " تصدقوا عليه فتصدق الناس عليه "[١٤] .

وما أنواع الأموال ومقادير الزكاة فيها ؟

كانت الكلمة التى كثر تعبير القرآن بها لما يجب إخراج الزكاة منه هى هذه الكلمة العامة التى تشمل كل ما يتملكه الإنسان ، من نقد وماشية

---

(١٤) رواه مسلم .

وزرع وثمر يتخذه وسيلة لعيشه وحفظ كيانه وقضاء مصالحه (كلمة أموال) { خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها }[15] { مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم }[16] { والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم }[17].

وجاء في بعض الآيات ذكر الذهب والفضة وذكر الثمار والزروع التى تخرج من الأرض { والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون }[18] { وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وءاتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين }[19] {ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض }[20] .

وقد وقف القرآن عند هذا الحد الذى قرر به مبدأ الإنفاق وأرشد فيه إلى بعض أنواع الأموال ، وترك تفصيل الأنواع التى يجب الإنفاق منها كما ترك بيان المقادير التى يجب إنفاقها . وسيراً مع واجب الرسالة والهيمنة على تنفيذ الأحكام الإلهية ، بَيَّنَ الرسول عليه السلام فى التطبيق العملى أنواع الأموال التى يجب فيها الزكاة ، كما بيّن المقادير التى تخرج منها تلك الأنواع ، وكان مما أجمعت الأمة على وروده عنه صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، النقد التعاملى (الذهب والفضة) والمواشى (الإبل والبقر والغنم) والزرع (الحنطة والشعير) والثمار (التمر والزبيب) ويقى ما وراء ذلك من الأنواع والمقادير محل اجتهاد

---

(١٥) سورة التوبة الآية ١٠٣ .
(١٦) سورة البقرة الآية ٢٦١ .
(١٧) سورة المعارج الآية ٢٤ ، ٢٥ .
(١٨) سورة التوبة الآية ٣٤ ، ٣٥ .
(١٩) سورة الأنعام الآية ١٤١ .
(٢٠) سورة البقرة الآية ٢٦٧ .

ونظر يعرف كل ذلك بالرجوع إلى كتب الحديث والأحكام ففيها المتفق عليه والمختلف فيه .

أيها المسلمون : هكذا نجد العبادات فى الإسلام ومنها الزكاة غير منفصلة عن الحياة ومعاركها وآفاقها بل هى ملازمة لها ومصلحة وموجهة لها فى وجهتها الصحيحة ، وليست انعزالا عن معارك الحياة المختلفة .

أيها المسلمون : بدون الزكاة لايدخل الإنسان فى زمرة المحسنين المهتدين بكتاب الله ، والذين قال الله فيهم { هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون }(٢١) .

وبدون الزكاة لايكون من الأبرار الصادقين المتقين ، قال تعالى { ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وءاتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون }(٢٢) .

وبدون الزكاة لانفارق المشركين الذين وصفهم الله بقوله { وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون }(٢٣) .

وبدون الزكاة لا نتميز من المنافقين الذين وصفهم الله بأنهم يقبضون أيديهم عن الإنفاق وبأنهم لا ينفقون إلا وهم كارهون .

وبدون الزكاة لا يستحق رحمة الله التى أبى أن يكتبها إلا للمؤمنين

---

(٢١) سورة النمل الآية ٢ ، ٣ .
(٢٢) سورة البقرة الآية ١٧٧ .
(٢٣) سورة فصلت الآية ٦ ، ٧ .

المتقين { ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون }[٢٤] { والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم }[٢٥]

وبدون الزكاة لايستحق ولاية الله ولا رسوله ولا المؤمنين قال تعالى { إنماوليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون }[٢٦].

وبدون الزكاة لا يستحق نصرالله الذى وعد به من ينصره { ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة }[٢٧].

أيها المسلمون : لقد توعد الله بالعقوبة الشديدة فى الدنيا والآخرة كل من منع هذه الزكاة ففى عقوبة الآخرة يقول الله تعالى مهددا للكانزين للذهب والفضة ولا يؤدون منها حق الله { والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون }[٢٨].

ويروى البخارى من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم " من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مُثِّلَ له يوم القيامة شجاعا أقرعا له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه (يعنى شدقيه) ثم يقول أنا مالك أنا كنزك " ثم تلا

---

(٢٤) سورة الأعراف الآية ١٥٦ .
(٢٥) سورة التوبة الآية ٧١ .
(٢٦) سورة المائدة الآية ٥٥ .
(٢٧) سورة الحج الآية ٤٠ ، ٤١ .
(٢٨) سورة التوبة الآية ٣٤ ، ٣٥ .

رسول الله الآية { ولا يحسبن الذين يبخلون بما ءاتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير }[٢٩] .

وفى العقوبة الدنيوية يقول عليه الصلاة والسلام " مامنع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين "(أى القحط والمجاعة) وفى حديث ثان " ولم يمنعـــوا زكاة أموالهـــم إلا منعـــوا القطـــر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا "[٣٠] وفى حديث آخر " وما خالطت الصدقة ــ أو قال الزكاة مالا إلا أفسدته" .

وهذا كله فى العقوبة القدرية التى يتولاها القدير الأعلى .

وهناك عقوبة أخرى دنيوية عقوبة قانونية وهى التى يتولاها أولو الأمر فى المجتمع الإسلامى وفى هذه العقوبة جاء قوله صلى الله عليه وسلم فى الزكاة " من أعطاها مؤتجرا (أى طالبا الأجر) فله أجرها ومن منعها فأنا آخذها وشطر ماله (أى نصفه) عزمة من عزمات ربنا لايحل لآل محمد منها شىء "[٣١] .

والحديث الشريف يجيز لولى الأمر مصادرة نصف مال من امتنع عن أداء زكاته ، وهو نوع من العقوبة المالية التى يتخذها الحاكم عند الحاجة من الممتنعين والمتهربين .

وأكثر من ذلك أن الإسلام يشرع سل السيوف وإعلان القتال على الممتنعين المتمردين عن أداء الزكاة ولهذا قاتل الخليفة الأول أبو بكر

---

(٢٩) رواه البخارى .
(٣٠) رواه ابن ماجة والبزار .
(٣١) رواه أحمد وأبو داود والنسائى والحاكم والبيهقى .

الصديق رضى الله عنه ومعه الصحابة رضى الله عنهم مانعى الزكاة وقال كلمته المشهورة " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه " .

قال ابن حزم " وحكم مانع الزكاة إنما هو أن تؤخذ منه أحب أم كره فإن مانع دونها فهو محارب وإن كذب بها فهو مرتد ، وإن غيبها ولم يمانع دونها فهو آت منكرا ، فوجب تأديبه أو ضربه حتى يحضرها أو يموت قتيل الله تعالى إلى لعنة الله كما قال صلى الله عليه وسلم " **من رأى منكم منكرا فليغيره بيده إن استطاع** " وهذا منكر ففرض على المستطيع أن يغير .

وكل هذه النصوص تؤكد لنا درجة الإلزام العالية التى تتمتع بها الزكاة فليست مجرد واجب عادى ، بل هى كما بينا إحدى الدعائم الخمس التى قام عليها بنيان الإسلام ، وأصبح معلوماً بالضرورة أنها أحد أركان الإسلام وتناقل ذلك الخاص والعام . ولم تعد فرضيتها محتاجة إلى إقامة دليل فقد ثبتت ثبوتا مؤكدا بالآيات القرآنية الصريحة المتكررة وبالسنة النبوية المتواترة ، وبإجماع الأمة كلها ، خلفا عن سلف وجيلا إثر جيل .

بل لقد قال المحققون من العلماء : إن العقل أيضا دل على فرضيتها كما دل الكتاب والسنة والإجماع وذلك من وجوه ذكر الإمام الكاسانى فى البدائع

أحدها ـ أن أداء الزكاة من باب إغاثة الضعيف وإغاثة اللهيف وإقدار العاجز وتقويته على أداء مافرض الله عليه من التوحيد والعبادات والوسيلة إلى أداء المفروض مفروض .

والثانى - أن الزكاة تطهر نفس المؤدى من أنجاس الذنوب وتزكى أخلاقه بتخلق الجود والكرم وترك الشح والضن ؛ إذ النفس مجبولة على الضن بالمال ، فتعود السماحة ، وترتاض لأداء الأمانات ، وإيصال الحقوق إلى مستحقيها وقد تضمن ذلك كله قوله تعالى { **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** }[32].

والثالث - أن الله أنعم على الأغنياء وفضلهم بصنوف النعمة والأموال الفاضلة عن الحوائج الأصلية ، وخصهم بها فينعمون ويستمتعون بلذيذ العيش - وشكر النعمة فهى فرض عقلا وشرعا ، وأداء الزكاة إلى الفقير من باب شكر النعمة فكان فرضا .

روى البخارى وغيره عن حارثة بن وهب الخزاعى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " **تصدقوا فإنه يأتى عليكم زمان يمشى الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها يقول الرجل لو جئت بها بالأمس لقبلتها فأما اليوم فلا حاجة لى بها** " وروى أيضا عن أبى موسى الأشعرى " ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحداً يأخذ منه " .

ولم يطل الزمن كثيراً حتى أدرك المسلمون هذا المعنى ولم يوجد فى مجتمعهم من يستحق الصدقة وذلك حين استقر بهم الأمر وتهيأ لهم حكم عادل وخلافة راشدة فى عهد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

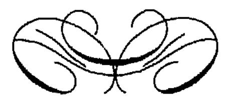
وروى البخارى ومسلم عن جرير بن عبد الله قال : " **بايعت النبى صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم** "[33].

---

(٣٢) سورة التوبة الآية ١٠٣ .

(٣٣) رواه البخارى ومسلم .

وروى الترمذى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (**ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، ما نقص مال من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزا ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر**)[٣٤].



(٣٤) رواه الترمذى .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

أيها المسلمون : ما مقدار ما يعطى الفقير والمسكين من الزكاة .

يقول كثير من العلماء يعطى الفقير كفاية العمر ، وهو أن يعطى ما يستأصل شأفة فقره ويقضى على أسباب عوزه وهو نص الشافعي كما ذكره الإمام النووي في المجموع ، قالوا : فإن كان عادته الاحتراف أعطى ما يشترى به حرفته أو آلات حرفته قَلّت قيمة ذلك أو كثرت .

حتى إنهم قالوا من يبع البقل يعْطى خمسة دراهم أو عشرة .

ومن حرفته بيع الجواهر يعطى عشرة آلاف درهم مثلا .

ومن كان تاجراً أو خبازا أوعطارا أو صرافا أعطى بنسبة ذلك ومن كان خياطا أو نجاراً أو قصابا أو غيرهم من أهل الصنائع أعطى ما يشترى به الآلات .

وإن كان من أهل الضياع والزرع يعطى ما يشترى به ضيعة فإن كان لا يحسن شيئا من أنواع المكاسب أعطى كفاية العمر ، ومثلوا لذلك بأن

يعطى مايشترى به عقاراً يكريه ويستغله .

هذا ماذهب إليه الشافعي وأصحابه ومن ذهب مذهبه وقال عمر " إذا أعطيتم فأغنوا " .

المذهب الثاني يعطى كفاية سنة قال به المالكية وجمهور الحنابلة وآخرون من الفقهاء ، أن يعطى الفقير من الزكاة ماتتم به كفايته وكفاية من يعوله لمدة سنة كاملة ، لأنها أبسط ما يضمنه الفرد من ضمان العيش له ولأهله وفى هدى الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذلك أسوة " فقد ادخر لأهله قوت سنة "[٣٥] وفى كل عام تأتى حصيلة يأخذ منها .

والزواج من تمام الكفاية لأن فى الإنسان غرائز أخرى تلح عليه وتطالبه بحقها من الإشباع ، ومن ذلك غريزة النوع والجنس التى جعلها الله سوطا يسوق الإنسان إلى تحقيق الإرادة الإلهية فى عمارة الأرض وبقاء هذا النوع الإنسانى فيها إلى ماشاء الله ، فالإسلام لا يصادر الغريزة ، وإنما ينظمها ويضع الحدود لسيرها وفق أمر الله .

والإسلام قد نهى عن التبتل والاختصاء ، وكل لون من مصادرة الغريزة وأمر بالزواج على كل قادر عليه مستطيع لمؤنته " **من استطاع منكم الباءة فليتزوج** " .

وكتب العلم فيها من الكفاية فالإسلام دين يكرم العقل ، ويدعو إلى العلم ويرفع من مكانة العلماء ، ويعد العلم مفتاح الإيمان ودليل العمل ، وليس العلم المطلوب محصورا فى الآخرة وحدها بل كل علم نافع يحتاج إليه المسلمون فى دنياهم فإن تَعَلُّمَهُ فرض كفاية كما قرر ذلك الإمام

---

(٣٥) متفق عليه .

الغزالى والإمام الشاطبى وغيرهما من العلماء ، ومن هنا قرر فقهاء الإسلام أن يعطى من الزكاة المتفرغ للعلم على حين يحرم منها المتفرغ للعبادة .

ولم يكتف الإسلام بذلك بل قال فقهاؤه يجوز للفقير الأخذ من الزكاة لشراء كتب يحتاجها من كتب العلم التى لابد منها لمصلحة دينه ودنياه .

وهكذا وجدنا أن العبادات فى الإسلام غير منفصلة عن الحياة ومعاركها وآفاقها بل هى ملازمة لها ومصلحة وموجهة لها فى وجهتها الصحيحة وليست انعزالا عن معارك الحياة المختلفة . والله ولى التوفيق .

يراجع فى هذ الموضوع

١ـ فقه الزكاة لفضيلة الدكتور يوسف القرضاوى .
٢ـ الإسلام عقيدة وشريعة لفضيلة الشيخ محمود شلتوت .
٣ـ فقه السنة لفضيلة الشيخ سيد سابق .



الصوم فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله عز وجل والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعــد

فيقول الله سبحانه { يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون }[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " بنى الإسلام على خمس شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا " .

أيها المسلمون : صيام رمضان هو أحد الأسس الخمسة التى بنى عليها الإسلام كما جاء فى حديث رسول الله .

وهو الامتناع عن الأكل والشرب والملامسة الجنسية طوال النهار من الفجر إلى غروب الشمس ، بقصد امتثال أمر الله وقد فرضه الله فرضا

(١) سورة البقرة الآية ١٨٣ .

عاما على جميع القادرين فى شهر رمضان من كل عام .

ولقد ذكرت آيات الصوم جميعها فى سورة البقرة وقد جمع الله فيها كثيراً من أحكام الإيمان ، ومن سنة القرآن الكريم أن يخاطب بأحكام الإيمان ـ عبادات ومعاملات ـ جماعة المؤمنين الذين استجابوا لرسول الله وآمنوا برسالته ، وهو بذلك يأخذهم جميعا بمسئولية تضامنية فى إقامة تلك الأحكام والنزول على مقتضاها فى عباداتهم ومعاملاتهم وراء مسئوليتهم الفردية ، وبتلك المسئولية التضامنية يسأل المؤمن فيما يختص بهذه الأحكام عن نفسه ، ويسأل عن أهله وذويه وسائر إخوانه المؤمنين ، ولا يرفع عن المؤمن مسئوليتها إلا إذا قام بها فيما يختص بنفسه فصام وصلى وحج وابتعد عما حرم الله ، وفيما يختص بغيره فأمر ودعا وحذر ونهى ، وقد كان هذا من مظاهر الوحدة التى بنى الإسلام على أساس منها شرائعه وأحكامه ، والآية الأولى من آيات الصوم { **ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام** ... }[2] تصرح بأن الصوم عبادة قديمة كتبها الله وفرضها على الأمم السابقة ، وإذن فليس هو خاص برسالة دون رسالة .

والصوم الذى يريده الله ويتقبله ليس هو المظهر والجانب السلبى فقط من ترك الطعام والشراب والجماع فى نهار رمضان ، بل هو مع ذلك اجتناب كل ما حرم الله عز وجل فإن الله بدأ آية الصوم بقوله { **يأيها الذين آمنوا** } وختمها بقوله لعلكم تتقون ولعلكم تشكرزون وليس من ريب فى أن النداء بوصف الإيمان أولا وهو أساس الخير ومنبع الفضائل وذكر التقوى آخرا ، وهى روح الإيمان وسر الفلاح إرشاد قوى ودلالة واضحة على أن الصوم المطلوب ليس مجرد الإمساك عن الطعام والشراب ، وإنما هو الإمساك عن كل ما ينافى الإيمان ولا يتفق وفضيلة التقوى والمراقبة .

---

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٣ .

{ من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه }[٣] .

{ كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به والصيام جنة فإذا كان يوم صيام أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم مرتين }[٤] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه :"(رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والظمأ ورب قائم ليس له من قيامه إلا التعب والسهر "[٥] .

وإذن فالذى يتجه إلى غير الله بالقصد والرجاء لا صوم له .

والذى يفكر فى الخطايا ويشتغل بتدبير الفتن والمكايد ويحارب الله ورسوله فى جماعة المسلمين لا صوم له .

والذى يطوى قلبه على الحقد والحسد والبغض لتفريق كلمة الموحدين والعمل على تفريقهم وإضعاف سلطانهم لا صوم له .

والذى يحابى الظالمين ويركن إليهم ويجامل السفهاء ويعاون المفسدين لا صوم له .

والذى يستغل مصالح المسلمين العامة ويستعين بمال الله على مصالحه الشخصية ورغباته وشهواته لاصوم له .

---

(٣) رواه الجماعة إلا مسلما..

(٤) رواه أحمد والنسائى ومسلم .

(٥) رواه النسائى وابن ماجة والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى .

والذى يمد يده أو جارحة من جوارحه بالإيذاء لعباد الله أو إلى انتهاك حرمة الله لا صوم له .

والذى يحول دون تنفيذ شريعة الله والحكم بما أنزل الله لا صوم له .

فالصائم ملك فى صورة إنسان لا يكذب ، ولا يرتاب ، ولايشى ولا يرتشى ، ولا يخادع ، ولا يأكل أموال الناس بالباطل ، ولايتعدى حدود الله ، ولا يقعد عن فعل الخير والعمل لصالح الإنسانية ، فالعبادات فى الإسلام غير منفصلة عن الحياة ومعاركها وآفاقها بل هى ملازمة لها ومصلحة وموجهة لها فى وجهتها الصحيحة ، وليست انعزالا عن معارك الحياة المختلفة .

هذا هو معنى الصوم الذى يجمع صورته وهو الإمساك عن المفطرات ومعناه وهو تقوية روح الإيمان بالمراقبة ، وبهذا يجمع الصائم بصومه بين تخلية نفسه وتطهيرها من المدنسات ، وتحليتها وتزكيتها بالطيبات ، وإنما يتقبل الله من المتقين ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا أقبل رمضان " **مرحبا بالمطهر أتاكم رمضان يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب الدعاء فأروا الله من أنفسكم خيرا فإن الشقى من حرم فيه رحمة الله ، وإنما يتقبل الله من المتقين** " .

أيها المسلمون : إن الصوم تكمن وراءه حكمته الحقيقية وهى غرس خلق المراقبة وخلق الصبر فى نفوس المسلمين وبهما تصدق النية ، وتقوى العزيمة ويثبت المسلمون لحوادث الدهر وما يعترضهم من عقبات ، فى الحياة نوازع الشهوة والهوى وفى الحياة دوافع الغضب والانتقام ، وفى الحياة التقلب بين النعماء والضراء وفى الحياة النزوح عن الأوطان ومفارقة الأهل وفى الحياة الجهاد فى سبيل الله وفى سبيل الزود عن الحمى والكرامة ، فى الحياة كثير من الخطوب والمشاق ، وما أحوج المؤمن إلى أن

يتزرع بخلق الصبر ليثبت ويتحمل ، وما أحوجه إلى أن يتسلح بسلاح المراقبة والاستعانة بالله والرجوع إليه والاعتماد عليه ، ومن هنا فرض الله صيام شهر رمضان متتابع الأيام ، ليغرس بهذا التتابع ملكة الصبر والمراقبة ، ثم جعله فى كل عام ليتكرر الدرس وينمو الغرس .

بهذا يكون الصوم مددا قويا لجند الخير فى الإنسان ، به يزكو القلب وتصفو النفس ، وتهذب الروح ، ويصير الإنسان منبعا فياضا على نفسه وعلى الناس أجمعين ، ويعيش عيشة راضية سداها المحبة والوئام ولحمتها التعاون والسلام ، وبهذا يقترب من الملأ الأعلى ويتلقى التكاليف الإلهية بقوة لا تعرف الضعف ، وثبات لايعرف الملل ، وإخلاص لا يعرف الرياء ، وإيمان لايعرف الشك .

وقد بينت الآيات بعد هذا أن الله نظر فى فريضة الصوم إلى ما يطرأ على المسلمين من أعذار يشق عليهم معها أن يصوموا فرخص للمريض والمسافر الإفطار فى رمضان واكتفى منهما بالقضاء أيام الصحة والإقامة { فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر }[٦] .

ومن وجوه اليسر فى الصوم بعد هذا أن الله أباح للمقيمين الأصحاء الذين يشق عليهم الصوم ويجهدهم جهدا شديدا ويعرضهم للخطر كالشيوخ والحوامل والمراضع الإفطار فى رمضان ، ونظراً إلى أن هؤلاء قد لايدركون أياما يستطيعون فيها القضاء فقد اكتفى منهم أن يطعموا مسكينا عن كل يوم ، وهذا هو المستفاد من قوله تعالى : { وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين } ومعنى يطيقونه يتحملونه بشدة ومشقة من قولهم فلان يطيق حمل الصخرة العظيمة حيث يحتملها بشدة وهم لا يقولون فلان يطيق حمل الورقة إذ إنها ليست مظنة لشدة ولا مشقة .

---

(٦) سورة البقرة الآية ١٨٤ .

أيها المسلمون : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل فى فضل الصوم : " كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل إنى صائم مرتين والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقى ربه فرح بصومه "[٧] .

وعنه قال : " الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام أى رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعنى فيه فيشفعان "[٨] .

" من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه "[٩] .

" فى رمضان تغلق أبواب النار وتفتح أبواب الجنة ، وتصفد فيه الشياطين قال وينادى فيه ملك ، ياباغى الخير أبشر وياباغى الشر أقصر حتى ينقضى رمضان "[١٠] .

وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " قد جاءكم شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق أبواب الجحيم ، وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم "[١١] .

وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر "[١٢] .

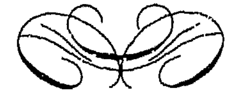
---

(٧) رواه أحمد ومسلم والنسائى .
(٨) رواه أحمد بسند صحيح .
(٩) رواه أحمد وأصحاب السنن .
(١٠) رواه أحمد والنسائى بسند جيد .
(١١) رواه النسائى وأحمد والبيهقى .
(١٢) رواه مسلم .

وعنه رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من أفطر يوما من رمضان فى غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر كله وإن صامه "[١٣] .

قال الذهبى وعند المؤمنين مقرر (أن من ترك صوم رمضان بلا رخصة أنه شر من الزانى ، ومُدْمِن الخمر بل ويشكون فى إسلامه ويظنون به الزندقة والانحلال) .

وعن سهل بن سعد : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إن للجنة باباً يقال له الريان ، يقال يوم القيامة : أين الصائمون ؟ فإذا دخل آخرهم أغلق ذلك الباب "[١٤] .



(١٣) رواه أبو داود وابن ماجة والترمذى .
(١٤) رواه البخارى ومسلم .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أيها المسلمون : قال سَلْمان الفارسي رضي الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان ، قال : " ياأيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، جعل الله صيام نهاره فريضة وقيام ليله تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزداد فيه رزق المؤمن ، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتقا لرقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء ، قالوا يارسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم عليه فقال صلى الله عليه وسلم يعطى الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة أو شربة ماء أو مذقة[١٥] لبن ، وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ، واستكثروا فيه من أربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لاغناء بكم عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة ألا إله إلا الله ، وتستغفرونه ، وأما اللتان لاغناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار ، ومن سقا صائما سقاه الله من حوضي شربة لايظمأ بعدها حتى يدخل الجنة "[١٦] .

---

(١٥) أي مزجه وخليطه .

(١٦) رواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي وابن حيان .

أيها المسلمون : فى شهر رمضان { **أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** } هذا القرآن الكريم الذى يهدى للتى هى أقوم فى كل شأن من شئون الحياة فهو منهج حياة كامل .

وفى رمضان انتصر المسلمون ببدر وهم أذلة ، وفى رمضان فتحت مكة ما أحوج المسلمين اليوم إلى أن يأخذوا الدروس والعبر من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم حب وأخوة ، تضحية وإيثار ، بيع للنفس والمال { **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون** }(١٧) .

فى رمضان تزكو النفس ، وتطهر الروح بصلاة التراويح إيمانا واحتسابا وبالاعتكاف على العبادة والطاعة ، والانقطاع لله ، والجود وكثرة الإنفاق فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أكثر جودا فى رمضان حين يأتيه جبريل فيدارسه القرآن فرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة .

والمسلمون فى رمضان تعمر مساجدهم بحلقات العلم والوعظ والتذكير ، فيتعلم من كان جاهلا ويتعظ من كان سادرا ويتذكر من كان غافلا وفى رمضان يتلقى المسلمون رسالة الإسلام ويَعْلَموا مهمتهم فى الحياة وهى الاستقامة على أمر الله والجهاد فى سبيل الله لنشر رسالة الإسلام حتى يعم ضوؤها جميع أقطار الأرض . { **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** } .

يراجع فى هذا الموضوع :

١ـ الإسلام عقيدة وشريعة لفضيلة الشيخ محمود شلتوت

٢ـ فقة السنة لفضيلة الشيخ سيد سابق .

٣ـ الصوم لفضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى .

---

(١٧) سورة التوبة الآية ١١١ .

الحــج فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعــد

فيقول الله سبحانه :

{ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا }[1] .

{ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج }[2] ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " أيها الناس إن الله أمركم بحج هذا البيت فحجوا "[3] " بنى الإسلام على خمس شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ،وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا "[4] .

أيها المسلمون : من هذه الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة يتقرر وجوب أداء فريضة الحج على المستطيع فى نظام الإسلام الحنيف .

وإذا كان المسلمون بانتهاء رمضان عادوا إلى دنياهم من رحلة روحية

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٧ .
(٢) سورة البقرة الآية ١٩٧ .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه مسلم .

تعلقت فيها قلوبهم بمولاهم ، وعظمت بها مراقبته فى نفوسهم وتحققت لهم معانى التقوى ، حتى امتنعوا فى أيامه لله وفى سبيل الله عما أبيح لهم من مقومات الحياة ، فإنهم بدخول أشهر الحج وأولها شوال يملأ قلوبهم الشعور باستئناف رحلة أخرى تنتظم من المسلم قلبه وبدنه وماله ، ويهرع إليها القادر عليها ، تاركا وراءه أهله وماله ووطنه متحملا فى سبيل ذلك وعثاء السفر ، لا لشئ من حظوظ النفس إلا أن يقف ملبيا أمام بيت الله وفى عرفات والمشعر الحرام معترفا بالتقصير طالبا منه المعونة والرضوان ، حتى إذا فرغ من ذلك واطمأن إلى حسن وقفته عاد إلى وطنه مطمئنا قويا فى الأخذ بنفسه وبأمته إلى سبيل الرشاد .

ومنذ بوأ الله لإبراهيم عليه السلام مكان البيت ووجهه إلى رفع قواعده هو وإسماعيل ومنذ أمره بالتأذين فى الناس بالحج ، والناس يحجون البيت المقدس الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وأجاب الناس الداعى إلى البيت الحرام وقدسوه ، وجعله العرب من الذروة فى جاهليتهم وإسلامهم فكان منة الله الكبرى عليهم كما قال تعالى : { **أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم** }[٥] وإذا كان الناس قد حجوا بيت الله العتيق فى جاهليتهم فإن الإسلام قد شدد فى طلبه حتى اعتبره من الجهاد وخلصه مما ألحقته به العرب من أمور المخالفة لشرع الله وشريعة إبراهيم وما أدخلوه عليه من مفاسد .

فقد جاء الإسلام يجدد دين إبراهيم ويحيى دعوته دعوة الحق والعبادة الصحيحة .

{ **قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم . دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا** }[٦] الآية

---

(٥) سورة العنكبوت الآية ٦٧ .

(٦) سورة الأنعام الآية ١٦١ .

{ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم }[7] الآية { ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه }[8] .

أيها المسلمون : وينتهز بعض الذين لا يعلمون الحكمة البالغة والنظرة السامية فى هذا التشريع الحكيم هذه الفرصة فيغمزون الإسلام بأنه لازال متأثراً ببقية من وثنية العرب وأن الكعبة والطواف من حولها والحجر الأسود واستلامه وما يحيط بذلك من معانى التقديس والتكريم إن هو إلا مظهر من مظاهر هذا التأثر ، وهذا القول بعيد عن الصحة عار عن الصواب فالمسلم الذى يطوف بالكعبة أو يستلم الحجر يعتقد اعتقادا جازماً أنها جميعا أحجار لا تضر ولاتنفع ولكنه إنما يقدس فيها هذا المعنى الرمزى البديع ، معنى الأخوة الإنسانية الشاملة والوحدة العالمية الجامعة . ويذكر فى ذلك قول الله العلى الكبير { جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس }[9] والرمزية هى اللغة الوحيدة لتمثيل المعانى الرقيقة والمشاعر النبيلة التى لايمكن أن تصورها الألفاظ أو تجلوها العبارات .

والذى يعظم علم قومه يعلم أنه فى ذاته قطعة نسيج لا قيمة لها ماديا ، ولكنه يشعر كذلك أنها رمز إلى كل معانى المجد والسمو الذى يعتز بها وطنه ، وأنها تصور أرق المشاعر فى وطنيته ، فهو يحيى هذا العلم ويعظمه ويكرمه لهذه المعانى التى تجمعت جميعا وتمثلت فيه .

والكعبة المشرفة هى علم الله المركوز فى أرضه ليمثل للناس أوضح معانى أخوتهم ، وليرمز به إلى أقدس مظاهر وحدتهم ، وإنما كانت بناء ليكونوا « كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا » .

ومن أجمل الجميل أن يقوم على رفع قواعد هذا البناء إبراهيم الخليل

---

(٧) سورة الحج الآية ٧٨ .
(٨) سورة البقرة الآية ١٣٠ .
(٩) سورة المائدة الآية ٩٧ .

أبو الأنبياء { **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت** }[10] الآية وماالحجر الأسود إلا موضع الابتداء ، ونقطة التمييز فى هذا البناء وعنده تكون البيعة لرب الأرض والسماء على الإيمان والتصديق والعمل والوفاء " اللهم إيمانا بك لا بالحجر وتصديقا بكتابك لا بالخرافة ووفاء بعهدك وهو التوحيد الخالص لا الشرك ، واتباعاً لسنة نبيك صلى الله عليه وسلم محطم الأصنام " .

فأين هذه المعانى الرمزية العلوية من تلك المظاهر الوثنية الخرافية .

إن الكعبة المشرفة رمز قائم خالد ركز الإسلام من حوله أخلد وأقدس وأسمى معانى الإنسانية العالمية والأخوة بين البشر جميعا { **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود** }[11] .

أيها المسلمون : الإسلام لايقدس الأماكن ولا الأحجار بل يجعل العبادة لله وحده الخالق لكل شىء بديع السموات والأرض فالمكان كالزمان لا يقدس لذاته ولا يختار لدورانه لكن يقدس لما يكون فيه من نسك وعبادات وذكريات ، ولما يرمز إليه من معان سامية ، فإذا كان رمضان مباركا فليس لأنه دورة فلكية بل لأنه نزل فيه القرآن وفيه الصوم الذى يذكر بهدى القرآن ويصقل النفس لتلقى تعاليمه ، وإذا كانت المساجد مقدسة وأشرف بقاع الأرض فذلك لأنها أمكنة العبادة { **فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة . . . .** }[12] الآية .

وكذلك.ماكان البيت الحرام مقدساً ولا كانت عرفات مقدسة لترابها

(١٠) سورة البقرة الآية : ١٢٧ .
(١١) سورة البقرة الآية ١٢٥ .
(١٢) سورة النور الآيتان ٣٦ ، ٣٧ .

وأحجارها ومدرها وإنما كان التقديس لما تحويه من ذكريات هى آيات الله فى نبواته ولما ترمز إليه من معان إنسانية سامية .

أيها المسلمون : ولقد شرف الله البيت العتيق تشريفا ثانيا فنشأ فى رحابه خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، وفيه كان المشهد الأول للدعوة المحمدية ، ففى رباع مكة كان النبى صلى الله عليه وسلم يتحنث ويتأمل إرهاصا للبعث ، ثم فيه نزل إلى النبى الروح الأمين وصدع الرسول بما أمر ، وأنذر عشيرته الأقربين ، وفيه صابر المشركين وجالد ودعا بالموعظة الحسنة ، فإذا كان المسلمون يحجون إلى حرم الله الآمن فليشهدوا فيما يشهدون منازل الوحى ومدارج النبوة والعهد الأول للإسلام فيتذكرون كيف كان صبره عليه السلام فى الشدائد ، وكيف كان دفعه للمكيدة ، وكيف كان قويا فى إيمانه وهو الذى لم يكن له ناصر إلا الله ، بين قوم توافرت لهم أسباب الغلب المادى وفى ذلك عبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وليس الحج لهذه الذكريات المقدسة فقط ولكنه لشهود المنافع كما قال الله تعالى : { **وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام** }[13] فالحج نسك يشتمل على أمرين :

أحدهما : شهود المنافع التى يجنيها المسلمون منه ويشاهدونها .

والثانى : الذكر لله سبحانه على مارزقهم من بهيمة الأنعام وتحصيل التقوى ومثوبة العبادة .

وإن المتتبع الفاحص لمناسك الحج فى جملتها وتفصيلها يشهد هذه المنافع ويشهد ذلك الذكر المقدس لله سبحانه .

---

(١٣) سورة الحج الآيتان ٢٧ ، ٢٨ .

فأول ما يفعله الحاج نيته الحج لله سبحانه ، والله سبحانه لا يقبل حجا يتخذه شعارا لما يريده من سمعة زائفة ، وما الحج إلا هجرة قصد بها وجه الله وهى النية المعروفة باسم الإحرام ،وله شعاران شعار مرئى صامت، وهو التجرد من المخيط المفصل على الجسم والعضد ، وعن مظاهر الترف الجسمى من الزينة والطيب وحلق الشعر أو قصه وعن كل ما حرم الله { فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج }[١٤] وشعار مسموع ناطق وهو التلبية وهى رفع الصوت بكلمات " لبيك اللهم لبيك " .

والحاج يسجل على نفسه ـ بهذا الشعار ـ أنه فى مكان السمع والطاعة لأوامر الله وفى المسارعة إلى إجابته الدائمة فيها وأنه سبحانه هو صاحب الملك والنعمة لا يحمد ولا يشكر ولا يجاب أحد سواه فمن مناسكه طواف التحية .

فإذا وصل الحاج إلى مكة ، قصد البيت الحرام بالطواف ، وبدأ من ركن الحجر الأسود وليس له من تكريم سوى الذكرى المحببة للنفوس بالنسبة للأسلاف والمصلحين ، وقد قال عمر فيه مقالته المشهورة (اللهم إنك حجر لاتضر ولاتنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك) .

ثم يخرج إلى الصفا والمروة فيسعى بينهما ، والسعى مظهر من مظاهر التردد بجانب بيت الله بعد الطواف طلبا للمغفرة ، والتماساً للعفو وفيه بعد ذلك استحضار للحالة التى كانت عليها السيدة هاجر ، وهى تطلب الماء لها ولابنها فعرفت منبعه ، ثم كانت سببا فى عمارة هذه الأرض وامتلأت به خيراً وبركة .

---

(١٤) سورة البقرة الآية ١٩٧ .

ولله قبل هذا وذاك أن يتعبد عباده بما يشاء بعد أن سكنت قلوبهم إلى أنه هو المعبود كما تعبدنا فى الصلاة بالتوجه إلى الكعبة وفى الدعاء إلى السماء .

ومن أهم مناسك الحج الوقوف بعرفة والمقصود به الحضور مع الذكر وقد ورد عن الرسول " **الحج عرفة** "[١٥] .

وهو موقف الضراعة الصادقة ، وموقف التجرد من الحول والقوة ، وموقف البعد من المظاهر المادية ، وفيه تشرق على الحجيج ذكرى الماضى بأنوارها الوهاجة فيستمعون بآذان القلوب إلى صوت رسول الله وهو يخطب آباءهم وهم فى أصلابهم يحملهم رسالته ، ويحثهم على صدق الإيمان وكمال المعرفة بحقوق الله ، وحقوق العباد وفية ، تحت رسالة الإسلام الأخيرة ، ونزل عليه قوله تعالى : { **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** }[١٦] .

ويوم عرفة يوم فضله الله يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر رضى الله عنه " **ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيباهى بأهل الأرض أهل السماء فيقول : انظروا إلى عبادى جاءونى شعثا غبرا ضاحين جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتى ولم يروا عذابى ، فلم ير يوم أكثر عتقا من النار من يوم عرفة** "[١٧] .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " **مارؤى الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر**[١٨] **ولا أغيظ منه فى يوم عرفة ، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا**

---

(١٥) رواه أحمد وأصحاب السنن .

(١٦) سورة المائدة الآية ٣ .

(١٧) رواه أبو يعلى والبزار وابن خزيمة واللفظ له .

(١٨) الدحر الدفع بعنف على سبيل الإذلال والمهانة .

ما رأى من يوم بدر . قيل ومارأى يوم بدر يارسول الله ؟ قال أما إنه رأى جبريل يزع[19] الملائكة "[20] .

فإذا انتهى من الوقوف بعرفات أفاض إلى المزدلفة ، وذكر الله عند المشعر الحرام كما نطقت بذلك الآية الكريمة { **فإذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام** }[21] .

ثم يصبح فى منى يرمى الجمار ، ثم بعد ذلك طواف الإفاضة ، ورمى الجمار رمز عملى يعلن فيه الحاج تصميمه على ترك نوازع النفس الشريرة ، وتكريره تكرير لهذا التصميم .

ثم يأتى طواف الوداع إذا أكمل الحاج طواف الإفاضه ، وأراد الرجوع إلى بلده قصد البيت الحرام ، وطاف طواف الوداع ، وهو بمثابة استئذان بالانصراف وتجديد عهد الولاء لله والإقامة على تلبية الله فى شرعه ودينه ، ويرجع الحاج إلى أهله مزودا بالتقوى طاهرا من الذنوب والآثام { **وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** }[22] .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه** "[23] .

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور[24] ليس له جزاء إلا الجنة** " .

---

(١٩) يزع أى يقود .
(٢٠) رواه مالك مرسلا والحاكم موصولا .
(٢١) سورة البقرة ١٩٨ .
(٢٢) سورة البقرة ١٩٧ .
(٢٣) رواه البخارى ومسلم .
(٢٤) الذى لا يخالطه إثم وقيل إن بره إطعام الطعام ولين الكلام .

خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " ياأيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا ، فقال رجل أكل عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا . ثم قال صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ، ثم قال ذرونى ماتركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شئ فدعوه "[٢٥] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه " الحجاج والعمار وفد الله ، إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم " .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : " يا رسول الله ترى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد قال لكن أفضل الجهاد حج مبرور "[٢٦] .

وعن أبى هريرة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أى الأعمال أفضل ؟ قال إيمان بالله ورسوله ، قيل ثم ماذا ؟ قال جهاد فى سبيل الله ، قيل ثم ماذا ؟ قال ثم حج مبرور "[٢٧] .

وعن عمرو بن العاص قال : " لما جعل الله الإسلام فى قلبى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ابسط يدك أبايعك قال فبسطها ، فقبضت يدى قال مالك ياعمرو ؟ قلت أشترط ، قال تشترط ماذا ؟ قلت أن يغفر لى ، قال أما علمت أن الإسلام يهدم ماقبله ، وأن الهجرة تهدم ما قبلها ، وأن الحج يهدم ماقبله "[٢٨] .

---

(٢٥) رواه البخارى .
(٢٦) رواه البخارى ومسلم .
(٢٧) رواه البخارى ومسلم .
(٢٨) رواه مسلم .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أيها المسلمون : في الحج إصلاح فردى وإصلاح اجتماعى :

أما الإصلاح الفردى ، فقد أرشد إليه القرآن الكريم والحديث النبوى " **من حج فلم يفسق ولم يرفث رجع كيوم ولدته أمه** " وقول الرسول كذلك " **إذا لقيت الحاج فسلم عليه وصافحه ومره أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته ، فإنه مغفور له** " .

فكما أن الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر ، والزكاة طهرة للمزكى { **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** }[29] والصوم طهرة للصائم من الاسترسال فى الشهوات ، فالحج طهرة للحاج من ذنوبه وآثامه يغسل نفسه ويزيل ماران على قلبه ، ويجعله دائما على ذكر من ربه وذلك أن الشارع الحكيم جعل كل منسك من مناسك الحج بمثابة طور من أطوار التطهير للنفس من ذنوبها وآثامها ، فينتهى حجه وقد غسل نفسه وطهر قلبه ، وغُفِر ذنبه .

---

(٢٩) سورة التوبة ١٠٣ .

وأما الإصلاح الاجتماعى للحج ، فالحج باعتبار مكانته فى الإسلام وغايته المقصودة للفرد والجماعة جدير بأن يتجه إليه رجال العلم والرأى - رجال التربية والثقافة ـ رجال النظام والإدارة ـ رجال المال والاقتصاد ـ رجال الشرع والدين ـ رجال الحرب والجلاد ـ جدير بأن يتجه إليه هؤلاء جميعاً ، فنراهم وقد نشرت عليهم مكة أجنحتها ، وجمعتهم كلمة الله يتعارفون ويتشاورون ويتعاونون ثم يعودون إلى بلادهم أمة واحدة متحدة القلب متحدة الشعور والإحساس ، ذلك أن الأساس الذى بنى عليه الإسلام دعوته وحدة المسلمين وتآخيهم وتضامنهم وتناصرهم ، وتغليب جامعتهم الإسلامية على ما بينهم من فروق فى الجنسية والقومية أو اللغة أو الإقليم ، وبهذا نطقت نصوص القرآن والسنة بأن المؤمنين إخوة ، وبأن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض وبأن " **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** " (٣٠) .

" **المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه** " وقد قرر علماء المسلمين أن دار المسلمين واحدة وإن اختلفت جيوشهم وملوكهم ورؤساؤهم وثقافاتهم .

فالحج مؤتمر إلهى كريم ، فيه صلاح الفرد والجماعة ، ولعل هذا يكشف لنا عن المراد بالأفئدة التى جاءت فى دعوة إبراهيم عليه السلام ، حينما أكمل البيت ورفع قواعده وأسكن من ذريته بواديه { **فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** } (٣١).

فإن كلمة أفئدة لاتعنى مجرد الأشباح التى تروح وتغدوا والتى لاتعرف من الحج سوى أعماله الفردية ، وسوى زيارة الرسول صلى الله عليه وسلم وإنما تعنى الأرواح والقلوب التى تقدر ما يجب أن يكون لهذا

---

(٣٠) متفق عليه .

(٣١) سورة إبراهيم الآية ٣٧ .

الاجتماع الحاشد فى أمكنة الذكريات الأولى فى ظل عبادة الله ـ من أهداف تجمع قلوب الموحدين على خطط الحياة العزيزة كما جمعت أشباحهم العبادة والذكريات .

فالعبادات فى الإسلام غير منفصلة عن الحياة ومعاركها وآفاقها ، بل هى ملازمة لها ومصلحة وموجهة لها فى وجهتها الصحيحة ، وليست انعزالا عن معارك الحياة المختلفة . والله ولى التوفيق .

يراجع فى هذا الموضوع :

١ـ الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت .
٢ـ فقه السنة لفضيلة الشيخ سيد سابق .



المال فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعـــد

فيقول الله سبحانه :

{ فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه }[١] .

{ ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات ومافى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهـرة وباطنـة }[٢]. { وسخـر لكـم مافـى السمـوات وما فـى الأرض جميـعا منـه }[٣]

{ وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل }[٤].

{ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالاتعلمون }[٥] .

{ هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات }[٦] .

{ وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها

---

(١) سورة الملك الآية ١٥ .

(٢) سورة لقمان الآية ٢٠ .

(٣) سورة الجاثية الآية ١٣ .

(٤) سورة الرعد الآية ٤ .

(٥) سورة النحل الآية ٨ .

(٦) سورة النحل الآيتان ١٠ ، ١١ .

وترى الفلك مواخر فيه }[7] .

{ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس }[8] .

{ ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين . ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل ءالذكرين حرم أم الأنثيين }[9] .

{ ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل ءآلذكرين حرم أم الأنثيين }[10] .

{ والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين ، والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم }[11] .

{ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس }[12] .

{ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان }[13] .

{ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء }[14] .

{ ولاتؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما }[15] .

---

(٧) سورة النحل الآية ١٤ .
(٨) سورة النحل الآيتان ٦٨ ، ٦٩ .
(٩) الأنعام الآيتان ١٤٢ ، ١٤٣ .
(١٠) الأنعام الآية ١٤٤ .
(١١) النحل الآيتان ٨٠ ، ٨١ .
(١٢) سورة الحديد الآية ٢٥ .
(١٣) سورة الرحمن الآية ٢٢ .
(١٤) سورة فاطر الآيتان ٢٧ ، ٢٨ .
(١٥) سورة النساء الآية ٥ .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " نعم المال الصالح للرجل الصالح " .

{ إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال } .

ويقول الله سبحانه { إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه }[16] .

{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله }[17] .

{ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه }[18] .

{ وآتوهم من مال الله الذى آتاكم }[19] .

{ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا }[20] .

أيها المسلمون : المتتبع لتعاليم الإسلام فى قرآنه وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، يرى أن الإسلام منهج حياة كامل ، وأن القرآن يهدى للتى هى أقوم فى كل شأن من شئون الحياة ، من ذلك اعتبار المال الصالح قوام الحياة ، ووجوب الحرص عليه وحسن تدبيره وتثميره ، وما ورد فى ذم الدنيا والمال والغنى والثروة إنما يراد به مايدعو إلى الطغيان والفتنة والإسراف أو يستعان به على الإثم والمعصية والفجور وكفران النعمة ، وفى الحديث " نعم المال الصالح للرجل الصالح " وفى الآية الكريمة { ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما }[21] وقد نهى الرسول صلى الله

---

(١٦) سورة المائدة الآية ٩٠ .
(١٧) سورة البقرة الآيتان ٢٧٨ ، ٢٧٩ .
(١٨) سورة الحديد الآية ٧ .
(١٩) سورة النور الآية ٣٣ .
(٢٠) سورة المائدة الآية ٣٨ .
(٢١) النساء الآية ٥ .

عليه وسلم عن إضاعة المال فى غير وجهه " **إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال** "(٢٢) .

ومن هنا وجه الإسلام إلى الكشف عن منابع الثروات الطبيعية والاستفادة من كل مافى الوجود من قوى ومواد ومصادر الخير والحث على العناية بها ووجوب استغلالها سواء أكانت ثروات زراعية أو حيوانية أو معدنية أو حشرية أو جمادية وقد أشار القرآن الكريم فى الآيات السابقة وغيرها إلى استغلال كل هذه الثروات لصالح الإنسان ، وامتن عليه بها ، فمن حق كل إنسان من حيث هو إنسان منذ وجوده أن يحاول اكتساب رزقه والتماس معاشه من مائدة النعم الإلهية المبسوطة بين يديه فى الأرض ، فهذا الحق يشترك فيه أبناء البشر اشتراكا سويا لا يحرم أحد من التمتع بهذا الحق الفطرى ، ولا يفضل فيه بعضهم على بعض ، إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق ولم يجعلهم سواسية فى تقسيم النعم ، بل فضل بعضهم على بعض بحكمته ومشيئته فهذا التباين ظاهر بين العباد فى حسنهم وجمالهم وجودة أصواتهم وذكائهم وقواهم الجسمية والمباءة التى ولدوا فيها ، إلى غير ذلك من هذا القبيل . فالفطرة التى فطر الله الناس عليها أن يكون التفاوت والتباين فى رزق العباد ، كشأنه فى مواهبها الأخرى .

إن الإسلام لايقول بالمساواة فى الرزق نفسه وإنما يقول بها فى فرص الجد والسعى فى اكتساب المعاش والتماس الرزق ، الغاية التى يقصدها الإسلام ألا يبقى فى المجتمع البشرى حواجز وعقبات قانونية تعوق الإنسان وتقعده عن بذل جهده واستطاعته فى سبيل اكتساب الرزق ، حسب ما أولاه الله من القوى والمواهب ، يقرر نظام المجتمع الاقتصادى على منهج فطرى مفتحة فيه أبواب السعى والجد لكل واحد من أفراد

---

(٢٢) رواه مسلم .

المجتمع .

والإسلام كما طلب السعى فى تحصيل الأموال وبسط مائدة نعمه للناس جميعا وضع قيودا لتحصيل الرزق ، فقد نهى الإسلام عن تحصيل الأموال بالطرق التى لا خير فيها للناس وفيها الشر والفساد فقد حرم الإسلام موارد الكسب الخبيثة وتحديد الخبث فى الكسب بأنه ماكان من غير مقابل من عمل كالربا والقمار واليانصيب ونحوها ، أو كان بغير حق كالنصب والسرقة والغش ونحوها ، أو كان ثمنا لما يضر كثمن الخمر والخنزير والمخدرات ونحوها ، فكل هذه موارد للكسب لا يبيحها الإسلام ولا يعترف بها .

ولما كان للمال فى الإسلام وظيفته الاجتماعية أضافه إلى المجتمع فى قوله تعالى : { **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما** }[٢٣] .

{ **ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** }[٢٤].

وأضافه الله تنويها بشأنه تارة أخرى إلى نفسه ، وجعل المالكين له مستخلفين فيه { **وآتوهم من مال الله الذى آتاكم** }[٢٥] { **وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** }[٢٦] .

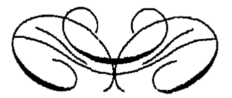
ولقد قرر علماء الإسلام أن كل مالايستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا فتعلمه ووجوده من فروض الكفاية ـ قالوا ومن ذلك أصول الصناعات كالفلاحة والحياكة وما إليها مما هو ضرورى أو كالضرورى ـ ومعنى أنه من فروض الكفاية أنه إذا لم يتحقق فى الأمة كلها أثمت

(٢٣) سورة النساء الآية ٥ .
(٢٤) سورة البقرة الآية ١٨٨ .
(٢٥) سورة النور الآية ٣٣ .
(٢٦) سورة الحديد الآية ٧ .

الأمة كلها ، وأن الإثم لا يرتفع عنها إلا إذا قامت طوائف من الناس بهذه الأنواع من الصناعات والعلوم النافعة للإنسانية .

وليس من ريب فى أن أساس هذه الفرضية هو العمل على تحقيق المبدأ الإسلامى الذى يوجبه الإسلام على أهله وهو مبدأ استقلال الجماعة الإسلامية فى تحقيق ما تحتاج إليه دون أن تمد يدها إلى غيرها من الأمم ، وبذلك لا تجد الأمم الأخرى سبيلا إلى التدخل فى شئونها .

أيها المسلمون : يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " **نعم المال الصالح للرجل الصالح** " " **إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال** "[٢٧] .



(٢٧) رواه مسلم .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان .

أمـا بعـــد

فقد عنى القرآن الكريم عناية كاملة بالحث على البذل للفقراء والمساكين وفى سبيل الله ، وكلمة سبيل الله من الكلمات الفذة التى جاء بها القرآن الكريم ، وهى بذاتها تملأ القلب روعة وجلالا ، وتملأ الكون خيراً وصلاحاً ، ولا يخرج عن معناها نوع من أنواع البر .

وإذا كان المال مال الله وكان الناس جميعا عباد الله وكانت الحياة التى يعمرونها هى لله ، كان من الضرورى - أن المال وإن كان ربط بشخص معين - لجميع عباد الله يحافظ عليه الجميع وينتفع به الجميع ، وقد أرشد إلى ذلك قوله تعالى : { **هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا** } [٢٨].

{ **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** }[٢٩] .

{ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما** }[٣٠] .

---

(٢٨) سورة البقرة الآية ٢٩ .

(٢٩) سورة البقرة الآية ١٨٨ .

(٣٠) سورة النساء الآية ٥ .

وتحقيقا لانتفاع الجميع بها حارب الإسلام خلق الشح فقال جل شأنه { ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون }[٣١] .

{ ولايحسبن الذين يبخلون بما ءاتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم }[٣٢] .

{ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم }[٣٣] .

{ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء }[٣٤] .

وكان للإسلام من أساليب الترغيب فى الإنفاق والبذل ، والترهيب من الضن ما يملأ قلب المؤمن بمبدأ التضحية . وأنها سبيل الله فى الحياة الطيبة التى تكفل للفرد والجماعة سعادتها فى الدنيا والآخرة .

ولانكاد نجد فى القرآن الكريم ذكراً للإيمان إلا نجده مقرونا بالإنفاق فى سبيله وإطعام البائس والفقير ، { الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون }[٣٥] .

ثم يتعرض لأصول البر المطلوبة { وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب }[٣٦] .

ومن مقومات الإيمان { الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك

---

(٣١) سورة الحشر الآية ٩ .
(٣٢) سورة آل عمران الآية ١٨٠ .
(٣٣) سورة التوبة الآية ٣٤ .
(٣٤) سورة البقرة الآية ٢٦١ .
(٣٥) سورة البقرة الآية ٣ .
(٣٦) سورة البقرة الآية ١٧٧ .

هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم }[٣٧] .

وفى سورتى النساء والحجرات تذكران الإيمان ، ولا تذكران معه سوى الإنفاق فى سبيل الله ، { وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله }[٣٨] .

{ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله }[٣٩] .

ثم إن القرآن لم نجده علق عنوان اقتحام العقبة التى تحول بين الإنسان وسعادته على شئ سوى إطعام الفقير والمسكين ، كما أنه لم يجعل عدم التحريض على شئ من تكاليفه دليلا على التكذيب بيوم البعث والجزاء وعلامة على عدم الصدق فى الصلاة وإقامتها سوى إطعام المسكين . يقول الله سبحانه : { فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة }[٤٠] .

{ أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ، ويمنعون الماعون }[٤١] .

ومن أساليب الترغيب { من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون }[٤٢] .

{ وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، إن تقرضوا

---

(٣٧) سورة الأنفال الآيتان ٣ ، ٤ .
(٣٨) سورة النساء الآية ٣٩ .
(٣٩) سورة الحجرات الآية ١٥ .
(٤٠) سورة البلد الآيات ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .
(٤١) سورة الماعون .
(٤٢) سورة البقرة الآية ٢٤٥ .

الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم }[43]. فهذه مكانة الإنفاق .

أيها المسلمون : وإذا كان نظام الإسلام يقضى بوضع بعض القيود فى تحصيل المال ، فإنه كذلك يقضى بوضع بعض القيود فى طريقة إنفاقه ، فقد منع التبذير فى إنفاقه ، ووازن بين الإنفاق والدخل فقال سبحانه { إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا }[44] . وقال : { ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا }[45].

وجعل من حق الوالى المسلم أن يحجر على السفهاء والمبذرين { ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما } .

أيها المسلمون : إلى نظام الإسلام فى العناية بالمال وتدبيره وحسن تثميره ، إلى البعد عن موارد الكسب الخبيثة ، إلى الطهارة فى كسبه . تسعدوا فى الدنيا وتفوزوا بالنعيم المقيم فى الآخرة . والله ولى التوفيق .

يراجع فى هذا الموضوع :

١- مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى للإمام الشهيد حسن البنا .
٢- الإسلام عقيدة وشريعة لفضيلة الشيخ محمود شلتوت .

---

(٤٣) سورة التغابن الآيتان ١٦ ، ١٧ .
(٤٤) سورة الإسراء الآية ٢٧ .
(٤٥) سورة الإسراء الآية ٢٩ .

التكافل الاجتماعى فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمــا بعـــــد

فيقول الله عز وجل { وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل }[١]

{ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا }[٢] .

{ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان }[٣] .

{ إنما المؤمنون إخوة }[٤] .

{ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وماملكت أيمانكم }[٥] .

---

(١) سورة الإسراء الآية ٢٦ .
(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٣ .
(٣) سورة المائدة الآية ٢ .
(٤) سورة الحجرات الآية ١٠ .
(٥) سورة النساء الآية ٣٦ .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **المسلم أخو المسلم لايظلمه ولا يسلمه** " .

" **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** " ، " **من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة** " .

أيها المسلمون : من هذه الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة يتقرر مبدأ التكافل الاجتماعى فى نظام الإسلام الحنيف ، فالإسلام يربط بين أبنائه جميعا برباط الأخوة المنبثقة من عقيدة الإيمان بالله عز وجل فالمؤمنون جميعا إخوة مهما بعدت ديارهم ونأت أوطانهم ، يفرح كل منهم لفرح أخيه ويحزن لحزنه ويمد له يد المعونة عند الحاجة ، ويرشده إذا غوى ويهديه إذا ضل ، ويحفظه فى ماله وعرضه غائبا وحاضراً ، يحب له مايحب لنفسه ، ويكره له مايكره لها .

يشعر الجميع بمسئولية بعضهم عن بعض وأن كل واحد منهم حامل لتبعات أخيه ، ومحمول على أخيه يسأل عن نفسه ويسأل عن غيره وصدق الله العظيم { **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** }[٦] { **إنما المؤمنون إخوة** }[٧] ولقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم مبدأ التكافل الاجتماعى لأول مرة بمؤاخاة النبى بين المهاجرين والأنصار حين قدم المدينة مهاجراً ، وكانت هذه الأخوة من مظاهر القوة الذاتية لتعاليم الإسلام واختلاطها بالنفوس والقلوب ، آوى الأنصار إخوانهم المهاجرين ، وآثروهم على أنفسهم فى كل مايحتاجون إليه ، حتى سجل القرآن الكريم هذا الإيثار فى قوله سبحانه { **يحبون من هاجر إليهم ، ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** }[٨] .

(٦) سورة التوبة الآية ٧١ .
(٧) سورة الحجرات الآية ١٠ .
(٨) سورة الحشر الآية ٩ .

أيها المسلمون : على الجماعة المسلمة أن تهيىء الفرص لكل قادر على العمل ، ومن لم يقصر فى أداء واجبه فى العمل ، أو تقعد به قوته عن القيام بأى عمل لسبب من الأسباب ، فعلى الجماعة المسلمة أن تهيىء له أسباب الحياة الكريمة ، ولقد وضع الإسلام أمثل نظام للتكافل الاجتماعى ، وسن أنواعاً كثيرة من هذا التكافل .

فأوجب على الأغنياء من الأقرباء أن ينفقوا على الفقراء والمساكين والعاجزين عن الكسب من أقربائهم يأخذها المحتاجون بقوة القانون وفق ماهو مبين فى كتب الفقه الإسلامى وأوجب على أهل كل حى وبلدة وقرية أن يعيش بعضهم مع بعض فى حالة تكافل وتعاضد ، يرق غنيهم لفقيرهم ويسد شبعانهم حاجة جائعهم وفى هذا يقول عليه الصلاة والسلام " **ايما أهل عرصة آمسوا وفيهم جائع فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله** " حتى لقد ذهب جماعة من الفقهاء وعلى رأسهم ابن حزم إلى مسئولية البلد التى يموت أحد أفرادها جوعاً فيدفع أهل البلد الدية متضامنين إلى أسرته كأنهم شركاء فى موته .

ويقول ابن حزم فى كتابه المحلى بالآثار ـ وفرض على الأغنياء من كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذى لابد منه ، ومن اللباس للشتاء والصيف ، وبمسكن يكنهم من المطر والشمس وعيون المارة ، برهان ذلك قوله تعالى { **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل** }[9] وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " **المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه** "[10] فمن تركه يجوع ويعرى وهو قادر على طعامه وكسوته فقد ظلمه وأسلمه ، وأوصى القرآن بالجار القريب والجار البعيد فى أكثر من آية ، من ذلك قوله تعالى : { **واعبدوا**

(٩) سورة الإسراء الآية ٢٦ .

(١٠) رواه مسلم .

الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل }[11]

فقرن وجوب الإحسان بالجار القريب ، والجار الجنب بوجوب عبادته وعدم الشرك به ووجوب الإحسان إلى الوالدين .

وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجار فى أكثر من حديث من ذلك قوله : " ليس منا من بات شبعان وجاره جائع "[12]، " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره " ، " وأحسن إلى جارك تكن مسلما " .

وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الجيران ثلاثة جار له حق واحد وهو أدنى الجيران ، وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق فأما الجار الذى له حق واحد فجار مشرك لا رحم له ، وأما الجار الذى له حقان فجار مسلم له حق الجوار وحق الإسلام ، وأما الجار االذى له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم " ، وقال أبو ذر أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم " إذا طبخت فأكثر المرق ثم انظر بعض أهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها "

وليس الجار هو الجار الملاصق فقط كما يظن بعض الناس فقد روى فى الآثار أن أربعين داراً جار وفسرها بعضهم بأربعين من كل جهة من الجهات الأربع . ومن جميل ما جاء فى رعاية الجار ـ ماجاء فى الأثر " ولا تؤذه بقتار قدرك[13] إلا أن تغرف له منها ، وإذا اشتريت فاكهة فاهد له منها فإن لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده " ، ومن الجميل فى آداب الإسلام كذلك أنه جعل للجار حقا ولو كان غير مسلم . قال مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة فقال ياغلام إذا

---

(١١) سورة النساء الآية ٣٦ .
(١٢) رواه الطبرانى والبزار بإسناد حسن .
(١٣) رائحة الطعام المطهو .

سلخت فابدأ بجارنا اليهودى حتى قال ذلك مراراً فقال له لم تقول هذا فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم " لم يزل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه "[١٤] .

فالإسلام يريد أن يجعل فى كل حى وحدة متكافلة متعاونة فى السراء والضراء بحيث يحملون ضعيفهم ، ويطعمون جائعهم ويكسون عاريهم ، وإلا برئت منهم ذمة الله ورسوله .

وأوجب الإسلام على بيت المال الإنفاق على الزّمن [١٥]وعلى الشيخ الفانى وعلى المرأة إذا لم يكن لهؤلاء من تجب عليه النفقة من أقربائه ولايفرق الإسلام فى ذلك بين المسلم والذمى .

فقد روى الإمام أبو يوسف فى كتابه " الخراج " أن عمر رضى الله عنه مر بباب قوم وعليه سائل يسأل وكان شيخا ضريراً يبدو عليه أنه ذمى فضرب عمر بعضده ، وقال له من أى أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودى فقال : وما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال أسأل الجزية والحاجة والسن ، فأخذ عمر بيده وذهب إلى منزله وأعطاه شيئا من عنده ، ثم أرسل إلى خازن بيت المال وقال انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفنا الرجل أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم إنما الصدقات للفقراء والمساكين وهذا من المساكين من أهل الكتاب .

وأوجب الإسلام فى حالات الشدة والضرورة أن يعود القادر على المحتاج بما يسد حاجته ، فقد روى أبو سعيد الخدرى حال النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر وشدة فقال : كنا فى سفر فقال النبى صلى الله عليه وسلم " **من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، ومن كان عنده فضل**

---

(١٤) رواه أبو داود والترمذى وقال حديث غريب. (١٥) العاجز عن الكسب .

ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ثم أخذ يعدد من أصناف المال حتى ظننا أن ليس لنا من مالنا إلا ما يكفينا "[(١٦)] .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم قسموه بينهم بالسوية فهم منى وأنا منهم "[(١٧)] .

ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعماله حتى ـ قبل أن يبعث ـ أروع مثال للتكافل الاجتماعى ـ يدل على ذلك ما وصفته به .خديجة رضى الله عنها عند نزول الوحى عليه لأول مرة ، فقد ذهب إليها يرتجف خوفا وفزعاً مما أصابه من مفاجأة الملك له وقال زملونى زملونى[(١٨)] وبعد أن زملته حتى ذهب عنه الروع وقصَّ عليها ما حدث ، قال لقد خشيت على نفسى فقالت له : " كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتقرى الضيف ، وتحمل الكل ، وتعين على نوائب الدهر "[(١٩)] .

أيها المسلمون : لقد قرر الإسلام نظام التكافل الاجتماعى ، وأوضح موارد نفقات التكافل .

المورد الأول :

الزكاة : وهو الركن الثالث للإسلام وقد جاء الأمر بها مقرونة

---

(١٦) رواه البخارى .
(١٧) رواه البخارى .
(١٨) (أى غطونى غطونى) .
(١٩) وصلة الرحم : الإحسان إلى القريب ورعايته ، وقرى الضيف : إكرامه والحفاوة به . والكَلُّ : هو اليتيم والعاجز عن العمل ، وتحمل الكَلِّ تحميه وتسد حاجته .

بالصلاة فى نحو من ثلاثين موضعا ، وتجب فى الأموال النقدية وفى عروض التجارة بنسبة ٢,٥ ٪ وفى الماشية كتلك النسبة تقريبا وفى الزروع والثمار بنسبة العشر فى الأراضى المروية من غير كلفة وبنسبة نصف العشر فى الأرض التى تروى بآلة ونحوها . وهى تؤخذ من كل مال بلغ النصاب الشرعى لوجوبها . ٢ مثقالا من الذهب ، . . ٢ درهم من الفضة ، على أن يكون قد حال عليه الحول وهى زائدة عن حاجات الإنسان الأصلية التى يحتاج إليها لمعيشته فلا يدخل فيها دار السكن والثياب الخاصة والقوت المدخر لطعام العائلة ، والسلاح الخاص ، ودابة الركوب ، وكتب العلم غير المعدة للتجارة ، وآلة العمل اليدوية .

ويلاحظ فى الزكاة أنها لفئات معينة نص عليها القرآن الكريم فى قوله { **إنما الصدقات للفقراء والمساكين ...** } [٢٠] الآية وأنها ليست إحسانا ولامنّةً بل هى حق اجتماعى تشرف الدولة الإسلامية على استيفائها وتوزيعها فى مصارفها وفى ذلك يقول القرآن الكريم { **والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم** }[٢١] ولأهمية الزكاة فى الإسلام قاتل سيدنا أبو بكر مانعى الزكاة ، وقال قولته المشهورة " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ما استمسك السيف بيدى " .

وتشير الآية القرآنية إلى أن الزكاة غاية من غايات الدولة الإسلامية حيث يقول الله سبحانه : { **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** } [٢٢]

---

(٢٠) سورة التوبة الآية ٦٠ .
(٢١) سورة المعارج الآيتان ٢٤ ، ٢٥ .
(٢٢) سورة الحج الآية (٤٠ ، ٤١) .

المورد الثانى :

لإقامة التكافل الاجتماعى : ما يؤخذ من الأقارب الأغنياء لأقاربهم الفقراء وتؤخذ هذه النفقة بقوة القانون ويلزم نظام الإسلام الأقارب بذلك وأوسع المذاهب فى نفقة القريب مذهب الإمام أحمد بن حنبل حيث أن النفقة لكل من يرثهم الغنى إذا ماتوا .

المورد الثالث : الوقف .

ولقد أدى الوقف دوراً كبيرا فى باب التكافل الاجتماعى فى عصور الإسلام بمصر والشام وغيرها من البلاد الإسلامية والأصل فى شرعية الوقف فى الإسلام ما ورد من أن عمر رضى الله عنه جاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال له : " أصبت أرضا بخيبر ، لم أصب مالا قط أنفس منها عندى فما تأمرنى به ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : " **إن شئت حبست أصلها ، وتصدقت بها** " ، فتصدق بها عمر أنها لاتباع ولاتوهب ولاتورث ، وتصدق بها فى الفقراء وفى القربى والرقاب وفى سبيل الله وابن السبيل لاجناح على وليها أن يأكل منها بالمعروف ، وقد أكثر الصحابة من الوقف الذى تحبس فيه العين وتكون المنفعة فى أوجه البر المختلفة .

ومن أهم الأوقاف التى قامت فى المجتمع الإسلامى ولايزال كثير منها باقيا حتى الآن وهى أوقاف للإنفاق على ١ـ المساجد . ٢ـ المدارس ٣ـ المكتبات العامة ٤ـ المستشفيات ٥ـ الفنادق للمسافرين ٦ـ التكايا ٧ـ السقايات ٨ـ الآبار فى القنوات ٩ـ الرباطات للمجاهدين . ١٠ـ السلاح والخيول للجهاد . ١١ـ تجهيز المقاتلين فى الجهاد بالمال وغيره . ١٢ـ إصلاح الجسور والطرقات العامة . ١٣ـ المقابر . ١٤ـ اللقطاء . ١٥ـ الأيتام . ١٦ـ المقعدين . ١٧ـ العميان . ١٨ـ العجزة . ١٩ـ المساجين . ٢٠ـ القرض

الحسن للتجارة وغيرها . ٢١ـ البذار (مجانا) للفلاحين . ٢٢ـ أدوات الزراعة . ٢٣ـ دواب الزراعة . ٢٤ـ أشجار مثمرة يأكل منها المارة . ٢٥ـ أوقاف خيرية لجهات أخرى مثل قراءة القرآن ونفقات العلماء (ومنها وقف خاص بمصر لدابة شيخ الأزهر) ونحر الأضاحى فى عيد الأضحى وإطعام الفقراء فى رمضان ، وغير ذلك .

وهناك أوقاف غاية فى الطرافة والدلالة على سمو العاطفة الإنسانية فى المجتمع الإسلامي ، ولانعلم لها مثيلا فى بلد من بلاد العالم ، من ذلك : ٢٦ـ أوقاف للطب النفسى . ٢٧ـ أوقاف للتزويج . ٢٨ـ أوقاف الزبادى . ٢٩ـ نقطة الحليب .[٢٣] ٣٠ـ وقف للحيوان . ٣١ـ تطبيب الحيوان وهى مؤسسات أقيمت لعلاج الحيوانات المريضة ، أو لإطعامها أو لرعيها حين عجزها ترعى منه حتى تلاقى حتفها .
٣٢ـ وقف الغضبى .

أيها المسلمون : ومن موارد التكافل الاجتماعى فى الإسلام :

المورد الرابع : الوصية

فقد أجاز الإسلام أن يوصى الإنسان بثلث ماله لجهات البر والخير ويجوز أن يوصى بأكثر من ذلك إذا أجازته الورثة .

المورد الخامس : الكفارات

{ لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان

---

(٢٣) وقد كان من مبرات صلاح الدين أنه جعل فى أحد أبواب القلعة ميزابا يسيل منه الحليب وميزابا آخر يسيل منه الماء المذاب فيه السكر تأتى الأمهات يومين كل أسبوع ليأخذن لأطفالهن وأولادهن ما يحتاجون إليه من الحليب والسكر .

فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة }[٢٤] الآية { يايها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم . ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ماقتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين . . . . }[٢٥] الآية ، وفى كفارة الظهار { فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا }[٢٦]

وفى كفارة الإفطار فى رمضان عمداً بالجماع صيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا . الحديث

المورد السادس : خمس الغنائم فى الركاز والمعادن

ويصرف إلى الفقراء والمساكين واليتامى .

المورد السابع : خراج الأراضى وجزية الرءوس

وهذه ينفق منها على جميع مصالح الدولة ومنها الفقراء والمحتاجون إذا لم تف الموارد السابقة بهم .

ولم يكتف الإسلام بما شرعه من المبادىء لتنظيم التكافل الاجتماعى بل دعمها برغبات وزواجر ، فقد حبب الإسلام إلى الأغنياء التصدق على الفقراء والمساكين وجعل هذا من أقرب القربات وأعظمها أجراً وجعل اكتناز الأموال وعدم إنفاقها فى سبيل الله من كبار المعاصى وتوعد المكتنزين بأشد عقوبة يوم القيامة . والآيات القرآنية التى وردت فى ذلك تجل عن الحصر ولا تكاد تخلو منها سورة من سور القرآن الكريم .

(٢٤) المائدة الآية ٨٩ .
(٢٥) المائدة الآية ٩٥ .
(٢٦) سورة المجادلة الآية ٤ .

فمن ذلك قوله تعالى : { ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون }[٢٧] { الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون }[٢٨] .

{ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم }[٢٩] .

(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون }[٣٠] .

أيها المسلمون : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى "[٣١] ، " لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "[٣٢] .



---

(٢٧) سورة البقرة الآية ١٧٧ .
(٢٨) سورة البقرة الآية ٢٧٤ .
(٢٩) سورة البقرة الآية ٢٦١ .
(٣٠) سورة التوبة الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .
(٣١) رواه مسلم وأحمد .
(٣٢) رواه البخارى .

الخطبـة الثانيـة

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـا بعـد

فيأيها المسلمون : وهكذا عَلمنَا أن الإسلام يقرر مبدأ التكافل الاجتماعى ولكنه يقرره بمعناه الواَسع فالتكافل الاجتماعى فى نظام الإسلام أنواع .

أولا : التكافل الأدبى .

وذلك أن يشعر كل واحد نحو الآخرين بشعور الحب والعطف ، وحسن المعاملة والتعاون فى سراء الحياة وضرائها ، وقد دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : " **أحب للناس ما تحب لنفسك** "(٣٣) " **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** "(٣٤).

ثانيا : التكافل العلمى .

فالرسول صلى الله عليه وسلم أوجب على العالم أن يعلم الجاهل ،

---

(٣٣) رواه الحاكم . (٣٤) رواه البخارى .

وعلى الجاهل أن يتعلم من العالم .

ويدخل فى ذلك ألا يضن العالم بعلمه على الناس ، وألا يكتم ماأدركه من أسرار الشريعة أو الكون لكى ينفرد بالرئاسة العلمية أو التميز العلمى وقد جاء فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " **من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة** "[٣٥].

ثالثا : التكافل السياسى .

وقد قرر الإسلام أن كل مواطن له حقه السياسى وله حقه فى النصح والمراقبة لأولياء الأمور لأنه مسئول عن مستقبل الأمة وما كان كذلك فالمجتمع كله متكافل فى تأييد السياسة الرشيدة ، وإنكار الفساد والانحراف فيها ، ويدخل تحت عموم قوله صلى الله عليه وسلم : " **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** "[٣٦] ويؤكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " **المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم** "[٣٧] .

رابعا : التكافل الدفاعى .

وذلك أن كل مسلم فى الدولة عليه أن يتكافل مع مواطنيه بالدفاع عن سلامة البلاد ، وعليه النفير إذا أغار عدو مغير على ناحية منها بحيث أصبحت الأمة فى حالة استنفار ، وفى ذلك نزل قوله تعالى : { **انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن**

---

(٣٥) رواه أبو داود والترمذى والحاكم وغيرهم بألفاظ متقاربة .
(٣٦) رواه البخارى ومسلم .
(٣٧) رواه أبو داود وغيره .

كنتم تعلمون }[٣٨] .

ولايعفيه من هذا الواجب مقام ولامنزلة إلا أن يكون به مرض أو عمى أو عرج أو عذر من الأعذار التى أقرتها الشريعة .

ويقرر الفقهاء أن العدو إذا أسر واحداً منا فى المغرب وجب على آخر رجل فى المشرق أن يهب مع إخوانه لاستنقاذه وتخليصه من أيدى الأعداء .

خامسا : التكافل الجنائى .

وذلك أنه إذا جنى جان على إنسان ما ، ولم يعرف قاتله ، ألزم الشارع أن ينظر إلى المكان الذى فيه قتل القتيل ، فيختار أولياء الدم خمسين رجلا من هذا المكان يقسمون أنهم لايعرفون القاتل ، ولايؤونه عندهم ، فإذا أقسموا حكم الشارع بدية القتيل تعطى لأوليائه فإذا عجز المحكوم عليهم بالدية عن دفعها دفعها بيت المال وكذلك الحكم فى كل من وجب عليه دية قتيل وعجز هو وعائلته عن دفع الدية لزمت الدية بيت المال .

وفى نظام القسامة الذى ذكرناه آنفا وفى إلزام بيت المال بالدية عند العجز معنى واضح من معانى التكافل فى تحمل آثار الجرائم ، لأن بيت المال هو خزانة الشعب ، ففى إلزامه بدفع الدية تحميل لكل فرد فى الأمة آثار تلك الجناية .

ومن هنا جاء هذا المبدأ الرائع فى أحكام الجنايات : " لا يطل دم فى

(٣٨) سورة التوبة الآية ٤١ .

الإسلام " ومعناه لا تقع جريمة قتل فى المجتمع الإسلامى دون أن يقتص من فاعلها ؛ فإذا لم يعرف القاتل استحق أهل القتيل دية قتيلهم إما من بيت المال ، وإما من أهل القسامة .

سادسا: التكافل الأخلاقى .

يعتبر الإسلام المجتمع مسئولا عن صيانة الأخلاق العامة لأن بها حفظه من الفوضى والفساد والانحلال ، وبذلك وجب أن ينكر المجتمع على مرتكبى المنكرات الخلقية وغيرها ، ولا يعتبره الإسلام تدخلا منه فى الحريات الشخصية لأن الفساد والمنكر يأتى على بنيان الأمة من القواعد ؛ ولم يفهم أحد فى المشرق أو فى المغرب حتى الآن أن معنى الحرية أن تسمح لكل إنسان أن يهدم بيتك الذى تسكنه .

وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا بديعا للتكافل الأخلاقى فى الأمة ، ذلك التكافل الذى يأخذ على أيدى العابثين والمخربين بقوله : **" مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم (منعوهم من خرق السفينة) نجوا ونجوا جميعا "** [٣٩]

ولهذا التكافل الأخلاقى جاء الشارع صلى الله عليه وسلم يقول : **" من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان "** [٤٠] .

---

(٣٩) رواه البخارى والترمذى .

(٤٠) رواه مسلم والترمذى والنسائى وغيرهم .

سابعا : التكافل الاقتصادى .

يولى الإسلام عنايته الكبرى باقتصاد الأمة فيعمل على حفظ ثروات الأفراد من الضياع والتبذير ، ويمنع سوء استعمال الاقتصاد الوطنى بالاحتكار والتلاعب بالأسعار ، والغش فى المعاملات وغير ذلك .

ولهذا أوجب على الدولة أن تحول دون الاحتكار والتلاعب والغش وأن تضرب على أيدى المحتكرين بيد من حديد ، بل وأن تصادر بضائعهم المحتكرة وتوزعها على الشعب بأسعار معتدلة وربح معقول .

وأوجب على الدولة أيضا منع المجانين والمعتوهين والسفهاء المبذرين من التصرف فى أموالهم حتى يعقلوا أو يثوبوا إلى الرشد وفى ذلك جاء ما قدمناه من قوله تعالى : { **ولاتؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما** }(٤١) .

ثامنا : التكافل العبادى .

هناك فى الإسلام شعائر وطاعات يجب أن يقوم بها المجتمع ويحافظ عليها بمجموعه ، وتسمى بفروض الكفاية فى العبادات ، كصلاة الجنازة فإن الميت إذا مات وجب على المجتمع تكفينه والصلاة عليه ودفنه إن لم يكن له من يقوم بذلك من أهله وما يقوم بذلك من ماله فإن لم يقم بذلك أحد أثم المجتمع كله .

ومثل ذلك الأذان لأداء الصلاة وإقامة صلاة الجماعة فى الأوقات الخمسة وإقامة الجمعة وغير ذلك والمجتمع متكافل فى ذلك كله كعمل من

---

(٤١) سورة النساء الآية ٥ .

أعمال الحياة الروحية والاجتماعية التى يسعد بها المجتمع .

تاسعا : التكافل الحضارى .

كل ما يفيد الجماعة من عمل دنيوى أو دينى ، سياسى أو اقتصادى زراعى أو تجارى ، علمى أو أدبى ، هو من البر الذى يحبه الله لعباده ويرغب لهم أن يتعاونوا عليه .

قال صلى الله عليه وسلم : " **الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله** "(٤٢) .

فالعمل النافع للمجتمع الإنسانى كله محبوب عند الله وهو من البر الذى أمرنا أن نتعاون ونتضامن فى تحقيقه { **وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب** }(٤٣).

وهذا التكافل الحضارى أكبر ضامن لتطور الحضارة نحو الأكمل والأفضل والأسعد .

عاشرا : التكافل المعاشى .

ونعنى به ماخصص اليوم باسم " التكافل الاجتماعى " من إلزام المجتمع رعاية أحوال الفقراء والمحتاجين والمعدمين ، والمرضى وذوى الحاجات .

وقد فضلنا تسمية هذا النوع من التكافل **بالتكافل المعاشى** أو

---

(٤٢) رواه البزار .

(٤٣) سورة المائدة الآية ٢ .

الحاجى لأنه يتعلق بكفالة المجتمع لمعيشة هؤلاء معيشة كريمة تليق بكرامة الإنسان .

وتخصيصه باسم التكافل الاجتماعى ، خطأ ناشىء من أخذنا هذه التسمية عن الغربيين ، فإن الغربيين لا يلزمون أنفسهم الآن بتكافل المجتمع مع الأفراد إلا فى شئون المعيشة ، من طعام ولباس وسكن ، أمّا ما عدا ذلك من نواحى التكافل الاجتماعى فلا يعرفونه ولا يؤمنون به فى هذه الحضارة .

وكيف يؤمنون بالتكافل الأدبى ، أو الدفاعى ، أو الأخلاقى أو الجنائى أو غير ذلك مما ذكرناه ، وحضارتهم قائمة على الحرية الأخلاقية والأنانية الفردية ، والنظرة المادية ، والعزلة الروحية أو الفقر الروحى .

إن تكافل المجتمع كله فى رد الحرية إلى أسير مغلوب على أمره ، أو رد العقل والاتزان إلى ماجن خليع مغلوب على إرادته ، هو من حقيقة التكافل الاجتماعى كما يكون تكافل المجتمع فى إطعام جائع أو إسعاف مكروب ، ولهذا كان التكافل الاجتماعى فى الإسلام متميزا عن التكافل عند غير المسلمين من دول الغرب ولو طبق التكافل بمعناه الواسع فى مجتمعنا لكان مجتمعاً مثالياً لا يدانيه فى رقيه مجتمع آخر .

ويجدر بنا أن نشير إلى أن تفكير الدول الغربية فى التكافل ثم تفكير الشيوعية بعد ذلك يحل المشكلة من أساسها إنما كان تحت ضغط التطور الصناعى وانتشار موجات السخط فى أوساط العمال وأفراد الشعب .

إن أوربا لم تفكر فى تأمين العمال ضد البطالة إلا بعد الأزمة الاقتصادية التى عانتها أوربا منذ عام ١٩٢٩ ، ويجب أن نشير أيضا إلى أن أكثر الدول التى تعتنق مبدأ التكافل الاجتماعى تشترط اشتراك

الذين تشملهم قوانين التكافل بجزء معين من دخلهم الشهرى أو الأسبوعى قبل أن يستحقوا فوائد التكافل الاجتماعى بينما الأمر فى الإسلام ، وكما طبقته الدول الإسلامية فى مختلف العصور ، لا يطلب من الفقير أو العاجز دفع مبلغ ما ، بل الدول تقوم بهذا العمل دون مقابل وهذا أمر له دلالته فى هذا المقام .

ويجب أن نشير كذلك إلى أن التكافل الاجتماعى نظام أساسى فى الإسلام منذ بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أى منذ أربعة عشر قرنا من الزمان أما فى الدول غير الإسلامية الحديثة فلم يبدأ التكافل إلا فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . حينما بدأوا يفكرون فى أن التكافل يجب أن يكون من وظائف الدولة .

وقد كانوا قبل ذلك يعتبرون إسعاف الفقير مقتصرا على الإحسان الاختيارى ، وكانت مهمة رجال الدين غير المسلمين والمصلحين الاجتماعيين أن يثيروا شفقة الأغنياء ليرحموا الفقراء ، واستمر هذا حتى القرن السابع عشر ، وفى القرن السابع عشر أى بعد نزول القرآن بعشرة قرون بدأ الغرب يفكر أن للفقراء حقا على المجتمع . وكانوا يرون أن هذا الحق من وظائف الجمعيات والهيئات المحلية التى كانت تقوم بإطعام الفقراء ، واستمر هذا حتى أواخر القرن التاسع عشر ، حينما تنبهوا إلى أن عمل الجمعيات والهيئات لايفى بالحاجة ولايتسع لكل الفقراء ، ولا يسعف الفقراء بكل ما يحتاجون فبدأوا يفكرون فى أنه يجب أن يكون من وظائف الدولة ، وكانت أول دولة فى الغرب ـ بدأت تعنى بتنظيم الضمان الاجتماعى ـ هى ألمانيا إذ أصدرت أول قانون لذلك عام ١٨٨٣ ـ أى بعد قيام الدولة الإسلامية الأولى بهذا الواجب بألف ومائتى سنة وإحدى وستين سنة .

أيها المسلمون : التكافل الاجتماعى فى نظام الإسلام الحنيف نظام

مثالى من وحى العليم الخبير ، لا يدانيه أى نظام آخر من وضع البشر العاجز القاصر . فإلى نظام الإسلام فى كل شأن من شئون الحياة تسعدوا فى الدنيا ، وتفوزوا فى الآخرة بنعيم الله فى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

والله ولى التوفيق

يراجع فى هذا الموضوع :

١- حقوق الإنسان فى الإسلام للدكتور على عبد الواحد وافى .
٢- الإسلام عقيدة وشريعة لفضيلة الشيخ محمود شلتوت .
٣- اشتراكية الإسلام للدكتور مصطفى السباعى .
٤- مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى للإمام الشهيد حسن البنا .
٥- التكافل الاجتماعى لفضيلة الشيخ محمود شلتوت .



الأسرة فى النظام الإسلامى الحنيف

بعد حمد الله عز وجل والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين :

أمـــا بعـــد

فيقول الله سبحانه : { ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة } [1] .

{ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات } [2] .

{ وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا } [3] .

{ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة } [4] .

{ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم } [5] .

---

(١) سورة الروم الآية ٢١ .
(٢) سورة النحل الآية ٧٢ .
(٣) سورة الفرقان الآية ٥٤ .
(٤) سورة البقرة الآية ٢٢٨ .
(٥) سورة النساء الآية ٣٤ .

{ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما }(٦) .

{ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا }(٧) .

وقال صلى الله عليه وسلم : " استوصوا بالنساء خيرا " " الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن فى نفسها وإذنها صماتها (٨) " (٩) .

" لاتنكح الأيم(١٠) حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن قالوا يارسول الله كيف إذنها ؟ قال : أن تسكت " .

أيها المسلمون : القرآن الكريم منهج حياة كامل أنزل هداية للبشرية فى كل شأن من شئون الحياة ، يهدى للتى هى أقوم فى شئون العقيدة وفى شئون العبادة وفى شئون المعاملات وفى شئون الحكم والسياسة والحرب والسلم والآداب والأخلاق .

من ذلك هدايته فى شئون الأسرة . فالأسرة لها مكانة سامية فى نظام الإسلام الحنيف ، ذلك أنها من اللبنات التى يتكون منها المجتمع

---

(٦) سورة النساء الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .
(٧) سورة النساء الآية ٤ .
(٨) سكوتها .
(٩) رواه الجماعة إلا البخارى .
(١٠) الأيم من لا زوج لها ولابد من تصريحها بالرضا من نطق أو غيره .

الإسلامى ، وكلما كانت اللبنات قوية ذات تماسك ومناعة كانت الأمة كذلك ذات تماسك ومناعة ، وإذا كانت الأسرة لبنة من لبنات الأمة فالزواج هو أصل الأسرة به تتكون ومنه تنمو.

وما الزواج فى واقعه إلا ظاهرة من ظواهر التنظيم لفطرة أودعت فى الإنسان كما أودعت فى غيره من أنواع الحيوان .

ولولا الزواج الذى هو تنظيم لتلك الفطرة المشتركة بين الإنسان وسائر الحيوان لتساوى الإنسان مع غيره من سبيل تلبية هذه الفطرة عن طريق الفوضى والشيوع فالله عز وجل الذى خلق الإنسان وكرمه وسواه ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، وسخر له مافى السموات ومافى الأرض ، وأعده أكمل إعداد ، ووهب له السمع والبصر والفؤاد ، وأوضح له الطريقين وهداه النجدين ويسر له السبيل ، هيأ له مبادىء الروابط السامية فى الزواج تلك المبادئ التى يرتفع بها عن حضيض الحيوانية البحتة .

إن الإسلام يهدف إلى إقامة بيت وبناء عش وإنشاء حياة مشتركة ، وهو يقيم العلاقات الجنسية على أساس من المشاعر الإنسانية الزاقية التى تجعل من التقاء جسدين نفسين وروحين وقلبين تربط بينهما حياة مشتركة ومستقبل مشترك يلتقى فى الذرية المرتقبة ويتقابل فى الجيل الجديد الذى ينشأ فى العش المشترك الذى يقوم عليه الوالدان حارسين لا يفترقان .

إن الميل الفطرى بين الرجل والمرأة عميق فى التكوين الحيوى لأن الله قد ناط به امتداد الحياة على هذه الأرض ، وتحقيق الخلافة لهذا الإنسان فيها ، ومن هنا يقول الإمام البيضاوى فى تفسير قوله تعالى : { **فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم** } أى اطلبوا ماقدر الله لكم وأثبته فى

اللوح المحفوظ من الولد ، والمعنى أن المباشر ينبغى أن يكون غرضه الأول الولد فإنه الحكمة من خلق الله الشهوة ، وشرع النكاح لا لقضاء الوطر وغض البصر فحسب .

والإنسان مجبول على حب البقاء ، وسبيله إلى البقاء إنما هو النسل المعروف نسبة إليه ، يراه امتداداً فى بقائه واستمراراً لذكراه ، وخلودا لحياته . وتنظيم الفطرة البشرية عن طريق الزواج أمر لابد منه فى حصول الإنسان على ماطبع عليه من محبة استمرار وجوده الذى يراه فى نسله من بنين وحفدة .

ولعل أوضح ما يملأ النفس بهذا الجانب الذى يدعو الإنسان إلى الزواج وتنظيم فطرته قوله تعالى : { **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ، ورزقكم من الطيبات** } وحسبنا فى ذلك أن نعلم أن الله سبحانه وتعالى نظم الأزواج وما يمنحنا منهن من بنين وحفدة مع رزق الطيبات فى عقد واحد ، وهو صنيع يشعرنا بأن الحاجة إلى الأزواج وثمرة الأزواج والتفضل بتنظيم الزواج يشعر بأن كل ذلك ليست حاجتنا إليه بأقل من حاجتنا فى حفظ حياتنا ، والتمتع بلذائذ الحياة من حاجتنا إلى التمتع بطيبات الرزق التى تحفظ كياننا ويقينا التعرض للضعف والانحلال .

وإذا كان الإنسان محتاجا فى بقائه إلى أحفاده وأبنائه ، وكان الزواج وحده هو السبيل إليهم ، فهو فى راحته القلبية وسكنه إلى القلب الذى يحنو عليه ويشاركه السراء والضراء أشد حاجة من حاجته إلى هؤلاء الأحفاد الذين لا ينعم بهم إلا مع سكون القلب واطمئنان النفس وراحة الضمير وإلى ذلك يشير قوله تعالى : { **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة** } .

ولعل الذى نقرره فى ثمرات الزواج من جانبى البقاء والمودة هو قرة العين الذى أطلق الله لسان عباده المقربين بدعائهم إياه بها فى قوله : { والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ... }(١١) .

وفى دعاء زكريا الضارع لربه مايجدر بالإنسان الكامل أن يقف عنده وأن يتذوقه وحتى يؤمن بما آمن به المقربون من محبة الولد { قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا ، وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا ، يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا ، يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا }(١٢) .

وإذا كان الزواج كما قلنا يقتضى تنظيم الفطرة الخاصة ، ويحقق للإنسان بواسطة النسل البقاء المطبوع على حبه فإنه من جهة ثالثة يهيىء له جو الشعور بالمسئوليات ويكون له درساً تدريبيا على تحملها والقيام بأعبائها .

فالإنسان بمقتضى خلقه وتكوينه وبما ميزه من قوى الإدراك والعمل لاينبغى أن يكون خاليا من المسئوليات وبالتالى لا يصح وهو عنصر من عناصر الحياة العامة ألا يزود فى حياة خاصة محدودة بما يركز فيه من مبادئ تحمل المسئوليات .

وإذا فلابد له من بيئة تحضيرية له فيها هيمنة وله عليها قوامة وله بها رباط لا يستطيع بمقتضى الشعور بمكانة هذا الرباط فى نفسه أن يتحلل منه وأن يلقى به عن عاتقه ، وفى جو البيئة يتلقى عمليا الدرس النافع فى تقوية نفسه وقلبه على تحمل المسئوليات .

---

(١١) سورة الفرقان الآية ٧٤ .

(١٢) سورة مريم الآيات ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ .

وذلكم الرباط الذى يكون تلك المدرسة الأولى ليس شيئا سوى الزواج ولعل أقرب مايوحى بهذا المعنى قوله سبحانه : { **يايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** }[١٣] .

رحم واحدة ، وأصل واحد وفروع تنبثق من ذلك الأصل ، وتتجه اتجاها واحدا هو اتجاه الخير والصلاح وشعوب وقبائل تتعارف لا تعارف الأسماء والذوات فحسب ، وإنما تعارف التعاون كذلك ، وتحمل المسئوليات المشتركة التى يعود على الأمة نفعها وعلى المجتمع الإنسانى خيرها .

أيها المسلمون : ومن أهم مبادىء الإسلام فى تأسيس الأسرة أن أفرغ على عقد الزواج صبغة الميثاق الغليظ وصور امتزاج الطرفين فيه بقوله : { **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** }[١٤] وركز على عناصر السكن والمودة والرحمة وجعله أساساً لتسلسل الذرية بالبنين والأحفاد كما جعله الخلية الأولى التى تتكون منها الأسرة وتتفرع عنها غصون الإنسانية شعوبا وقبائل تتعارف وتتعاون وتكون منها الأمة المثالية الفاضلة التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعلىْ للإنسان مجده وتحقق له معنى الخلافة فى الأرض التى خلق لأجلها وفضل بها على كثير من الخلق .

ومن هنا عنى الإسلام بجملة من الوسائل التى من شأنها إذا روعيت وحوفظ عليها كانت قوة فى الحياة الزوجية وقوة فى استمرارها ووقايتها من التعرض للتدهور والانحلال .

وكان منها ما يجب اتخاذه منذ اللحظة الأولى ، وما يجب مراعاته بعد أن يتم عقد الزواج وتسير الحياة الزوجية فى طريقها .

---

(١٣) سورة الحجرات الآية ١٣ .　　(١٤) سورة البقرة الآية ١٨٧ .

وكان منها ما تجب مراعاته حين الشعور بمبدأ الزعزعة والاضطراب .

فترجع النفوس عن غيها ، وتقف فى جانب المحافظة ودوام الاتصال بدلا من الاندفاع فى تيار الغضب والانحلال .

وكان أول ما تجب مراعاته من تلك الوسائل قبل الإقدام على الزواج أن يتعرف الطرفان ، كلاهما على صاحبه ، فلا يتركان الأمر للمصادفة الخابطة .

والإسلام فى هذه الناحية يوصى باختيار من له دين وخلق ، ويحذر من الاعتماد على مجرد الجمال أو الحسب أو المال ، وإن لصاحب الدين والخلق من دينه وخلقه أقوى مرشد وأهدى سبيل إلى تقدير هذه الرابطة تقديرا يدفع إلى القيام بمقتضاها ، والمحافظة على حقوقها ، وقديما قيل (إذا تزوج المرأة ، وقال : أى شىء تملك ؟ فاعلموا أنه لص) .

ومن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا المقام " **من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرا ، ومن تزوجها لحسبها ، لم يزده الله إلا دناءة ، ومن تزوجها ، لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن نفسه بارك الله له فيها ، وبارك لها فيه** "[(١٥)] وليس معنى هذا إهمال جانب الجمال ، كيف وهو من بواعث الألفة والمحبة وإنما القصد أن الإنسان لا يخضع فى الزواج لمجرد الجمال ، أو أحد أخويه الحسب والمال وإن كان مقترنا بسوء الخلق .

وليس من ريب فى أن سوء الخلق يقضى على كل خير ويبعث الريبة فى كل مظهر وعندئذ لا ينفع جمال ولا مال ولا حسب فى إنشاء هذه

---

(١٥) رواه ابن حبان فى الضعفاء .

الرابطة الشريفة فإذا اطمأنت النفوس إلى حسن الأخلاق التى هى أساس حسن المعاملة ونمو الرابطة وازدهارها ، فإن الإسلام يوصى بعد ذلك بخطوة ثانية هى خطوة الخطبة ، خطوة الاختبار ، عن طريق الحس مشاهدة واستماعا يرى وجهها ويديها وقدميها ويستمع حديثها .

وبهذا الاختبار يتعرف كل من الطرفين ما لصاحبه من المزايا الجسمية والصوتية والفكرية وذلك فى حضور ذى الرحم المحرم .

وقد صح أن المغيرة بن شعبة خطب امرأة ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم " **انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما** " ومعناه أن تحصل بينكما الموافقة والملاءمة ، والأحاديث التى تبيح للخاطب أن يرى مخطوبته كثيرة فى الصحاح .

كما وجهت الشريعة أن يؤخذ رأى المخطوبة فى شريك حياتها وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن البكر وقد قيل له : " **إن البكر تستأمر فتستحى فتسكت قال : سكوتها إذنها** " . وفرضت الشريعة للزوجة منحة تسمى المهر تحفظ عليها حياءها يتقدم بها الزوج معبرا بها عن تقديره إياها وعن رغبته فى إتمام الزواج وقد حثت الشريعة بكثير من الإرشادات النبوية على يسره وخفته وكان من ذلك : " من بركة المرأة سرعة تزويجها ويسر مهرها " " خير النساء أحسنهن وجوها وأرخصهن مهوراً ".

أيها المسلمون : إذا تمت المقدمات السابقة ، واطمأنت النفوس إلى الاقتران ، وجرى العقد بين الزوجين ، ودخلا فى نطاق (الميثاق الغليظ) ، فإن الإسلام يقرر بينهما من الحقوق والواجبات المتبادلة ما به تحسن المعاشرة ، وتنمو الرابطة ، وتطيب الحياة .

ولانكاد نجد فى تشريع ما أرْضِىّ أو سماوِىّ ، مثل هذه القاعدة

الجليلة التى جعلها القرآن أساسا للحياة الزوجية ولفت بها الأنظار إلى مابين الزوجين من الحقوق والواجبات تلك القاعدة هى ما أحكمها الله بقولـه : { ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف }(١٦) .

وقد تكلم الفقهاء كثيراً فى حق الرجل على المرأة ، وحق المرأة على الرجل والحق الذى تهدى إليه الفطرة فى شأن الزوجين هو ما قضى به النبى صلى الله عليه وسلم بين على وابنته فاطمة : قضى على ابنته بخدمة البيت ورعايته ، وعلى زوجها بما كان خارجاً عن البيت من عمل .

فعليها تدبير المنزل ورعاية الأطفال ، وعلى الرجل السعي والكسب ، وبهذا التوزيع تتحقق المماثلة التى قررها القرآن فى الآية الكريمة ، ومما يزيد الحياة الزوجية قوة أن يمد كل منهما يد المساعدة لصاحبه فى عمله إذا دعت إليه ضرورة ، وهو نوع من التعاون الذى طلبه الإسلام وحث عليه فى كل مجتمع { وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان }(١٧)

وفى القاعدة التى قرر القرآن بها المماثلة بين الزوجين فى الحقوق والواجبات قرر على الرجل مسئولية الهيمنة والقوامة ، وجعله المكلف بحق المرأة فيما يصل بها إلى الخير ويدفع بها عن الشر فقال { وللرجال عليهن درجة } وهذه الدرجة ليست درجة السلطان ، ولادرجة القهر ، وإنما هى درجة الرئاسة البيتية ، الناشئة عن عهد الزوجية ، وضرورة الاجتماع هى درجة القوامة التى كلفها الرجل ، وهى درجة تزيد فى مسئوليته عن مسئوليتها ، فهى ترجع عن شأنها وشأن أبنائها وشأن منزلها إليه وهذه المسئولية أساسها فى تحميل الرجل إياها : هو ما أشارت إليه الآية الكريمة التى تقول { الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض

---

(١٦) سورة البقرة الآية ٢٢٨ .

(١٧) سورة المائدة الآية ٢ .

وبما أنفقوا من أموالهم }[18] .

أيها المسلمون :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة " .

" يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة[19] فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج[20] ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء[21]"[22]، " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الإمام راع ومسئول عن رعيته والرجل فى بيته راع ومسئول عن رعيته ، والمرأة فى بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها "[23] .



(١٨) سورة النساء الآية ٣٤ .

(١٩) الباءة : الجماع من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنة فليتزوج ، من لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنة فعليه بالصوم ليدفع شهوته .

(٢٠) أغض للبصر وأحصن للفرج ، أشد غضا للبصر وأشد إحصانا للفرج ومنعا من الوقوع فى الفاحشة .

(٢١) المراد أن الصوم يقطع الشهوة كما يفعله الوجاء .

(٢٢) رواه الجماعة .

(٢٣) رواه البخارى .

الخطبــة الثانيــة

بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أيها المسلمون : لقد طلب الإسلام من الزوج أن يحسن إلى زوجه وطلب من الزوجة أن تحسن إلى زوجها .

وجاءت وصايا الرسول الكثيرة القوية مؤكدة لما طلبه القرآن من حسن المعاشرة بينهما ، وكان من الكلمات التى سجلها النطق النبوى فى جو المسلمين والنبى على عتبة المقابلة لربه " **استوصوا بالنساء خيرا** " وكان منها " **ماستفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها حفظته فى ماله وعرضه** "[24] " **أكمل المؤمنين إيمانا ، أحسنهم خلقا ، وخياركم خيركم لنسائهم** " " **لا يفرك**[25] **مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقا رضى منها بغيره** ".

وإحسان العشرة من الزوج ليس خاصاً بكفاية الزوجة من الطعام والشراب ، وصنوف الزينة ، كما أنه من الزوجة ليس خاصاً ـ كذلك ـ بإجابة الزوج إذا دعاها ، ولا أن تهيىء له طعام الغذاء والعشاء فقط ، وإنما هو ـ كما قلنا ـ معنى ينبعث من قلب أحدهما إلى قلب صاحبه ،

---

(٢٤) رواه ابن ماجه .

(٢٥) لايبغضها .

مدفوعاً بروح المحبة والمودة ، وروح الإيمان بالمهمة المشتركة بينهما والملقاة على عاتقهما في تذليل سبل الحياة ، وتربية الأبناء ، وتدبير المنزل بما يضفي على الجميع متعة المادة والروح . وإن تقرير الإسلام لاشتراك الزوجين في واجب حسن المعاشرة ومسئولية كل منهما عنه ، أثر من آثار المبدأ العام الذي أقره في استقلال كل من الرجل والمرأة في المسئوليات كلها .

فليس عبء الحياة ـ عاماً أو خاصاً ـ واقعا على الرجل وحده ولا على المرأة وحدها .

وهذا هو الشأن كذلك في الحقوق فليس كلها للرجل وليست كلها للمرأة ، فهو مسئول وهي مسئولة ، وهو صاحب حق وهي صاحبة حق .

وقد كان من لوازم ذلك الاشتراك ، وهذا الاستقلال استواؤهما عند الله في درجات المثوبة على فعل الخير والطاعة ، ودرجات العقوبة على فعل الشر والمخالفة { ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا }[٢٦] .

{ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن }[٢٧] .

{ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما . . . }

{ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات

---

(٢٦) سورة النساء الآية ١٢٤ .
(٢٧) سورة النور الآيتان ٣٠ ، ٣١ .

والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما . وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم } [٢٨] .

وعلى هذا الوضع ، بنى الإسلام الأسرة الإسلامية ، وجعلها لبنة من لبنات الأمة المثالية الفاضلة التى خلع عليها وصف الخيرية المطلقة ، **{ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر }** [٢٩] .

أيها المسلمون : أما الوسائل التى تجب مراعاتها حين الشعور بمبدأ الزعزعة والاضطراب لتكون قوة للحياة الزوجية وقوة فى استمرارها ووقايتها ، فيرجع إليها فى كتب الفقه الإسلامية .

أيها المسلمون : إلى نظام الإسلام فى تكوين الأسرة ، إلى حسن المعاشرة ، إلى رعاية الطفولة ، إلى الطهر والعفاف تسعدوا فى الدنيا ، وتفوزوا برضوان الله فى الآخرة .

يراجع فى هذا الموضوع :

١ـ رسالة الإمام الشهيد نظرات فى القرآن الكريم .
٢ـ فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب .
٣ـ الإسلام عقيدة وشريعة لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت .

---

(٢٨) سورة الأحزاب الآيتان ٣٥ ، ٣٦ .
(٢٩) سورة آل عمران الآية ١١٠ .

عنـاية الإسـلام بالعـلم

الحمد لله الذى هدانا لشريعة الإسلام وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وأشهد ألا إله إلا الله . خلق الإنسان وعلمه مالم يكن يعلم . وكان فضل الله عليه عظيما . { والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون }[1] وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك . صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعـد

فيقول الله سبحانه { اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم }[2] . { ن . والقلم وما يسطـرون }[3] { يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلـم درجات }[4] { قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب }[5] { وقل رب زدنى علما }[6] { قل انظروا ماذا فى السموات والأرض }[7] { ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة }[8] .

---

(١) سورة النحل الآية ٧٨ .
(٢) سورة العلق الآيات من ١ : ٥ .
(٣) سورة القلم الآية ١ .
(٤) سورة المجادلة الآية ١١ .
(٥) سورة الزمر الآية ٩ .
(٦) سورة طه الآية ١١٤ .
(٧) سورة يونس الآية ١٠١ .
(٨) سورة لقمان الآية ٢٠ .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " طلب العلم فريضة على كل مسلم "[9] " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة "[10] " فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب "[11] " إنما بعثت معلما " " تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية ، ودراسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وطلبه عبادة ، وتعليمه صدقة ، وبذله لأهله قربة " .

أيها المسلمون : يمثل هذه الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة يوجه الإسلام الحنيف إلى العناية بالعلم والدعوة إليه ومناصرته وأهله

ولقد أشاد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالعلم والعلماء والمتعلمين يقول الله عز وجل { ن والقلم ومايسطرون } { شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم }[12] ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " إن الله وملائكته وأهل السماء والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير "[13] " وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض ، حتى الحيتان فى البحر ، والعلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع ، ومن خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع "[14] .

يقسم الله عز وجل بالقلم ويعلى قدر العلماء ويرفع شأن طلاب العلم ، نظرا لما للعلم من قيمة وأهمية فى نظام الإسلام الحنيف وحسبنا أن نعلم أن أول آية نزلت من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم { اقرأ باسم ربك الذى خلق } وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل من فداء المشركين فى بدر أن يعلم الواحد من المتعلمين الأسرى عشرة من أبناء

---

(٩) رواه البيهقى وابن عبدالبر .
(١٠) رواه مسلم .
(١١) رواه أبو داود والترمذى .
(١٢) سورة آل عمران الآية ١٨ .
(١٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن .
(١٤) رواه أبو داود والترمذى .

المسلمين القراءة والكتابة عملا على محو الأمية عن الأمة ، ولم يسو الله عز وجل بين العلماء والجاهلين فقال : { هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون }[١٥] وقد وزن الإسلام مداد العلماء بدم الشهداء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يوزن مداد العلماء بدم الشهداء يوم القيامة "[١٦] .

ولازم القرآن بين العلم والقوة فى آيتين كريمتين يقول الله عز وجل { وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون . يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة }[١٧]

يقول الله تعالى : { ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور }[١٨] { ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء } وفى ذلك الإشارة إلى علم الهيئة والفلك وارتباط السماء بالأرض ثم قال تعالى : { فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها } وفى ذلك إشارة إلى علم النبات وغرائبه وكيميائه { ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود } وفى ذلك إشارة إلى علم الجيولجيا وعلم طبقات الأرض وأدوارها وأطوارها { ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك } وفى ذلك الإشارة إلى علم البيولوجيا والحيوان بأقسامه من إنسان وحشرات وبهائم .

فهل ترى الآيتين غادرتا شيئا من علوم الكون ثم يردف ذلك بقوله تعالى : { إنما يخشى الله من عباده العلماء } .

---

(١٥) سورة الزمر الآية ٩ .
(١٦) رواه ابن عبد البر .
(١٧) سورة التوبة الآيتان ١٢٢ ، ١٢٣ .
(١٨) سورة فاطر الآيتان ٢٧ ، ٢٨ .

أفلست ترى أيها المسلم من هذا الترتيب العجيب أن الله يأمر الناس بدراسة الكون ويحضهم على ذلك ويجعل العارفين منهم بدقائقه وأسراره هم أهل معرفته وخشيته . اللهم فقه المسلمين فى دينهم .

أيها المسلمون : إن القرآن الكريم كتاب هداية وتوجيه ومن نواحى إعجازه تلك الإشارات إلى علوم الكون سواء.ما يتصل منها بالطب أو بالهندسة ، أو غيرهما من ألوان علوم الكون ، وصدق الله العظيم { سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد }[١٩].

ففى الطب يشير فيما يشير إلى علم الأجنة { يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث }[٢٠] { ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين }[٢١] وفى بعض فروع الهندسة { لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال } { وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياما آمنين }[٢٢].

فالآيتان تدلان على أن مدينة سبأ كانت مدينة زاهرة مستكملة الأدوات فقد كانت عامرة بالبساتين عن يمين وشمال إنه ولا شك يمين السائر وشماله فى تلك المدن والأراضى .

---

(١٩) سورة فصلت الآية ٥٣ .

(٢٠) سورة الزمر الآية ٦ .

(٢١) سورة المؤمنون الآيات ١٢ ، ١٣ ، ١٤ والآيات هى قوله تعالى : { ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين } .

(٢٢) سورة سبأ الآيتان ١٥ ، ١٨ .

ومعنى هذا أن طرق السير كانت منظمة تبعا لتنظيم الفروس عن يمينها وشمالها { **وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة** } يعنى أن عمرانهم لم يكن محدوداً وإنما كان متصلا بعضه ببعض فالقرى والمدن يظهر بعضها من بعضها لقربها وتلاحمها فلا يكاد المسافر يبرح مدينة حتى تبدو له أعلام الأخرى ، وتقدير السير هو أن يكون منظما ومن لوازمه أن تكون الأوقات مضبوطة بالساعات والطرق محدودة بالعلامات التى تضبط المسافات ، وقوله تعالى : { **سيروا فيها ليالى وأياما آمنين** } يرشدنا إلى امتداد العمران مسافة الليالى والأيام وأن الأمن كان ماداً رواقه على هذا العمران ، ولا يتم العمران إلا بالأمن .

وهكذا نجد فى القرآن الكريم الإشارات التوجيهية إلى العلم بأسرار الكون وعلومه وتسخيرها لصالح الإنسانية لا لتدميرها فالعلم فى الإسلام علم باسم الله والله يوجه عباده إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم ويحذرهم مما فيه شقاؤهم وبلاؤهم والله بعباده رءوف رحيم .

أيها المسلمون : هذه المعارف الكونية وجه إليها الإسلام لأمور . منها أنها طريق لمعرفة الله وجميل صفاته . ومنها أنها طريق من طرق انتشار الرخاء وتوفير سبل الراحة ، وأنها سبيل من سبل إعداد القوة التى دعا الإسلام إليها لإقامة السلم ، يقول الله سبحانه { **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** } [٢٣] { **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله** } [٢٤] .

أيها المسلمون : لقد فهم أسلافنا السابقون ما وجههم إليه القرآن الكريم والسنة النبوية من وجوب العناية بالعلم والتعليم والتربية فأخذوا

---

(٢٣) سورة الأنفال الآية ٦٠ .
(٢٤) سورة الأنفال الآية ٦١ .

بحظ وافر من علوم الدين وبحظ وافر كذلك من علوم الكون وكانت المساجد الإسلامية المنارات الأولى التى تشع منها أنوار المعارف المختلفة ، ثم توسع المسلمون فى دور العلم فأنشئت المدارس والجامعات الإسلامية وبخاصة فى الأندلس ، ومما هو جدير بالذكر أن جامعات المسلمين فى الأندلس وكتب علماء المسلمين فى الاكتشافات العلمية كانت الدعامة التى بنى على أساسها الغرب نهضته الحديثة ، ونذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر فى الطب كتاب القانون لابن سينا ، وكتاب الحاوى للرازى وظل الكتابان عمدة لتدريس الطب فى الجامعات الأوروبية حتى القرن السادس عشر . ترجم الأول فى القرن الثانى عشر ، وترجم الثانى فى القرن الثالث عشر .

وكتب ابن الهيثم فى الطبيعة ، وكتب جابر بن حيان فى الكيمياء ، وكتب البيرونى فى الرياضيات ، وكتب الخازن فى الميكانيكا .

وكتب ابن البيطار فى علوم الصيدلة ، وداود الإنطاكى فى الطب العلاجى ، وابن النفيس فى الطب وهو أول عالم تحدث عند الدورة الدموية . ثم كان المرجع الأكبر فى الجراحة فى أوربا وبخاصة جراحة العظام كتاب (التعريف لمن عجز عن التصريف) للقاسم خلف بن العباس من الأندلس وقد نشر الكتاب باللاتينية فى القرن الخامس عشر .

أيها المسلمون : ومما هو جدير بالذكر كذلك أن قرطبة فى عهد عبد الرحمن الثالث الأموى ـ عاصمة الأندلس المسلمة كانت تنار بالمصابيح ليلا ويستضىء الماشى بسرجها عشرة أميال ، وسكنها أكثر من مليون نسمة بينما كانت أكبر مدينة فى أوربا لاتزيد على خمسة وعشرين ألفا .

وكانت حماماتها تسعمائة وبيوتها . . . ٢٨٣ وقصورها ثمانون ألفا ومساجدها ستمائة مسجد ، وفيها مائة وسبعون امرأة ، كلهن يكتبن

المصاحف بالخط الكوفي ، وخمسون مستشفى ومسجدها الجامع لم يوجد له نظير في الفخامة وروعة البناء .

أيها المسلمون : **العلم أولا** بما جاء في كتاب الله وسنة نبيه وهو علم ما يتصل بأمور العقيدة من الإيمان بالله عز وجل ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر ، ومايقع فيه من ثواب وعقاب ، والقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره .

وعلم ما يتصل بأمور العبادة ، من الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها ، وعلم ما يتصل بالمعاملات بين الناس ، من شئون الأسرة وما يتعلق بالأموال وطرق مبادلاتها ، وعلم ما يتصل بشئون الحكم . وإقامة العدل بين الناس والاحتكام إلى شريعة الله ، وواجب الأمة الإسلامية وعلاقتها بغيرها من الأمم وعلم ما يتصل بالأخلاق الإسلامية . وهذه العلوم هي التي تسمى في العرف الإسلامي بعلوم الدين ، وعلوم الدين هذه لا نستوردها من غيرنا . بل نأخذها من الكتاب والسنة وما يرجع إليهما من مصادر التشريع الإسلامية التي قررها علماء الأصول المسملون.

ثانيا: علوم الدنيا وهي العلوم الكونية - من طب وهندسة وكيمياء ومكتشفات من أسرار الكون وغيرها ، وواجبنا أن نأخذ بحظ وافر منها - وأن نأخذ من غيرنا ممن سبقونا فيها وتقدموا علينا ، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها .

وثواب العالم في معمله كثواب معلم الشريعة سواء بسواء متى خلصت النية وكانت الدولة محتاجة إلى معارفه .

ويجمع علماء الشريعة على أن العلم المطلوب في الشرع نوعان .

أولا : ماهو فرض عين أى ما يطلب تعلمه وجوبا على كل مكلف ولا يعذر أحد فى الجهل به وهو علم ما يحتاج إليه المسلم فى إقامة دينه وقبول عمله عند الله واستقامة معاملته ومعاشرته للناس وفق تعاليم الإسلام يدخل فى ذلك علوم العقيدة والعبادة وأحكام المعاملات التى يمارسها ، وقالوا : إن من اشتغل بشئ يفرض عليه علمه وحكمه ليمتنع عن الحرام .

ثانيا : ماهو فرض كفاية وهو علم ما يحتاج إليه المجتمع ـ من غير نظر إلى شخص بعينه ـ إذا قام به فرد أو أفراد من الأمة أغنى عن الباقين وإذا تركه الجميع أثموا جميعا . كصلاة الجنازة وإقامة القضاء ودور العلم ، ومنه ماهو دنيوى كتعليم الصناعات والمعارف الكونية ، التى تحتاج إليها الدولة ، وصناعة الأسلحة حتى إن ابن حزم ليذهب إلى تأثيم القرية التى ليس بها عالم فى الحياكة . ومما هو جدير بالذكر هنا أن الإسلام يوجه فيما يوجه إلى التعليم الفنى ـ كما تسميه الآن ـ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم " **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه** "(٢٥) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " **إن الله يحب المؤمن المحترف** " وقال عليه الصلاة والسلام " **إن أشرف الكسب كسب الرجل من يده** "(٢٦) .

ويقول الله سبحانه : { **واصنع الفلك بأعيننا ووحينا** } ويقول جل شأنه { **والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين . والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون** }(٢٧) .

---

(٢٥) رواه البيهقى .
(٢٦) رواه أحمد .
(٢٧) سورة النحل الآيتان ٨٠ ، ٨١ .

وكان داود عليه السلام يجيد الحدادة وصناعة الدروع الحربية ، يقول الله سبحانه { **وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم** }[٢٨] { **وألنا له الحديد . أن اعمل سابغات وقدر فى السرد** }[٢٩] .

ويحكى القرآن عن سليمان عليه السلام فيقول { **وأسلنا له عين القطر** }[٣٠] وفى التقدم الحرفى الفنى يحكى القرآن الكريم عن تقدم ذى القرنين فيقول : { **حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا . قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا . قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا . فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا** }[٣١] .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له** "[٣٢] وقال صلوات الله وسلامه عليه : " **من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار** "[٣٣] .



---

(٢٨) سورة الأنبياء آية ٨٠ .
(٢٩) سورة سبأ الآيتان ١٠ ، ١١ .
(٣٠) سورة سبأ الآية ١٢ .
(٣١) سورة الكهف الآيات ٩٣ ـ ٩٧ .
(٣٢) رواه مسلم .
(٣٣) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـــا بعـــد

فقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً . ثم قال :"ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ولا يعلمونهم ولا يعظونهم ، ولا يأمرونهم ، ولا ينهونهم ؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ، ولا يتفقهون ولا يتعظون ؟ والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويأمرونهم وينهونهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبة . ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال قوم من ترونه عنى بهؤلاء ؟ قال : الأشعريين ؛ هم قوم فقهاء لهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب . فبلغ ذلك الأشعريين فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يارسول الله ذكرت أقواماً بخير وذكرتنا بشر فما بالنا ؟ فقال : " ليعلمن قوم جيرانهم وليفقهنهم وليعظنهم وليأمرنهم ولينهونهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتعظون ويتفقهون أو لأعاجلنهم العقوبة فى الدنيا ، فقالوا : يارسول الله أنفطن غيرنا ؟ فأعاد قوله عليهم ، وأعادوا قولهم : أنفطن غيرنا ؟ فقال ذلك أيضا فقالوا : أمهلنا سنة ، فأمهلهم سنة ليفقهوهم ويعلموهم ويعظوهم " كذا نقله المنذرى فى الترغيب والترهيب والهيثمى فى مجمع الزوائد ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية { لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود

وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون }[٣٤] .

ونلاحظ فى حديث الرسول المتقدم الحقائق الآتية :

* أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقر قوما على الجهالة بجانب قوم متعلمين ، واعتبر ذلك عدوانا ومنكراً يوجب اللعنة والعقاب ، واعتبر امتناع المتعلمين عن تعليم الجاهلين عصيانا .

وأعلن الحرب على الفريقين ، وأعطاهم مهلة وهى مبدأ عام وإن كانت قد وردت فى الأشعريين .

حدود العلم : لا يرى الإسلام حداً للعلم ينتهى إليه العالم وأن لحقائق الوجود مدى يمكن أن يحيط به الإنسان ، وعلم كل شئ خاص بالله وحده وعلى العالم أن يدأب على البحث والنظر وعليه أن يبتعد عن غرور أنصاف العلماء وقد جاءت آيات من القرآن وأحاديث عن الرسول فى ذلك **{ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا }**[٣٥]**{ وفوق كل ذى علم عليم }**[٣٦]**{ وقل رب زدنى علما }** .[٣٧]

وجاء فى بعض الآثار .

" **اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد** " " **اطلبوا العلم ولوبالصين** " .

وقدركل امرىء ما كان يحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا	والناس موتى وأهل العلم أحياء

---

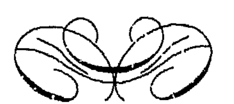
(٣٤) سورة المائدة الآيتان ٧٨ ، ٧٩ .
(٣٥) سورة الإسراء الآية ٨٥ .
(٣٦) سورة يوسف الآية ٧٦ .
(٣٧) سورة طه الآية ١١٤.

أيها المسلمون : إلى نظام الإسلام إلى توجيهات الإسلام تسعدوا فى الدنيا وتفوزوا بالنعيم المقيم فى الآخرة .

اللهم إنا نسألك علما نافعا ولسانا ذاكراً ، وقلبا خاشعا .

يراجع فى هذا الموضوع :

١- رسالة نحو النور للإمام الشهيد حسن البنا .
٢- اشتراكية الإسلام لفضيلة الشيخ مصطفى السباعى .
٣- من روائع حضارتنا لفضيلة الدكتور مصطفى السباعى .
٤- حقوق الإنسان فى الإسلام للدكتور على عبد الواحد وافى .
٥- الإسلام عقيدة وشريعة لفضيلة الشيخ محمود شلتوت .



العبادة فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمدالله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعد

فيقول الله سبحانه : {ياأيها المزمل قم الليل إلا قليلا ، نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ، إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا . إن ناشئة الليل هى أشد وطئا وأقوم قيلا ، إن لك فى النهار سبحا طويلا ، واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا } [(١)] .

{ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ، وسبحوه بكرة وأصيلا } [(٢)]
{ واستغفروا الله إن الله غفور رحيم }[(٣)] { وقال ربكم ادعونى أستجب لكم } [(٤)]
{ وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون } [(٥)]

أيها المسلمون : كانت العبادة تشغل جزءا كبيراً من حياة النبى صلى الله عليه وسلم وحياة المسلمين الأولين فى بدء الدعوة وكان من أول مانزل عليه

---

(١) سورة المزمل الآيات من ١ إلى ٨ .
(٢) سورة الأحزاب الآيتان ٤١ ، ٤٢ .
(٣) سورة المزمل الآية ٢٠ .
(٤) سورة غافر الآية ٦٠ .
(٥) سورة البقرة الآية ١٨٦ .

{ **ياأيها المزمل قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا** } وتشير الآية التى تلى هذه الآية إلى أن هذه مقدمة لتحمل رسالة ثقيلة وتمهيد وإعداد لها { **إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا** } وكان المسلمون الأولون يجتمعون ويعبدون الله فى دار الأرقم واستمر النبى - صلى الله عليه وسلم - فى أخذ نفسه بكثرة العبادة ، وكان قيام الليل بالنسبة إليه فرضا فرضه الله عليه ، وكذلك كان الدعاة الأوَل من صحابة رسول الله يأخذون أنفسهم بالعبادة من قراءة القرآن وذكر الله والصلاة .

ويلاحظ المتأمل فى تاريخ انتشار الإسلام وانتشار رسالته أن العلماء العُبّاد كان لهم أثر كبير فى نشر الإسلام وكانوا هم الدعاة المؤثرين .

إن العبادة فى نظام الإسلام جزء أساسى لابد منه لقيامه وحسن تنفيذه .

فالعبادة هى التى توقد جذوة العقيدة وتغذيها وتتغذى بها وتثبتها وتحيا بها .

والعبادة تذكر الإنسان بموقعه الحقيقى من الكون وخالق الكون ، ومن وظائف العبادة ترقية الجانب الروحى من الإنسان وذلك أن الإنسان يتكون من عناصر عدة ، الجسمى العضوى ، والعقلى والروحى .

فإذا عنى بتنمية جسمه بالغذاء والرياضة كان قوى الجسم ، ويشاركه فى ذلك الحيوان ، وإذا اعتنى بتنمية الجانب العقلى بالعلوم التى تنمى ملكة العقل والتفكير بشتى ضروبه نما فيه العقل ولكن قد يكون أحط الناس خلقا ، وأسوأهم هدفا واتجاها ، مع تميزه بقوة التفكير فكثير من اللصوص ، ولا سيما فى عصر المدنية أذكياء متعلمون العلوم العقلية وكذلك كثير من الجواسيس والجناة .

والواقع أن المدنية المادية فى شتى مذاهبها إنما تعنى بتنمية هذين الجانبين فقط ولذلك فإنها تنتج نماذج بشرية تتميز بالصحة الجسمية والقوة والنشاط الفكرى ، والمعرفة العقلية ، ولكنها قليلا ما تتميز بالروح الانسانية المحبة للخير والسلام ، المتصفة بالإيثار والإحسان ، بل كثيراً ما نجد من هذه النماذج التى ولدتها المدنية المادية من سياسيين ومفكرين من هم أحط الناس نفوساً ، وأخسهم سلوكا ، لو كشف الغطاء عن حقيقة نفوسهم وأعمالهم ، ذلك أن الجانب الروحى من الإنسان عندهم مهمل ، وكل مانراه من أخلاق فى هذه المدنية إنما هو اقتناع ناشئ عن الاقتناع بضرورة التنسيق بين المنافع الفردية ومصالح مختلف الجماعات . ومن هنا نشأ الكبح والردع نتيجة الضغط المتبادل بين الأفراد والجماعات .

أما المدنية الإسلامية فقد أنتجت نماذج فى مختلف ميادين الحياة من سياسية ، وتجارية واجتماعية وعلمية و .... لا نجد لها نظيراً فى تاريخ الحضارات الأخرى ، ولو قرأت سيرة كثير من الولاة والقواد فى عهد الخلفاء الراشدين ناهيك من أمثال أبى بكر وعمر وعلى وعثمان لرأيت عجبا ، وللمست قمما ، لم ترق البشرية إليها إلا نادرا وتتمنى اليوم لو تقاربها من الوجهة الخلقية .

ومما تحققه العبادات الإسلامية من أهداف تقويةُ الإنسان فى معارك الحياة فالحياة فى نظر الإسلام صراع بين الحق والباطل فى النفس والمجتمع وعلى هذا بنيت الحياة الإنسانية منذ أهبط آدم إلى الأرض . والعبادة هى التى تجعل الإنسان قويا فى هذه المعركة إذ تذكره بالله الدائم الباقى القوى وبمسئوليته العظمى أمامه وبحياته الآخرة الباقية وما يترتب فيها على أعماله فهو يعيش لا ليأكل ويشرب ولا ليلهو وينام ولا ليزرع ويجمع ولا ليسيطر ويستعلى بل ليكون نصيراً للحق على الباطل والخير على الشر والعدل على الظلم ، إن الله استخلفه وعليه أن يحسن القيام بهذه

الخلافة فى الأرض .

فالعبادة هى التى تذكره بالمعانى المثالية ، والتوجيهات الإلهية فى هذا الصراع فلا يدخله الغرور إذا انتصر ، و لا الوهن إذا انهزم ، ولهذا كانت العبادة فى الإسلام غير منفصلة عن الحياة ومعاركها وآفاقها بل ملازمة لها ومصلحة وموجهة لها فى جهتها الصحيحة ، وليست انعزالا وفراراً من معارك الجهاد المختلفة .

وقد جاء فى كتاب الله عز وجل { استعينوا بالصبر والصلاة }[٦] وكان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الرجل المتعبد المنصرف للعبادة وأثنى عليه الصحابة " أن سألهم من يخدمه ؟ فقالوا كلنا يارسول الله ، فقال كلكم أفضل منه ، وكذلك نهيه بعض الصحابة الذين انصرفوا إلى العبادة انصرافا تاما عزلهم عن الحياة ، إذ قال لهم : فو الله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكنى أصلى وأرقد وأصوم وأفطر وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى ، أخرجه الشيخان والنسائى " .

مفهوم جديد للعبادة

ومن هنا كان للإسلام فضل عظيم فى أن أسبغ على جميع أعمال الإنسان صفة العبادة إذا قصد بها وجه الله ومرضاته ، وعملت على وجهها المشروع ، فالزارع والصانع والتاجر والطبيب والمهندس والعامل والموظف والمتعلم وغيرهم من أصحاب الأعمال تعتبر أعمالهم عبادة إذا قصد بها نفع عباد الله ، والاستغناء عن الحاجة إلى الناس وإعالة العيال ومن أرفع أنواع العبادة الجهاد فى سبيل الله أى فى سبيل الحق والخير والعقيدة الصحيحة

---

(٦) سورة البقرة ١٥٣ .

والقرآن لم يقصر وصف الصلاح على العبادات المخصوصة المحضة بل ضمنها أعمالا أخرى وذلك كقوله تعالى فى معرض الكلام عن المجاهدين مع الرسول صلى الله عليه وسلم : "ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون " [(٧)].وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما أجر المجاهد ؟ قال لاتستطيعونه ثم قال : مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا من صلاة حتى يرجع المجاهد" [(٨)] وفى حديث آخر " عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله " [(٩)] ومن أمثال هذه الآيات والأحاديث يتبين أن أعمال التقوى الفردية كممارسة العبادات من صلاة وصوم وذكر ليست كافية مطلقا لتجعل الرجل صالحا وحدها وأن الفرق بين المجاهد فى سبيل تأسيس المجتمع الصالح الذى يريده الإسلام أو الدفاع عنه والمتعبد بالعبادات الفردية كبير جداً فالأول أعلى مرتبة وأقرب إلى الله قال تعالى : { أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين } [(١٠)] وورد فى آية أخرى من سورة البقرة ذكر لأنواع من أنواع البر قال تعالى : { ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون } [(١١)] .

---

(٧) سورة التوبة الآيتان ١٢٠ ، ١٢١ .
(٨) متفق عليه .
(٩) رواه الترمذى وقال حديث حسن .
(١٠) سورة التوبة الآية ١٩ .
(١١) سورة البقرة الآية ١٧٧ .

لهذا كله كان الاكتفاء بالعبادة المخصوصة وحدها والاقتصار منها على مظاهرها الخارجية ، وإغفال العمل لإقامة ذلك النظام الاجتماعى الرائع الذى جاء به الإسلام واتخاذ تلك العبادات مقياساً للصلاح والتقوى ، وإهمال الأسباب التى سنها الله فى الكون ، لهذا كان كل ذلك انحرافا عن الإسلام ، وتشويها لقيمه ومعاييره ، وانحطاطا عن رسالته الشاملة ، وقد شاع هذا الانحراف والتشويه فى هذه العصور المتأخرة ، وبقيت بعض آثاره عالقة ببعض المجتمعات والعقول .

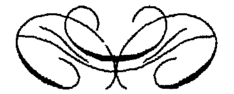
قال محمد بن إبراهيم : أملى على عبد الله بن المبارك حين وَدَّعْتُهُ للخروج هذه الأبيات وأرسلها معى إلى الفضيل بن عياض :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا	لعلمت أنك فى العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله فى باطل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	وَهَجُ السنابك فى اللقاء الأشيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق ...لا يكذب
لايستوى غبار أهل الله فى	أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا	ليس الشهيد بميت ... لا يكذب

قال : فلقيت الفضيل بن عياض بكتابه فى المسجد الحرام ، فلما قرأه ذرفت عيناه وقال صدق عبد الرحمن ، ونصحنى ثم قال : أأنت ممن يكتب الحديث ؟ قلت : نعم ... ثم قال : فاكتب هذا الحديث ، أجر حملك كتاب أبى عبد الرحمن إلينا .

وأملى على الفضيل بن عياض : حدثنا منصور بن المعتمر ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة رضى الله عنه **" أن رجلا قال يارسول الله علمنى عملا**

أنال به ثواب المجاهدين فى سبيل الله فقال : هل تستطيع أن تصلى فلا تفتــر ، وتصوم فلا تفطر ؟ ! . . . فقال : يارسول الله ، أنا أضعف من أن أستطيع ذلك ، ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : فوالذى نفسى بيده لو طوقت ذلك مابلغت المجاهدين في سبيل الله . أوعلمت أن المجاهد ليستن فى طوله فيكتب له بذلك الحسنات" .



الخطبـــة الثانيـــة

بعد حمد الله والثناء عليه ، وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أيها المسلمون : الصلوات الخمس رحلات إلهية ، أوجبها الله على عباده فى أوقات متفرقة من اليوم والليلة يخلص فيها المؤمن من دنياه ، ويفرغ لربه بالتكبير والمناجاة ، وطلب المعونة والهداية ، ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يجد فيها راحته وسعادته وعونه فكان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة يقول " أرحنا بها يابلال " ويقول " وجعلت قرة عينى فى الصلاة " ويقول سبحانه { واستعينوا بالصبر والصلاة }[١٢] { إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا }[١٣] { وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة }[١٤] .

وللصلاة أثرها الطيب فى تهذيب النفس ووقايتها من الفحشاء والمنكر { وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر }[١٥] { إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون }[١٦] .

---

(١٢) سورة البقرة الآية ٤٥ .
(١٣) سورة النساء الآية ١٠٣ .
(١٤) سورة البقرة الآية ٤٣ .
(١٥) سورة العنكبوت الآية ٤٥ .
(١٦) سورة المعارج الآيات من ١٩ : ٢٣ .

ثم إن فى صلاة الجماعة معنى التقاء الناس على اختلاف درجاتهم المالية والاجتماعية على صعيد العبودية لله ، والمساواة فى هذه الصفة وفيها التعارف والتعاون على البر فيما يفيد المسلمين فى حى المسجد وغيره ومن العبادات المخصوصة الزكاة ، وهى عبادة مالية عنى بها الإسلام يمد الغنى يد المساعدة إلى الفقير بما يسد حاجته ، وإلى المصالح العامة بما يحققها ، وهى واجبة على الغنى فيما يفضل عن حاجة أولاده وحاجة من ينفق عليهم من ماله النقدى وقيم أعبائه التجارية ولمواشيه السائمة وثمار زرعه بنسب معروفة عند علماء المسلمين ، فهى تشريع يحفظ للفرد استقلاله وحريته فى العمل والكسب ويحفظ للمجتمع حقه على الفرد والتضامن وفيها تطهير وتزكية للمزكى { **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** }[١٧] .

{ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم** }[١٨] .

والصوم تخل مؤقت عن شهوات الجسد خلال النهار من الفجر إلى غروب الشمس لمدة شهر كامل ، وهو يعبر عن الخضوع لأوامر الله ، وهو خروج عن العادات المألوفة والتزام مؤقت لحياة فيها جوع وعطش وتقشف لتربية النفس وضبطها وغرس خلق المراقبة ، وخلق الصبر فى نفوس المسلمين ، وبه تصدق النية ، وتقوى العزيمة فيثبت المؤمنون لحوادث الدهر { **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ، أياما معدودات فمن شهد منكم الشهر فليصمه** }[١٩] .

والحج نوع آخر من العبادة تتجلى فيه معان خاصة ليست فى بقية العبادات ، فهو تخل مؤقت عن الأهل والمال والولد والوطن ، وقصد لأول

---

(١٧) سورة التوبة الآية ١٠٣ .

(١٨) سورة التوبة الآية ٣٤ .

(١٩) سورة البقرة الآيتان ٨٣ ، ٨٤ .

بيت وضع للناس على أساس التوحيد ، فليس فى الحج تقديس أو تعظيم لغير الله ، وفى الحج تخل عن الزينة المعهودة المباحة فى اللباس والهيئة وتقشف مؤقت يشعر الإنسان بدوام صلته بالله ، وزوال صلته بغيره من الناس ، والطواف بالبيت رمز إلى دوران الناس حول غاية واحدة فالله وحده هو الغاية ، وأعمال الحج نجدها مفصلة فى كتب الفقه ، والتجرد لمعنى العبادة الخالصة واضح فى معنى الحج بالإضافة إلى المعنى الاجتماعى الرائع فهذه العبادة الخالصة ليست بمنعزلة عن الحياة بل هى متصلة بها ، إذ يقول الله سبحانه { **ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله** }[20] فشهود المنافع معنى عام يمكن أن يشمل جميع مصالح المسلمين فى هذا الخليط الذى لا تميز فيه بين لون ولون ولابين جنس وجنس فهو مؤتمر إلهى بدعوة من الله سبحانه .

ومن العبادات فى الإسلام ذكر الله والتفكر فى آياته وآلائه ، إن التفكر فى معالم الكون وآفاقه والانتقال إلى خالقها ومبدعها وإلى تعظيم قدرته والخضوع لعظمته فى أى وقت من الأوقات عبادة ورد ذكرها فى الكتاب والسنة وصف الله المؤمنين بقوله : { **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض . ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** }[21] وورد الأمر بالذكر فى قوله تعالى : { **فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون** }[22] { **يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا** }[23] .

وقد وردت عبارات فى السنة لألوان من الذكر والدعاء يقولها الإنسان فى مناسبات مختلفة والدعاء ذكر وقراءة القرآن ذكر و كل هذه الألوان من الذكر تحكم الصلة بين الإنسان وربه وتحققه بمعانيها فلا يخاف غيره ولا

---

(٢٠) سورة الحج الآية ٢٨ .
(٢١) سورة آل عمران الآية ١٩١ .
(٢٢) سورة البقرة الآية ١٥٢ .
(٢٣) سورة الأحزاب الأيتان ٤١ ، ٤٢ .

يرهب سواه .

والعبادة فى الإسلام ليست مقصورة على أنواع العبادات المخصوصة التى ذكرتها ، بل العبادة تتعداها إلى جميع أعمال الإنسان ونشاطاته المشروعة إذا ابتغى بها صاحبها وجه الله ، وعملها على وجهها المشروع فليس فى الإسلام فصل بين أعمال الدنيا وأعمال الآخرة ، بل الأعمال كلها من أعمال الآخرة وهى عبادة متى صحت النية .

فالزارع والصانع والتاجر والمهندس والطبيب والعامل والمعلم والمتعلم وغيرهم من أصحاب الأعمال تعتبر أعمالهم عبادة متى قصد بها نفع العباد ومن أرفع أنواع العبادة الجهاد في سبيل الله أى فى سبيل الحق والخير والعقيدة الصحيحة .

" مامن مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه إنسان أو بهيمة أو طير إلا كان له به صدقة " .

" التاجر الأمين الصدوق مع النبيين والصديقين يوم القيامة "

بل إن اللذات التى تشتهيها النفس إذا صاحبتها النية الصالحة تحولت إلى عبادة فالرجل يواقع امرأته يريد أن يحفظ عفافه ويصون دينه له أجر **" وفى بضع أحدكم صدقة "** .

وما يطعمه فى بدنه أو يطعمه أولاده وزوجته له مثوبة بنية الخير . فى معنى الحديث الذى رواه البخارى عن سعد بن أبى وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : **" إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعله فى فم امرأتك "** قال **" إن أطعمت نفسك فهو لك**

صدقـة ، وما أطعمت ولدك فهو لك صـدقة ، وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة ، وطلبك للعلم عبادة وتعليمك العلم عبادة " " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة " ومر رجل نشيط جلد قوى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه صحبه فعجب أصحابه منه وقالوا : لو استعمل ذلك فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن كان خرج يسعى على أبوين كبيرين فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أولاده فهو فى سبيل الله وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله " وهذا معنى حديث مروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أيها المسلمون : وهكذا نجد العبادة فى نظام الإسلام الحنيف تتناول كل نشاط من أنشطة الحياة فالقرآن الكريم منهج حياة كامل يهدى للتى هى أقوم فى كل شأن من شئون الحياة وصدق الله العظيم { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون }[٢٤] .

أيها المسلمون إلى عبادة الله عز وجل بمفهومها الواسع إلى غايتكم ومهمتكم فى الحياة تفوزوا وتسعدوا فى الدنيا والآخرة وإلا فاسمعوا قول الله عز وجل { أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق }[٢٥].

يراجع فى هذا الموضوع :

١. نظام الإسلام فى العبادات لفضيلة الشيخ محمد المبارك .
٢. الإسلام عقيدة وشريعة لفضيلة الشيخ محمود شلتوت .

---

(٢٤) سورة الذاريات الآية ٥٦ .
(٢٥) سورة المؤمنون الآيتان ١١٥ ، ١١٦ .

الجهــاد فى سبيــل اللــه

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعد

فيقول الله عز وجل : { إنا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ماليلة القدر . ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر . سلام هى حتى مطلع الفجر }[١] { يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة }[٢] { وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين }[٣] { كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله }[٤] { وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم }[٥] { وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين }[٦] { وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله }[٧] { لاإكراه فى الدين }[٨] { أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين }[٩] { وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة }[١٠] { وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لايحب الخائنين }[١١].

---

(١) سورة القدر .
(٢) سورة البقرة الآية ٢٠٨ .
(٣) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .
(٤) سورة آل عمران الآية ١١٠ .
(٥) سورة الحج الآية ٧٨ .
(٦) سورة البقرة الآية ١٩٠ .
(٧) سورة البقرة الآية ١٩٣ .
(٨) سورة البقرة الآية ٢٥٦ .
(٩) سورة يونس الآية ٩٩ .
(١٠) سورة الأنفال الآية ٦٠ .
(١١) سورة الأنفال الآية ٥٨ .

أيها المسلمون : الإسلام شريعة السلام ودين المرحمة ما فى ذلك شك لا يخالف فى هذا إلا جاهل بأحكامه أو حاقد على نظامه أو مكابر لا يقنع بدليل ولايسلم ببرهان .

اسم الإسلام نفسه مشتق من صميم هذه المادة مادة السلام والمؤمنون بهذا الدين لم يجدوا لأنفسهم اسما أفضل من أن يكونوا المسلمين { ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس }[١٢] .

وحقيقة هذا الدين ولبه الإسلام لرب العالمين { بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون }[١٣] { إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين }[١٤] { وأمرنا لنسلم لرب العالمين }[١٥] .

وتحية أهل الإسلام فيما بينهم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وختام الصلاة عندهم سلام على اليمين وسلام على اليسار وسلام فى الأمام إن كانوا يصلون خلف إمام كأنهم يبدأون أهل الدنيا من كل نواحيها بالسلام بعد أن فارقوها بخواطرهم لحظات انصرفوا فيها لمناجاة الله الملك العلام.

وقد نزل القرآن فى ليلة كلها سلام تحف به ملائكة السلام { تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر }[١٦] وأفضل ما يلقى الله به عباده تحية السلام { تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما }[١٧] وخير ما يستقبل به الملائكة الصالحين من عباد الله فى الجنة السلام { والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما

---

(١٢) سورة الحج الآية ٧٨ .
(١٣) سورة البقرة الآية ١١٢ .
(١٤) سورة البقرة الآية ١٣١ .
(١٥) سورة الأنعام الآية ٧١ .
(١٦) سورة القدر .
(١٧) سورة الأحزاب الآية ٤٤ .

صبرتم فنعم عقبى الدار }[١٨] والجنة نفسها اسمها دار السلام { لهم دار السلام عند ربهم . وهو وليهم بما كانوا يعملون }[١٩] { والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم }[٢٠] والله تعالى اسمه السلام { هو الله الذى لاإله إلا هو الملك القدوس السلام }[٢١] .

ولن يتأخر المسلم عن الاستجابة لدعوة السلام ، ولن يردها أبداً { وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم . وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين }[٢٢] { ولاتقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة }[٢٣] .

وليست فى الدنيا شريعة دينية ولانظام اجتماعى فرض السلام تدريبا عمليا واعتبره شعيرة من شعائره وركنا من أركانه كما فرض الإسلام رياضة النفس على السلام بالإحرام فى الحج ، فمتى أهل المسلم به فقد حرم عليه منذ تلك اللحظة أن يقص ظفراً ، أو يحلق شعراً ، أو يقطع نباتا ، أو يعضد شجراً أو يقتل حيوانا ، أو يرمى صيدا ، أو يؤذى أحدا بيد أو لسان حتى ولو وجد قاتل أبيه وجها لوجه لما استطاع أن يؤذيه بشئ { فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج }[٢٤] فهو بهذا الإحرام قد أصبح سلما لنفسه سلما لغيره من إنسان أو حيوان أو نبات ، والإسلام دين الرحمة فهى قرين السلام فى تحية المسلمين ، ونبى الإسلام إنما أرسله الله رحمة للعالمين وشعار المسلم الذى يردده قبل كل قول أو عمل { بسم الله الرحمن الرحيم } والوصية بين المؤمنين الصبر والمرحمة { ثم كان من الذين آمنوا

---

(١٨) سورة الرعد الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .
(١٩) سورة الأنعام الآية ١٢٧ .
(٢٠) سورة يونس الآية ٢٥ .
(٢١) سورة الحشر الآية ٢٣ .
(٢٢) سورة الأنفال الآيتان ٦١ ، ٦٢ .
(٢٣) سورة النساء الآية ٩٤ .
(٢٤) سورة البقرة الآية ١٩٧ .

وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة }[٢٥] .

وإذا كان الإسلام دين السلام والرحمة ، فما موقفه من فكرة الحرب والقتال والجهاد وهل انتشر بالسيف كما يقول عنه كثير من خصومه الذين لم يعرفوه أو تعمدوا أن يتجاهلوه ؟ وهل انفرد دون غيره من الأديان بمشروعية القتال ؟ هذه رؤوس الموضوعات التى سنعالج الكثير منها مختصرة فى هذه الكلمات التالية .

الإسلام والحرب : الحرب ضرورة اجتماعية : القاعدة الأساسية التى .. وضعها الإسلام للحياة هى ولا شك الطمأنينة والسلام والاستقرار ، ولكن الإسلام مع هذا دين يواجه الواقع ولا يفر منه ، ومادامت فى الدنيا نفوس لها أهواء ونوازع ومطامع ومادام هناك هذا الناموس الذى يطبق على الأفراد والجماعات على السواء ناموس تنازع البقاء ، فلا بد إذن من الاشتباك والحرب ، وحين تكون الحرب لردع المعتدى ، وكف الظالم ، ونصرة الحق ، والانتصاف للمظلوم ، تكون فضيلة من الفضائل ، وتنتج الخير والبركة ، والسمو للناس وحين تكون تحيزا وفساداً فى الأرض واعتداء على الضعفاء تكون رذيلة اجتماعية ، وتنتج السوء والشر والفساد فى الناس ، ومن هنا جاء الإسلام يقرر هذا الواقع ويصوره فيقول القرآن الكريم { **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين** }[٢٦] كما يقول فى آية أخرى { **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** }[٢٧] .

---

(٢٥) سورة البلد الآية ١٧ ، ١٨ .
(٢٦) سورة البقرة الآية ٢٥١ .
(٢٧) سورة الحج الآيتان ٤٠ ، ٤١ .

وبذلك كانت أول نظرات الإسلام إلى الحرب أنها ضرورة اجتماعية أو شر لابد منه لما يرجى من ورائه من خير على حد قول الشاعر العربى :

والشـر إن تلقـه بالخير ضقت بـه ذرعاً وإن تلقـه بالشر ينحسـم
والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا فالحرب أجدى على الدنيا من السلم

أغراض الحرب فى الإسلام : وفى الوقت الذى يقرر الإسلام فيه هذا الواقع يحرم الحرب ويسمو بها ولا يدعو إليها أويشجع عليها إلا لهذه الأغراض الأساسية السامية العاليه الحقة

١ـ رد العدوان والدفاع عن النفس والأهل والمال والوطن والدين :

وفى ذلك يقول القرآن الكريم { **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين** } (٢٨) .

وكانت أول آية من آيات القتال نزلت وفيها الإذن به قول الله تعالى { **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله** }(٢٩) { **وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا** }(٣٠) وروى مسلم والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

" **جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أرأيت إن عدى على مالى ؟ قال : فانشد بالله ، قال فإن أبوا على ؟ قال فانشد بالله ، قال : فإن**

---

(٢٨) سورة البقرة الآية ١٩٠ .
(٢٩) سورة الحج الآية ٣٩ ، ٤٠ .
(٣٠) سورة النساء الآية ٧٥ .

أبوا على ؟ قال فانشد بالله ، قال فإن أبوا على ؟ قال : فقاتل فإن قتلت ففى الجنة وإن قتلت ففى النار "[٣١] .

وروى أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه عن سعد بن زيد رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد "[٣٢] .

وروى البخارى والترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد "[٣٣] .

٢ ــ تأمين حرية الدين والاعتقاد للمؤمنين :

الذين يحاول الكافرون أن يفتنوهم عن دينهم ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم { يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل }[٣٤] ويقول فى آية أخرى { وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين }[٣٥] .

٣ ـ حماية الدعوة الإسلامية حتى تبلغ إلى الناس جميعا :

ويتحدد موقفهم منها تحديدا واضحا ـ وذلك أن الإسلام رسالة اجتماعية إصلاحية شاملة ،تنطوى على أفضل مبادىء الحق والخير والعدل ،

(٣١) رواه مسلم والنسائى .
(٣٢) رواه أبو داود والترمذى .
(٣٣) رواه البخارى والترمذى .
(٣٤) سورة البقرة الآية ٢١٧ .
(٣٥) سورة البقرة الآية ١٩٣ .

وتوجه إلى الناس كما قال الله تعالى لنبى الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم : { وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا }[٣٦] { وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين }[٣٧] فلابد أن تزول من طريقها كل عقبة تمنع من إبلاغها ولابد أن يعرف موقف كل فرد وكل أمة بعد هذا البلاغ وعلى ضوء هذا التحديد تكون معاملة الإسلام وأهله للناس . فالمؤمنون إخوانهم ، والمعاهدون لهم عهدهم ، وأهل الذمة يوفى لهم بذمتهم ، والأعداء المحاربون ومن تخشى خيانتهم ينبذ إليهم ، فإن عدلوا عن خصومتهم فبها وإلا حوربوا جزاء اعتدائهم ، حتى لا يكونوا عقبة في طريق دعوة الحق ، أو مصدر تهديد وخيانة لأهلها لا إكراها لهم على قبول الدعوة ولامحاولة لكسب إيمانهم بالقوة { لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى }[٣٨] والآيات والأحاديث ناطقة بذلك مفصلة إياه في مثل قوله تعالى : { وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء }[٣٩] { فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما }[٤٠] وقوله تعالى : { قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون }[٤١] ، وقوله تعالى : { الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا }[٤٢] وروى البخارى ومسلم " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على الله "[٤٣] .

---

(٣٦) سورة سبأ الآية ٢٨ .
(٣٧) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .
(٣٨) سورة البقرة الآية ٢٥٦ .
(٣٩) سورة الأنفال الآية ٥٨ .
(٤٠) سورة النساء الآية ٧٤ .
(٤١) سورة التوبة الآية ٢٩ .
(٤٢) سورة النساء الآية ٧٦ .
(٤٣) رواه البخارى ومسلم .

٤ ـ تأديب ناكثى العهد من المعاهدين أو الفئة الباغية :

على جماعة المؤمنين تأديب الجماعة التى تتمرد على أمر الله وتأبى حكم العدل والإصلاح ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم { وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ، ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة }(٤٤) ويقول { وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين }(٤٥) .

٥ ـ إغاثة المظلومين من المؤمنين أينما كانوا والانتصار لهم من الظالمين :

وفى ذلك يقول القرآن الكريم { والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينك وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير }(٤٦) .

أيها المسلمون : لهذا يطبع الإسلام أبناءه بطابع الجندية ولاسيما فى هذه العصور التى لا يضمن فيها السلم إلا بالاستعداد للحرب والتى صار شعار أبنائها جميعا ، القوة أضمن طريق لإحقاق الحق . ولهذا فرض الله الجهاد على المسلمين ولم يفرق بينه وبين الصلاة والصوم ، ورغب فيه أعظم الترغيب ، وأجزل ثواب المجاهدين والشهداء ، وجعل دماءهم الطاهرة الذكية عربون النصر فى الدنيا ، وعنوان الفوز والفلاح فى الآخرة ، وتوعد المخلفين القاعدين بأفظع العقوبات ، ورماهم بأبشع النعوت ، واعتبر

---

(٤٤) سورة التوبة الآيتان ١٢ ، ١٣ .
(٤٥) سورة الحجرات الآية ٩ .
(٤٦) سورة الأنفال الآية ٧٢ .

القعود والفرار كبيرة من أعظم الكبائر وأحد السبع الموبقات .

ولسنا نجد نظاماً قديما أو حديثا دينيا أو مدنيا عنى بشأن الجهاد والجندية واستنفار الأمة وحشدها كلها صفا واحداً للدفاع بكل قواها عن الحق كما تجد ذلك فى دين الإسلام وتعاليمه وآيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم فياضة بكل هذه المعانى السامية ، داعية بأفصح عبارة إلى الجهاد والقتال والجندية وتقوية وسائل الدفاع والكفاح بكل أنواعها ، من برية وبحرية وجوية وغيرها على كل الأحوال والملابسات وإننا لنجد ذلك واضحا فى قوله عز وجل { **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** }[47] وقوله تعالى { **كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، و الله يعلم وأنتم لاتعلمون** }[48] وهل رأيت منشوراً عسكريا فى كتاب مقدس يتلى فى الصلاة والذكر والعبادة والمناجاة كهذا المنشور الذى يبتدىء بالأمر المنجز فى قوله تعالى : { **فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة** } ثم يبين الجزاء بعد ذلك . { **ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما** } ثم يتلو ذلك باستثارة أنبل العواطف فى النفوس ، وهى استنقاذ الأهل والوطن فيقول { **وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك وليا ، واجعل لنا من لدنك نصيرا** }[49] ثم يوضح لهم شرف غايتهم ودناءة غاية عدوهم ليبين لهم أنهم يجودون بثمن غال هو الحياة على سلعة غالية تستحقه وتربو عليه وهى رضوان الله ، على حين يقاتل غيرهم لغير غاية فهم أضعف نفوسا وأخوى أفئدة ، فذلك قوله تعالى : { **الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين**

---

(٤٧) سورة الانفال الآية ٦٠ .

(٤٨) سورة البقرة الآية ٢١٦ .

(٤٩) سورة النساء الآية ٧٥ .

كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا } ثم يندد بالذين جبنوا عن أداء الواجب وأخذوا التكاليف السهلة وتركوا تكاليف البطولة ، ويبين خطأ موقفهم هذا وأن الإقدام لن يضرهم شيئا بل سيكسبون به الجزاء الكبير ، والإحجام لن يغنيهم شيئا ، فالموت من ورائهم لا محالة . فيقول بعد هذه الآيات السابقة مباشرة { ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ، وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ، أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة }[٥٠] بربك أى منشور عسكرى فى هذه القوة وفى هذا الوضوح يبعث فى نفس الجندى كل ما يريده القائد من همة وعزة وإيمان .

وإذا كان قوام الحياة العسكرية فى عرفهم أمرين ، هما النظام والطاعة فقد جمعهما الله فى آيتين من كتابه ، فقال تبارك وتعالى : { إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص }[٥] كما قال : { فأولى لهم طاعة وقول معروف }[٥١] .

وعسكرية الإسلام عسكرية الرحمة والعدالة ـ أما عسكرية غيرهم فهى عسكرية الظلم وجند المطامع ، فأى الفريقين خيرٌ مقاما وأحسن نديا .

وإذا قرأنا ما جاء به الإسلام فى إعداد العدة واستكمال القوة وتعليم الرمى ورباط الخيل وفضل الشهادة وأجر الجهاد وثواب النفر فيه ورعاية

---

(٥٠) سورة النساء الآيات ٧٧ ، ٧٨ .

(٥٢) سورة محمد الآية ٢٠ ، ٢١ .

(٥١) سورة الصف الآية ٤ .

أهله واستيعاب صنوفه لرأينا من ذلك الكثير سواء فى الآيات القرآنية أو الأحاديث الشريفة ، أو السيرة أو الفقه وسع ربنا كل شيء علما .

يقول الله تعالى فى فرضية القتال : { كتب عليكم القتال }[٥٣] ومعنى كتب عليكم فرض عليكم كما قال فى الصوم بنفس التركيب والعبارة { كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم } .

وفى الحث عليه يقول سبحانه { ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون }[٥٤] { فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة }[٥٥] .

وسورة الأنفال كلها حث على القتال وحض على الثبات { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة }[٥٦] {ياأيها النبى حرض المؤمنين على القتال }[٥٧] .

وسورة التوبة كلها حث على القتال وبيان لأحكامه وحسبك منها قوله تعالى فى قتال المشركين الناكثين { قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم }[٥٨] وقوله { قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون }[٥٩] .

ثم إعلان النفير العام فى آيات داوية صادقة { انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم

---

(٥٣) سورة البقرة الآية ٢١٦ .
(٥٤) سورة آل عمران الآية ١٦٩ .
(٥٥) سورة النساء الآية ٧٤ .
(٥٦) سورة الأنفال الآية ٦٠ .
(٥٧) سورة الأنفال الآية ٦٥ .
(٥٨) سورة التوبة الآية ١٤ .
(٥٩) سورة التوبة الآية ٢٩ .

تعلمون }[٥٩] .

ثم يندد بموقف القاعدين الجبناء وحرمانهم شرف الجهاد أبد الآبدين **{ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون }**[٦٠] .

ثم إشادة بموقف المجاهدين ، وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان أن هذه مهمته المطهرة وسنة أصحابه الغر الميامين فى قوله تعالى : **{ لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون }**[٦١] .

ثم بيعة بعد ذلك جامعة مانعة **{ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم }**[٦٢] .

ويقول الإمام ابن القيم فى تعليقه على هذه الآية : وأن هذا العقد والوعد قد أودعه الله أفضل كتبه المنزلة من السماء وهى التوارة والإنجيل والقرآن ، ثم أكّد بإعلامهم أنه لا أحد أوفى بعهده منه تبارك وتعالى ثم أكد ذلك بأن أمرهم أن يستبشروا ببيعهم الذى عاقدوه عليه ثم أعلمهم أن ذلك هو الفوز العظيم فليتأمل العاقد مع ربه عقد هذا التبايع ما أخطره وأجله فالله هو المشترى والثمن هو جنات النعيم والفوز برضاه والتمتع برؤيته هناك والذى جرى على يده هذا العقد هو أشرف خلقه .

---

(٥٩) سورة التوبة الآية ٤١ .
(٦٠) سورة التوبة الآيتان ٨١ ، ٨٢ .
(٦١) سورة التوبة الآية ٨٨ .
(٦٢) سورة التوبة الآية ١١١ .

مهر المحبة والجنة بذل النفس والمال لمالكهما الذى اشتراهما من المؤمنين فما للجبان المعرض المفلس وسوم هذه السلعة أبالله ما هزلت فيستامها المفلسون ، ولاكسدت فيبيعها بالنسيئة المعسرون . . . إلخ .

وفى القرآن سورة بأكملها تسمى سورة القتال وسورة الفتح هى أيضا كلها فى غزوة من غزوات رسول الله ، وفى الإشادة بموقف رائع من مواقف الجهاد تحت ظل الشجرة المباركة حيث أعطيت بيعة الثبات والموت فأثمرت السكينة والفتح { **لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا** }[(٦٣)] .

هذه أيها المسلمون بعض المواضع التى ورد فيها ذكر الجهاد وبيان فضله وحث المؤمنين عليه وتبشير أهله بالثواب الجزيل ، وكتاب الله عز وجل مملوء بمثلها فتصفحوه ، وتدبروه ، تروا فيه العجب العجيب وإليكم بعض الأحاديث النبوية الشريفة فى ذلك .

يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه " **والذى نفسى بيده لايُكْلَمُ أحد فى سبيل الله والله أعلم بمن يُكْلَمُ فى سبيله إلا جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك** " " **الجنة تحت ظلال السيوف** "[(٦٤)] .

" **من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق** "

والأحاديث الكريمة فى ذلك وأمثاله وفى غزو البحر وتفضيله على غزوات البر وتفصيل أحكام القتال أكثر من أن يحيط بها مجلد .

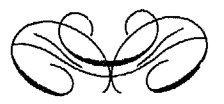
---

(٦٣) سورة الفتح الآية ١٨ .

(٦٤) رواه الشيخان .

أيها المسلمون : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من أمتى لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله والذى نفسى بيده لوددت أن أحيا فأقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل "(٦٥) .

وعنه قال : " عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله "(٦٦) .



(٦٥) رواه البخارى .
(٦٦) رواه الترمذى .

الخطبـــة الثانيـــة

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـــا بعـــد

أيها المسلمون : والإسلام وهو دين السلام إذا كان قد أباح الحرب كضرورة من الضرورات فإنها تقدر بقدرها فلا يقتل إلا من يقاتل فى المعركة وأما من تجنب الحرب فلا يحل قتله .

فقد حرم الإسلام قتل النساء والأطفال والمرضى والشيوخ والرهبان العباد والأجراء ، وحرم المثلة ، بل حرم قتل الحيوان ، وإفساد الزرع والمياه وتلويث الآبار وهدم البيوت .

وفى الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم " **إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال أغز باسم الله فى سبيل الله من كفر بالله ، اغزوه ولا تغلوا ولا تغدروا ولاتمثلوا ولا تقتلوا وليدا** " .

وحدثنا نافع عن ابن عمر أن أمرأة وجدت فى بعض المغازى مقتولة

فأنكر ذلك ، ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان ، وبعث الرسول إلى خالد (لا تقتلن ذرية ولا عسيفا ولاامرأة) .

وفي وصية أبي بكر لأسامة حين بعثه إلى الشام .

(ولاتخونوا ، ولاتغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيراً ، ولا شيخا كبيراً ، ولاامرأة ، ولا تعقروا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ، ولابقرة ، ولا بعيرا ، إلا لمأكلة وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ـ يريد الرهبان ـ فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له).

أيها المسلمون : وقد نص الفقهاء في كتبهم على أن الجهاد فرض عين إذا ديست أرض الإسلام ، قال صاحب المغني : " فصل : ويتعين الجهاد في ثلاثة مواضع :

أحدها إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف وتعين عليه المقام لقوله تعالى : { ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا }[٦٧] وقوله تعالى : { ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله }[٦٨] .

والثاني إذا نزل الكفار بلداً تعين عليه قتالهم ودفعهم .

والثالث إذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير معه لقول الله تعالى : { ياأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى

---

(٦٧) سورة الأنفال الآية ٤٥ .

(٦٨) سورة الأنفال الآيتان ١٥ ، ١٦ .

الأرض }[٦٩] .

أيها المسلمون : ويكون الجهاد فرض كفاية إذا فعله البعض سقط عن الباقين . لإعلاء كلمة الله ونشر شريعته خارج البلاد الإسلامية مرة فى العام أو مرتين .

ولقد أدرك المسلمون هذه الحقائق ، وكانوا عابدين أو كاسبين أو مجاهدين ، كانوا يجاهدون لنصرة شريعة الإسلام ولتكون كلمة الله هى العليا ، فعاشوا أعزة فى أوطانهم ، وحملوا مشاعل النور للإنسانية وكانوا أئمة يهدون الناس بأمر الله ، ولم يفرطوا فيه حتى علماؤهم والمتصوفة منهم كانوا دائما على أهبة الاستعداد ، كان عبد الله الفقيه الزاهد متطوعاً فى أكثر أوقاته للجهاد ، وكان عبد الواحد بن زيد الصوفى الزاهد كذلك ، وكان شقيق البلخى شيخ الصوفية فى وقته يحمل نفسه وتلاميذه على الجهاد ، وكان البدر العينى شارح البخارى المحدث يغزو سنة ويعلم العلم سنة ، ويحج سنة ، وكان القاضى أسد بن الفرات المالكى أميرا للبحرية فى وقته . وكان الإمام الشافعى يرمى عشرة لا يخطئ فى واحدة منها .

ألا وإن الإسلام اليوم وكثيرا من أوطانه وبلاده على الحال التى يعلمها المسلمون ويدركونها تمام الإدراك : نهب مقسم فى أيدى الغاصبين ومطامع الطامعين ، فالجهاد عليهم الآن فريضة محكمة وضرورة لازمة وعلى حكامهم ورؤسائهم أن يقودوهم فى ذلك ويستنفروهم إليه ، ولهم بذلك النصرة والعزة والتأييد فى الدنيا ، والمثوبة والجنة فى الآخرة . { **فمن بدله بعد ماسمعه ، فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم** }[٧٠] .

---

(٦٩) سورة التوبة الآية ٣٨ .

(٧٠) سورة البقرة الآية ١٨١ .

أيها المسلمون : اقرءوا عن خالد بن الوليد وأبى عبيدة وعكرمة بن أبى جهل والمثنى بن حارثة ، والقعقاع بن عمرو بن سعد بن أبى وقاص فاتح القادسية ومحمد الفاتح فاتح القسطنطينية وعقبة بن نافع صاحب القولة المشهورة حين وصلت فتوحاته البحر" والله لو علمت أن وراءك أرضا لخضته بفرسى مجاهداً فى سبيل الله " .

اقرءوا عن طارق بن زياد وعن موسى بن نصير وعن النعمان بن مقرن فاتح نهاوند . اقرءوا عن صلاح الدين الأيوبى قاهر الصليبيين اقرءوا عمن قهروا التتار . اقرءوا عن رسول الله وعن صحابته ، يقول أحد الصحابة : كنا نروى أبناءنا مغازى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما نعلمهم السورة من القرآن .

أيها المسلمون : عبادة ربكم والجهاد فى سبيل نصرة دينكم ونشر شريعة نبيكم هى مهمتكم فى الحياة فإن وفيتم بذلك فأنتم الفائزون المفلحون وإن قصرتم فى ذلك فإليكم أسوق قول الله عز وجل { **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم** }[(٧١)] .

يراجع فى هذا الموضوع :

١ـ رسالة نحو النور للإمام الشهيد حسن البنا .
٢ـ رسالة الجهاد للإمام الشهيد حسن البنا .
٣ـ السلام فى الإسلام للإمام الشهيد حسن البنا .
٤ـ فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب .

---

(٧١) سورة المؤمنون الآيتان ١١٥ ، ١١٦ .

عناية الإسلام بصحة الأبدان وقوة الأجسام وما يتبع ذلك من العناية بالنظافة العامة

بعد حمد الله عز وجل والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعـــد

فيقول الله سبحانه : { وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم }[1] .

{ يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق }[2] { قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها ومابطن }[3] { إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين }[4] .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : "إن لبدنك عليك حقا" "المؤمن القوى

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٧ .
(٢) سورة الأعراف الآيتان ٣١ ، ٣٢ .
(٣) سورة الأعراف الآية ٣٣ .
(٤) سورة البقرة الآية ٢٢٢ .

خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف " " إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها "[٥] " النظافة من الإيمان " " تنظفوا حتى تكونوا كالشامة بين الأمم " " إن الله لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ، ونعله حسنة ، فقال إن الله تعالى جميل يحب الجمال "

أيها المسلمون : من هذه الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة يتقرر عناية الإسلام بصحة الأبدان وقوة الأجسام وظهورها بالمظهر اللائق بها من حيث النظافة التامة .

ولقد شرح الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المعنى فى كثير من أحاديثه وحث المؤمنين على العناية بقوة أبدانهم كما حثهم على قوة أرواحهم .

فالحديث الصحيح يقول : " إن لبدنك عليك حقا " ويقول : " المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف " ولقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم للأمة كثيراً من قواعد الصحة العامة ، وبخاصة فى علم الوقاية وهو أفضل شطرى الطب . فقوله صلى الله عليه وسلم : " نحن قوم لا نأكل إلا إذا جعنا وإذا أكلنا لا نشبع " وتحريه صلى الله عليه وسلم فيما يشرب من ماء . فقد جاء فى الحديث " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعذب الماء " ونهيه عن البول والتبرز فى المياه الراكدة ، فعن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن أن يبال فى المياه الراكدة " وفى رواية نهى أن يبال فى الماء الجارى " وأمره باتقاء الملاعن الثلاث وهى البراز فى المورد ، وقارعة الطريق ، والظل " .

---

(٥) رواه البخارى .

وهذه المنهيات أساس انتشار الأمراض المتوطنة لدينا نحن المسلمين إذ إن العوام استهانوا بها فجرت عليهم الوبال .

وأعلن الرسول صلى الله عليه وسلم الحجر الصحى على البلد المطعون وأهله ، فلا يتركونه ولا ينزله غيرهم ، فقد قال صلى الله عليه وسلم " **إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها** " ومواساة الإسلام سكان البلد الموبوءة ، وحبب إليهم المكث فيه فإن الرغبة فى النجاة تزين لكثير أن يفر منه خلسة وتلك الرغبة فى إحراز السلامة الشخصية تعرض البلاد لخطر جارف لهذا قال صلى الله عليه وسلم " **مامن عبد يكون فى بلد فيه الطاعون ، فيمكث فيه لايخرج ـ صابرا محتسبا ـ يعلم أنه لايصيبه إلا ماكتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد** " [٦] .

وربما حاول بعض المغامرين أن يسافر إلى البلد الموبوء ، وقد يحتج بأن الخوف من العدوى ضعف فى اليقين أو هروب من القضاء المحتوم وهذا خطأ ، فإن عمر بن الخطاب رفض السفر إلى الشام لما ظهر فيها من الطاعون فقيل له تفر من قدر الله ؟ فقال نفر من قدر الله إلى قدر الله " إن الأخذ بالأسباب حق وهو من القدر كما يقول عمر وقد شرع الإسلام التحرز من العدوى فقال " **لا يوردن ممرض على مصح** " [٧]وقال : " **فر من المجزوم فرارك من الأسد** " .

وعنايته صلى الله عليه وسلم بكثير من فروع رياضة البدن ، كالرمى والسباحة والفروسية والعدو ، وحث أمته على العناية بها حتى جاء فى الحديث الصحيح (**من علم الرمى ثم نسيه فليس منا**) ونهيه نهيا مُشَدَّدًا عن

(٦) رواه البخارى .

(٧) رواه البخارى .

التبتل والترهب وتعذيب الجسوم وإضوائها تقربا إلى الله تعالى ، وإرشاده الأمة إلى جانب الاعتدال فى ذلك كله .

وإذا وقع الإنسان فى براثن المرض وجب عليه أن يعالجه حتى ينجو منه ، والإسلام يرشد الناس إلى التماس الأدوية الناجعة لما يحيق بهم من آلام ، قال صلى الله عليه وسلم " **ماأنزل الله من داء إلا أنزل له دواء** " وقال : " **إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بمحرم** "[8] .

أيها المسلمون : كل ما سبق ينطق بعناية الإسلام البالغة بصحة الأمة العامة وقوة أبدانها وتشديده فى المحافظة عليها وإفساح صدره لكل ما فيه خيرها وسعادتها فى هذا الجانب الهام .

وقد أشار الله سبحانه فى كتابه العزيز إلى العناية بصحة البدن فى سياق أمة مجاهدة تحضرت بعبء النضال فى سبيل حريتها واستقلالها وتكوين نفسها فاختار الله لها زعيما قوى الفكر قوى الخلق وجعل من أركان نهوضه بعبئه قوة بدنه فذلك ما حكاه القرآن عن بنى إسرائيل فى تزكية الزعيم طالوت فقال { **إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم** } .

أيها المسلمون : ومما يتصل بقوة الجسم وصحته ويعتبر سببا من أسباب قوته ما يتصل بالنظافة والتجمل ، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرجل الحريص على نقاوة بدنه ، ووضاءة وجهه ونظافة أعضائه يبعث على حالته تلك وضىء الوجه أغر الجبين ، نقى البدن والأعضاء .

---

(٨) رواه أبو داود .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم زار المقابر فقال : " السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله عن قريب بكم لاحقون ، وددت أنا قد رأينـا إخواننا ، قالوا : أولسنا إخوانك يارسول الله ؟ قال : أنتم أصحابى وإخواننا : الذين لم يأتوا بعد . قالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يارسول الله ؟ فقال أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهرى خيل دهم بهم ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى يارسول الله قال : فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض "[٩] .

إن صحة الأبدان وجمالها ونضارتها من الأمور التى وجه الإسلام إليها عناية بالغة ، واعتبرها من صميم رسالته .

ولقد كرم الله البدن فجعل طهارته التامة أساساً لابد منه لكل صلاة ، وجعل الصلاة واجبة خمس مرات فى اليوم ، وكلف المسلم أن يغسل جسمه كله فى أحيان كثيرة تلابسه غالبا ، وتلك الطهارة الكاملة وفى الأحوال المعتادة اكتفى بغسل الأعضاء والأطراف التى تتعرض لغبار الجو ومعالجة شتى الأشغال { ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين ، وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم مرضى أوعلى سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون }[١٠] .

على أن الإسلام لم يدع أمر الغسل الكامل للظروف التى تفرضه فرضا ، فقد يتكاسل بعض الناس مادامت دواعى فرضه لم تقم : لذلك وقت للغسل يوماً كل أسبوع فقال صلى الله عليه وسلم : " غسل يوم

(٩) رواه مسلم .
(١٠) سورة المائدة الآية ٦ .

الجمعة واجب على كل محتلم ، وسواك ، ويمس من الطيب "[11] وفى الحديث " إن هذا يوم عيد جعله الله عيدا للمسلمين فمن جاء الجمعة فليغتسل "[12] .

وقد أوجب الإسلام النظافة من الطعام فبعد أن ندب إلى الوضوء له ويكفى فيه غسل الأيدى ـ أمر أن يتخلص الإنسان من فضلاته وروائحه وآثاره ، وهذا أنقى للمرء وأطيب . فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده "[13] .

وعناية الإسلام بتطهير الفم وتجلية الأسنان وتنقية ما بينها لا نظير لها فى وصايا الصحة القديمة والحديثة قال صلى الله عليه وسلم : (تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب ما جاء جبريل إلا وأوصانى بالسواك حتى لقد خشيت أن يفرض على وعلى أمتى "[14]وعن أبى أيوب قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (حبذا المتخللون من أمتى قال ما المتخللون يارسول الله ؟ قال المتخللون فى الوضوء والمتخللون من الطعام أما تخليل الوضوء فالمضمضة والاستنشاق وبين الأصابع وأما تخليل الأسنان فمن الطعام . إنه ليس شىء أشد على الملكين من أن يريا بين أسنان صاحبهما طعاما وهو قائم يصلى "[15] .

والذى يلحظ أن أمراض الفم واللثة من إهمال تطهيرهما يدرك سر المبالغة للإسلام فى دلك الأسنان بالمواد الحافظة لرونقها وسلامتها دلكا يزيل ما يعلوها ، وما يختفى حولها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من بات وفى يده ريح غمر[16] فأصابه شئ فلا يلومن إلا نفسه " .

أيها المسلمون : ورد فى الأدعية المأثورة عن الرسول صلى الله عليه

---

(١١) رواه مسلم .
(١٢) رواه ابن ماجه .
(١٣) رواه أبو داود .
(١٤) رواه ابن ماجه .
(١٥) رواه ابن ماجه .
(١٦) غَمَرَتْ اليد غمرا : تعلق بها ريح اللحم أو دسمه .

وسلم " اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا " وقوله " اللهم عافنى فى بدنى ، اللهم عافنى فى سمعى ، اللهم عافنى فى بصرى ، لا إله إلا أنت " .



الخطبة الثانية

بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد

فياأيها المسلمون : يوصى الإسلام بأن يكون المرء حسن المنظر كريم الهيئة قال تعالى : { يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد }[17]وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " من كان له شعر فليكرمه "[18].

وعن عطاء بن يسار " أتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم ثائر الرأس واللحية فأشار إليه الرسول كأنه يأمره بإصلاح شعره ففعل ثم رجع فقال صلى الله عليه وسلم أليس هذا خيرا من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان " النسائى .

وعن جابر بن عبد الله : " رأى النبى صلى الله عليه وسلم رجلا عليه ثياب وسخة فقال أما يجد هذا ما يغسل به ثوبه "[19] .

---

(١٧) سورة الأعراف الآية ٣١ .

(١٨) رواه أبو داود .

(١٩) رواه أبو داود .

إن الأناقة فى غير سرف والتأنق فى غير صناعة وتزويق ، وإحسان الشكل بعد إحسان الموضوع من تعاليم الإسلام الذى ينشد لبنيه علو المنزلة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة فقال إن الله تعالى جميل يحب الجمال** " .

وقد امتد هذا التطهير والتجميل من أشخاص المسلمين إلى بيوتهم وطرقهم فإن الإسلام نبه إلى تخلية البيوت من الفضلات والقمامات حتى لا تكون مباءة للحشرات ، روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **إن الله تعالى طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ، ولا تشبهوا باليهود** "[٢٠] .

وإماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان وقد اعتبر هذا العمل الخفيف صلاة مرة ، وصدقة مرة أخرى فى الحديث " **حملك على الضعيف صلاة ، وإنحاؤك الأذى عن الطريق صلاة** " وفى حديث آخر " **بكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة** "[٢١] أى إزالة الأذى من حجر أو أشواك أو نجاسة أو ماشابه ذلك وفى الحديث " **بينما رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره (أبعده) فشكر الله له فغفر له** "[٢٢] .

أيها المسلمون : إن عناية الإسلام بالنظافة والصحة جزء من عنايته بقوة المسلمين المادية والأدبية ، فهو يطلب أجساماً تجرى فى عروقها دماء

---

(٢٠) رواه الترمذى .

(٢١) رواه البخارى .

(٢٢) رواه مسلم .

العافية ويمتلىء أصحابها فتوة ونشاطاً فإن الأجسام المهزولة لا تطيق عبئا والأيدى المرتعشة لا تقدم خيرا .

وللجسم الصحيح أثر فى سلامة التفكير ، ومن أجل ذلك حارب الإسلام المرض وأسبابه ووفر أسباب الوقاية منه بما شرع من قواعد النظافة الدائمة . ثم بما رسم من حياة رتيبة يلزم المسلم السير عليها فهو يستيقظ مع الفجر ، ويبتعد عن السهر ، ويتحامى مزالق الشهوة ، ويقصد فى أطعمته ، ويستعفف فى معيشته وسيرته ، يجدد نشاطه فى اليوم بالصلاة والصيام فى كل عام .

ولا ننس أن فى البعد عن المعاصى حصانة كبرى من الأمراض الخبيثة .

أيها المسلمون : إلى طهارة الروح وتزكية النفس ، إلى الطهارة الحسية ، إلى العناية بقوة البدن . وإحسان الشكل ، إلى نظام الإسلام الحنيف تسعدوا فى الدنيا ، وتفوزوا فى الآخرة .

يراجع فى هذا الموضوع :

١ـ رسالة نحو النور للإمام الشهيد حسن البنا .
٢ـ خلق المسلم لفضيلة الشيخ محمد الغزالى .

وجوب تحكيم شريعة الله فى كل شأن من شئون الحياة

بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـــا بعـــد

فيقول الله سبحانه : { ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون }[1] { اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون }[2] { فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين }[3] { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما }[4] { أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون }[5] بعد قوله تعالى فى نفس السورة { وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون } .

---

(١) سورة الجاثية الآية ١٨ .
(٢) سورة الأعراف الآية ٣ .
(٣) سورة القصص الآية ٥٠ .
(٤) سورة النساء الآية ٦٥ .
(٥) سورة المائدة الآية ٥٠ .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق إنما الطاعة فى المعروف " ورد فى الصحيحين عن عائشة " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد "[٦] وفى لفظ لمسلم " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" " لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده كتاب الله وسنتى " " وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ، إلا جعل بأسهم بينهم "[٧] .

أيها المسلمون : من هذه الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة يتقرر وجوب التماسك إلى شريعة الله فى كل شأن من شئون المسلمين عظيمه وحقيره صغيره وكبيره .

ولقد جاءت نصوص القرآن الكريمة والسنة النبوية الصحيحة صريحة فى إبطال كل ما يخالف الإسلام ، ومن ثم انعقد الإجماع على احترام هذه النصوص الصريحة وإبطال كل ما يخالفها .

١ـ والأصل فى ذلك أن الأوامر والنواهى لم تجىء عبثا ، وأن الله أنزل كتابه وأرسل رسوله للناس ليطيعوه ويعملوا بما جاء به فمن عمل بما جاء به الرسول فعمله صحيح لأنه وافق أمر الشرع ، والله تعالى يقول : { وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا }[٨] { ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر }[٩] .

وعلى هذا فكل عمل يخالف كتاب الله وسنة رسوله فهو عمل باطل ومردود على صاحبه ، ومصداق ذلك أن الله أمر باتباع الشريعة الإسلامية ونهى عن اتباع ما يخالفها ، فلم يجعل لمسلم أن يتخذ من غير شريعة الله

---

(٦) رواه الشيخان .
(٧) رواه البزار وابن ماجه والبيهقى واللفظ له .
(٨) سورة الحشر الآية ٧ .
(٩) سورة النساء الآية ٥٩ .

قانونا وجعل كل ما يخرج على نصوص الشريعة أو مبادئها العامة أو روحها التشريعية مُحَرَّماً تحريما قاطعا على المسلمين بنص القرآن الصريح ، حيث قسم الله الأمر إلى قسمين لا ثالث لهما ، إما الاستجابة لله والرسول واتباع ماجاء به الرسول ، وإما اتباع الهوى بنص القرآن ، وذلك قوله تعالى : { فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله }[10] .

كذلك قسم الله طريق الحكم بين الناس قسمين لاثالث لهما ، أولهما الحق وهو الوحى الذى أنزل على رسله ، وثانيهما الهوى وهو كل ما يخالف الوحى ، فقال جل شأنه : { ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب }[11] ثم قال سبحانه موجها الخطاب إلى محمد صلى الله عليه وسلم { ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لا يعلمون }[12] .

فقسم الأمر بين الشريعة التى جعل رسول الله عليها وأوحى إليه العمل بها وأمر الأمة الإسلامية باتباعها وبين اتباع أهواء الذين لا يعلمون وأمر بالأول ونهى عن الثانى .

وقال جل شأنه : { اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون }[13] فأمر باتباع ما أنزل منه خاصة ، ونهى عن اتباع ما يخالفه ، وبين أن من اتبع غير ما أنزل الله فقد اتبع أولياء من دون الله ، وهكذا قطعت نصوص القرآن فى تحريم كل ما يخالف نصوص الشريعة صراحة أو ضمنا ، وكل ما يخالف مبادئها العامة أو روحها

(١٠) سورة القصص الآية ٥٠ .
(١١) سورة ص الآية ٢٦ .
(١٢) سورة الجاثية الآية ١٨ .
(١٣) سورة الأعراف الآية ٣ .

التشريعية واعتبرت العامل بغير الشريعة متبعا هواه ومنقادا إلى الضلال مضلا لغيره ظالماً لنفسه ولغيره ، كافراً بما أنزل الله ، متخذا لنفسه أولياء من دون الله .

٢ـ والأصل الثانى فى إبطال كل ما يخالف الإسلام ، أن الله لم يجعل لمؤمن أن يرضى بغير حكم الله أو أن يتحاكم إلى غير ما أنزل الله بل لقد أمر اللهُ أن يُكفَرَ بكل حكم غير حكمه واعتبر الرضا بغير حكمه ضلالا بعيداً واتباعاً للشيطان { **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وماأنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا** }(١٤) .

فمن يتحاكم إلى غير ما أنزل الله وما جاء به الرسول فقد حَكَّمَ الطاغوت وتحاكم إليه ، والطاغوت هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو مطاع أو متبوع . فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله فمن آمن بالله ليس له أن يؤمن بغيره ولاأن يقبل حكما غير حكمه .

٣ ـ والأصل الثالث فى إبطال كل ما يخالف الإسلام أن الله لم يجعل لمؤمن ولا مؤمنة أن يختار لنفسه أو يرضى لها غير ما اختاره الله ورسوله ، ومن يختر غير ذلك فهو ضال ، ولايعرف الإيمان لقلبه سبيلا { **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا** }(١٥) .

---

(١٤) سورة النساء الآية ٦٠ .

(١٥) سورة الأحزاب الآية ٣٦ .

٤ ـ والأصل الرابع فى إبطال كل ما يخالف الإسلام أن الله أمر أن يكون الحكم طبقا لما أنزل { وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ماأنزل الله إليك }[١٦] { إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولاتكن للخائنين خصيما }[١٧]{ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون } { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون }[١٨] .

ومن المتفق عليه أن من يستحدث من المسلمين أحكاماً غير ما أنزل الله ، ويترك الحكم بكل أوبعض ما أنزل الله من غير تأويل يعتقد صحته فإنه يصدق عليهم ما قاله الله كل بحسب حاله ، فمن أعرض عن الحكم بحدود السرقة أو القذف أو الزنا لأنه يفضل غيره عليه من الأوضاع البشرية فهذا كافر مطلقا ، ومن لم يحكم به لعلة أخرى غير الجحود والنكران فهو ظالم إن كان فى حكمه مضيعا لحق أو تاركا لعدل أو مساواة ، وإلا فهو فاسق .

٥ ـ والأصل الخامس فى إبطال كل ما يخالف الإسلام أن الله نفى الإيمان عن العباد وأقسم بنفسه على ذلك حتى يُحَكِّمُوا الرسول فيما شجر بينهم من الدقيق والجليل والخطير والحقير ولم يكتف فى إثبات الإيمان لهم بالحكم المجرد بل اشترط لاعتبارهم مؤمنين أن ينتفى عن صدورهم الحرج والضيق من حكم الرسول وقضائه ، ويسلموا تسليما ، وينقادوا للرسول انقيادا ، فالمؤمن يجب عليه أن يحكم بما أنزل الله وأن يؤمن بأنه أصلح الأحكام وأفضلها ولو قال غيره بأن غيره أصلح منه . { فلا وربك لا يؤمنون حتى

---

(١٦) سورة المائدة الآية ٤٩ .

(١٧) سورة النساء الآية ١٠٥ .

(١٨) سورة المائدة الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ .

يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما }[19] .

وكل ما يخالف الإسلام محرم على المسلمين ، ولو أمرت به أو أباحته السلطات الحاكمة أيا كانت ، لأن حق الهيئة فى التشريع مقيد بأن يكون التشريع متفقاً مع مبادئ الإسلام فإن استباحت الهيئة الحاكمة أن تخرج على حدود وظيفتها وأن تصدر قوانين لا تتفق مع الإسلام ، وتضعها موضع التنفيذ فإن عملها لايحل هذه القوانين المحرمة ، ولا يبيح لمسلم أن يتبعها أو يطبقها أو يحكم بها وينفذها ذلك أن طاعة أولى الأمر لا تجب لهم استقلالا ، ولا تجب لهم مطلقة وإنما تجب ضمن طاعة الرسول وفى حدود ما أمر الله به ورسوله ، وذلك قوله تعالى : { **ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا** }[20] .

فالله يأمر بطاعته ، وطاعة رسوله وإعادة فعل الطاعة عند ذكر الرسول يشعر بأن الطاعة تجب له استقلالا ، سواء أكان ما أمر به فى القرآن أو لأنه أوتى الكتاب ومثله معه . يقول الله سبحانه : { **وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا** } وحذف فعل الطاعة عند ذكر أولى الأمر دليل على أن الطاعة لأولى الأمر لا تجب لهم استقلالا وإنما هى ضمن طاعة الرسول لذلك فأولو الأمر يطاعون تبعا لطاعة الله وطاعة رسوله ، فمن أمر منهم بما يوافق ما أنزل الله على رسوله فطاعته واجبة ومن أمر بخلاف ما جاء به فلا سمع ولا طاعة .

ولقد بينت السنة حدود الطاعة لأولى الأمر ونهت عن طاعتهم فيما

---

(١٩) سورة النساء الآية ٦٥ .

(٢٠) سورة النساء الآية ٥٩ .

يخالف ما أنزل الله فصح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه " لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق " وإنما الطاعة فى المعروف . ولقد انعقد إجماع الأمة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لا طاعة لأولى الأمر إلا فى حدود طاعة الله وطاعة الرسول ، وأن المجمع على تحريمه كالزنا والسكر واستباحة إبطال الحدود وتعطيل أحكام الإسلام إنما هو كذلك .

يقول أبو بكر رضى الله عنه (أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيت فلا طاعة لى عليكم) ويقول عمر بن عبد العزيز (إنما أنا متبع ولست بمبتدع) .

وإن أولى الأمر بحسب مبادىء الإسلام ليس لهم حق التشريع المطلق وحقهم قاصر على نوعين .

الأول : تشريعات تنفيذية يقصد بها ضمان تنفيذ نصوص شريعة الإسلام .

الثانى : تشريعات تنظيمية لتنظيم الجماعة ، وحمايتها وسد حاجتها على أساس مبادئ الشريعة ، وهذه لا تكون إلا فيما سكتت عنه الشريعة فلم تأت بنصوص خاصة فيه ، ويشترط فيها أن تكون متفقة مع مبادئ الإسلام العامة وروحها التشريعية .

يقول صلى الله عليه وسلم " لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده أبدا كتاب الله وسنتى " " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد " " وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم "[٢١] .

---

(٢١) رواه ابن ماجة والبزار والبيهقى واللفظ له .

الخطبـة الثانيـة

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد

فياأيها المسلمون : التشريع الإسلامى تشريع كامل شامل ، إنه لا يشرع للفرد دون الأسرة ، ولا للأسرة دون المجتمع ، ولا للمجتمع منعزلا عن غيره من المجتمعات الأخرى ، إن تشريع الإسلام يشمل التشريع للفرد فى تعبده وصلته بربه ، وهذا مايفصله قسم العبادات فى الفقه الإسلامى وهو *ما لايوجد في التشريعات الوضعية ، ويشمل التشريع للفرد فى سلوكه الخاص والعام وهذا ما يسمى الحلال والحرام أو الحظر والإباحة .

ويشمل التشريع ما يتعلق بأحوال الأسرة ، من زواج ، وطلاق ، ونفقات ورضاع ، وميراث ، وولاية على النفس والمال ، ووصية ، وهذا ما يسمى فى عصرنا بالأحوال الشخصية .

ويشمل التشريع للمجتمع فى علاقاته المدنية ، والتجارية ، وما يتصل بتبادل الأموال والمنافع بعوض أو بغير عوض من البيوع والإجارات

والقروض والمداينات والرهن والحوالة والكفالة والضمان وغيرها مما تضمنته فى عصرنا القوانين المدنية والتجارية .

ويشمل التشريع ما يتصل بالجرائم وعقوباتها المقدرة شرعاً كالحدود والقصاص ، والمتروكة لتقدير أهل الشأن كالتعازير ، وهذا ما يسمى الآن بالتشريع الجنائى أو الجزائى وقوانين العقاب ، ويشمل ما يتعلق بواجب الحكومة نحو المحكومين ، وواجب المحكومين نحو الحكام ، وتنظيم الصلة بين الطرفين مما عنيت به كتب السياسة الشرعية ، والخراج والأحكام السلطانية فى الفقه الإسلامى . وتضمنه فى عصرنا " التشريع الدستورى" أو " الإدارى المالى " .

ويشتمل التشريع ما ينظم العلاقات الدولية فى السلم والحرب بين المسلمين وغيرهم ، مما عنيت به كتب السير أو الجهاد فى فقهنا الإسلامى ، وما ينظمه فى عصرنا " القانون الدولى ".

ومن هنا لا توجد ناحية من نواحى الحياة إلا دخل فيها التشريع الإسلامى آمراً أوناهيا أو مخيراً .

وحسبنا أن أطول آية نزلت فى كتاب الله تعالى نزلت فى تنظيم شأن من الشئون المدنية وهى المداينة وكتابة الدين يقول الله سبحانه فى سورة البقرة { يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ، ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة

حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها واشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم }[٢٢].

ويبدو شمول التشريع الإسلامى فى أمر آخر وهو النفاذ إلى أعماق المشكلات والنظر إليها نظرة محيطة مستوعبة مبنية على معرفة النفس الإنسانية وحقيقة دوافعها واحتياجاتها ، وربط التشريع بالقيم الأخلاقية بحيث يكون التشريع فى خدمتها ولا يكون معولا لهدمها .

وهذا بخلاف القوانين الوضعية القاصرة فى هذه الأمور .

هذا الشمول الذى تميز به الإسلام بحيث استوعب الحياة كلها والإنسان كله فى أطوار حياته يجب أن يقابله شمول مناسب من جانب التزام المسلمين أعنى الالتزام بهذا الإسلام كله فى شموله وعمومه وسعته فلايجوز الأخذ بجانب من تعاليمه وأحكامه وطرح جانب آخر أو جوانب أخرى منها قصداً أو إهمالا لأنها كل لايتجزأ .

وقد عاب القرآن الكريم على بنى إسرائيل تجزئتهم أحكام دينهم تبعا لأهوائهم فقال جل شأنه : { أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ، أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون }[٢٣] فلا يجوز فى النظام الإسلامى أخذ جانب العقيدة والإيمان من تعاليمه وإغفال جانب العبادة أو الأخلاق ، ولا يجوز فى النظام الإسلامى العناية بالعبادات والشعائر وإهمال جانب الأخلاق والفضائل لأن الفضائل الأخلاقية من شعب الإيمان

---

(٢٢) سورة البقرة الآية ٢٨٢ .

(٢٣) سورة البقرة الآيتان ٨٥ ، ٨٦ .

الحق وثمرة للعبادة الصحيحة والإيمان بضع وسبعون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان { وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر }[24] " آية المنافق ثلاث وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان " .

ولا يجوز فى نظر الإسلام الاهتمام بالجانب الأخلاقى وإهمال الجانب التعبدى فإن الناس إنما خلقوا ليعرفوا الله .

ولا يجوز في نظر الإسلام الأخذ بكل ما ذكر من عقيدة وعبادة وأخلاق وإغفال جانب الشريعة التى نظم الله بها حياة الناس وأنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط فلا يحل لمن يؤمن بعدل الله وكمال علمه وحكمته وبره بخلقه أن يدع شرع الله عمداً ليحكم بشرائع البشر وأهوائهم ولهذا حذر الله رسوله وبالتالى كل حاكم من بعده أن يدع بعض ما أنزل الله تأثراً بأهواء الآخرين وفتنتهم . فإن ترك حكم الله سقط لا محالة فى أحكام الجاهلية ولاثالث لهما .

قال تعالى : { وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون }[25] .

وهكذا نجد الإسلام نظاما شاملا بكل ماتضمنته كلمة " الشمول " من معان وأبعاد ، إنه شمول يستوعب الزمن كله ، ويستوعب الحياة كلها ويستوعب كيان الإنسان كله ، لقد عبر الشهيد حسن البنا عن أبعاد هذا الشمول فى رسالة الإسلام فقال وأجاد " إنها الرسالة التى امتدت طولا

---

(٢٤) سورة العنكبوت الآية ٤٥ .   (٢٥) سورة المائدة الآيتان ٤٩ ، ٥٠ .

حتى شملت آباد الزمن وامتدت عرضا حتى انتظمت آفاق الأمم وامتدت عمقا حتى استوعبت شئون الدنيا والآخرة " .

أيها المسلمون : إلى نور القرآن الكريم ، إلى رحمة الله للإنسانية ، إلى الحكم بشريعة الله فى شئون الحياة كلها تسعدوا فى الدنيا وتفوزوا بالنعيم المقيم فى الآخرة .

والله ولى التوفيق .

يراجع فى هذا الموضوع :

١ـ التشريع الجنائى جـ١ للأستاذ الشهيد عبد القادر عودة .
٢ـ الخصائص العامة للإسلام للدكتور يوسف القرضاوى .
٣ـ فى حديث للإمام الشهيد حسن البنا عن شمول رسالة الإسلام .



تحريم الخمر فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعد

فيقول الله سبحانه : { ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون }[1] .

وعن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم : "كل مسكر حرام وما أسكر الفَرَقُ[2] منه فملء الكف منه حرام "[3] .

ويقول صلوات الله عليه : " كل مسكر خمر وكل خمر حرام "[4] " لعن الله الخمر شاربها وساقيها وبائعها " .

---

(١) سورة المائدة الآيتان ٩٠ ، ٩١ .

(٢) الفَرَقَ = ١٦ رطلا .

(٣) قال الترمذى حديث حسن .

(٤) رواه مسلم .

" لعن النبى صلى الله عليه وسلم فى الخمر عشرة ، عاصرها ومعتصرها[٥] وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشترى لها والمشتراة له "[٦] .

" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة تدار عليها الخمر " .

أيها المسلمون : مما سبق يتقرر تحريم الخمر تحريما قاطعا فى نظام الإسلام الحنيف فقد ثبت تحريمها بالقرآن الكريم وهو المصدر الأول لتشريع الأحكام وبالسنة وهى المصدر الثانى لتشريع ، وقرر علماء الأصول أن حفظ العقل من الضروريات الخمس التى جاء الإسلام لحفظها .

أيها المسلمون : إن الإسلام يوجه إلى ما فيه سعادة الإنسان ولا يشك أحد فى أن سعادة الإنسان معقودة بحفظ عقله الذى هو مناط تكليفه ، به يعرف الخير من الشر ، والضار من النافع ، والهدى من الضلال ، وبه رفع الله شأن الإنسان ففضله وكرمه على كثير من خلقه خاطبه وكلفه واستخلفه فى الأرض ، وجعله مسئولا أمامه عما يأتى وعما يذر ، وحفظا لهذه النعمة الكبرى حرم الله عليه أن يندفع مع شهواته الفاسدة إلى تناول ما يفسد تلك النعمة أو يضعفها ، فيحرم ثمارها الطيبة وينزل عن المكانة السامية التى وضعه الله فيها - ينزل إلى مرتبة أحط من مرتبة الحيوان .

أيها المسلمون : لقد احتوت آيتا التحريم المذكورتان على جملة من أساليب التحريم القوية .

أولاً : نظمت الخمر مع مظاهر الشرك فى توحيد الله وعبادته وهى الأنصاب والأزلام - فى سلك واحد { إنما الخمر والميسر والأنصاب

---

(٥) أى طالب عصرها .

(٦) رواه الترمذى وابن ماجة ورواته ثقات .

والأزلام } .

ثانياً : وصفت الخمر بأنها رجس ، فهى دنسة لا ينطبق عليها وصف الطيبات التى أحلها الله ، واستخدمت كلمة إنما الدالة على أنه لا صفة لها سوى الرجسية وبتتبع كلمة رجس فى القرآن الكريم لم نجدها إلا عنوانا على ما اشتد قبحه وعظم عند الله تحريمه { فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور }[٧] { فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون }[٨] { ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون }[٩] { فأعرضوا عنهم إنهم رجس }[١٠] .

وهكذا اندرج شرب الخمر مع الكفر والكافرين وعبادة الأوثان تحت كلمة رجس .

ثالثاً : وهى من عمل الشيطان والشيطان عدو الإنسان القديم ولقد بين الله أن الشيطان عدو للإنسان { إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا } . ويكفى أن يعلم المؤمن أن شيئا من عمل الشيطان لينفر منه حسه وتشمئز منه نفسه .

ورابعاً : أمرت الآية باجتنابه ، ومعناه أن تكون الخمر فى جانب والمؤمن فى جانب آخر منها بحيث لا يقربها . فضلا عن أن يتصل بها فضلا عن أن يتناولها .

وخامساً : رتبت الآية على اجتنابه رجاء الفلاح ، والفلاح يتضمن السلامة من الخسران ، والحصول على خيرى الدنيا والآخرة ، وهى لمسة من لمسات الإيمان النفسى العميق .

---

(٧) سورة الحج الآية ٣٠ .
(٨) سورة التوبة الآية ١٢٥ .
(٩) سورة يونس الآية ١٠٠ .
(١٠) سورة التوبة الآية ٩٥ .

وسادساً : يستمر سياق الآية فى كشف خطة الشيطان من وراء هذا الرجس وهى إيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين وذلك بقطع الصلات والإعداد لسفك الدماء وانتهاك الحرمات .

وسجلت الآية أن من آثار الخمر بعد هذا الضرر الاجتماعى ضرر آخر روحى يقطع صلة الإنسان بربه ، وينزع عن نفسه تذكر عظمة الله عن طريق مراقبته بالصلاة الخاشعة وتذكر جلاله وجماله ذلك بما يترك فى القلب من قسوة وفى النفس من دنس { **ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة** } .

بهذا ينكشف لضمير المسلم هدف الشيطان وغاية كيده إنها إيقاع العداوة والبغضاء فى الصف المسلم ـ فى الخمر والميسر كما أنها هى صد الذين آمنوا عن ذكر الله وعن الصلاة ويالها إذن من مكيدة !

وهذه الأهداف التى يريدها الشيطان أمور واقعة يستطيع المسلمون أن يروها فى عالم الواقع بعد تصديقها من خلال القول الإلهى الصادق بذاته .

فما يحتاج الإنسان إلى طول بحث حتى يرى أن الشيطان يوقع العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ـ بين الناس ، فالخمر بما تفقد من الوعى وبما تثير من عرامة اللحم والدم ، وبما تهيج من نزوات ودفعات والميسر الذى يصاحبها وتصاحبه بما يتركه فى النفس من خسارات وأحقاد إذ المقمور لا بد أن يحقد على قامره الذى يستولى على ماله أمام عينيه ويذهب به غانما وصاحبه مقهور مقمور ، إن من طبيعة هذه الأمور أن تثير العداوة والبغضاء مهما جمعت بين القرناء فى مجالات العربدة والانطلاق اللذين يخيل للنظرة السطحية أنهما أنس وسعادة . وأما الصد عن ذكر الله وعن الصلاة فلا يحتاجان إلى نظر فالخمر تنسى ، والميسر يلهى ، وغيبوبة الميسر لا تقل عن غيبوبة الخمر عند المقامرين .

وهكذا عندما تبلغ الإشارة إلى هدف الشيطان من هذا الرجس غايتها من إيقاظ قلوب الذين آمنوا وتحفزها يجيء السؤال الدال على التحريم وهو السؤال التقريعي الذي لا جـواب له إلا جواب عمـر رضـى الله عنه { فهل أنتم منتهون } ؟ فيجيب لتوه (انتهينا انتهينا) .

لكن السياق يمضى بعد ذلك يوقع إيقاعه الكبير .

{ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين }[١١] .

إنها القاعدة التي يرجع إليها الأمر كله طاعة الله وطاعة الرسول . الإسلام الذي لا تبقى معه إلا الطاعة المطلقة لله وللرسول والحذر من المخالفة والتهديد الملفوف . { فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين } إنه التهديد القاصم الذي ترتعد له فرائص المؤمنين ، إنهم حين يَعْصَوْنَ ولا يطيعون لا يضرون أحداً . لقد بَلَّغَ الرسول صلى الله عليه وسلم .

أيها المسلمون : **ما الخمر التي نزل فيها هذا النهي ؟** الخمر في لسان الشرع واللغة : اسم لكل ما يخامر العقل ويغطيه ، ولا عبرة بخصوص المادة التي يتخذ منها فقد يكون من العنب وقد يكون من غيره . والأحاديث الصحيحة في الخمر واضحة في أن ذلك هو معناها ، أخرج أبو داود بسنده عن ابن عباس " كل مُخَمِّرٍ خمر وكل مسكر حرام "[١٢].

وروى أبو داود وغيره " إن من الحنطة خمرا ومن الشعير خمرا ، ومن

(١١) سورة المائدة الآية ٩٢ .
(١٢) رواه أبو داود .

الزبيب خمرا ، ومن التمر خمرا ، وانا أنهى عن كل مسكر "[١٣]وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشربة تصنع من العسل أو من الذرة والشعير تنبذ حتى تشتد وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد أوتى جوامع الكلم فأجاب بجواب جامع " **كل مسكر خمر وكل خمر حرام** " .

بين رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الخمر هكذا ، وهكذا فهم الأصحاب من كلمة خمر وبادر حين نزول تحريمها المؤكد بأساليب التحريم القوية المتعددة ـ كل من كان عنده شيء منها بإراقة ذلك دون أن ينظر إلى المادة التى اتخذ منها .

وهكذا خطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال " أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر ، وهى من خمس ، من العنب ، والتمر ، والعسل ، والحنطة ، والشعير ، و الخمر ما خامر العقل " ، أعلن ذلك فى محضر من كبار الصحابة وغيرهم ، ولم ينكر عليه أحد منهم . فدل ذلك على أن الخمر تشمل كل ما يحدث السكر ، وأنه ليس مقصورا على نوع بعينه ، سواء أكانت تلك المادة سائلا مشروبا ، أو جامداً مأكولا ، أو مسحوقا مشموما . فيدخل فى ذلك الحشيش والأفيون والهيرويين والكوكايين وكل مسكر .

ولقد قرر ذلك الفقهاء الذين ظهرت هذه الأشياء الأخيرة فى عهدهم ، وقد جاء فى كتبهم ، ويحرم أكل القنج والحشيش والأفيون ، قال ابن القيم يدخل فى الخمر كل مسكر ، مائعا كان أو جامداً ، عصيراً أو مطبوخاً ، واللقمة الملعونة لقمة الفسق والفجور التى تحرك القلب الساكن إلى أخبث الأماكن ، ويعنى باللقمة الملعونة ، الحشيشة .

وما أسكر كثيره فقليله حرام . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١٣) رواه أبو داود .

" ما أسكر كثيره فقليله حرام "[14] " وما أسكر الفرق[15] منه فملء الكف منه حرام "[16] .

أيها المسلمون : إن غيبوبة السكر ـ تنافى اليقظة الدائمة التى يفرضها الإسلام على قلب المسلم ليكون موصولا بالله فى كل لحظة ، مراقبا لله فى كل خطرة ، ثم ليكون بهذه اليقظة عاملا إيجابيا فى نماء الحياة وتجددها ، وفى صيانتها من الضعف والفساد ، وفى حماية نفسه وماله وعرضه ، وحماية أمن الجماعة المسلمة وشريعتها ونظامها من كل اعتداء ، والفرد المسلم ليس متروكا لذاته وللذّاته ، فعليه فى كل لحظة تكاليف تستوجب اليقظة الدائمة ، تكاليف لربه ، وتكاليف لنفسه ، وتكاليف لأهله ، وتكاليف للجماعة المسلمة التى يعيش فيها ، وتكاليف للإنسانية كلها ليدعوها ويهديها ، وهذه مطالب تحتاج إلى اليقظة الدائمة لينهض بهذه التكاليف ، وحتى حين يستمتع بالطيبات ، فإن الإسلام يحتم عليه أن يكون يقظا لهذا المتاع فلا يصبح عبدا لشهوة أو لذة ، إنما يسيطر دائما على رغباته فيلبيها تلبية المالك لأمره ، وغيبوبة السكر لا تتفق فى شىء مع هذا الاتجاه .

ثم إن هذه الغيبوبة فى حقيقتها إن هى إلا هروب من واقع الحياة فى فترة من الفترات ، وجنوح إلى التصورات التى تثيرها النشوة أو الخمار ، والإسلام ينكر على الإنسان هذا الطريق ويريد من الناس أن يروا الحقائق وأن يواجهوها ويعيشوا فيها ويصرّفوا حياتهم وفقها ، لا يقيموا هذه الحياة على تصورات وأوهام .

الاتجار بالخمر : لم يكتف النبى صلى الله عليه وسلم بتحريم شرب

---

(١٤) رواه أحمد وأبو داود والترمذى . (١٦) رواه أحمد وأبو داود والترمذى .
(١٥) الفرق : مكيال يسع ستة عشر رطلا .

الخمر قليلها وكثيرها بل حرم الاتجار بها ، ولو مع غير المسلمين فلا يحل لمسلم أن يعمل مستوردا أو مصدرا للخمر ، أو صاحب محل لبيع الخمر ، أو عاملا فى هذا المحل فلقد " لعن النبى صلى الله عليه وسلم فى الخمر عشرة ، عاصرها ومعتصرها ــ أى طالب عصرها ــ وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وساقيها وبائعها ، وآكل ثمنها والمشترى لها والمشتراة له "[١٧] .

وقال صلوات الله وسلامه عليه " إن الله إذا حرم شيئا حرم ثمنه " مسلم ولما نزلت آية المائدة قال صلى الله عليه وسلم : " إن الله حرم الخمر فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شيء فلا يشرب ولا يبيع " قال راوى الحديث فاستقبل الناس بما كان عندهم منها طرق المدينة فسفكوها .

أيها المسلمون : المسلم لايهدى خمرا وإن أهداها بغير عوض ولغير مسلم من يهودى أو نصرانى أو غيره فحرام أيضا ، وقد روى أن رجلا أراد أن يهدى للنبى صلى الله عليه وسلم راوية خمر فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم أن الله حرمها فقال الرجل أفلا أبيعها ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم إن الذى حرم شربها حرم بيعها . فقال الرجل أفلا أكارم بها اليهود ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم إن الذى حرمها حرم أن يكارم بها اليهود فقال الرجل فكيف أصنع بها ؟ قال شنها على البطحاء .

مقاطعة مجالس الخمر : وعلى هذه السنة أمر المسلم أن يقاطع مجالس الخمر ومجالسة شاربيها ، فعن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة يدار عليها الخمر "[١٨] .

---

(١٧) رواه ابن ماجه والترمذى ورجاله ثقات .

(١٨) رواه أحمد ومعناه عند الترمذى .

ومما روى عن الخليفة عمر بن عبد العزيز أنه كان يجلد شاربى الخمر ومن شهد مجلسهم وإن لم يشرب معهم ، ورووا أنه رفع إليه قوم شربوا الخمر فأمر بجلدهم فقيل له إن فيهم فلانا وقد كان صائما فقال به ابدأوا أما سمعتم قول الله تعالى { وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا } [١٩].

أيها المسلمون : عن أنس قال : " كنت أسقى أبا عبيدة وأبى بن كعب فجاءهم آت فقال إن الخمر حرمت فقال أبو طلحة . قم يا أنس فأهرقها فأهرقتها " [٢٠].



(١٩) سورة النساء الآية ١٤٠ .

(٢٠) متفق عليه .

الخطبــة الثانيــة

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمــا بعــد

أيها المسلمون : وهكذا حرم الله عز وجل الخمر لما فيها من المفاسد الصحية والاجتماعية والروحية .

ولقد بُعث النبى صلى الله عليه وسلم وللخمر فى المجتمع العربى سريان وانتشار يجرى فى نفوس أبنائه مجرى الدم ، يتحدثون بشربها ويتفننون فى وصفها ووصف مجالسها وندمائها وأقداحها ويصور شاعرهم مدى تعلقه بها فيقول .

إذا مِتُّ فادفنى إلى جنب كرمة ... تروى عظامى بعد موتى عروقها

ولم يستطع امرؤ القيس الشاعر المعروف وقد بلغه قتل أبيه أن يدع الكأس من يده ، ويفارق مجلس ندمائه بل قال كلمته المشهورة " اليوم خمر وغدا أمر " .

ولم يعرف المجتمع الجاهلى إلا أفرادا معدودين يعدون على الأصابع عافوا شرب الخمر مروءة ، وسجل لهم التاريخ ذلك ، كمأثرة نادرة كزيد بن عمرو ابن نفيل .

ومما يدل على اهتمامهم بالخمر أنهم وضعوا للتعبير عنها أسماء كثيرة وكنايات مختلفة ، وألقابا متعددة ، المدامة ، السلافة ، الراح ، الصهباء ، ابنة العنقود ، ابنة الكرم ، بنت الحان ، بنت الدنان ، . . . إلى آخر الأسماء التى بلغت أكثر من مائة .

كما أن تجارتها عندهم كانت فى ازدهار .

ومن أدلة شغفهم بها وتمكنها من نفوسهم ، أن كثيراً من الصحابة بعد أن نزلت الآيتان الأوليان فى شأن الخمر { **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس** }[٢١] { **لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى** }[٢٢] ، ولم يكن التحريم فيها صريحا حاسما حتى أنهم لم يزالوا يشربون الخمر مادام فى النص متسع لهم ، ذلك أن الإسلام تدرج معهم فى تحريم الخمر رفقا بهم وتيسيراً عليهم ـ حتى نزلت آية المائدة الصريحة القاطعة : { **ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه** } حرمت على التدريج .

أيها المسلمون : لقد حرمت الخمر لما فيها من المفاسد الاجتماعية ، والمفاسد الروحية ، والمفاسد الصحية ، والمفاسد الاقتصادية . وكان ذلك منذ أربعة عشر قرنا تقريبا . ولم تتنبه دول الغرب إلى مضارها إلا فى أوائل القرن العشرين فشرعوا فى إعداد قانون لتحريمها . وصدق الله

---

(٢١) سورة البقرة الآية ٢١٩ .

(٢٢) سورة النساء الآية ٤٣ .

العظيم { سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق }[٢٣] .

أيها المسلمون : منعت حكومة أمريكا الخمر وطاردتها في بلادها واستعملت جميع الوسائل المدنية الحاضرة كالمجلات ، والمحاضرات ، والصور ، ودور السينما لتهجين شربها ، وبيان مضارها ومفسادها .

ويقدرون ما أنفقت الدولة في الدعاية ضد الخمر بما يزيد على ٦٥ مليون دولار . وأن ما نشرته الكتب والنشرات يشتمل على عشرة بلايين صفحة ، وماتحملته في سبيل تنفيذ قانون التحريم في مدة أربعة عشر عاما لايقل عن ٢٥٠ مليون جنيها ، وقد أعدم فيها ٣٠٠ نفس وسجن ٥٣٢٣٣٥ نفسا ، وبلغت الغرامات ١٦ مليون جنيها ، وصادرت من الأملاك ما يبلغ ٤٠٠ مليون وأربعة ملايين جنيها ، ولكن كل ذلك لم يزد الأمة الأمريكية إلا غراما بالخمر وعنادا فى تعاطيها حتى اضطرت الحكومة سنة ١٩٣٣ إلى سحب هذا القانون وإباحة الخمر فى مملكتها إباحة مطلقة . انتهى

أيها المسلمون : إن أمريكا التى عجزت عجزا تاماً عن تحريم الخمر بالرغم من الجهود التى بذلتها .

لكن الإسلام الذى ربى الأمة على أساس من الدين وغرس فى نفوس أفرادها غراس الإيمان الحق وأحيا ضميرها بالتعاليم الصالحة والأسوة الحسنة لم يصنع شيئا من ذلك ولم يتكلف مثل هذا الجهد ولكنها كلمة صدرت من الله سبحانه استجابت لها النفوس استجابة مطلقة .

---

(٢٣) سورة فصلت الآية ٥٣ .

فعن أنس قال : " إنى لقائم اسقى أبا طلحة ورجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم آت فقال إن الخمر حرمت فقال أبو طلحة قم ياأنس فاهرقها . . فاهرقتها "[٢٤] .

أيها المسلمون : ليس لهيئة ، ولالمجلس ، ولا لسلطة أن تبيح ماحرم الله ، فإذا فعلت ذلك فعملها باطل باطل ، (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) كما جاء فى معنى الحديث .

أيها المسلمون : وفى الجنة خمر يتمتع بها المسلم فى دار المقامة ، ولكنها تخالف خمر الدنيا فى أوصافها ، فلقد ورد فى أوصافها فى كتاب الله عز وجل قوله سبحانه : { أولئك لهم رزق معلوم ، فواكه وهم مكرمون ، فى جنات النعيم ، على سرر متقابلين ، يطاف عليهم بكأس من معين ، بيضاء لذة للشاربين ، لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون }[٢٥] { يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين . لايصدعون عنها ولاينزفون }[٢٦] { ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا }[٢٧] { مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى }[٢٨] .

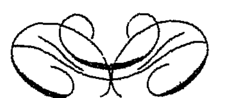
أيها المسلمون : إلى العمل بشريعة الله عز وجل إلى الاستسلام لأوامره وحكمه إلى المحافظة على العقل ، إلى السعادة فى الدنيا ، إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، والله ولى التوفيق .

---

(٢٤) رواه البخارى .
(٢٥) سورة الصافات من الآيات ٤١ : ٤٧ .
(٢٦) سورة الواقعة الآيات ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .
(٢٧) سورة الإنسان الآية ١٧ .
(٢٨) سورة محمد الآية ١٥ .

يراجع فى هذا الموضوع :

١ـ كتب التشريع الجنائى للشهيد عبد القادر عودة .
٢ـ فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب .
٣ـ مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى للشهيد حسن البنا .
٤ـ الأسس العامة لفضيلة الدكتور يوسف القرضاوى .



الزنـــا وعقوبته فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وصحبه وآله ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـــا بعـــد

فيقول الله عز وجل : { ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا }[1] { الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولاتأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين }[2] .

وعن بريدة عن أبيه قال " جاء ماعز بن مالك إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله طهرنى قال ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه . قال : فرجع غير بعيد ثم جاء فقال يارسول الله طهرنى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه قال : فرجع غير بعيد ثم رجع فقال يارسول الله طهرنى . فقال النبى صلى الله عليه وسلم مثل ذلك حتى إذا كانت الرابعة قال رسول الله فيم أطهرك ؟ فقال من الزنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبه جنون فأخبر أنه ليس بمجنون فقال أشرب خمرا فقام رجل

---

(١) سورة الإسراء الآية ٣٢ .

(٢) سورة النور الآية ٢ .

فاستنكهه فلم يجد فيه ريح خمر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أزنيت ؟ قال نعم فأمر به فرجم " ولقد جاء فى بعض الروايات أنه تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم .

وروى أنه " جاءته امرأة من غامد من الأزد فقالت يا رسول الله طهرنى . فقال ويحك ارجعى فاستغفرى الله وتوبى فقالت أراك تريد أن تردنى كما رددت ماعز بن مالك قال وماذاك قالت إننى حبلى من الزنا فقال آنت ؟ قالت نعم فقال لها حتى تضعى ما فى بطنك فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت قال فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال قد وضعت الغامدية فقال إذن لانرجمها وندع وليدها صغيرا ليس له من يرضعه فقام رجل من الأنصار فقال إلى رضاعته يارسول الله قال فرجمها » :

وفى رواية " ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فينضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع نبى الله سبه إياها فقال مهلا ياخالد فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ثم أمر بها فصلى عليها ثم دفنت "

أيها المسلمون : الإسلام وهو يضع هذه العقوبة الصارمة الحاسمة لتلك الفعلة الشائنة المنكرة لم يكن يغفل الدوافع الفطرية أو يحاربها ، فالإسلام يقدر أنه لا حيلة للبشر فى دفع هذه الميول ، ولا خير لهم فى كبتها أو قتلها ، ولم يكن يحاول أن يوقف الوظائف الطبيعية التى ركبها الله فى كيانهم ، وجعلها جزءا من ناموس الحياة الأكبر يؤدى إلى غايته من امتداد الحياة وعمارة الأرض التى استخلف فيها الإنسان .

إنما أراد الإسلام محاربة الحيوانية التى لا تفرق بين جسد وجسد ، أو لاتهدف إلى إقامة بيت وبناء عش وإنشاء حياة مشتركة لا تنتهى بانتهاء اللحظة الجسدية الغليظة ، وأن يقيم العلاقات الجنسية على أساس التقاء

إنسانين تربط بينهما حياة مشتركة وآمال مشتركة وآلام مشتركة ومستقبل مشترك يلتقى فى الذرية المرتقبة ويتقابل فى الجيل الجديد الذى ينشأ فى العش المشترك الذى يقوم عليه الوالدان حارسين لا يفترقان .

من هنا شدد الإسلام فى عقوبة الزنا بوصفه نكسة حيوانية تذهب بكل هذه المعانى وتطيح بكل هذه الأهداف .

إن الإسلام لا يحارب دافع الفطرة ولا يستقذرها وإنما ينظمها ويطهرها ، ويرفعها من المستوى الحيوانى ويرقيها حتى تصبح المحور الذى يدور عليه الكثير من الآداب النفسية والاجتماعية .

ذلك هو ما جعل الإسلام يشدد فى عقوبة الزنا ذلك التشديد فضلا عن الأضرار الاجتماعية التى تعارف الناس أن يذكروها عند الكلام على هذه الجريمة من اختلاط الأنساب أو إثارة الأحقاد وتهديد البيوت الآمنة المطمئنة . . . وكل واحد من هذه الأسباب يكفى لتشديد هذه العقوبة .

لكن السبب الرئيس هو المحافظة على أهداف الحياة العليا من الحياة الزوجية المشتركة القائمة على أساس الدوام والامتداد على أن الإسلام لايشدد فى العقوبة هذا التشديد إلا بعد تحقيق الضمانات الوقائية المانعة من وقوع الفعل ومن توقيع العقوبة إلا فى الحالات الثابتة التى لا شبهة[٣] فيها . فالإسلام منهج حياة متكامل لا يقوم على العقوبة إنما يقوم على أسباب الحياة النظيفة ، ثم يعاقب بعد ذلك من يدع الأخذ بهذه الأسباب الميسرة ويتمرغ فى الوحل طائعا غير مضطر .

---

(٣) " ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج خلوا سبيله فإن الإمام أن يخطئ فى العفو خير من أن يخطئ فى العقوبة " أخرجه الترمذى من حديث عائشة كذلك يطلب شهادة أربعة رأوا الفعل بشرط أن يكونوا عدولا أو يعترف الزانى بالفعل اعترافا لا شبهة فيه .

وفى سورة النور التى بدئت بهذه العقوبة ، نماذج من هذه الضمانات ، من ذلك .

النوع الأول : أن الإسلام يعاقب على قذف المحصنات .

وهن العفيفات الحرائر ثيبات وأبكاراً ، بدون دليل قاطع يترك المجال فسيحا لكل من شاء أن يقذف بريئة أو بريئا بتلك التهمة النكراء ، ثم يمضى آمنا فتصبح الجماعة وتمسى ، وإذا أعراضها مجرحة وسمعتها ملوثة وإذا كل فرد مُتَّهَمٌ أو معرض للاتهام . ذلك أن اطّراد التهم يوحى إلى النفوس المتحرجة من ارتكاب الفعلة أنّ جو الجماعة كله ملوث ، وأن الفعلة فيها شائعة فيقدم عليها من كان يتحرج منها وتهون فى حسه بشاعتها بكثرة ترددها .

لهذا شدد الإسلام فى عقوبة القذف وقاية للمجتمع من الانهيار والتردى فى رذيلة الزنا . فجعل الإسلام عقوبة القذف قريبة من عقوبة بعض أنواع الزنا وجعلها ثمانين جلدة مع إسقاط الشهادة فلا تقبل شهادته والوصم بالفسق ، والعقوبة الأولى جسدية ، والثانية أدبية ، ويكفى أن يهدر قول القاذف ، وأن يسقط اعتباره بين الناس ، ويمشى بينهم متهما لايُوثَق له بكلام .

النوع الثانى : من الوقاية من الوقوع فى الزنا .

الاستئذان والاستئناس : فى دخول بيوت الغير ذلك أن استباحة حرمة البيت من الداخلين دون استئذان يجعل أعينهم تقع على عورات وتلتقى بمفاتن تثير الشهوات ، وتهيىء الفرصة للغواية الناشئة من اللقاءات العابرة ، والنظرات الطارئة التى قد تتكرر فتتحول إلى لقاءات قاصدة ، وقد تتطور إلى علاقات آثمة .

من هنا منع الإسلام من دخول بيوت الغير بغير استئذان كفعل وقائى يمنع من وقوع الفاحشة .

إن القرآن منهاج حياة فهو يحتفل بهذه الجزئية من الحياة الاجتماعية ، ويمنحها هذه العناية لأنه يعالج الحياة كليا وجزئيا ، فالاستئذان على البيوت يحقق للبيوت حرمتها التى تجعل منها مثابة وسكنا ، وتوفر على أهلها الحرج من المفاجأة ، والتأذى بانكشاف العورات وهى كثيرة ، عورات الطعام ، وعورات اللباس والأثاث إنه لا يحب أهلها أن يفاجئهم عليها الناس دون تهيؤ وتجمل وإعداد .

وفى الصحيحن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقأت عينه ، ماكان عليك من جناح** " .

النوع الثالث :

وبعد الانتهاء من آداب الاستئذان على البيوت ـ وهو إجراء وقائى ـ فى طريق تطهير المشاعر واتقاء أسباب الفتنة العابرة ، **يأخذ على الفتنة الطريق كى لا تنطلق من عقالها** ، بدافع النظر لمواضع الفتنة المثيرة ، وبدافع الحركة المعبرة الداعية إلى الغواية .{ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ، ويحفظن فروجهن ، ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن** }[٤] .

إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لاتهاج فيه الشهوات فى كل لحظة ، ولا تستثار فيه دفعات اللحم والدم فى كل حين ، فعمليات

(٤) سورة النور الآية ٣٠ ، ٣١ .

الاستثارة المستمرة تنتهى إلى سعار شهوانى لا ينطفىء ولا يرتوى ، والنظرة الخائنة ، والحركة المثيرة ، والزينة المتبرجة ، والجسم العارى كلها لا تصنع شيئا إلا أن تهيج ذلك السعار الحيوانى المجنون وإلا أن يفلت زمام الأعصاب والإرادة ، فإما الإفضاء الفوضوى الذى لا يتقيد بقيد ، وإما الأمراض العصبية والعقد النفسية الناشئة من الكبح بعد الإثارة وهى تكاد أن تكون عملية تعذيب .

وإحدى وسائل الإسلام إلى إنشاء مجتمع نظيف هى الحيلولة دون هذه الاستثارة ، وإبقاء الدافع الفطرى العميق بين الجنسين سليما وبقوته الطبيعية وتصريفه فى موضعه المأمون النظيف الذى ناط الله به امتداد الحياة على هذه الأرض وتحقيق الخلافة فيها لهذا الإنسان .

يقول الله عـز وجـل { **وقل للمؤمنـات يغضضن من أبصارهن** }[٥] الآيـة النظرة تثير ، والحركة تثير ، والنبرة المعبرة عن الميل تثير ، والطريق المأمون هو تقليل هذه المثيرات ، بحيث يبقى الميل فى حدوده الطبيعية وفى الآيتين السابقتين تقليل من فرص هذه الإثارة والغواية والفتنة من الجانبين .

وحفظ الفرج هو الثمرة الطبيعية لغض البصر ، والله هو الذى يأخذهم بهذه الوقاية ، وهو العليم بتركيبهم النفسى وتكوينهم الفطرى الخبير بحركات نفوسهم ، وحركات جوارحهم { **إنه خبير بما يصنعون** } والمؤمنات اللاتى تَلَقّينَ هذا النهى وقلوبهن منشرحة بنور الله لم يتلكأن فى الطاعة على الرغم من رغبتهن الفطرية فى الظهور بالزينة والجمال .

---

(٥) سورة النور ٣١ .

النوع الرابع :

الزينة جلال المرأة وتلبية لفطرتها فكل أنثى مولعة بأن تكون جميلة وأن تبدو جميلة ، والإسلام لا يقاوم هذه الرغبة الفطرية لكنه ينظمها ويضبطها ويجعلها تتبلور فى الاتجاه بها إلى رجل واحد هو الزوج ،يَطَّلِع منها على ما لا يَطَّلِعُ عليه أحد سواه ، ويشترك معه فى الاطلاع على بعضها المحارم المذكورون فى الآية { **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ماملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولايضربن بأرجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** }[6] تقول عائشة (يرحم الله النساء المهاجرات الأول ، لمّا أنزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن واختمرن بها) رواه البخارى . وكذلك يصنع الإسلام اليوم فى صفوف المؤمنات على الرغم من هبوط الذوق العام ، وغلبة الطابع الحيوانى عليه ، والجنوح إلى التكشف والعرى .

النوع الخامس :

ولما كانت الوقاية هى المقصودة بهذا الإجراء فقد مضت الآية تنهى المؤمنات عن الحركات التى تعلن عن الزينة المستورة ، وتهيج الشهوات الكامنة ، وتوقظ المشاعر النائمة . { **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** } .

وفى النهاية يرد القلوب كلها إلى الله ويفتح لها باب التوبة مما ألمت به

---

(٦) سورة النور الآية ٣١ .

من قبل نزول القرآن وبعده { وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون } .

وإلى هنا كان علاج المسألة علاجاً وقائيا نفسيا ، ولكن ذلك الميل حقيقة واقعة لا بد من مواجهتها بحلول واقعية إيجابية ، هذه الحلول هى تيسير الزواج والمعاونة عليه مع تصعيب السبل الأخرى للمباشرة وإغلاقها نهائيا .

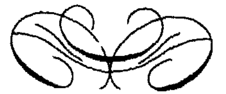
إن الزواج هو الطريق الطبيعى لمواجهة الميول الجنسية الفطرية ، وهو الغاية النظيفة لهذه الميول العميقة ، فيجب أن تزول العقبات من طريق الزواج .

أيها المسلمون : جاء فى الصحيحين " لايحل دم امرىء مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا بإحدى ثلاث ، النفس بالنفس ، والزانى المحصن ، والتارك لدينه المخالف للجماعة "[٧] وعن عائشة (إن لنساء قريش لفضلا ، وإنى والله مارأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقاً لكتاب الله ، ولا إيمانا بالتنزيل منهن ، لما نزلت فى سورة النور { وليضربن بخمرهن على جيوبهن } انفلت رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيهن ، ويتلو الرجل على امرأته وبنته وأخته وعلى كل ذى قرابة ، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مُرُطها المُرحَل ، فاعتجرت به تصديقا وإيمانا بما أنزل الله فى كتابه ، فأصبحن وراء رسول الله معتجرات كأن على رءوسهن الغربان)[٨] .

وفى الصحيح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر

(٧) رواه الشيخان .
(٨) رواه أبو داود .

يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات[٩] مميلات مائلات[١٠] رءوسهن كاسنمة البخت[١١] المائلة لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) رواه مسلم .



---

(٩) قيل معناه تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهاراً لجمالها ونحوه ، وقيل تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنها .

(١٠) قيل مائلات يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن .

(١١) البخت نوع من الإبل عظام الأسنمة .

الخطبـة الثانيـة

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـا بعـد

فياأيها المسلمون : لقد شاع فى وقت من الأوقات أن النظرة المباحة والحديث الطليق والاختلاط الميسور ، والدعابة المرحة بين الجنسين ، والاطلاع على مواضع الفتنة المخبوءة شاع أن كل هذا تنفيس وترويح ، وإطلاق للرغبات الحبيسة ، ووقاية من الكبت ، ومن العقد النفسية ، وتخفيف من حدة الضعف الجنسى وما وراءه من اندفاع غير مأمون ... إلخ

شاع هذا على إثر انتشار بعض النظريات المادية القائمة على تجريد الإنسان من خصائصه التى تفرقه من الحيوان . والرجوع به إلى القاعدة الحيوانية الغارقة فى الطين ، وبخاصة نظرية فرويد ولكن هذا لم يكن سوى فروض نظرية .

ففى البلاد التى ليس فيها قيد واحد على الكشف الجسدى ،

والاختلاط الجنسي بكل صوره وأشكاله لم ينته بهم ذلك إلى تهذيب الدوافع الجنسية وترويضها ، إنما انتهى إلى سعار مجنون لا يرتوى ولا يهدأ إلا ريثما يعود إلى الظمأ والاندفاع .

وانتشرت الأمراض النفسية والعقد التى كان مفهوما أنها لاتنشأ إلا من الحرمان وإلا من التلهف على الجنس الآخر المحجوب وانتشر الشذوذ الجنسى بكل أنواعه ثمرة مباشرة للاختلاط الكامل الذى لا يقيده قيد ولا يقف عند حد .

إن الميل الفطري بين الرجل والمرأة عميق فى التكوين الحيوى ، لأن الله قد ناط به امتداد الحياة على هذه الأرض ، وتحقيق الخلافة فيها لهذا الإنسان . فهو ميل دائم يسكن فترة ثم يعود . وإثارته فى كل حين تزيد من عرامته ، وتدفع به إلى الإفضاء المادى للحصول على الراحة ، فإذا لم يتم هذا تعبت الأعصاب المستثارة وكان هذا بمثابة عملية تعذيب مستمرة .

أيها المسلمون : وتختلف عقوبة الزنا فى الشريعة الإسلامية عنها فى القوانين الوضعية التى نتحاكم إليها الآن ، فالشريعة الإسلامية تعتبر كل وطء محرم زنا وتعاقب عليه ، سواء حدث من متزوج أو غير متزوج ، أما القوانين فلا تعتبر كل وطء محرم زنا وأغلبها يعاقب بصفة خاصة على الزنا الحاصل من الزوجين فقط كالقانون المصرى والقانون الفرنسى ، ولا تعتبر ما عدا ذلك زنا وإنما تعتبره وقاعا أو هتك عرض ، ولا يعاقب القانون المصرى على الوقاع إلا فى حالة الاغتصاب فإن كان بالتراضى فلا عقاب عليه مالم يكن الرضا معيبا ، ويعتبر القانون المصرى الرضا معيبا ، إذا لم يبلغ المفعول به ثمانية عشر عاماً كاملة . ولو وقعت الجريمة بناء على طلبه فإن بلغها اعتُبِر رضاه صحيحا . والعقوبة فى حالة الرضا المعيب بسيطة لأن الفعل جنحة .

ويعاقب القانون المصرى الرجل والمرأة معاً فى حالة الزنا أما فى الوقاع وهتك العرض فلا يعاقب إلا الفاعل .

وتعاقب الشريعة الإسلامية على الزنا باعتباره ماساً بكيان الجماعة وسلامتها إذ إنه اعتداء شديد على نظام الأسرة ، والأسرة هى الأساس الذى تقوم عليه الجماعة ، ولأن فى إباحة الزنا إشاعة للفاحشة ، وهذا يؤدى إلى هدم الأسرة ثم ، إلى فساد المجتمع وانحلاله ، والشريعة تحرص أشد الحرص على بقاء الجماعة متماسكة قوية .

أما العقوبة فى القوانين الوضعية فأساسها أن الزنا من الأمور الشخصية التى تمس علاقة الأفراد ولا تمس صالح الجماعة فلا معنى للعقوبة عليه مادام عن تراض ، إلا إذا كان أحد الطرفين زوجا ففى هذه الحالة يعاقب على الفعل صيانة لحرمة الزوجية ، ولعل ما حدث فى البلاد الأجنبية عامة يؤيد نظرية الشريعة فقد تحللت الجماعات الأوربية ، وتصدعت وحدتها ، وشاعت فيها الفاحشة والفساد الخلقى والإباحية التى لايعرف لها حد تنتهى إليـه .

ولعل أشد ماتواجه البلاد اليوم من أزمات اجتماعية وسياسية يرجع إلى إباحة الزنا ، فقد قل النسل فى بعض الدول قلة تنذر بفناء هذه الدول أو توقف نموها ، وترجع قلة النسل أولا وأخيرا إلى امتناع الكثيرين عن الزواج وإلى العقم الذى انتشر بين الأزواج .

ولقد أدى وقوع الزنا إلى مقاومة الحمل من جهة وانتشار الأمراض السرية من جهة أخرى .

أيها المسلمون : إلى نظام الإسلام وتوجيهاته إلى الطهر والعفة

والعبودية لله إلى صالح الفرد والجماعة تسعدوا فى الدنيا ، وتفوزوا بالفلاح فى الآخرة . والله ولى التوفيق .

يراجع فى هذا الموضوع :

١ـ التشريع الجنائى فى الإسلام جـ١ للشهيد عبد القادر عودة .
٢ـ فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب .
٣ـ الإسلام عقيدة وشريعة لفضيلة الشيخ محمود شلتوت .

تحريم السرقة ، وبيان عقوبتها وحد الحرابة
فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعـد

فيقول سبحانه : { والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ، فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم }[1] { يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم }[2] { ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون }[3] .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه " " لايحل مال امرىء مسلم إلا بطيبة من نفسه " .

---

(١) سورة المائدة الآيتان ٣٨ ، ٣٩ .
(٢) سورة النساء الآية ٢٩ .
(٣) سورة البقرة الآية ١٨٨ .

أيها المسلمون : مما تقدم يتقرر حرمة مال الغير والاعتداء عليه ، وتتقرر العقوبة الرادعة لمن يعتدى عليه بالسرقة فى نظام الإسلام الحنيف .

أيها المسلمون : الإسلام يعتبر المال قوام الحياة ، له وظيفته الاجتماعية لا تقوم مصالح الناس إلا به ، ومن ثم فقد وجه إلى جمعه من طرقه المشروعة ، والحرص عليه ، وحسن تدبيره وتثميره ، وفى الحديث " **نعم المال الصالح للرجل الصالح** " " **إن الله يكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال** " وفى الآية الكريمة { **ولاتؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما** }[4] كما أن من مات مدافعا عن ماله فهو شهيد . كما جاء فى الحديث : " **من مات دون عرضه فهو شهيد ، ومن مات دون ماله فهو شهيد . . .** " الحديث .

وفى الإسلام الحث على العمل والكسب ، واعتبار الكسب واجبا على كل قادر عليه ، والثناء كل الثناء على العمال المحترفين ، وتحريم السؤال وإعلان أن من أفضل العبادة العمل وأن العمل من سنة الأنبياء ، وأن أفضل الكسب ماكان من عمل اليد ، والزراية على أهل البطالة الذين هم عالة على المجتمع مهما كان سبب تبطلهم ـ ولو كان الانقطاع للعبادة ـ فإن الإسلام لايعرف هذا النوع من التبطل .

والتوكل على الله إنما هو فى الأخذ بالأسباب ، والرزق المقدور مقرون بالسعى الدائب ، والله تبارك وتعالى يقول : { **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** }[5] { **فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه** }[6] { **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله** }[7] { **وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله** }[8].

---

(٤) سورة النساء الآية ٥ .
(٥) سورة التوبة الآية ١٠٥ .
(٦) سورة الملك الآية ١٥ .
(٧) سورة الجمعة الآية ١٠ .
(٨) سورة المزمل الآية ٢٠ .

والرسول يقول " **ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده** " ، ويقول عمر (لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى ، وقد علم أن السماء لاتمطر ذهبا ولا فضة) وفى الحديث " **لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة لحم** " ، ولقد لفت الإسلام النظر إلى مافى الوجود من منابع الثروة ومصادر الخير وحث على العناية بها ، ووجوب استغلالها ، وأن كل مافى هذا الكون مسخر للإنسان ليستفيد منه وينتفع به { **ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات ومافى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** }[9] { **وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه** }[10].

ومن تعاليم الإسلام تحريم موارد الكسب الخبيثة ، وتحديد الخبث فى الكسب بأنه ما كان من غير مقابل من عمل كالربا والقمار واليانصيب ونحوها ، وماكان بغير حق كالنصب والسرقة والغش ونحوها ، أو ماكان عوضا لما يضر كثمن الخمر والخنزير والمخدرات ونحوها فكل هذه موارد كسب لا يبيحها الإسلام .

وقرر الضمان الاجتماعى لكل مواطن ، وتأمين راحته ، ومعيشته كائنا من كان مادام مؤديا لواجبه ـ أوعاجزا عن أداء هذا الواجب بسبب قهرى ، لايستطيع أن يتغلب عليه . ولقد مر عمر بيهودى يتكفف الناس ، فزجره واستفسر عن ماحمله على هذا السؤال فلما تحقق من عجزه رجع على نفسه باللائمة وقال : " ما أنصفناك ياهذا ، أخذنا منك الجزية قوياً وأهملناك ضعيفا افرضوا له من بيت المال ما يكفيه " وهذا مع إشاعة روح التعاطف بين الناس جميعا .

بعد ذلك قرر حرمة المال ، واحترام الملكية الخاصة مادامت لا تتعارض

---

(٩) سورة لقمان الآية ٢٠ .

(١٠) سورة الجاثية الآية ١٣ .

مع المصلحة العامة " كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه " " لاضرر ولا ضرار " ومن يعتدى عليه بالسرقة تقطع يده .

أيها المسلمون : إن النظام الإسلامى كل متكامل ، فلا تفهم حكمة الجزئيات التشريعية فيه حق فهمها إلا أن ينظر فى طبيعة النظام وأصوله ومبادئه وضماناته ، كذلك لا تصلح الجزئيات فيه للتطبيق إلا أن يؤخذ النظام كاملا ويعمل به جملة .

إن الإسلام يبدأ بتقرير حق كل فرد فى المجتمع فى دار الإسلام فى الحياة وحقه فى كل الوسائل الضرورية لحفظ هذه الحياة ، من حق كل فرد أن يأكل وأن يشرب وأن يلبس وأن يكون له بيت يكنه ويؤويه ويجد فيه السكن والراحة ، من حق كل فرد على الجماعة ، وعلى الدولة النائبة عن الجماعة أن تعلمه كيف يعمل ، وأن تيسر له العمل وأداة العمل .... فإن تعطل لعدم وجود العمل أو أدائه أو لعدم قدرته على العمل جزئيا أو كليا ، وقتيا أو دائما أو إذا كان كسبه من عمله لا يكفى لضروراته فله الحق فى استكمال هذه الضروريات من عدة وجوه . من النفقة التى تفرض له على القادرين من أسرته . وثانيا على القادرين من أهل محلته . . . وثالثا من بيت مال المسلمين من حقه المفروض فى الزكاة فإذا لم تكف الزكاة فرضت الدولة المسلمة المنفذة لشريعة الإسلام ما يحقق الكفاية للمحرومين فى مال الواجدين بحيث لا يتجاوز هذه الحدود ولا تتوسع فى غير ضرورة ، ولا تجور على الملكية الفردية الناشئة من حلال .

والإسلام يحدد وسائل جمع المال ، فلا تقوم الملكية إلا من حلال ، ومن ثم فلا تثير الملكية الفردية فى المجتمع المسلم أحقاد الذين لايملكون وبخاصة أن النظام يكفل لهم الكفاية ، ولا يدعهم محرومين .

والإسلام يربى ضمائر الناس وأخلاقهم فيجعل تفكيرهم يتجه إلى الكسب عن طريقه لا إلى السرقة والكسب عن طريقها ، فإذا لم يوجد العمل أو لم يكف لتوفير ضرورياتهم أعطاهم حقهم بالوسائل النظيفة الكريمة .

وإذا فلماذا يسرق السارق فى هذا النظام ؟ إنه لا يسرق لسد حاجة ، إنما يسرق طمعا فى الثراء ، من غير طريق العمل ، والثراء لا يطلب من هذا الوجه الذى يروع الجماعة المسلمة فى دار الإسلام ، ويحرمها الطمأنينة التى من حقها أن تستمتع بها ، ويحرم أصحاب المال الحلال أن يطمئنوا على مالهم الحلال .

وإنه لمن حق كل فرد فى هذا المجتمع كَسَبَ ماله من حلال لا من ربا ، ولا من غش ، ولا من احتكار ، ولا من أكل أجور العمال ثم أخرج زكاته ، وقدم ماقد تحتاج إليه الجماعة من بعد الزكاة من حق كل فرد فى مثل هذا النظام أن يأمن على ماله الخاص ، وألا يباح هذا المال للسرقات أو لغير السرقات .

فإذا سرق السارق بعد ذلك كله . . . إذا سرق وهو مكفى الحاجة متبين حرمة الجريمة غير محتاج إلى سلب أيدى الآخرين لأن الآخرين لم يغصبوا أموالهم ولم يجمعوها من حرام فإذا سرق فى مثل هذه الأحوال فإنه لا يسرق وله عذر ولا ينبغى لأحد أن يرأف به متى ثبتت عليه الجريمة .

فأما حين توجد شبهة من حاجة أو غيرها فالمبدأ العام فى الإسلام هو درء الحدود بالشبهات ، لذلك لم يقطع عمر رضى الله عنه فى عام الرمادة حيث عمت المجاعة ، ولم يقطع كذلك فى حادثة خاصة عندما سرق غلمان

ابن أبى بلتعة ناقة من رجل من مزينة فقد أمر بقطعهم لكن حين تبين له أن سيدهم يجيعهم درأ عنهم الحد وغرم سيدهم ضعف ثمن الناقة تأديبا لـه

وهكذا ينبغى أن تفهم حدود الإسلام فى ظل نظامه المتكامل الذى يضع الضمانات للجميع لا لطبقة على حساب طبقة ، والذى يتخذ أسباب الوقاية قبل أن يتخذ أسباب العقوبة ، والذى لايعاقب إلا المعتدين بلا مبرر للاعتداء ، وبعد بيان هذه الحقيقة نأخذ فى الحديث عن حد السرقة .

السرقة هى أخذ مال الغير المحرز خفية ، فلابد أن يكون المأخوذ مالا متقوما ، والحد المتفق عليه بين فقهاء المسلمين للمال الذى يعد أخذه من حرزه خفية سرقة هو ما يعادل ربع دينار من الذهب أو ثلاثة دراهم من الفضة أو ماقيمته ذلك .

ولابد أن يكون المال محرزا وأن يأخذه السارق من حرزه ويخرج به عنه ... فلا قطع على المؤتمن على مال إذا سرقه ، ولا على الثمار فى الحقل حتى يؤديها الجرين ، ولا على المال خارج البيت أو الصندوق المعد لصيانته ...

ولابد أن يكون المال للغير فلا قطع على من يسرق الشريك لأن له فيه شركة فليس خالصا للغير والذى يسرق من بيت مال المسلمين لأن له نصيبا فيه فليس خالصا للغير والعقوبة فى مثل هذه الحالات ليست هى القطع وإنما هى التعزير .

والقطع يكون لليد اليمنى من الرسغ فإذا عاد فالرجل اليسرى إلى الكعب .

والشبهة تدرأ الحد فشبهة الجوع والحاجة تدرأ الحد ، وشبهة الشركة

فى المال تدرأ الحد ، ورجوع المعترف فى اعترافه يدرأ الحد ، وبقية الشبه قد تكفلت ببيانها كتب الفقه .

أيها المسلمون : ونعجب بعد ذلك ممن يقولون : إن عقوبة القطع لا تتفق مع ما وصلت إليه الإنسانية والمدنية فى عصرنا الحاضر . كأن الإنسانية والمدنية أن تقابل السارق بالمكافأة على جريمته ، وأن تشجعه على السير فى غوايته ، وأن نعيش فى خوف وفى اضطراب ، وأن نكد ونشقى ليستولى على ثمار عملنا العاطلون واللصوص .

وإذا كانت العقوبة الصالحة حقا هى التى تتفق مع المدنية والإنسانية ، فإن عقوبة الحبس قد حق عليها الإلغاء وعقوبة القطع قد كتب لها البقاء لأن الأخيرة تقوم على أساس متين من علم النفس ، وطبائع البشر وتجارب الأمم ومنطق العقول وطبائع الأشياء ، أما عقوبة الحبس فلا تقوم على أساس من العلم ، ولا التجربة ، ولاتتفق مع منطق العقول ولا طبائع الأشياء إن أساس عقوبة القطع هى دراسة نفسية الإنسان وعقليته فهى إذن ملائمة للأفراد وهى فى الوقت ذاته صالحة للجماعة لأنها تؤدى إلى تقليل الجرائم . وتأمين المجتمع ومادامت العقوبة ملائمة للفرد وصالحة للجماعة فهى أفضل العقوبات وأعدلها .

والله سبحانه يقول وهو يشدد عقوبة السرقة : { **فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله** } فهى تنكيل من الله رادع ـ والردع عن ارتكاب الجريمة رحمة بمن تحدثه نفسه بها ، لأنها تكفه عنها ، ورحمة بالجماعة كلها لأنه يوفر لها الطمأنينة ـ ولن يدعى أحد أنه أرحم بالناس من خالق الناس ، إلا وفى قلبه عمى ، وفى روحه انطماس ، والواقع يشهد أن عقوبة القطع لم تطبق فى خلال نحو قرن من الزمان فى صدر الإسلام إلا فى آحاد ، لأن المجتمع بنظامه . والعقوبة بشدتها والضمانات بكفايتها لم تنتج إلا هذه الآحاد .

ويفتح الله باب التوبة لمن يريد أن يتوب على أن يندم ويرجع ويكف . ثم لا يقف عند هذه الحدود السلبية . بل يعمل عملا صالحا ويأخذ فى خير إيجابى .

أيها المسلمون : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " **لقد أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها** " . وعن عائشة قالت " **كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقطع يدها فأتى أهلها أسامة بن زيد فكلموه ، فكلم النبى صلى الله عليه وسلم فيها ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : " يا أسامة لا أراك تشفع فى حد من حدود الله عز وجل** " .

وأخرج أبو داود والنسائى ، والحاكم وصححه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " **تعافوا الحدود فيما بينكم ؛ فما بلغنى من حد فقد وجب** "[(١١)] .



---

(١١) رواه أبو داود والنسائى والحاكم وصححه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله عز وجل والصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد

فيقول الله سبحانه { إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم }[12] .

أيها المسلمون : قلنا إن الإسلام يوفر للناس جميعا ضمانات الحياة كلها وينشر من حولهم جوا تنمو فيه بذور الخير ، وتذوى بذور الشر ، ويعمل على الوقاية قبل أن يعمل على العلاج ، ثم يعالج مالم تتناوله وسائل الوقاية ، ولا يدع دافعا ولا عذراً للنفس السوية أن تميل إلى الشر وإلى الاعتداء . . . . فالذى يهدد أمنه ـ بعد ذلك كله ـ هو عنصر خبيث يجب استئصاله ؛ مالم يثب إلى الرشد والصواب ، وعقوبة هذا العنصر الخبيث هى العقوبة المعروفة فى الإسلام بحد الحرابة .

{ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا ..... }

---

(١٢) سورة المائدة الآية ٣٣ .

الآية وحدود هذه الجريمة التى ورد فيها النص هى الخروج على الإمام المسلم الذى يحكم بشريعة الله ، والتجمع فى شكل عصابة خارجة على سلطان الإمام تروع أهل دار الإسلام وتعتدى على أرواحهم وأموالهم وحرماتهم ويشترط بعض الفقهاء أن يكون ذلك خارج المصر بعيداً عن مدى سلطان الإمام ، ويرى بعضهم أن مجرد تجمع مثل هذه العصابة ، وأخذها فى الاعتداء على أهل دار الإسلام بالقوة يجعل النص منطبقا عليها سواء خارج المصر أو داخله ، وهذا هو الأقرب للواقع العملى ومجابهته بما يستحقه وهؤلاء الخارجون - على حاكم يحكم بشريعة الله - المعتدون على أهل دار الإسلام المقيمين للشريعة (سواء كانوا مسلمين أو ذميين أو مستأمنين بعهد) لا يحاربون الحاكم وحده ، ولا يحاربون الناس وحدهم إنما هم يحاربون الله ورسوله ، حينما يحاربون شريعته ويعتدون على الأمة القائمة على هذه الشريعة ويهدرون دار السلام المحكومة بهذه الشريعة ، كما أنهم بحربهم لله ورسوله ، وحربهم لشريعته وللأمة القائمة عليها ، وللدار التى تطبقها ، يسعون فى الأرض فساداً . . . .

فليس هناك فساد أشنع من محاولة تعطيل شريعة الله وترويع الدار التى تقام فيها هذه الشريعة ..

إنهم يحاربون الله ورسوله ، وإن كانوا يحاربون الجماعة المسلمة والإمام المسلم فهم قطعا لا يحاربون الله - سبحانه - بالسيف ، وقد لا يحاربون شخص رسول الله - بعد اختياره الرفيق الأعلى - ولكن الحرب لله ورسوله متحققة ، بالحرب لشريعة الله ورسوله ، وللجماعة التى ارتضت شريعة الله ورسوله ، وللدار التى تنفذ فيها شريعة الله ورسوله .

إنما جزاء أفراد هذه العصابات المسلحة التى تخرج على سلطان الإمام المسلم المقيم لشريعة الله وتروع عباد الله فى دار السلام ، وتعتدى على أموالهم وأرواحهم وحرماتهم أن يُقَتَّلوا تقتيلا عاديا ، أو أن يصلبوا حتى

يموتوا (وبعض الفقهاء يفسر النص بأنه الصلب بعد القتل للترويع والإرهاب) أو أن تُقَطَّع أيديهم اليمنى مع أرجلهم اليسرى . . . من خلاف ويختلف الفقهاء اختلافا واسعاً حول هذا النص : إن كان للإمام الخيار في هذه العقوبات أم أن هناك عقوبة معينة لكل جريمة تقع من الخارجين .

ويرى الفقهاء فى مذهب أبى حنيفة والشافعى وأحمد أن العقوبات مرتبة على حسب الجناية التى وقعت فمن قتل ولم يأخذ مالا قتل ، ومن أخذ المال ولم يقتل قطع ، ومن قتل وأخذ المال قتل وصلب ، ومن أخاف السبيل ولكنه لم يقتل ولم يأخذ مالا نفى .

وقال بعض العلماء : الإمام بالخيار إن شاء قتل ، وإن شاء صلب ، وإن شاء قطع الأيدى والأرجل ، وإن شاء نفى ، وهو مذهب الإمام مالك : ونحن نميل إلى هذا المذهب لأن هذا إجراء وقائى المقصود منه أولا منع وقوع الجريمة ، والتغليظ على المفسدين فى الأرض الذين يروعون دار الإسلام ، ويفزعون الجماعة المسلمة القائمة على شريعة الله فى هذه الدار وهى أجدر جماعة وأجدر دار بالأمن والطمأنينة والسلام .

أيها المسلمون : المنهج الإسلامى يتعامل مع الطبيعة البشرية بكل مشاعرها ومساربها واحتمالاتها ؛ والله الذى رضى للمسلمين هذا المنهج هو بارىء هذه الطبيعة ، الخبير بمسالكها ودروبها ، العليم بما يصلحها وما يصلح لها . . . { **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟** } .

أيها المسلمون : المنهج الربانى لا يأخذ الناس بالقانون وحده ، وإنما يرفع سيف القانون ويسلطه ليرتدع من لا يردعه إلا السيف ، فأما اعتماده الأول فعلى تربية القلب ، وتقويم الطبع ، وهداية الروح ـ ذلك إلى إقامة

المجتمع الذى تنمو فيه بذور الخير وتزكو ـ وتذبل فيه نبتة الشر وتذوى ـ لذلك ما يكاد ينتهى السياق القرآنى فى الآية المذكورة من الترويع بالعقوبة حتى يأخذ طريقه إلى القلوب والضمائر والأرواح ، يستجيش فيها مشاعر التقوى ، ويحثها على ابتغاء الوسيلة إلى الله والجهاد فى سبيله رجاء الفلاح ، ويحذرها عاقبة الكفر به ، ويصور لها مصائر الكفار فى الآخرة تصويراً موحيا بالخشية والاعتبار .

{ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون ، إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم ، يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم }[١٣] .

إن هذا المنهج المتكامل يأخذ النفس البشرية من أقطارها جميعا ، ويخاطب الكينونة البشرية من مداخلها جميعا ، ويلمس أوتارها الحية كلها وهو يدفعها إلى الطاعة ، ويصدها عن المعصية . إن الهدف الأول للمنهج هو تقويم النفس البشرية ، وكفها عن الانحراف . والعقوبة وسيلة من الوسائل الكثيرة . وليست العقوبة غاية ، كما أنها ليست الوسيلة الوحيدة .

أيها المسلمون : إلى شريعة الإسلام ، إلى منهج الله عز وجل ، إلى الاستقامة على أمره تسعدوا فى الدنيا ، وتفوزوا بالفلاح والنعيم المقيم فى الآخرة والله ولى التوفيق .

يراجع فى هذا الموضوع :

١ـ التشريع الجنائى فى الإسلام للشهيد عبد القادر عودة .
٢ـ فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب .

---

(١٣) سورة المائدة الآيتان ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

القصاص وتحريم قتل النفس
فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـــا بعـــــــد

فيقول الله سبحانه : { ولكم فى القصاص حياة ياأولى الألباب لعلكم تتقون }[١] { ولاتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا }[٢] { فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم }[٣] { ولاتقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم }[٤] {ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما }[٥] { وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له }[٦] { من أجل ذلك كتبنا على بنى

(١) سورة البقرة الآية ١٧٩ .
(٢) سورة الإسراء الآية ٣٣ .
(٣) سورة البقرة الآية ١٧٨ .
(٤) سورة الأنعام الآية ١٥١ .
(٥) سورة النساء الآية ٩٣ .
(٦) سورة المائدة الآية ٤٥ .

إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون } [٧] .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ألا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة " " إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم فاشهد " " كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه " .

روى الترمذى بسند حسن عن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا فى دم مؤمن لأكبهم الله فى النار " [٨] ، " من أعان على دم امرئ مسلم ولو بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة آيس من رحمة الله " " لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حق " [٩] .

" من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا " .

أيها المسلمون : الإسلام دين الحياة ودين السلام ، فقتل النفس بغير حق عنده كبيرة تلى الشرك بالله ، فالله واهب الحياة ، وليس لأحد غير الله أن يسلبها إلا بإذنه ، وفى الحدود التي يرسمها ، وكل نفس هى حرم لايمس ، وحرام إلا بالحق ، وهذا الحق الذى يبيح قتل النفس محدود لاغموض فيه ، وليس متروكا للرأى ولامتأثراً بالهوى . . . . وقد جاء

---

(٧) المائدة الآية ٣٢ .

(٨) رواه الترمذى بسند حسن .

(٩) رواه ابن ماجه بسند حسن .

في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لايحل دم امرئ مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول اله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والزاني المحصن ، والتارك لدينه المفارق للجماعة "[10] .

فالأولى هي القصاص العادل الذي إن قتل نفسا فقد ضمن الحياة لنفوس { ولكم في القصاص حياة } حياة بكف يد الذين يهمون بالاعتداء على الأنفس ، والقصاص ينتظرهم فيردعهم قبل الإقدام على الفعلة النكراء وحياة بكف يد أصحاب الدم أن تثور نفوسهم فيثأروا ولايعفوا عن القاتل بل يمضوا في الثأر ويتبادلوا القتل فلا يقف هذا الفريق وهذا الفريق حتى تسيل دماء ودماء ، وحياة يأمن كل فرد على شخصه واطمئنانه على عدالة القصاص فينطلق آمنا يعمل وينتج فإذا الأمة كلها حياة .

{ ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا }[11] ، فقد جعل الله لوليه وهو أقرب عاصب إليه ـ سلطانا على القاتل إن شاء قتله وإن شاء عفا على الدية ، وإن شاء عفا بلا دية فهو صاحب الأمر في التصرف في القاتل لأن دمه له { فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة }[12] .

وفي مقابل هذا السلطان الكبير ينهاه الإسلام عن الإسراف في القتل استغلالا لهذا السلطان الذي منحه إياه .

والإسراف في القتل يكون بتجاوز القاتل إلى سواه ممن لا ذنب لهم ـ كما يقع في الثأر الذي يؤخذ فيه الآباء والإخوة والأبناء والأقارب بغير

---

(١٠) رواه الشيخان .
(١١) سورة الإسراء الآية ٣٣ .
(١٢) سورة البقرة الآية ١٧٨ .

ذنب إلا أنهم من أسرة القاتل ، ويكون الإسراف كذلك بالتمثيل بالقاتل ، والولى مسلط على قتله بلا مثلة فالله يكره المثلة وينهى عنها .

" إذا قتلتم فاحسنوا القتلة " " ولا تمثلوا " .

{ فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا }[١٣] يقضى الله له ، ويؤيده الشرع وينصره الحاكم ، فليكن عادلا فى قصاصه ، وكل السلطات تناصره وتأخذ له بحقه .

وفى تولية صاحب الدم على القصاص من القاتل ، وتجنيد سلطان الشرع وسلطان الحاكم لنصرته تلبية للفطرة البشرية ، وتهدئة للغليان الذى تستشعره نفس الولى ، الغليان الذى قد يجرفه ويدفعه إلى الضرب يمينا وشمالا فى حمى الغضب والانفعال على غير هدى .

فأما حين يحس أن الله قد ولاه على دم القاتل وأن الحاكم مجند لنصرته على القصاص ، فإن ثائرته تهدأ ، ونفسه تسكن ، وتقف عند القصاص العادل الهادىء .

والإنسان إنسان فلا يطالب بغير ما ركب فى فطرته من الرغبة العميقة فى القصاص .

لذلك يعترف الإسلام بهذه الفطرة ويلبيها فى الحدود المأمونة ولا يتجاهلها فلا يفرض التسامح فرضاً ...... إنما هو يدعو إلى التسامح ويؤثره ويحبب فيه ، ويأجر عليه ولكن بعد أن يعطى الحق لولى الدم أن يقتص أو يصفح وشعور ولى الدم بأنه قادر عليهما قد يدفعه إلى

(١٣) سورة الإسراء الآية ٣٣ .

التسامح .

أيها المسلمون : من أجل وجود النماذج البشرية التى تعتدى على المُسَالمينَ الوادعين الخيرين الذين لا يريدون شراً ولا عدوانا . ومن أجل أن الموعظَة والتحذير لا يجديان فى بعض الجبلات المطبوعة على الشر ، وأن المسالمة والموادعة لا تكفان الاعتداء حين يكون الشر عميق الجذور فى النفس ، من أجل ذلك جعل الله جريمة قتل النفس الواحدة كبيرة تعدل جريمة قتل الناس جميعا .

إن قتل نفس واحدة ـ فى غير قصاص لقتل ، وفى غير دفع فساد فى الأرض ـ يعدل قتل الناس جميعا . لأن كل نفس ككل نفس ، وحق الحياة واحد ثابت لكل نفس فقتل واحدة من هذه النفوس هو اعتداء على الحياة ذاتها ، الحق الذى تشترك فيه كل النفوس . كذلك دفع القتل عن نفس واستحياؤها بهذا الدفع سواء كان بالدفاع عنها فى حالة حياتها ، أو بالقصاص لها فى حالة الاعتداء عليها لمنع وقوع القتل على نفس أخرى هو استحياء للنفوس جميعا ، لأنه صيانة لحق الحياة الذى تشترك فيه النفوس جميعا { **من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ، ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك فى الأرض لمسرفون** }(١٤) .

أيها المسلمون : الإسلام دين العدالة والمساواة وقد قال ابن قدامة الحنبلى " ويجرى القصاص بين الولاة والعمال وبين رعيتهم لعموم الآيات والأخبار ، ولأن المؤمنين تتكافأ دماؤهم ، ولا نعلم فى هذا خلافا وثبت عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال لرجل شكا إليه عاملا أنه قطع يده

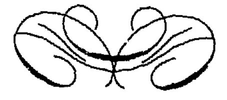
---

(١٤) سورة المائدة الآية ٣٢ .

ظلما لئن كنت صادقا لأقيدنك منه .

أيها المسلمون : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها ، لأنه أول من سن القتل "[١٥] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " الكبائر الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس "[١٦] .



(١٥) رواه أحمد فى مسنده . وأخرجه الجماعة سوى أبى داود من طرق عن الأعمش .
(١٦) رواه البخارى .

الخطبـة الثانيـة

بعد حمد الله والثناء عليه ، والصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـا بعــــد .

فياأيها المسلمون : يقول الله سبحانه { وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له }.[(١٧)]

أول ما تقرره شريعة الله فى القصاص هو مبدأ المساواة . . . المساواة فى الدماء ، والمساواة فى العقوبة ، ولم تكن شريعة أخرى ـ غير شريعة الله ـ تعترف بالمساواة بين النفوس فتقتص للنفس بالنفس ، وتقتص للجوارح بمثلها على اختلاف المقامات والطبقات والأنساب والدماء والأجناس .

النفس بالنفس ، والعين بالعين ، والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن . والسن بالسن ، والجروح قصاص ، لاتمييز ولا عنصرية ، ولاطبقية ولا حاكم

(١٧) سورة المائدة الآية ٤٥ .

ولامحكوم كلهم سواء أمام شريعة الله ، فكلهم من نفس واحدة فى حلقة الله .

إن هذا المبدأ العظيم الذى جاءت به شريعة الله هو الإعلان الحقيقى الكامل لميلاد الإنسانية ، الإسلام الذى يستمتع كل فرد فيه بحق المساواة ... أولا فى التحاكم إلى شريعة واحدة وقضاء واحد ، وثانيا فى المقاصة على أساس واحد وقيمة واحدة .

وهو إعلان قد تخلفت شرائع البشر الوضعية عشرات من القرون حتى ارتفعت إلى بعض مستواه من ناحية النظريات القانونية ، وإن ظلت دون هذا المستوى من ناحية التطبيق العملى .

والقصاص على هذا الأساس العظيم فوق مايحمله من إعلان ميلاد الإنسان ـ هو العقاب الرادع الذى يجعل من يتجه إلى الاعتداء على النفس بالقتل أو الاعتداء عليها بالجرح والكسر ـ يفكر مرتين ومرات قبل أن يقدم على ماحدثته به نفسه ، وما زينه له اندفاعه ، وهو يعلم أنه مأخوذ بالقتل إن قتل دون نظر إلى نسبه أو مركزه أو طبقته أو جنسه وأنه مأخوذ بمثل ما أحدث من الإصابة إذا قطع يداً أو رجلاً قطعت يده أو رجله وإذا أتلف عينا أو أذنا أو أنفا أو سنا أتلف من جسمه ما يقابل العضو الذى أتلفه .

وليس الأمر كذلك حين يعلم أن جزاءه هو السجن ـ طالت مدة السجن أو قصرت ـ فالألم فى البدن ، والنقص فى الكيان ، والتشويه فى الخلقة شىء آخر غير آلام السجن .

والقصاص على هذا الأساس العظيم فوق ما يحمله من إعلان ميلاد

الإنسان هو القصاص الذى تستريح إليه الفطرة ، والذى يذهب بحزازات النفوس ، وجراحات القلوب ، والذى يسكن فورات الثأر الجامحة التى يقودها الغضب الأعمى وحمية الجاهلية .

وقد يقبل بعضهم الدية فى القتل والتعويض فى الجراحات ، ولكن بعض النفوس لا يشبعها إلا القصاص .

وشرع الله فى الإسلام يلحظ الفطرة ، حتى إذا ضمن لها القصاص المريح راح يناشد فيها وجدان السماحة والعفو ـ عفو القادر على القصاص فمن تصدق به فهو كفارة له .

من تصدق بالقصاص متطوعا سواء كان هو صاحب الدم فى حالة القتل والصدقة تكون بأخذ الدية مكان القصاص ، أو بالتنازل عن الدم والدية معا ، وهذا من حق الولى ؛ إذ العقوبة والعفو متروكان له ، ويبقى للإمام تعزير القاتل بما يراه ـ أو كان هو صاحب الحق فى حالة الجروح كلها فتنازل عن القصاص ـ من تصدق فصدقته هذه كفارة لذنوبه ـ يحط الله بها عنه .

روى البخارى قال : " كان فى بنى إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية فقال اللهُ لهذه الأمة { **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان** }[18] والاتباع بالمعروف أن يتبع الطالب بالمعروف ويؤدى المطلوب بإحسان ـ { **ذلك تخفيف من ربكم ورحمة** } فيما كتب على من قبلكم .

وكثيراً ما تستجيش هذه الدعوة إلى السماحة والعفو وتعليق القلب

(١٨) سورة البقرة الآية ١٧٨ .

بعفو الله ومغفرته نفوساً لا يعنيها العوض المالى ، ولا يسليها القصاص ذاته عمن فقدت أو عما فقدت فماذا يعود على ولى المقتول من قتل القاتل أو ماذا يعوضه من مال عمن فقد ؟ ـ إنه غاية ما يستطاع فى الأرض لإقامة العدل وتأمين الجماعة ولكن تبقى فى النفس بقية لا يمسح عليها إلا تعليق القلوب بالعوض الذى يجىء من عند الله . روى الإمام أحمد قال حدثنا وكيع "كسر رجل من قريش سن رجل من الأنصار ، فاستعدى عليه معاوية فقال معاوية نسترضيه . . . . فألح الأنصارى فقال معاوية : شأنك بصاحبك وأبو الدرداء جالس ـ فقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " **مامن مسلم يصاب بشىء من جسده فيتصدق به إلا رفعه الله به درجة أو حط عنه خطيئة ـ فقال الأنصارى فإنى قد عفوت** "[19] وهكذا رضيت نفس الرجل واستراحت بما لم ترض من مال معاوية الذى لوح به للتعويض .

تلك شريعة الله العليم بخلقه ، وما يحيك فى نفوسهم من مشاعر وخواطر وبما يتعمق قلوبهم ويرضيها ويسكب فيها الاطمئنان والسلام من الأحكام .

أيها المسلمون : إلى شريعة الله العادلة الرحيمة ... اتبعوها تسعدوا فى الدنيا وتفوزوا برضوان الله فى الآخرة . والله ولى التوفيق .

يراجع فى هذا الموضوع :

١ـ فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب .
٢ـ التشريع الجنائى فى الإسلام جـ ١ للشهيد عبد القادر عودة .

---

(١٩) رواه أحمد .

العدالة فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـــا بعـــــد

فيقول الله سبحانه {ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم }[1] {ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا }[2] {ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله }[3] {إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به }[4] {وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى }[5] {لقد أرسلنا رسلنا بالبينـات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط }[6] .

أيها المسلمون : من الآيات السابقة يتقرر مبدأ العدل والمساواة فى

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .
(٢) سورة النساء الآية ١٣٥ .
(٣) سورة المائدة الآية ٨ .
(٤) سورة النساء الآية ٥٨ .
(٥) سورة الأنعام الآية ١٥٢ .
(٦) سورة الحديد الآية ٢٥ .

نظام الإسلام الحنيف .

فقد حرص الإسلام على تقرير المساواة فى أكمل صورها ، وجعلها من العقائد الأساسية التى يجب أن يدين بها كل مسلم ، فقرر أن الناس سواسية بحسب خلقهم الأول ، وعناصرهم الأولى وأن ليس ثمة تفاضل فى إنسانيتهم وإنما يجرى التفاضل بينهم على أسس كفايتهم وأعمالهم ، ومايقدمه كل منهم لربه ونفسه ومجتمعه ، وفى هذا يقول الله سبحانه : { **ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم** }[7] أى إنكم جميعا منحدرون من أب واحد وأم واحدة فلا فضل لأحدكم على الآخر بحسب عنصره وطبيعته ، وإذا كان الله قد جعلكم شعوبا وقبائل فإنه لم يجعلكم كذلك لتفضيل شعب على شعب أو قبيلة على قبيلة وإنما قسمكم هذا التقسيم ليكون ذلك وسيلة للتعارف ، والتمييز والتسمية كشأن الأفراد يحمل كل منهم اسما ليعرف به ويميزه عن سواه ، والتفاضل بينكم فى نظر الله إنما يجرى على أساس أعمالكم ، ومبلغ محافظتكم على حدود دينكم ، ونشر رسالة نبيكم ، فأكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الحكمة من جعلكم شعوبا وقبائل إنها ليست التناحر والخصام ، إنما هى التعارف والوئام ، فأما اختلاف الألسنة والألوان ، واختلاف الطباع والأخلاق واختلاف المواهب والاستعدادات ، فتنوع لا يقتضى النزاع والشقاق ، بل يقتضى التعاون للنهوض بجميع التكاليف ، والوفاء بجميع هذه الحاجات ، وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعانى من حساب فى ميزان الله ، إنما هناك ميزان واحد تتحدد به القيم ، ويعرف به فضل الناس ويظهر { **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** } ... والكريم حقا هو الكريم عند الله ، وهو يزنكم على علم وعن خبرة بالقيم والموازين : { **إن الله عليم خبير** } .

---

(٧) سورة الحجرات الآية ١٣ .

وهكذا تسقط جميع الفوارق وتسقط جميع القيم ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة ، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر ، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر فى الميزان .

وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات فى الأرض ، وترخص جميع القيم التى يتكالب عليها الناس ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون : ألوهية الله للجميع ، وخلقهم من أصل واحد ، كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته : لواء التقوى فى ظل الله . وهذا هو اللواء الذى رفعه الإسلام لينقذ البشرية من عقابيل العصبية للجنس ، والعصبية للأرض ، والعصبية للقبيلة ، والعصبية للبيت . وكلها من الجاهلية وإليها تتزيا بشتى الأزياء ، وتتسمى بشتى الأسماء وكلها جاهلية عارية من الإسلام .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب . ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان** "(٨) .

وقال صلى الله عليه وسلم ـ عن العصبية الجاهلية : " **دعوها فإنها منتنة** "(٩) وهذه هى القاعدة التى يقوم عليها المجتمع الإسلامى . المجتمع الإنسانى العالمى الذى تحاول البشرية فى خيالها المحلق أن تحقق لونا من ألوانه فتخفق ، لأنها لا تسلك إليه الطريق الواحد الواصل المستقيم ... الطريق إلى الله ، ولأنها لاتقف تحت الراية الواحدة المجمعة ... راية الله.

أيها المسلمون : " **لقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر يحتد**

---

(٨) رواه أبوبكر البزار فى مسنده من حديث حذيفة .
(٩) رواه مسلم فى صحيحه من حديث جابر بن عبد الله .

على بلال وهو يحاوره ، ويقول له يابن السوداء ، فشكاه بلال إلى رسول الله فظهرت آثار الغضب الشديد على وجه الرسول صلى الله عليه وسلم وازجه بالخطاب إلى أبى ذر ، وانتهره قائلا ، أعيرته بأمه ؟ : إنك امرؤ فيك جاهلية كلكم بنى آدم . طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى والعمل الصالح . فندم أبو ذر ووضع خده على الأرض وأقسم على بلال أن يطأه بحذائه مبالغة فى التوبة والندم "[١٠] .

أيها المسلمون : ومن مبدأ المساواة بين الناس فى القيمة الإنسانية ينطلق تقرير مبدأ العدل فى نظام الإسلام وشريعته . إن القرآن الكريم هو هداية الله ورحمته للإنسانية ، وهو منهج حياة كامل ، وجه فيما وجه من هداية إلى إقامة العدل والقسط بين الناس . بل لقد بين القرآن الكريم فى وضوح أن الغاية من إرسال الرسل بالبينات إنما يهدف إلى أن يقوم الناس بالقسط فيقول سبحانه { لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط }[١١] إن أهم دعائم السعادة التى يسعى إليها البشر أن يطمئن الناس على حقوقهم ، وأن يستقر العدل فيما بينهم ، ولاشىء أبعث للشقاء والفتن وأنفى للهدوء والاستقرار والاطمئنان بين الأفراد والجماعات من سلب الحقوق واغتيال الأقوياء حقوق الضعفاء ، وتسلط الجبارين على الآمنين المسالمين ومن هنا اهتم كل من سيدنا أبى بكر الخليفة الأول وسيدنا عمر الخليفة الثانى أن يطمئن كل منهما الناس على رعاية حقوقهم .

فقال أبو بكر رضى الله عنه فى أول خطبة له بعد مبايعته بالخلافة : " ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه " وحرص على تكرار هذا المعنى نفسه عمر بن الخطاب فى أول خطبة له بعد توليته الخلافة فقال : " أيها الناس إنه والله ما فيكم أقوى عندى من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندى

(١٠) معناه فى البخارى ومسلم .

(١١) سورة الحديد الآية ٢٥ .

من القوى حتى آخذ الحق منه " .

وجاء فى رسالة عمر إلى أبى موسى الأشعرى حين ولاه القضاء ـ وهى الرسالة التى جمع فيها معظم أحكام الإسلام فى القضاء ـ " آسِ بين الناس في وجهك ، وعدلك ، ومجلسك أى سَوِّ بين المتخاصمين فى جميع الأمور " حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك " ويقول فى وصيته للخليفة من بعده .

" اجعل الناس عندك سواء ، لاتبال على من وجب الحق ، ثم لاتأخذك فى الحق لومة لائم ، وإياك والمحاباة فيما ولاك الله " .

أيها المسلمون : لقد عنى القرآن الكريم بتقرير مبدأ العدل فى مكيِّه ومدنيِّه ، وحذر من مقابله وهو الظلم فى مكيه ومدنيه ، وتوعد الظالمين وأحب المقسطين .

أمر بالعدل أمراً عاما وخاصا ، أمر به أمرا عاما حتى مع الأعداء الذين يحملون لنا ونحمل لهم من البغض والشنآن ماتنوء بحمله القلوب { ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى } [١٢] { إن الله يأمر بالعدل والإحسان } [١٣] { وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل }[١٤] .

أمر بالعدل هكذا أمراً عاما ، بدون تخصيص بنوع دون نوع ولا بطائفة دون طائفة لأن العدل شريعة الله ، والناس عباده وخلقه مستوون أبيضهم وأسودهم ، ذكرهم وأنثاهم ، مسلمهم وغير مسلمهم ، أمام عدله سواء

---

(١٢) سورة المائدة الآية ٨ .
(١٣) سورة النحل الآية ٩٠ .
(١٤) سورة النساء الآية ٥٨ .

{ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين }[١٥] .

ومن هنا جعل القرآن الكريم العدل واسطة حبات العقد الذى كون به لرسوله صلى الله عليه وسلم منهج الدعوة الإصلاحية التى حملها إياه إنقاذا للبشرية من ظلمات الشرك والجهل والبغى والعدوان . يقول الله سبحانه { فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير }[١٦] .

ووضع العدل هكذا ، وجعل إقراره بين الناس هو الهدف من بعث الرسل ، وإنزال الشرائع والأحكام { لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز }[١٧] .

ولقد نرى فى ذكر الحديد ذى البأس الشديد إيحاء إلى أن إقرار العدل واجب إلهى محتم ، للقائمين عليه أن يستعينوا بالقوة إذا دعا الأمر إلى ذلك ، ولقد جاء ذلك واضحاً فى آية أخرى ، يقول الله سبحانه { وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين }[١٨] ولقد قاتل أبو بكر رضى الله عنه مانعى الزكاة لأن الزكاة حق الفقراء فى مال الأغنياء ، ومنها ظلم واعتداء على حق الغير .

أيها المسلمون : ومن حرص الإسلام على إقامة العدل أمر به أمراً

---

(١٥) سورة الممتحنة الآية ٨ .
(١٦) سورة الشورى الآية ١٥ .
(١٧) سورة الحديد الآية ٢٥ .
(١٨) سورة الحجرات الآية ٩.

خاصاً فى كتابة الوثائق التى تحفظ بها الديون ، وتحدد شروط الالتزام بين المتعاملين ، وقد نزلت فى ذلك أطول آية فى القرآن الكريم وهى آية المداينة { ياأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه }[19] وأمر بالعدل فى الشهادة والعدل فيها يتناول أداءها على وجهها دون كتمان أو تحريف ، وأمر الشاهد ألا تنجرف به أية عاطفة عن أداء الشهادة فلا تنجرف به عاطفة القرابة ، وحب النفس ، أو الخوف من الغنى أو الشفقة على الفقير . يقول الله سبحانه : { ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا }[20] .

ثم أمر القاضى بالعدل فى الحكم فقال جل شأنه : { وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل }[21] .

ولا يتحقق العدل إلا بتحكيم شريعة الله عز وجل فى كل شأن من شئون الحياه كبيرها وصغيرها لأن الإسلام منهج حياة كامل .

أيها المسلمون : قد يقول قائل إن المبادىء وحدها ليست دليلا على سمو أمة وإنسانيتها ، ولطالما رأينا أمما تحمل للناس أرفع المبادىء وهى تعيش معهم فى أقساها وأخسها وأبعدها عن الإنسانية والرحمة .

أيها المسلمون : تعالوا بنا نرى تطبيق هذه المبادىء فى المجال العملى . إن التاريخ ينبئنا أن هذه المبادىء كانت منفذة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى عهد الخلفاء الراشدين وفى عهود الإسلام الأخرى حينما كان يعمل بنظام الإسلام .

---

(١٩) سورة البقرة الآية ٢٨٢ .

(٢٠) سورة النساء الآية ١٣٥ .

(٢١) سورة النساء الآية ٥٨ .

ولنبدأ قبل كل شيء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها : " أن قريشا أهمها أمر المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم رسول الله فقال أتشفع في حد من حدود الله : ثم قام خطيبا قال : ياأيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها " [٢٢] .

وحدث مرة أن ولدا لعمرو بن العاص نازع شابا من دهماء المصريين في ميدان السباق في عهد ولاية أبيه على مصر فضرب المصري بالسوط فأقسم المجني عليه ليشكونه إلى عمر فقال له اذهب فلن ينالني من شكواك فأنا ابن الأكرمين فرحل الفتى من مصر إلى الحجاز ورفع شكواه إلى الخليفة فأرسل الخليفة إلى مصر يستدعي الوالي وابنه وجلس للمظالم علانية فقال الشاكي مخاطبا عمر ياأمير المؤمنين إن هذا " وأشار إلى ابن عمرو" ضربني ظلما ولما توعدته بأن أشكوه إليك قال اذهب فأنا ابن الأكرمين فنظر عمر إلى عمرو وقال قولته المشهورة « بم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ » وبعد أن تبين له صدق المصري في دعواه توجه إليه وناوله درَّته وقال له « اضرب بها ابن الأكرمين كما ضربك . » وبعد أن اقتص لنفسه منه طلب منه أمير المؤمنين أن يضرب عمرو بن العاص نفسه الذي اعتز ابنه بجاهه فارتكب ماارتكب ولولا أن الشاب المصري صفح عن عمرو وقال مكتفيا لقد ضربت من ضربني ياأمير المؤمنين لنال والي مصر نفسه سياط واحد من دهمائها عقابا له على استغلال أحد أفراد أسرته لنفوذه وعدم مراقبته لهم .

وحدث أن أحد أعيان الفرس وكان ذميا ، وكانت له ضيعة . تلاصق

(٢٢) رواه البخاري .

ملكا لأمير كان واليا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه . فرأى هذا الأمير أن يغتصب من هذا الدهقان ضيعته ، فشكا إليه ذلك فزجره وأهانه ، وأشارت عليه زوجه أن يستعدى عليه عمر ففعل وارتحل إلى المدينة ، وسأل عن بيت عمر وأرشد إليه ، فإذا عمر جالس على عباءة ممزقة ، فشكا إليه الدهقان مالقيه من عامله فطلب عمر صحيفة وكتب فيها بعض الشيء وأراد خيطا ليلفها به فلم يقدر عليه فمزق قطعة من عباءته ولف بها الصحيفة وناولها الرجل فأخذها وارتحل إلى بلده وأبدى أسفه إلى زوجه لأنه ذهب إلى رجل لايقدر على خيط يشد به صحيفته ، فكيف يستطيع أن يلزم الأمير أمره ؟ فقالت زوجته وماعَلَيك احمل الصحيفة إليه . فحملها فلما فضها الأمير وقرأها تصبب عرقا وقال للدهقان ماذا فعلت ؟ خذ الضيعة . وهنا يحدث الدهقان فيقول : قرأت الصحيفة فإذا فيها " **أنصف فلانا الدهقان من نفسك وإلا فاقبل والسلام** " .

وكانت الدولة الرومانية الشرقية تحرض من كان تحت حمايتها من الأمراء الغساسنة العرب على غزو الجزيرة العربية للقضاء على الدولة الإسلامية فى مهدها ، وكانت الجزيرة فى قلق دائم من توقع هذه الغزوة بين ساعة وأخرى ، ثم بدا للأمير الغسانى (جبلة بن الأيهم) أن ينضوى إلى أبناء قومه العرب ويعتنق الإسلام . ويتخلى عن ملكه فى ظل الدولة الرومانية الشرقية فسر عمر وسر المسلمون بذلك ، واعتبروه كسبا كبيراً للإسلام وكتب عمر إلى جبلة أن أقدم ولك مالنا وعليك ماعلينا ، فقدم جبلة إلى الحجاز فى خمسمائه فارس عليهم ثياب العرش المنسوج بالذهب والفضة ، ولبس تاجه وفيه قرط جدته مارية ، فلم يبق بالمدينة رجل ولا امرأة ولاصبى إلا خرج ينظر إلى الموكب الفخم الذى لاعهد لهم بمثله ، وكان فتحا عظيما للإسلام بغير عناء ، وراحة من قلق ظل يساور الدولة الناشئة عدة سنين .

وحضر جبلة موسم الحج وخرج يطوف بالكعبة ، فوطىء على إزاره رجل

من بنى فزارة فحله ، وكبر الأمر على جبلة فلطم الفزارى فهشم أنفه ، فذهب الفزارى إلى الخليفة يستعديه على الأمير ، فبعث عمر إليه ، فسأله مادعاك ياجبلة أن لطمت أخاك فهشمت أنفه ؟ فاستمع الأمير إلى السؤال وهو يعجب ، وقال إنه وطىء على إزارى فى أثناء طوافى بالبيت فحله ، وإننى قد ترفقت به ، ولولا حرمة البيت لأخذت الذى فيه عيناه . ففى سبيل إحقاق الحق لم يقم عمر وزنا لمكانة جبلة ، ولا لغضبه ، ولا لما يفيده الإسلام من انضوائه هو وقومه تحت لوائه . وقال له إنك قد أقررت ، فإما أن ترضيه وإلا أقدته منك فقال جبلة فى دهشة ، تقيده منى وأنا ملك وهو سوقة ؟ فقال عمر إن الإسلام قد سوى بينكما . فقال جبلة : إننى رجوت أن أكون فى الإسلام أعز منى فى الجاهلية ، فما زاد عمر أن قال هو كذلك فقال جبلة إذن أتنصر . فقال عمر إذن أضرب عنقك . ولولا أن دبر جبلة وسائل الهرب من المدينة لنفذ فيه عمر ماتوعده به .

ولما ولى الخلافة عمر بن عبد العزيز ، وفد إليه قوم من أهل سمرقند فرفعوا إليه أن قتيبة قائد الجيش الإسلامى دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين غدراً بغير حق فكتب عمر إلى عامله هناك أن ينصب لهم قاضيا ينظر فيما ذكروا فإن قضى بإخراج المسلمين من سمرقند أخرجوا فنصب الوالى (جميع بن حاضر الباجى) قاضيا ينظر فى شكواهم ، فحكم القاضى وهو مسلم بإخراج المسلمين على أن ينذرهم قائد الجيش الإسلامى بعد ذلك وينابذهم وفقا لمبادىء الحرب الإسلامية حتى يكون أهل سمرقند على استعداد لقتال المسلمين فلا يؤخذوا بغتة ، فلما رأى ذلك أهل سمرقند رأوا مالا مثيل له فى التاريخ من عدالة تنفذها الدولة على جيشها وقائدها ، قالوا : هذه أمة لاتحارب وإنما حكمها رحمة ونعمة فرضوا ببقاء الجيش الإسلامى ، وأقروا أن يقيم المسلمون بين أظهرهم .

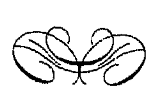
أيها المسلمون : والأمثلة فى تطبيق مبدأ العدالة تطبيقا عمليا فى الدول الإسلامية كثيرة لا يحصيها العد .

أيها المسلمون : روى أبو داود والترمذى واللفظ له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " عدلت شهادة الزور إشراكا بالله تعالى ثم قرأ النبى صلى الله عليه وسلم { فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور } "[٢٣].

وفى صحيحى البخارى ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ثلاثا قلنا بلى يارسول الله ، قال : الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس ، قال : ألا وقول الزور وشهادة الزور فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت "[٢٤].

وفى الحديث القدسى " ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا " .

وروى الطبرانى بإسناد حسن عن الرسول صلى الله عليه وسلم " يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة "[٢٥].



(٢٣) رواه أبو داود والترمذى واللفظ له .
(٢٤) رواه البخارى ومسلم .
(٢٥) رواه الطبرانى بإسناد حسن .

الخطبـة الثانيـة

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـا بعـــد

فيقول الله عز وجل { إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ، واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما ، ولاتجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لايحب من كان خوانا أثيما . يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا . ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا . ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما . ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم ، ومايضرونك من شىء } [٢٦] .

أيها المسلمون : هذه الآيات تحكى قصة لاتعرف لها الأرض نظيراً ،

(٢٦) سورة النساء الآيات من ١٠٥ : ١١٣ .

ولا تعرف لها البشرية شبيها ... وتشهد ـ وحدها ـ بأن هذا القرآن وهذا الدين لا بد أن يكون من عند الله ، لأن البشر ـ مهما ارتفع تصورهم ومهما صفت أرواحهم ، ومهما استقامت طبائعهم ـ لايمكن أن يرتفعوا ـ بأنفسهم ـ إلى هذا المستوى الذى تشير إليه هذه الآيات ؛ إلا بوحى من الله .... هذا المستوى الذى يرسم خطا على الأفق لم تصعد إليه البشرية ـ إلا فى ظل هذا المنهج ـ ولا تملك الصعود إليه أبدا إلا فى ظل هذا المنهج كذلك .

إنه فى الوقت الذى كان اليهود فى المدينة يطلقون كل سهامهم المسمومة ، التى تحويها جعبتهم اللئيمة ، على الإسلام والمسلمين ، والتى حكت سورة النساء وسورة البقرة وسورة آل عمران جانبا منها ومن فعلها فى الصف المسلم ....

فى الوقت الذى كانوا ينشرون فيه الأكاذيب ويؤلبون المشركين ؛ ويشجعون المنافقين ؛ ويرسمون لهم الطريق ؛ ويطلقون الإشاعات ؛ ويضللون العقول ؛ ويطعنون فى القيادة النبوية ؛ ويشككون فى الوحى والرسالة ، ويحاولون تفسيخ المجتمع المسلم من الداخل ؛ فى الوقت الذى يؤلبون عليه خصومه ليهاجموه من الخارج ... والإسلام ناشىء فى المدينة ، ورواسب الجاهلية ما يزال لها آثارها فى النفوس ؛ ووشائج القربى والمصلحة بين بعض المسلمين وبعض المشركين والمنافقين واليهود أنفسهم ، تمثل خطرا حقيقيا على تماسك الصف المسلم وتناسقه . . . .

فى هذا الوقت الحرج ، الخطر ، الشديد الخطورة . . . . كانت هذه الآيات كلها تنزل ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وعلى الجماعة المسلمة ، لتنصف رجلا يهوديا ، اتهم ظلما بسرقة ، ولِتُدين الذين تآمروا على اتهامه ، وهم بيت من الأنصار فى المدينة . والأنصار يومئذ هم عدة

الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجنده فى مقاومة هذا الكيد الناصب من حوله ، ومن حول الرسالة والدين والعقيدة الجديدة . . . أى مستوى من النظافة والعدالة والتسامى ، ثم أى كلام يمكن أن يرتفع ليصف هذا المستوى ؟ وكل كلام ، وكل تعليق ، وكل تعقيب ، يتهاوى دون هذه القمة السامقة ؛ التى لا يبلغها البشر وحدهم بل لا يعرفها البشر وحدهم . إلا أن يقادوا بمنهج الله ، إلى هذا الأفق العلوى الكريم الوضىء .

والقصة التى رويت من عدة مصادر فى سبب نزول هذه الآيات أن نفراً من الأنصار ـ قتادة بن النعمان وعمه رفاعة ـ غزوا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بعض غزواته فسرقت درع لأحدهم ـ (رفاعة) فحامت الشبهة حول رجل من الأنصار من أهل بيت يقال لهم : بنو أبيرق . فأتى صاحب الدرع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال إن طعمة بن أبيرق سرق درعى . (وفى رواية إنه بشير بن أبيرق . . . وفى هذه الرواية : أن بشيراً كان منافقا يقول الشعر فى ذم الصحابة وينسبه لبعض العرب !) فلما رأى السارق ذلك عمد إلى الدرع فألقاها فى بيت رجل يهودى (اسمه زيد بن السمين) . وقال لنفر من عشيرته إنى غيبت الدرع فى بيت فلان وستوجد عنده . فانطلقوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا يانبى الله إن صاحبنا برىء ، وإن الذى سرق الدرع فلان ، وقد أحطنا بذلك علما ، فاعذر صاحبنا على رءوس الناس ؛ وجادل عنه ، فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك . . . . ولما عرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الدرع وجدت فى بيت اليهودى ، قام فبرأ ابن أبريق وعذره على رءوس الناس ، وكان أهله قد قالوا للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل ظهور الدرع فى بيت اليهودى ـ إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت . قال قتادة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فكلمته فقال " عمدت إلى أهل بيت يذكر منهم إسلام وصلاح وترميهم بالسرقة على غير ثبت ولا بينة " ؟ قال فرجعت ، ولوددت أنى خرجت من بعض

مالى ولم أكلم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ذلك فأتانى عمى رفاعة فقال ياابن أخى ما صنعت ؟ فأخبرته بما قال لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال الله المستعان .... فلم نلبث أن نزلت : { **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولاتكن للخائنين خصيما** } ـ أى بنى أبيرق ـ وخصيما أى مدافعا ومحاميا ومجادلا عنهم { **واستغفر الله** } أى مما قلت لقتادة { **إن الله كان غفورا رحيما** } . وهذا لون من العتاب لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من رب العزة سبحانه ـ فلما نزل القرآن أتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالسلاح فرده إلى رفاعة .... قال قتادة : لما أتيت عمى بالسلاح ـ وكان شيخا قد عمى ـ أو عشى فى الجاهلية ، وكنت أرى إسلامه مدخولا ، فلما أتيته بالسلاح قال : ياابن أخى هى فى سبيل الله فعرفت أن إسلامه كان صحيحا " .

أيها المسلمون : إن المسألة لم تكن مجرد تبرئة برىء تآمرت عليه عصبة لتوقعه فى الاتهام ـ وإن كانت تبرئة برىء أمراً هائلا ثقيل الوزن فى ميزان الله ـ إنما كانت أكبر من ذلك . كانت هى إقامة الميزان الذى لا يميل مع الهوى ، ولامع العصبية ، ولا يتأرجح مع المودة والشنآن أيا كانت الملابسات والأحوال .

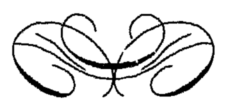
وكانت المسألة هى تطهير هذا المجتمع الجديد ، وعلاج عناصر الضعف البشرى فيه مع علاج رواسب العصبية الجاهلية . وإقامة هذا المجتمع الجديد الفريد فى تاريخ البشرية على القاعدة الطيبة النظيفة الصلبة المتينة ، التى لا تدنسها شوائب الهوى والمصلحة والعصبية والتى لاتترجرج مع الأهواء والميول والشهوات .

فإلى عدالة الإسلام أيها المسلمون ، إلى تحكيم شريعته ، إلى إقامة

منهجه ، إلى النظافة والطهر والبعد عن الهوى تسعدوا فى الدنيا ، وتفوزوا برضوان الله فى الآخرة . والله ولى التوفيق .

يراجع فى هذا الموضوع :

١ـ الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت .
٢ـ حقوق الإنسان فى الإسلام للدكتور على عبد الواحد وافى .
٣ـ اشتراكية الإسلام لفضيلة الدكتور مصطفى السباعى .



الأخوة فى نظام الإسلام الحنيف

نحمد الله تبارك وتعالى حمداً كثيراً طيبا مباركا فيه ونشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له ، أمرنا بالاعتصام بحبله ، وألف بين قلوبنا بفضله ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل أنبيائه وخاتم رسله جمع الناس على التقوى وأقام أمته على روح الإخاء صلى الله عليه وعلى آله وصحابته المتحابين فى الله المتجالسين فى الله ومن تبعه بإحسان واهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمــا بعـــــد

فيقول الله سبحانه { والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض }[1] { إنما المؤمنون إخوة }[2] { واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا }[3] .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لا تباغضوا ولاتحاسدوا ولاتدابروا ولاتقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا ، ولايحل

---

(١) سورة التوبة الآية ٧١ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٠ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٣ .

لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث "[٤]

وعنه قال : " والذى نفسى بيده لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولاتؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم "[٥] .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله عنه كما يكره أن يقذف فى النار "[٦] .

أيها المسلمون : بهذه الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة يربى الإسلام الحنيف أبناءه على الأخوة ، ويطبعهم بطابع الحب فى الله ، ويوجههم إلى الاعتصام بحبله ، ويبعدهم عن أسباب الشقاق والفرقة . { واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا }[٧] .

ولقد فهم المسلمون الأولون هذا المعنى الأخوى وأملت عليهم عقيدتهم فى دين الله أخلد عواطف الحب والتآلف وأنبل مظاهر الأخوة والتعارف فكانوا رجلا واحداً ويداً واحدة حتى امتن الله عليهم بذلك فى كتابه { وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم }[٨] وإن ذلك المهاجرى الذى كان يترك أهله ويفارق أرضه فى مكة ويفر بدينه كان يجد أمامه أبناء الإسلام من فتيان يثرب ، وكلهم شوق إليه وسرور بمقدمه وماكان بينهم سابق معرفة ولا قديم

(٤) متفق عليه .
(٥) رواه مسلم .
(٦) متفق عليه .
(٧) سورة آل عمران الآية ١٠٣ .
(٨) سورة الأنفال الآية ٦٣ .

صلة ، وماربطهم به وشيجة صهر أو عمومة ، وما دفعهم إليه غاية أو منفعة وإنما هى عقيدة الإسلام جعلتهم يحنون إليه ويتصلون به ويعدونه جزءا من أنفسهم وشقيقا لأرواحهم ، وما هو إلا أن يصل المسجد حتى يلتف حوله الغر الميامين من الأوس والخزرج ، وكلهم يدعوه إلى بيته ، ويؤثره على نفسه ، ويفديه بروحه وعياله ، ويتشبث بمطلبه حتى يؤول الأمر إلى الاقتراع حتى روى البخارى مامعناه " ما نزل مهاجرى على أنصارى إلا بقرعة " وحتى خلد الإسلام ذلك الفضل أبد الدهر فما يزال يبدو غرة مشرقة فى جبين السنين فى قول الله تبارك وتعالى : { **والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ، ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** }[٩] .

وعلى هذا درج أبناء الإسلام ممن وجدت بينهم الأخوة الإيمانية لا فرق بين مهاجريهم وأنصاريهم ، ولا بين مكيهم ومدنيهم حتى أثنى الرسول الكريم على الأشاعرة من أهل اليمن بقوله صلى الله عليه وسلم : " **إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو وفنى زادهم أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية ، فهم منى وأنا منهم** " .

ولما كان عام المجاعة فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل إلى ولاة الأمصار ليمدوه بالطعام والأموال فأرسل له كل وال ماستطاع إرساله ، وكان يوزع الطعام على الناس بالسواء ، ومما أثر عنه فى تلك المحنة قوله لو امتدت المجاعة لوزعت كل جائع على بيت من بيوت المسلمين فإن الناس لايهلكون على أنصاف بطونهم ، ولكن الله كشف المحنة وعاد الرخاء بعد ذلك إلى البلاد .

---

(٩) سورة الحشر الآية ٩ .

وأنت إذا قرأت القرآن الكريم ، وطالعت سير الغر الميامين أبناء هذا الدين رأيت من ذلك ما يقر عينك ، ويملأ سمعك وقلبك .

أيها المسلمون : ولعل من أسرار الإخاء الإسلامى أن الله سبحانه تولاه بنفسه ، ولم يربطه بمصالح دنيوية زائلة ، ولا رده إلى اعتبارات متغيرة باختلاف الزمان والمكان ، وذلك ليبرز فى هذا الإخاء طابع الاستمرار والخلود فإن إحساس المسلم بالأخوة لا يقتصر على أبناء جيله فحسب وإنما يتجاوزه إلى السلف الصالح فيحس برابطة علوية تجمعه بهم ، وتشده إليهم يرمز إلى ذلك دعاؤه المستمر لهم ويشير إلى ذلك القرآن الكريم { **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم** }[10] بل إن إحساسه بأخيه ليفر به إلى غمار المستقبل ليجسد له علاقته بالأجيال القادمة فى ضمير الغيب فيحاول كذلك أن يصنع من نفسه قدوة لمن يأتى بعده ويعنى بالنابتة الجديدة من أبناء الإسلام ، ذلك ليكون الخلف على هدى السلف ، ويكمل الخلف ما بدأه السلف ، وهكذا يصبح تاريخ الأمة فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها وحدة متصلة الحلقات يوثق ما بين حلقاتها أخوة هى من صنع الله ، وحب هو نعمة من الله ، ولعل مما يشير إلى ذلك قول الله عز وجل { **وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** }[11] وقول الرسول : " **وددت لو رأيت إخوانى قيل أو لسنا إخوانك يارسول الله ، قال بل أنتم أصحابى ولكن إخوانى قوم يأتون بعدى يؤمنون بى ولم يرونى** " .

أيها المسلمون : من أجل المحافظة على رباط الأخوة الإسلامية أمر الحق سبحانه جماعة المؤمنين أن يجعلوا من أنفسهم جماعة متابعة تراقب

(١٠) سورة الحشر الآية ١٠ .
(١١) سورة المؤمنون الآية ٥٢ .

العلاقات الاجتماعية الأخوية ، وتوفر لها ما يلزمها من الصفاء الدائم والصحة التامة ، فإذا ما حدث أمر يهدد أخوة المجتمع من خلاف بين أفراده ، أو نزاع على شأن من الحياة ، وجب على كل فرد أن يهب ليصلح ما طرأ على العلاقات ، ويذود عنها العطب والتلف من أجل سلامة إيمان المؤمنين ، ومن أجل سلامة المجتمع وصيانة الدماء ، وهكذا عقب الله على وصف مجتمع المؤمنين بالأخوة بالأمر بالإصلاح . { إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم }[١٢] بل لقد أمر الله باتخاذ إجراءات وقائية أخلاقية تحفظ على المؤمنين أخوتهم فنهى عن مقارفة أى أمر يمكن أن يوهن هذه الرابطة ، أو يضعف تلك العلاقة . نهى عن سخرية الأخ من أخيه وعن التجسس عليه وعن غيبته وعن همزه ولمزه وعن سوء الظن وعن توجيه الشتائم والسباب إليه يقول الله بعد أن ذكر المؤمنين بأخوتهم والأمر بالإصلاح بينهم .

{ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولاتلمزوا أنفسكم ، ولاتنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم }[١٣] { ويل لكل همزة لمزة }[١٤].

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : " والله لايؤمن والله لايؤمن والله لا يؤمن قيل من يارسول الله ؟ قال الذى لا يأمن جاره بوائقه " وقال : " من غشنا فليس منا " " لايبع بعضكم على بيع أخيه ، ولايخطب على خطبته " " سباب

---

(١٢) سورة الحجرات الآية ١٠ .
(١٣) سورة الحجرات الآيتان ١١ ، ١٢ .
(١٤) سورة الهمزة الآية ١.

المسلم فسوق وقتاله كفر " " ولاتناجشوا " .

بل إن الإسلام ليوجه إلى الأمور الإيجابية التى توثق روابط الحب وتقضى على أسباب البغض ، فيوجه إلى حسن معاملته ، يقول الرسول "تهادوا تحابوا " " ألا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم " " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة وكان الله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة " " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" " مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر " والله يقول { والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض }(١٥) .

والأخ فى إحساسه برقابة الله - يرعى أخاه موجودا وغائبا ، وهو يحفظه فى نفسه وماله وعرضه لأنه يعد ذلك واجبه الذى تفرضه الأخوة فى الدين ، ولأنه سوف ينال على ذلك جزاء طيبا { يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وماعملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا }(١٦) .

أيها المسلمون : لقد قامت الأخوة فى نظام الإسلام على أساس من القيم الأخلاقية التى ساعدت قوانينه وتشريعاته فى كثير من المواقف .

أيها المسلمون : هذه هى رابطة الإخاء فى الإسلام وهذه هى دعائمها واضحة الحدود قوية التأثير قادت من قبل جموع المسلمين إلى النصر فى الدنيا وإلى رضوان الله فى الآخرة ، وهى أيضا كفيلة أن تقودكم فى مواجهة التحديات من حولكم إلى النصر الحاسم على قوى الشر والبغى والعدوان ، كما تضمن لكم الأمن النفسى وثواب الله ، فاتقوا الله

(١٥) سورة التوبة الآية ٧١ .
(١٦) سورة آل عمران الآية ٣٠ .

وتمسكوا بحبال الأخوة فيما بينكم ، وأوفوا بواجباتها من أجل الدين ، ومن أجل رضوان الله أولا وأخيرا .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم " أن رجلا زار أخا له فى قرية ، فأرصد الله على مدرجته ملكا فلما أتى عليه قال أين تريد؟ قال أريد أخا لى فى هذه القرية قال هل لك عليه من نعمة تربها[١٧] قال لا غير أنى أحببته فى الله قال فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته "[١٨] .

وروى عن ذر بن حبيش قال أتينا صفوان بن عسال المرادى فقال أزائرين ؟ قلنا نعم فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من زار أخاه المؤمن خاض فى الرحمة حتى يرجع "[١٩] .

" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "[٢٠] .

" والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم "[٢١] .



---

(١٧) تربها : تقوم بإصلاحها وتنهض بسبب ذلك .
(١٨) رواه مسلم .
(١٩) رواه الطبرانى فى الكبير .
(٢٠) رواه البخارى ومسلم .
(٢١) رواه مسلم .

الخطبـة الثانيـة

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـا بعـد

فياأيها المسلمون : هذه الأخوة الإسلامية أثمرت ثمرتين لابد لنا أن نجليهما ونتحدث عما فيهما من حلاوة ولذة وخير وفائدة .

فأما الأولى فقد أنتجت هذه العقيدة أن الاستعمار الإسلامى لم يشبه استعماراً فى التاريخ أبداً فى غايته ولا فى مسلكه وإدارته ولا فى نتائجه وفائدته ، فإن الفاتح المسلم . إنما كان يفتح الأرض حين يفتحها ليعلى فيها كلمة الحق ، وينير أفقها بسنا القرآن الكريم ، فإذا أشرقت على أهلها شمس الهداية المحمدية فقد زالت الفوارق ومحيت المظالم ، وشملها العدل والإنصاف والحب والإخاء ، ولم يكن هناك فاتح غالب ، وخصم مغلوب ، ولكن إخوان متحابون متآلفون ، وهنا تذوب فكرة القومية ، وتنجاب كما ينجاب الثلج سقطت عليه أشعة الشمس قوية مشرقة أمام فكرة الأخوة الإسلامية التى يبثها القرآن فى قلوب من يتبعونه جميعا .

إن الفاتح المسلم قبل أن يغزو من غزا ، ويغلب من غلب ، قد باع نفسه وأهله ، وتجرد من عصبيته وقوميته فى سبيل الله ، فهو لا يغزو لعصبية ، ولا يغلب لقومية ، ولا ينتصر لجنسية ، لكنه يعمل حين يعمل لله بل لله وحده لا شريك له .

إن ذلك المغلوب الذى شاء له القدر أن يسعد بالإسلام ويهتدى بهديه ما ترك بلده وأرضه لأجنبى عنه يتحكم فيها ويسخره تسخير العبيد ويستأثر دونه بخيراتها ، لكنه ترك ما ترك لأخ يخلطه بنفسه ، ويمزجه بروحه ، ويناديه بإخلاص لك مالنا وعليك ما علينا وكتاب الله يفصل بيننا كلاهما فنى فى غايته ، وضحى فى سبيل مبدئه ، وترك ماترك ليعم الإنسانية نور الله ، وتسطع عليها شمس القرآن الكريم ، وأما الثمرة الثانية . فإن الأخوة الإسلامية جعلت كل مسلم يعتقد أن إقليما من الأرض فيه إخوة يدينون بدين القرآن الكريم قطعة من الأرض الإسلامية التى يفرض الإسلام على كل أبنائه أن يعملوا لحمايتها ، وإسعادها فكان عن ذلك أن اتسع أفق العالم الإسلامى ، وسما عن حدود الوطنية الجغرافية ، والوطنية الدموية إلى وطنية المبادئ السامية والعقائد الخالصة الصحيحة ، والحقائق التى جعلها الله للعالم نوراً ، والإسلام حين يشعر أبناءه بهذا المعنى يفرض عليهم فريضة لازمة أن يعملوا لحماية أرض الإسلام ، وتخليصها من أيدى الغاصبين ، وحفظها من مطامع المعتدين .

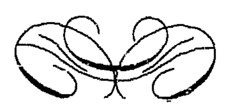
ولقد حاول المستعمر الغاصب وأعداء الإسلام أن يجعلوا من كل إقليم من أقاليم الدولة الإسلامية الواحدة دولة مستقلة ، بل لقد حاول أن يبث سمومه فى هذه الدويلات فزكى أن يكون لكل منها نظام اجتماعى . فدولة ديمقراطية ودولة تقدمية ، ودولة اشتراكية ليوسع الهوة بين هذه الدويلات ، وليضرب بعضها ببعض ، ويقضى بذلك على معنى الأخوة الإسلامية الذى يربط بينها ، فتكون كل دولة لقمة سائغة يسهل ابتلاعها كما نرى الآن .

أيها المسلمون : لا يبدد ظلام هذه الأنظمة إلا الالتجاء إلى نظام الإسلام الحنيف الذى يؤاخى بين المسلمين جميعا ، والذى يوحد بينهم بتشريعاته الحقة ، وعقائده الصحيحة .

أيها المسلمون : إلى الأخوة الإسلامية ، إلى الحب فى الله تسعدوا في الدنيا وتفوزوا برضوان الله ونعيمه فى الآخرة والله ولى التوفيق .

يراجع فى هذا الموضوع :

١. رسائل الإمام الشهيد حسن البنا .
٢. خطب الجمعة والعيدين " موضوع الأخوة " للأستاذ الدكتور/ عبد الصبور شاهين



سبعة يظلهم الله فى ظله
يوم لاظل إلا ظله

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعـــد

فعن أبى هريرة رضى الله عنـه عن النبى صلى الله عليـه وسلم أنه قال : " سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ، الإمام العادل ، وشاب نشأ فى عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق فى المساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه "[1] .

أيها المسلمون : هذا الحديث الشريف يحكى لنا إكرام الله عز وجل يوم القيامة لطوائف من المؤمنين حيث يشتد الهول ، ويعظم الكرب ، ويصل رشح عرق بعض الناس إلى آذانهم يكرم الله هذه الطوائف فى ظل عرشه يوم لاظل إلا ظله من هؤلاء الطوائف الإمام العادل .

---

(١) رواه البخارى .

الطائفة الأولى : الإمام العادل

أئمة العدل وولاته هم الذين تؤمن بهم السبل ، ويستقيم بهم العالم ، ويستنصر بهم الضعيف ، ويذل بهم الظالم ، ويأمن بهم الخائف ، وتقام بهم الحدود ، ويدفع بهم الفساد ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقام بهم حكم الكتاب والسنة ، وتطفأ بهم نيران البدع والضلالة ، هؤلاء الذين تنصب لهم المنابر من النور عن يمين الرحمن عز وجل يوم القيامة ، فيكونون عليها كما جاء فى الحديث الذى رواه مسلم " **إن المقسطين عند الله على منابر من نور يوم القيامة عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهلهم وما ولوا** "[٢] .

وجاء فى فضلهم كذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم " **إن أحب الخلق إلى الله وأقربهم منه منزلة يوم القيامة إمام عادل وإن أبغض الخلق إلى الله وأبعدهم منزلة يوم القيامة إمام جائر** "٠

وكما كان فى ظل عدلهم فى الدنيا كانوا فى ظل عرش الرحمن يوم القيامة ظلا بظل جزاءً وفاقا ، ولو لم يكن من فضلهم وشرفهم إلا أن أهل السموات والأرض يصلون عليهم ، ويستغفرون لهم ، ويدعون لهم ، وولاة الظلم يلعنهم من فى السموات والأرض حتى الدواب والطير ، كما أن معلم الناس الخير يصلى الله عليه وملائكته ، وكاتم العلم والهدى الذى أنزله الله ، وحامل أهله على كتمانه يلعنه اللهُ وملائكتُهُ ويلعنه اللاعنون.

هؤلاء الولاة العادلون يكونون فى هذه المنزلة يوم القيامة ، بينما الولاة الظلمة قد صهرهم الحر وقد بلغ منهم العرق مبلغه وهم يحملون أثقال مظالمهم العظيمة على ظهورهم الضعيفة فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .

---

(٢) رواه مسلم .

فيالها من منقبة ومرتبة ما أجلها وأشرفها ؟ أن يكون الوالى والإمام على فراشه ، ويعمل بالخير ، وتكتب الحسنات فى صحائفه ، فهى متزايدة مادام يعمل بعدله ، ولَساعة واحدة منه خير من عبادة أعوام[٣] من غيره ، فأين هذا من الغاش لرعيته الظالم لهم قد حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار ، ويكفى فى فضل وشرف الإمام العادل أن يكف عن الله دعوة المظلوم فقد جاء فى الآثار { أيها الملك المسلط المغرور إنى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكنى بعثتك لتكف عنى دعوة المظلوم فإنى لا أحجبها ولو كانت من كافر) فأين من هو نائم وأعين الناس ساهرة تدعو له وآخر أعينهم ساهرة تدعـو عليه .

تنام عينك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لا تنم

ولما ولى عمر بن العزيز الخلافة كتب إلى الحسن البصرى أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل فكان مما كتب إليه :.

" اعلم يا أمير المؤمنين أن الله تعالى جعل الإمام العـادل قـوام كـل مائل ، وقصد كل حائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف " .

والإمام العادل ياأمير المؤمنين كالراعى الشفيق ، الحازم الرفيق الذى يرتاد لماشيته أطيب المراعى ، ويذودها عن مراتع الهلكة ، ويحميها من السباع ، ويكنها من أذى الحر والقر .

والإمام العادل ياأمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده يسعى لهم

(٣) وقد جاء فى الحديث الذى رواه الطبرانى بإسناد حسن " يوم من إمام عادل خير من عبادة ستين سنة "

صغاراً ، ويعلمهم كباراً ، ويكسب لهم في حياته ، ويدخر لهم بعد مماته .

والإمام العادل يأمير المؤمنين هو القائم بين يدى الله وبين عباده يسمع كلام الله . ويسمعهم ، وينظر إلى الله ويريهم ، وينقاد إلى الله ، ويقودهم إليه .

واعلم يأمير المؤمنين أن الله أنزل القصاص حياة لعباده فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم " .

والطائفة الثانية : شاب نشأ فى عبادة ربه

ومن الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله الشباب الذين ينشأون فى عبادة الله .

" وشاب نشأ فى عبادة ربه " الشباب قوة ، والشباب فتوة ، وذلك يدعو إلى الانطلاق فى اتباع الشهوات والهوى فإذا كبت الشاب داعى الهوى والغواية ، واعتصم بالله وبكتابه ، واستقام على أمره جنت أمة الإسلام منه الخير الكثير إذ إن الشباب هم أقوى الناس على تحمل أعباء الجهاد والدفاع ، وهم أقدر الناس على التحرك بدعوة الله ، وهم أقدر الناس على القيام بشئون العبادة ، وعمارة الأرض . فدعوة الإسلام تحتاج إلى الإيمان بها ، وتوفر الإخلاص فى سبيلها ، وازدياد الحماس لها ، والتضحية والعمل لتحقيقها ، وتكاد تكون هذه الأركان الأربعة ، من الإيمان والإخلاص ، والحماسة والعمل من خصائص الشباب .

لأن أساس الإيمان القلب الذكى ـ وأساس الإخلاص القلب النقى ، وأساس الحماسة الشعور القوى ، وأساس العمل الحزم الفتى ، وهذه كلها لاتكون إلا للشباب ، ومن هنا كان الشباب قديما وحديثا فى كل أمة ـ

عماد نهضتها ، وفى كل نهضة سر قوتها ، وفى كل دعوة حامل لوائها { إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى }[٤] ، ومن هنا كرم الإسلام الشاب الناشىء فى عبادة الله ؛ وعبادة الله هى تنفيذ جميع محابه من الاستقامة التامة على شريعته واتباعه لها ، ودعوة الناس إليها ، والتضحية فى سبيلها .

وواجب الأمة أن تعنى بتربية الشباب ، وتنشئته تنشئة صالحة على مبادىء الإسلام وأخلاقه وآدابه ، وتزويده بالمعارف الكونية المختلفة التى تيسر سبل الحياة ، وتعمق معرفته بالله ، والتى تقوى بدنه وتجعل منه شابا صالحاً . يفوز بتلك المنقبة والمرتبة عند الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله .

والطائفة الثالثة : " ورجل قلبه معلق فى المساجد "

المساجد بيوت الله ، وأماكن عبادته وذكره ، وهى خير البقاع ، يكرم الله عمارها وزُواره فيها ويثيب على الخُطَا إليها ، ويعطى الثواب الجزيل على صلاة الجماعة فيها { فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة . ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار }[٥] .

ففيها يتعلم المسلم أحكام دينه وتعاليمه وأخلاقه ، ولقد كانت المساجد ولاتزال مبعث النور والهداية ومكان التربية الحقة . فيها تغرس فى نفس المؤمن معانى الخشية والمراقبة ، وتزكو روحه ، ويطهر قلبه ، فإذا خرج منها سلم المسلمون من لسانه ويده ، وكان الفرد الصالح الذى يمنح مجتمعه

---

(٤) سورة الكهف الآية ١٣ .

(٥) سورة النور الآيتان ٣٦ ، ٣٧ .

مما عنده ويأخذ بيده إلى مبادئ الحق والخير ، فيها يتدرب على ألوان من النظام والمساواة ، فيها يشعر بفقره إلى الله ، الكل يرفع يديه بالدعاء والطلب رافعا حاجته إلى الله فى ذل وانكسار وخشوع { **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد** }[6]. فيها يلتقى أهل الحى خمس مرات فى اليوم ، فيتعارفون ، ويتشاورون فيما يعود عليهم بالخير دنيا وآخرة . ومن هنا كانت الشهادة لرواد المساجد بالإيمان يقول صلى الله عليه وسلم " **إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان** " .

الطائفة الرابعة : رجلان تحابا فى الله

ورجلان تحابا فى الله عز وجل اجتمعا عليه وتفرقا عليه .

الإسلام دين الأخوة الصادقة ، ودين المحبة والتآلف { **لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم** }[7] لم تجمعهما منافع دنيوية ولم يجمعهما وشيجة قربى أو صهر لكنهما اجتمعا من أجل الحب فى الله ، ومن أجل نصرة دينه ، والعمل على نشر رسالته ، وتفرقا من أجل ذلك فهم فى ظل العرش يوم القيامة ، وهم على منابر من نور . لايحزنون إذا حزن الناس ، ولا يخافون إذا خاف الناس " **المتحابون بجلالى فى ظل عرشى يوم لا ظل إلا ظلى** "[8] .

يقول أحد الصالحين (الحب فى الله ـ لاتصاحبه فى السراء وتتركه فى الضراء ـ الحب فى الله أن تنصحه إذا أخطأ ولاتتركه يهلك ، الحب فى الله أن تحسن إليه ـ الحب فى الله ألا تغزى جسمه)

---

(٦) سورة فاطر الآية ١٥ .

(٧) سورة الأنفال الآية ٦٣ .

(٨) رواه أحمد بإسناد جيد .

الطائفة الخامسة : رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله

أيها المسلمون : " الدين الإسلامى يربى أتباعه على الطهارة والعفة والنقاء والمحافظة على العرض ، ويرفع من قدر المتطهرين { **والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما** }[9] { ***إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين*** }[10].

فإذا ما يسرت للمسلم سبل الغواية ، ودعت إليها الدواعى والمغريات رأى برهان[11] ربه ، وسطع نور الهداية فى فؤاده ، وذكر نظر الله إليه ورقابته له فامتنع خوفا من الله ورغبة فيما عنده ، وبرز أمامه هذا المثل الحى لنبى من أنبياء الله الكرام صلوات الله عليهم أجمعين ـ حينما راودته امرأة العزيز عن نفسه ـ { **وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون** }[12] .

فما بال أقوام يعملون ليل نهار ، وصباح مساء على إشاعة الفاحشة بوسائل الإعلام وغيرها ـ فى صفوف المسلمين ، ولا يخافون عذاب الله ولا يرهبون سلطانه وقد هددهم وأنذرهم بقوله سبحانه { **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لاتعلمون** }[13] .

---

(٩) سورة الأحزاب الآية ٣٥ .
(١٠) سورة البقرة الآية ٢٢٢
(١١) برهان ربه أى حجته الباهرة الدالة على قبح الزنا وسوء سبيله . والمراد برؤيته لها إيقانه بها .
(١٢) سورة يوسف الآية ٢٣ . (١٣) سورة النور الآية ١٩ .

الطائفة السادسة : رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه .

الإسلام أيها المسلمون دين التكافل الاجتماعى يرحم غنيه فقيره يمد له يد المساعدة إذا احتاج ، والله عز وجل يرفع من قدر المتصدق ويزيده رفعة وكرامة ، إذا هو راعى شعور الفقير ، وبخاصة الذين لا يسألون الناس إلحافا فالكثير منهم يجرحه العطاء العلنى ـ هذه ناحية والناحية الثانية الموجبة للمتصدق المخفى صدقته أن عمله يكون بعيداً عن الرياء الذى يحبط الثواب { فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا }[١٤] ويقول الله عز وجل فى ثواب الصدقة { مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم }[١٥] . { إن تبدو الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير }[١٦] .

والرسول يقول : " إن الصدقة تطفىء غضب الرب وتدفع ميتة السوء "[١٧] .

الطائفة السابعة : رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه

أيها المسلمون : كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ، والمسلم يغسل خطأه بدمعه من خشية الله وفى الحديث « عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله " .

أيها المسلم : لتكن لك لحظات كل يوم تجلسها خاليا ـ لتكون بعيداً عن مظاهر الرياء ـ تجلسها مع الله تذكره ، وتبكى على خطيئتك ، تحظى

(١٤) سورة الكهف الآية ١١٠ .
(١٥) سورة البقرة الآية ٢٦١ .
(١٦) سورة البقرة الآية ٢٧١ .
(١٧) رواه الترمذى وحسنه .

بكرامة الله ، وتكون من الذين يستظلون بظله يوم لا ظل إلا ظله .

أيها المسلم : لقد كان الرسول وصحابته يخشون الله وتفيض أعينهم بالدمع فى السر والعلن وكان أبو بكر بكَّاء ، وكان علىّ بكَّاء .

فقد ورد عن ضرار الصدائى فى وصف علىّ كرم الله وجهه « يستوحش من الدنيا وزخرفها ، ويأنس بالليل ووحشته ، وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقعه ، وقد أرخى الليل سدوله وغابت نجومه واقفًا فى محرابه يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين ، ويقول يادنيا غرى غيرى » .

وقبض مالك بن دينار ليلة على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك على النار. إلهى قد علمتَ ساكن الجنة من ساكن النار فأى الرجلين مالك وأى الدارين دار مالك اللهم حرم شيبة مالك على النار فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » .

الخطبـــة الثانيـــة

بعد حمد الله عز وجل والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـــا بعـــد

فياأيها المسلمون : لقد كان عمر رضى الله عنه يمر بالآية من ورده بالليل فيتأثر بها ويحسب فى المرضى .

وقد روى عن بعض السلف أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين (إن لى عباداً من عبادى يحبونى وأحبهم ، ويشتاقون إلىّ وأشتاق إليهم ويذكرونى وأذكرهم ... وينظرون إلىّ وأنظر إليهم ، فإن حذوت طريقهم أحببتك ، وإن عدلت عنهم مقتك ، قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى الشفيق غنمه ... ويحنون إلى غروب الشمس كما يحن الطائر إلى وكره عند الغروب ... فإذا جنهم الليل ، واختلط الظلام ، وفرشت الفرش ، ونصبت الأسرة ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، نصبوا إلىّ أقدامم ، وافترشوا إلىّ جباههم ، وناجونى بكلامى ، وتملقوا إلىّ بإنعامى ، فمن صارخ وباك ومن متأوه وشاك ، ومن قائم وقاعد ، ومن راكع وساجد . بعينى ما يتحملون من أجلى ، وبسمعى ما يشكون من حبى . أول ما أعطيهم ثلاث : الأولى أقذف فى قلوبهم من

نورى فيخبرون عنى كما أخبر عنهم . والثانية : لو كانت السموات والأرض فى موازينهم لاستقللتها لهم . والثالثة : أقبل عليهم بوجهى فترى من أقبلت عليه هل يعلم أحد ما أريد أن أعطيه) .

أيها المسلمون : وأختم ما تقدم بإعادة الحديث فأقول : « **سبعة**[18] **يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلا ظله ، الإمام العادل ، وشاب نشأ فى عبادة ربه ، ورجل قلبه معلق فى المساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه** » .

أيها المسلمون : إلى اتباع توجيهات الإسلام إلى العدل إلى تنشئة الشباب فى عبادة الله إلى العفة والطهارة إلى البكاء على الخطيئة . تسعدوا فى الدنيا ، وتفوزوا بدار المقامة فى الآخرة .

والله ولى التوفيق .

يراجع فى هذا الموضوع :

١ـ فتح البارى فى شرح صحيح البخارى .
٢ـ رسالة الإمام الشهيد ـ الشباب .

---

(١٨) جاء فى بعض الآثار أن الله يظل كذلك فى ظله يوم لا ظل إلا ظله . ـ١ـ الغازى . ـ٢ـ المجاهد . ـ٣ـ من أنظر معسراً والوضيعة عنه . ـ٤ـ إرفاد القادم . ـ٥ـ عون المكاتب . ـ٦ـ التاجر الصدوق .

الخلق فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله عز وجل والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعـــد

فيقول الله سبحانه : { ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم }[1] .

{ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين }[2] .

{ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم }[3] { وإنك لعلى خلق عظيم }[4] { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم }[5] { لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة }[6] .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »

---

(١) سورة فصلت الآية ٣٤ .
(٢) سورة آل عمران الآيتان ١٣٣ ، ١٣٤ .
(٣) سورة النور الآية ٢٢ .
(٤) سورة القلم الآية ٤ .
(٥) سورة التوبة الآية ١٢٨ .
(٦) سورة الأحزاب الآية ٢١ ..

وسئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت « كان خلقه القرآن »

ويقول صلوات الله وسلامه عليه « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » « إن المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم »[7].

أيها المسلمون : بهذه الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة يتقرر عناية الإسلام بالأخلاق ، ويوجه إلى التحلى بالخلق الفاضل ، والتخلى عن الخلق الذميم .

بل إن الغاية الأساسية لنظام الإسلام هى إتمام مكارم الأخلاق كما ورد فى الحديث ، وفى قول عائشة « كان خلقه القرآن » والقرآن الكريم هو المصدر الأول للرسالة الإسلامية .

وإن العبادات التى شرعت فى الإسلام واعتبرت أركانا فى الإيمان به هى تمارين متكررة لتعويد المرء أن يحيا بأخلاق عظيمة وأن يظل مستمسكا بهذه الأخلاق مهما تغيرت الظروف والملابسات ، والقرآن الكريم والسنة المطهرة يكشفان بوضوح عن هذه الحقائق .

فالصلاة الواجبة عند أمر الله بها أبَانَ الحكمة من إقامتها فقال { وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء }[8] فالإبعاد عن الرذائل والتطهير من سوء القول وسوء العمل هو حقيقة الصلاة ، وقد جاء فى حديث يرويه النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه « إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقى ، ولم يبت مصرا على معصيتى ، وقطع النهار فى

---

(٧) رواه أبو داود .

(٨) سورة العنكبوت الآية ٤٥ .

ذكرى ، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب »[٩] .

والزكاة المفروضة ليست ضريبة تؤخذ من الجيوب فحسب بل هى أولا غرس لمشاعر الحنان والرأفة ، وتوطيد لعلاقات التعارف والألفة من شتى الطبقات ، وقد نص القرآن الكريم عن الغاية من إخراج الزكاة بقوله { خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها }[١٠] .

فتنظيف النفس من أدران النقص والتسامى بالمجتمع إلى مستوى أنبل هو الحكمة الأولى .

ومن أجل ذلك وسع النبى صلى الله عليه وسلم فى دلالة كلمة الصدقة التى ينبغى أن يبذلها المسلم فقال « تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة ، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وإفراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة ، وبصرك للرجل الردىء البصر لك صدقة »[١١]

وكذلك شرع الإسلام الصوم فلم ينظر إليه على أنه حرمان مؤقت من بعض الأطعمة والأشربة ، بل اعتبره خطوة إلى حرمان النفس دائما من شهواتها المحظورة ونزواتها المنكورة .

وإقراراً لهذا المعنى قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه »[١٢] .

وقال « ليس الصيام عن الأكل والشرب ، إنما الصيام من اللغو والرفث » .

---

(٩) رواه البزار .

(١٠) سورة التوبة الآية ١٠٣ .

(١١) رواه البخارى .

(١٢) رواه البخارى .

والقرآن الكريم يذكر ثمرة الصوم بقوله { **كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** }[13] .

وقد يحسب الإنسان أن السفر إلى البقاع المقدسة الذى كُلِّفَ به المستطيع واعتبر من فرائض الإسلام على بعض أتباعه رحلة مجردة عن المعانى الخلقية . وهذا خطأ ؛ إذ يقول الله تعالى فى الحديث عن هذه الشعيرة : { **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج** }[14] .

بل إن فى الحج تدريب عملى على السلم وعدم الاعتداء فقد أمر الله فيه عدم الاعتداء ولو على الحيوان البرى { **وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما** }[15] فإذا ما دخل الحرم كان سلما حتى على الشجر " لا يعضد شجرة ، ولا يختلى خلاه " وهذا تدريب مكانى على السلم وهناك فى نظام الإسلام تدريب عملى زمانى على السلم كذلك ، فالمسلمون ممنوعون عن القتال فى الأشهر الحرم إلا إذا اعتدى عليهم فيها بقول الله سبحانه : { **إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم** .... }[16] الآية .

هذا عرض مجمل لبعض العبادات التى اشتهر بها الإسلام ، وعرفت على أنها أركانه الأصيلة نستبين منه الأواصر التى تربط الدين بالخلق ، إنها عبادات متباينة فى جوهرها ومظهرها ، ولكنها تلتقى عند الغاية التى رسمها الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » .

---

(13) سورة البقرة ١٨٣ .
(14) سورة البقرة الآية ١٩٧ .
(15) سورة المائدة الآية ٩٦ .
(16) سورة التوبة الآية ٣٦ .

فالصلاة والصيام والزكاة والحج وما أشبه هذه الطاعات من تعاليم الإسلام هى مدارج الكمال المنشود وروافد التطهير الذى يصون الحياة ، ويعلى شأنها ـ ولهذه السجايا الكريمة ـ التى تُرْبط بها وتنشأ عنها أعطيت منزلة كبيرة فى دين الله . فإذا لم يستفد المرء من هذه العبادات ما يزكى قلبه وينقى لبه ، ويهذب بالله وبالناس صلته فقد هوى .

قال الله تعالى : { إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ، ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ، جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى }[١٧] .

فالعبادات فى الإسلام ليست انعزالا عن الحياة وبعداً عن معاركها بل هى مصلحة وموجهة لها فى وجهتها الصحيحة .

أيها المسلمون : يربط الإسلام دائما بين الإيمان والخلق ، فكمال الخلق يدل على قوة الإيمان ، وضعف الخلق يدل على ضعف الإيمان ، ومن ثم فإن الله عندما يدعو عباده إلى خير وينفرهم من شر ـ يجعل ذلك مقتضى الإيمان المستقر فى قلوبهم وما أكثر ما يقول فى كتابه { يا أيها الذين آمنوا .... } ثم يذكر بعد ذلك ما يكلفهم به . { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا }[١٨] { يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون }[١٩] { ياأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها }[٢٠] { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين }[٢١] { يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن }[٢٢] ..... إلخ . وقد وضع صاحب

(١٧) سورة طه الآيات ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ .
(١٨) سورة الأحزاب الآية ٧٠ .
(١٩) سورة المائدة الآية ٩٠ .
(٢٠) سورة النور الآية ٢٧ .
(٢١) سورة التوبة الآية ١١٩ .
(٢٢) سورة الحجرات الآية ١١ .

الرسالة ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن الإيمان القوى يلد الخلق القوى حتما ، وأن انهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان أو فقدانه بحسب تفاقم الشر أو تفاهته .

فالرجل الصفيق الوجه المعوج السلوك الذى يقترف الرذائل غير آبه لأحد . يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى وصف حاله " الحياء والإيمان قرناء جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر "[٢٣] والرجل الذى ينكب جيرانه ويرميهم بالسوء يحكم عليه الدين حكما قاسيا فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن قيل من يارسول الله قال الذى لايأمن جاره بوائقه "[٢٤] ونجد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما يعلم أتباعه الإعراض عن اللغو ومجانبة الثرثرة والهذر يقول : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت "[٢٥] .

والحكم على مقدار روعة السلوك يرجع إلى مسبار لا يخطىء وهو الخلق العالى . وفى هذا ورد عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أن رجلا قال له يا رسول الله إن فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذى جيرانها فقال هى فى النار » ثم قال يارسول الله « إن فلانة تذكر من قلة صلاتها وصيامها ، وأنها تتصدق بالأثوار[٢٦] من الأقط ، ولا تؤذى جيرانها قال هى فى الجنة » .

إن الإيمان والصلاح والأخلاق عناصر متلازمة لا يستطيع أحد تمزيق عراها ، لقد سأل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه يوماً « أتدرون من

---

(٢٣) رواه الطبرانى .

(٢٤) رواه البخارى ، وبوائقه شروره وآثامه .

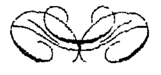
(٢٥) رواه البخارى .

(٢٦) الأثوار من الأقط القطع من الجبن أو اللبن المجفف .

المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار »[٢٧] ذلك هو المفلس .

فإذا نمت الرذائل فى النفس ، وفشا ضررها انسلخ المرء من دينه كما ينسلخ العريان من ثيابه ، فما قيمة دين بلا خلق ، وما معنى الإفساد مع الانتساب إلى الله .

وتقريرا لهذه المبادئ الواضحة فى صلة الإيمان بالخلق القويم يقول النبى صلى الله عليه وسلم :- « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صلى وصام وحج واعتمر وقال إنى مسلم إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان »[٢٨]
وقال كذلك : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر »[٢٩] .



(٢٧) رواه مسلم .
(٢٨) رواه مسلم .
(٢٩) رواه البخارى .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين .

أما بعد

فياأيها المسلمون : ليست الأخلاق فى الإسلام من مواد الترف التى يمكن الاستغناء عنها بل هى لب الدين ، وأصول الحياة التى يرتضيها الدين ويحترم ذويها .

وقد أحصى الإسلام الفضائل ، وحث أتباعه على التمسك بها واحدة واحدة .

ولو جمعنا أقوال صاحب الرسالة ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى التحلى بالأخلاق الفاضلة الزاكية لخرجنا بسفر لا يعرف مثله لعظيم من أئمة الإصلاح ، ونحن نذكر طرفا من دعوته الحارة إلى محاسن الأخلاق ومحامد الشيم . فعن أسامة بن شريك قال : « **كنا جلوسا عند النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كأنما على رءوسنا الطير ما يتكلم منا متكلم إذ جاءه أناس فقالوا من أحب عباد الله إلى الله ؟ قال أحسنهم خلقا** »[3] وعن عبد

(٣) رواه الطبرانى .

الله به عمرو قال : سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبركم بأحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة ؟ فأعادها مرتين أو ثلاث ـ قالوانعم يا رسول الله ـ قال أحسنكم خلقا ». وقال : « ما من شئ أثـقل فـى ميـزان المؤمـن يوم القيامة من خلق حسـن وإن الله يكـره الفاحش البذئ ، وإن صاحب الخلق الحسن ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة » (٣١)

فإلى نظام الإسلام الحنيف ، إلى شريعته السمحة ، إلى الأخلاق الفاضلة ، إلى الصدق ، إلى الصبر ، إلى الوفاء بالعهد ، إلى الأمانة ، إلى الطهر والنقاء ، إلى التخلى عن الأخلاق الذميمة ، تسعدون فى الدنيا وتفوزون برضوان الله فى الآخرة .

والله ولى التوفيق ،،

يراجع فى هذا الموضوع :

ـ خلق المسلم لفضيلة الشيخ محمد الغزالى .

---

(٣١) رواه أحمد .

الأمانة فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعـــد

فيقول الله سبحانه : { ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون }[1] { إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل }[2] { فليؤد الذى اؤتمن أمانته وليتق الله ربه }[3] { والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون }[4] .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صلى وصام وحج واعتمر وقال إنى مسلم إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان "[5] . وعن أنس قال : " ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال : لاإيمان لمن لا أمانة له ، ولادين لمن لاعهد له "[6] وقال صلوات الله وسلامه عليه : « من استعمل رجلا على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » .

---

(١) سورة الأنفال الآية ٢٧ .
(٢) سورة النساء الآية ٥٨ .
(٣) سورة البقرة الآية ٢٨٣ .
(٤) سورة المعارج الآية ٣٢ .
(٥) رواه مسلم .
(٦) رواه أحمد .

أيها المسلمون : بهذه الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة يتقرر خلق الأمانة فى نظام الإسلام الحنيف ، وقد بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليتمم مكارم الأخلاق .

أيها المسلمون : الإسلام يرقب من معتنقه أن يكون ذا ضمير يقظ تصان به حقوق الله وحقوق الناس ، وتحرس به الأعمال من دواعي التفريط والإهمال ، ومن ثم أوجب على المسلم أن يكون أمينا ، والأمانة فى نظر الإسلام واسعة الدلالة ، وهى ترمز إلى معان شتى مناطها جميعا شعور المرء بتبعته فى كل أمر يوكل إليه ، وإدراكه الجازم بأنه مسئول عنه أمام ربه على النحو الذى فصله الحديث الكريم .

" كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته "[٧] قال ابن عمر راوى الحديث ـ سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأحسبه قال : **" الرجل فى مال أبيه راع وهو مسئول عن رعيته "** .

والعوام من الناس يقصرون الأمانة فى أضيق معانيها وآخرها ترتيبا وهو حفظ الودائع مع أن حقيقتها فى دين الله أضخم وأثقل إنها الفريضة التى يتواصى المسلمون برعايتها ويستعينون بالله على حفظها حتى إنه عندما يكون أحدهم على أهبة سفر يقول له أخوه : « **أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك** "[٨] . وعن أنس قال : **" ما خطبنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا قال : لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له "** .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فى حياته الأولى قبل

---

(٧) رواه البخارى .

(٨) رواه الترمذى .

البعثة يلقب بالأمين . وكذلك شوهدت مخايل الأمانة على موسى حين سقى لابنتى الرجل الصالح ، ورفق بهما واحترم أنوثتهما ، وكان معهما عفيفا شريفا . { فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنى لما أنزلت إلىّ من خير فقير . فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين . قالت إحداهما ياأبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين }[٩].

وقد حدث هذا قبل أن ينبأ موسى ، ويرسل إلى فرعون . ولاغرو فرسل الله يختارون من أشرف الناس طباعا ، وأزكاهم معادن { الله أعلم حيث يجعل رسالته }[١٠] .

والنفس التي تظل معتصمة بالفضيلة على شدة الفقر ، ووحشة الغربة هى لرجل قوى أمين ، والمحافظة على حقوق الله ، وحقوق العباد تتطلب خلقا لا يتغير باختلاف الأيام من بؤس ونعم ، وذلك جوهر الأمانة .

ومن معانى الأمانة وضع الشىء فى المكان الجدير به ، فلا يسند منصب إلا لصاحبه الحقيق به ، ولاتملأ وظيفة إلا بالرجل الذى ترفعه كفايته إليها .

واعتبار الولايات والأعمال العامة أمانات مسئولة ثابت من وجوه كثيرة فعن أبى ذر قال : « قلت يارسول الله ألا تستعملنى ؟ قال : فضرب بيده على منكبى ، ثم قال : ياأبا ذر : إنك ضعيف ، وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها »[١١]

(٩) سورة القصص الآيات ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .
(١٠) سورة الأنعام الآية ١٢٤ .
(١١) رواه مسلم .

إن الكفاية العلمية والعملية ليست لازمة لصلاح النفس فقد يكون الرجل رضى السيرة حسن الإيمان لكنه لا يحمل من المؤهلات المنشودة ما يجعله منتجا فى وظيفة معينة .

ألا ترى إلى يوسف الصديق إنه لم يرشح لإدارة شئون المال بنبوته وتقواه فحسب ، بل بحفظه ، وعلمه أيضا { قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم }(١٢) .

وأبو ذر لما طلب الولاية لم يره الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ جلداً لها فحذره منها والأمانة تقضى بأن نصطفى للأعمال أحسن الناس قياما بها فإذا ملنا عنه إلى غيره ـ لهوى أو رشوة أو قرابة ـ فقد ارتكبنا بتنحية القادر ، وتولية العاجز جناية فادحة ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من استعمل رجلا على عصابة ، وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين »(١٣) .

والأمة التى لاأمانة فيها . هى الأمة التى تعبث فيها الشفاعات بالمصالح المقررة . وتطيش بأقدار الرجال الأكفاء لتهملهم ، وتقدم من دونهم ، ولقد أرشدت السنة إلى أن هذا من مظاهر الفساد الذى سوف يقع آخر الزمان . " جاء رجل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ متى الساعة ؟ فقال له إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال : وكيف إضاعتها قال إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة "(١٤).

ومن معانى الأمانة أن يحرص المرء على أداء واجبه كاملا فى العمل الذى يناط به ، وأن يستنفذ جهده فى إبلاغه تمام الإحسان ـ أجل إنها

(١٢) سورة يوسف الآية ٥٥ .

(١٣) رواه الحاكم .

(١٤) رواه البخارى .

لأمانة يمجدها الإسلام ، أن يخلص الرجل لشغله وأن يعنى بإجادته ، وأن يسهر على حقوق الناس التى وضعت بين يديه ـ فإن استهانة الفرد بما كلف به يستتبع شيوع التفريط فى أمور الأمة كلها ، ثم استشراء الفساد فى كيان الأمة وتداعيه برمته .

وخيانة هذه الواجبات تتفاوت إثما ونكراً ـ وأشدها شناعة ما أصاب الدين وجمهور المسلمين ، وتعرضت البلاد لأذاه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – " **إذا جمع الله بين الأولين والآخرين بيوم القيامة ، يرفع لكل غادر لواء فيقال هذه غدرة فلان** "[١٥] " **لكل غادر لواء عن إسته يرفع بقدر غدرته الا ولا غادر أعظم من أمير عامة** " .

أى ليس أعظم خيانة ولا أسوأ عاقبة من رجل تولى أمور الناس فنام عنها حتى أضاعها .

ومن الأمانة ألا يستغل الرجل منصبه الذى عين فيه لجر منفعة إلى شخصه أو قرابته أو أصدقائه .

فإن التشبع من المال العام جريمة ، والمعروف أن الحكومات أو الشركات تمنح مستخدميها أجوراً مغنية فمحاولة التزيد عليها بالطرق الملتوية هى أكتساب للسحت . قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم « **من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك فهو غلول** »[١٦] لأنه اختلاس من مال الجماعة الذى ينفق فى حقوق الضعفاء والفقراء ويرصد للمصالح الكبرى { **ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون** }[١٧] وأما الذى يلتزم حدود الله فى وظيفته فهو عند الله من المجاهدين لنصرة دينه وإعلاء كلمته .

(١٥) رواه البخارى .
(١٦) رواه أبو داود .
(١٧) سورة آل عمران الآية ١٦١ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **العامل إذا استعمل فأخذ الحق وأعطى الحق لم يزل كالمجاهد فى سبيل الله حتى يرجع إلى بيته** »[١٨] .

وقد شدد الإسلام فى ضرورة التعفف عن استغلال النفوذ وشدد فى رفض المكاسب المشبوهة . استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ رجلا من الأسد يقال له ابن اللّتبية على الصدقة فلما قدم بها قال هذا لكم وهذا أهدى إلىَّ قال راوى الحديث . فقام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « **أما بعد فإنى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله ـ فيأتى فيقول هذا لكم وهذا هدية أهديت إلى . أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقا . والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه إلا جاء يحمله يوم القيامة فلا أعرفن أحدا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رؤى بياض إبطيه يقول اللهم هل بلغت** »[١٩] .

ومن معانى الأمانة . أن تنظر إلى حواسك التى أنعم الله بها عليك وإلى المواهب التى خصك الله بها ، وإلى ما حبيت من أموال وأولاد فتدرك أنها ودائع الله الغالية عندك ، فيجب أن تسخرها فى قرباته ، وأن تستخدمها فى مرضاته . فإن امتحنت بنقص شىء منها فلا يستخفنك الجزع متوهما أن ملكك المَحْضَ قد سلب منك فإن الله أولى بك منك وأولى بما أفاض عليك « وله ما أخذ وله ما أعطى ! وإن امتحنت ببقائها فما ينبغى أن تجبن بها عن جهاد أو تفتن بها عن طاعة أو تستقوى بها على معصية قال الله عز وجل : { **يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** }[٢٠] .

---

(١٨) رواه الطبرانى .

(١٩) رواه مسلم .

(٢٠) سورة الأنفال الآية ٢٧ .

ومن معانى الأمانة أن تحفظ حقوق المجالس التى تشارك فيها فلا تدع لسانك يفشى أسرارها ، فكم من حبال تقطعت ، ومصالح تعطلت لاستهانة بعض الناس بأمانة المجلس ، وذكرهم ما يدور فيه من كلام منسوب إلى قائله أو غير منسوب : قال صلى الله عليه وسلم « **إذا حدث رجل رجلا بحديث ثم التفت فهو أمانة** »[٢١] .

وحرمات المجالس تصان مادام الذى يجرى فيها مضبوطا بقوانين الأدب وشرائع الدين ، وإلا فليست لها حرمة .

وعلى كل مسلم شهد مجلسا يمكر فيه المجرمون بغيرهم ليلحقوا به الأذى أن يسارع إلى الحيلولة دون الفساد جهد طاقته ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « **المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس . مجلس سفك دم حرام ، أو فرج حرام ، أو اقتطاع مال بغير حق** »[٢٢] .

وللعلاقات الزوجية فى نظر الإسلام قداسة فما يضمه البيت من شئون العشرة بين الرجل وامرأته يجب أن يطوى فى أستار مسبلة فلا يطلع عليه أحد مهما قرب .

والسفهاء من العامة يثرثرون بما يقع بينهم وبين أهليهم من أمور فيها وقاحة حرمها الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها** »[٢٣] .

---

(٢١) رواه أبو داود .
(٢٢) رواه أبو داود .
(٢٣) رواه مسلم .

« **إن من أشر الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها** »[٢٤] .

والودائع التى تدفع إلينا لنحفظها حينا ثم نردها إلى ذويها حين يطلبونها هى من الأمانات التى نُسأل عنها .

وقد استخلف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند هجرته ابن عمه على بن أبى طالب ليسلم المشركين الودائع التى استحفظها ، مع أن هؤلاء المشركين كانوا بعض الأمة التى استنفرته من الأرض ؛ واضطرته إلى ترك وطنه فى سبيل عقيدته .

قال ميمون بن مهران « ثلاثة يؤدين إلى البر والفاجر ، الأمانة ، والعهد ، وصلة الرحم » .

وعن عبد الله بن مسعود قال « القتل فى سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة قال يؤتى بالرجل يوم القيامة ـ وإن قتل فى سبيل الله ـ فيقال أد أمانتك فيقول : أى رب كيف وقد ذهبت الدنيا ؟ فيقال انطلقوا به إلى الهاوية ، وتمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت إليه فيراها فيعرفها ، فيهوى فى إثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه حتى إذا ظن أنه خارج زلت عن منكبيه ، فهو يهوى فى أثرها أبد الآبدين ، ثم قال الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة ، وأشياء عددها ، و أشد ذلك الودائع : قال راوى الحديث فأتيت البراء بن عازب فقلت ألا ترى إلى ما قال ابن مسعود قال صدق سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : { **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** }[٢٥] .

---

(٢٤) رواه مسلم .
(٢٥) سورة النساء الآية ٥٨ .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعـــــد

فياأيها المسلمون : إن الأمانة فضيلة ضخمة لا يستطيع حملها الرجال المهازيل وقد ضرب الله المثل لضخامتها فأبان أنها تثقل كاهل الوجود كله ، فلا ينبغي للإنسان أن يستهين بها أو يفرط فى حقها . قال تعالى : { إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها ، وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا . ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما }(٢٦) .

والظلم والجهل آفتان عرضتا للفطرة الأولى وبلى الإنسان بجهادهما فلن يخلص له إيمان إلا إذا أنقاه من الظلم { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم }(٢٧) .

---

(٢٦) سورة الأحزاب الآيتان ٧٢ ، ٧٣ .
(٢٧) سورة الأنعام الآية ٨٢ .

ولن تخلص له تقوى إلا إذا أنقاها من الجهالة { **إنما يخشى الله من عباده العلماء** }[٢٨] .

ولذلك بعد أن تقرأ الآية التى حملت الإنسان الأمانة تجد أن الذين غلبهم الظلم والجهل ، خانوا ونافقوا وأشركوا فحق عليهم العذاب ـ ولم تكتب السلامة إلا لأهل الإيمان والسلامة { **ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما** }[٢٩] .

أيها المسلمون : روى المؤرخون عن عمر بن عبد العزيز أن زوجته فاطمة قالت دخلت يوماً عليه وهو جالس فى مصلاه ، واضعا خده على يده ودموعه تسيل على خديه فقلت مالك ، فقال ويحك يافاطمة لقد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت ففكرت فى الفقير الجائع ، والمريض الضائع والعارى المجهود ، واليتيم المكسور ، والأرملة الوحيدة ، والمظلوم المقهور ، والغريب الأسير ، والشيخ الكبير ، وذوى العيال الكثير والمال القليل ، وأشباههم فى أقطار الأرض وأطراف البلاد وقلت إن ربى عز وجل سيسألنى عنهم يوم القيامة ، وأن خصمى دونهم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فخشيت ألا تثبت لى حجة عند خصومته فرحمت نفسى فبكيت .

وقال عبد الله بن دينار خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى مكة فعرسنا فى بعض الطريق فانحدر بنا راع من الجبل ، فقال يا راعى بعنى شاة من هذه الغنم . فقال : إنى مملوك . فقال له اختباراً له : ـ قل لسيدك أكلها الذئب فقال الراعى : فأين الله ؟ .

---

(٢٨) سورة فاطر الآية ٢٨ .

(٢٩) سورة الأحزاب الآية ٧٣ .

فبكى عمر ثم غدا مع المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه . وقال عَتَقْتُكَ فى الدنيا هذه الكلمة . وأرجو أن تعتقك من النار يوم القيامة .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الذروة فى أداء الأمانات وبخاصة ما يتعلق بأداء رسالة الله عز وجل وتبليغها والجهاد فى سبيلها . أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة ، وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك .

أيها المسلمون : ويشعر عمر بن الخطاب بالمسئولية وأمانة الحكم فيقول والله لوعثرت بغلة بالعراق لو جدتنى مسئولا عنها لِمَ لَمْ أسَوِّ لها الطريق . وكان يقول : إن هذا المال مال الله والله ليصلن لكل إنسان قسمه منه وهو يرعى فى غنمه .

انظروا إلى هذه المرأة المسلمة التى حفظت زوجها المجاهد فى سبيل الله فى نفسها وكانت تقول :

لقد طال هذا الليل واسود جانبه	وأرقنى ألا حبيب أداعبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه	لحرك من هذا السرير جوانبه .

وفى معركة القادسية عثر أحد أفراد الجيش الإسلامى ـ وقد كان مسكينا فقيرا ـ على صندوق به جواهر غالية فدفعه إلى قائده فعجب من أمانته مع فقره ! وقال له ماسمك ؟ حتى أذكرك لعمر فيعطيك ويثنى عليك أمام الناس . فغضب الجندى وقال : لو أردت عمر ما رأيته أنت ولا عمر والله يقول : { **إن الله لا يحب الخائنين** } [٣٠] { **وأن الله لا يهدى كيد الخائنين** }[٣١] { **إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما** }[٣٢] { **إن الله لا يحب كل**

---

(٣٠) سورة الأنفال الآية ٥٨ .
(٣١) سورة يوسف الآية ٥٢ .
(٣٢) سورة النساء الآية ١٠٧

خوان كفور) .

فدعا له بخير وأرسل الجواهر بحقها إلى عمر فلما وقف سيدنا عمر على الخبر قال أشكر الله أن جعل فى جيشى مثل هذا الأمين فقال له أحد الحاضرين عففت فعفوا ولو رتعت لرتعوا .

ولما حمل إلى عمر الكثير من غنائم كسرى قال : " إن قوما أدوا هذا لذووا أمانة "

وكان عمر يقول بئس الوالى أنا إن شبعت وجاع الناس "

رأى فتاة تتمايل من الجوع ، فقال من هذه ؟ فقال ابنه عبد الله هذه بنتى قال فما بالها ؟ قال إنك تحبس عنا مافى يدك فيصيبنا ماترى ، فقال ياعبد الله بينى وبينك كتاب الله ، والله ماأعطيتكم إلا مافرض لكم أتريدون أن أعطيكم ماليس لكم فأعود خائنا وكان نَقْشُ خاتمه كفى بالموت واعظا ياعمر .

أيها المسلمون إلى أخلاق الإسلام ، إلى الفضيلة ، إلى البعد عن الرذيلة ، إلى أداء الأمانات تسعدوا فى الدنيا وتفوزوا بالنعيم المقيم فى الآخرة .

والله ولى التوفيق .

يراجع فى هذا الموضوع
« خلق المسلم » لفضيلة الشيخ محمد الغزالى .

الصدق فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعـد

فيقول الله سبحانه : { ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين }[1] { فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم }[2] .

وممن أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما جاء قوله سبحانه { والصادقين والصادقات }[3] ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر والبر يهدى إلى الجنة ، ومايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، ولا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا "[4] " من سأل الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه "[5].

---

(١) سورة التوبة الآية ١١٩ .
(٢) سورة محمد الآية ٢١ .
(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٥ .
(٤) رواه البخارى .
(٥) رواه مسلم .

" البيعان بالخيار مالم يتفرقا . فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما " وفى رواية " اليمين الفاجرة منفقة للسلعة ممحقة للبركة "[٦]!!

أيها المسلمون : إن الله خلق السموات والأرض بالحق ، وطلب من الناس أن يبنوا حياتهم على الحق . فلا يقولوا إلا حقا ولايعملوا إلا حقا .

وحيرة البشر وشقوتهم ، ترجع إلى ذهولهم عن هذا الأصل الواضح وإلى تسلط أكاذيب وأوهام على نفوسهم وأفكارهم ، أبعدتهم عن الصراط المستقيم .

ومن هنا دعا الإسلام إلى الصدق وجعله فضيلة من فضائله ، وكان الاستمساك به فى كل شأن وتحريه فى كل قضية والمصير إليه فى كل حكم دعامة ركينة فى خلق المسلم ، وصبغة ثابتة فى سلوكه والإسلام لاحترامه ـ الشديد للحق ـ طارد الكذابين وشدد عليهم بالنكير . عن عائشة أم المؤمنين قالت : " ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الكذب ، ما اطلع على أحد من ذلك بشىء فيخرج من قلبه حتى يعلم أنه قد أحدث توبة "[٧] .

ولاغرو فلقد كان السلف الصالح يتلاقون على الفضائل ، ويتعارفون بها ، وكانت المعالم الأولى للجماعة المسلمة صدق الحديث ، ودقة الأداء ، وضبط الكلام أما الكذب والإخلاف والتدليس والافتراء فهى أمارات النفاق وانقطاع الصلة بالدين .

---

(٦) رواه أحمد .

(٧) رواه أحمد .

أيها المسلمون : قد يتبادر إلى الذهن أن المراد بالصدق هو الصدق فى القول فحسب ، ولكن الصدق فى نظام الإسلام يتناول الصدق فى القول ، والصدق فى العقيدة ، والصدق فى النية ، فى أعمال القلوب ، والصدق فى العمل .

أما الصدق فى القول فهو أن يتحرى المسلم الصدق فيما يخبر ، وبذلك تسير مصالح الناس فى مسارها الصحيح ، وعلى المسلم أن يبعد نفسه عن الكذب حتى لاتنهار مصالح الناس وتتعرض للضياع .

فالصدق فى القول أساس سمو المجتمع وارتقائه ، وأساس صلاح أحوال الفرد وفلاحه ومنجاته .

فالتاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين يوم القيامة والكذب فى البيع من أشنع أنواع الكذب ، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : **" البيعان بالخيار مالم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما ، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما "** .

كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت كاذب .

ومن الصدق فى القول الصدق فى أداء الشهادة ، فالمسلم لا يبالى إذا قام لشهادة أن يقرر الحق ولو على أدنى الناس منه وأحبهم إليه ، لا تميل به قرابة ، ولا عصبية ، والله تعالى يقول: { **ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا** }[8] والحيف فى الشهادة من أشنع

(٨) سورة النساء الآية ١٣٥ .

أنواع الكذب والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : " ألا أنبئكم عن أكبر الكبائر ـــ ثلاثا ـــ ؟ قلنا بلى يارسول الله . قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس وكان متكئا فجلس وقال : ألا وقول الزور . ألا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت " .

إن التزوير كذب كثيف الظلمات إنه لا يكتم الحق فحسب بل يمحقه ليثبت مكانه الباطل وخطره على الأفراد فى القضايا الخاصة وعلى الأمة فى القضايا العامة شديد مبيد ومن ثم خوّف الرسول منه على هذا النحو الصارخ .

وعلى أرباب الحرف والصناعات أن يجعلوا من كلمتهم قانونا مرعى الجانب يقفون عنده ، ويتمسكون به ؛ فإن ديننا جعل الوعود الكاذبة أمارة النفاق " آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان "

وقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقدس الكلمة التى يقول ، ويحترم الكلمة التى يسمع حتى قبل أن يرسل إلى الناس .

عن عبد الله بن أبى الحمساء قال : " بايعت رسول الله ببيع قبل أن يبعث ، فبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها فى مكانه فنسيت ثم ذكرت ذلك بعد ثلاثة فجئت فإذا هو فى مكانه فقال يافتى أنا ههنا منذ ثلاثة أنتظرك "(٩) .

كان يحضر فى الموعد المضرب بينهما .

فالوعود الكاذبة ليست كاملة تذهب سدى ، ولكنها خرق للمصالح وإضرار بالناس ، وإهدار للأوقات ، وليس صدق الوعد خلة تافهة ولكنها محمدة ذكرها الله فى مناقب النبوة { واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه

(٩) رواه أبو داود .

كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا)[10] .

وكان إسماعيل أصدق الناس وعداً حين قال لأبيه (ستجدنى إن شاء الله من الصابرين)[11] .

والإسلام يوصى أن نغرس فضيلة الصدق فى نفوس الأطفال حتى يشبوا عليها وقد ألفوها فى أقوالهم وفى أحوالهم كلها فعن عبد الله بن عامر قال : " دعتنى أمى يوما ورسول الله قائم بيننا فقالت : تعال أعطك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأردت أن تعطيه ؟ قالت تمرا . فقال لها أما إنك لو لم تعطيه شيئا كتبت عليك كذبة "[12] .

وعن أبى هريرة قال : " من قال لصبى تعال هاك ثم لم يعطه فهي كذبة "[13] .

فانظر أيها المسلم كيف يعلم الرسول - صلى الله عليه وسلم - الأمهات والآباء أن ينشئوا أولادهم تنشئة يقدسون فيها الصدق ويتنزهون عن الكذب ولو أنه تجاوز عن هذه الأمور وحسبها من التوافه الهينة لخشى أن يكبر الأطفال وهم يعتبرون الكذب ذنبا صغيراً ، وهو عند الله عظيم . ولقد مشت الصرامة فى تحرى الحق ورعاية الصدق حتى الشئون المنزلية الصغيرة .

عن أسماء بنت يزيد قالت يارسول الله إن إحدانا تقول للشىء تشتهيه لا أشتهيه يعد ذلك كذبا ؟ قال إن الكذب يكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة .

---

(١٠) سورة مريم الآية ٥٤ .
(١١) سورة الصافات الآية ١٠٢ .
(١٢) رواه أبو داود .
(١٣) رواه أحمد .

والكذب فى دين الله من أقبح المنكرات ، وأول ذلك نسبة شيء إلى الله أو إلى رسوله لم يقله "إن كذبا على ليس ككذب على أحد من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" .

والصدق فى العقيدة ينتظم فى الصدق فى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر إيمانا لا يتطرق إليه الشك والله يقول : { إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون }[١٤] .

والنفاق أساسُه الكذب فى العقيدة ، وهو أفحش أنواع الكذب ولذلك كان المنافق فى الدرك الأسفل من النار فهو يخفى الكذب ويظهر الإيمان والله يقول : { إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار }[١٥] ولا يجتمع كذب وإيمان . سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم "أيكون المؤمن جبانا ؟ قال نعم . قيل له أيكون المؤمن بخيلا ؟ قال نعم . قيل له أيكون المؤمن كذابا ؟ قال لا "[١٦] .

والصدق فى النية إخلاص العمل لله فلا يرائى المسلم بعمله والله يقول { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء }[١٧] والرسول يقول : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى "[١٨] .

ومن هنا يقول ابن القيم إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان صادقا صوابا فالصدق إخلاص النية لله ، وصوابه أن يكون صحيحا من الناحية الشرعية الصدق فى العمل أداء الأعمال كما طلبها الله فتكاليف الله ألوان من البر يجب على المؤمن أن يصدق فيها بفعلها على الوجه

---

(١٤) سورة الحجرات الآية ١٥ .
(١٥) سورة النساء الآية ١٤٥ .
(١٦) رواه مالك .
(١٧) سورة البينة الآية ٥ .
(١٨) رواه البخارى .

المشروع يقول الله سبحانه : { ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة ، والكتاب ، والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون }[١٩] .

{ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون }[٢٠].

الصادق مع الله مطلوبه رضاء ربه وتنفيذ أوامره ، وتتبع محابه ، فهو متقلب فيها يسير معها حيث توجهت ركائبها و يستقل معها حيث استقلت مضاربها ، فهو فى صلاة ثم فى ذكر ، ثم فى حج ، ثم فى إحسان للخلق بالتعليم وغيره من أنواع النفع ، ثم فى أمر بمعروف أو نهى عن منكر ، ثم فى جهاد فى سبيل الله بالدعوة إلى دينه أو بالدفاع عنه وعن مقدساته ، ثم بالقيام بعمل من أعمال الحياة يكسب به رزقه بالسعى فى مناكب الأرض ، إلى غير ذلك من أنواع القرب ، فهو فى تفرق دائم لله ، وجمعية على الله ، يقول الله سبحانه { ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين }[٢١] توجيها للذين تخلفوا عن رسول الله فى غزوة تبوك بغير عذر . يقول { من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا }[٢٢] .

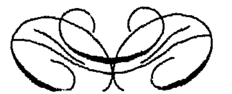
أيها المسلمون : يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " إن كذبا على ليس ككذب على أحد ؛ فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " قال النبى صلى الله عليه وسلم : " رأيت الليلة رجلين أتيانى قالا لى الذى

---

(١٩) سورة البقرة الآية ١٧٧ .
(٢٠) سورة الحجرات الآية ١٥ .
(٢١) سورة التوبة الآية ١١٩ .
(٢٢) سورة الأحزاب الآية ٢٣ .

رأيته يشق شدقه فكذاب ، يكذب الكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به هكذا حتى يوم القيامة " .

ويقول " ثلاث لا يدخلون الجنة ، الشيخ الزانى ، والإمام الكذاب ، والعائل المزهو " (٢٣) .



(٢٣) رواه البزار .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد

فياأيها المسلمون : وهكذا رأينا أن الصدق فى نظام الإسلام الحنيف ينتظم فى الصدق فى العقيدة بعدا عن النفاق ، والصدق فى النية بعداً عن الرياء ، والصدق فى العمل بأدائه على الوجه الذى شرعه الله ، والصدق فى القول بعداً عن الكذب ، كل هذه الأنواع من الصدق تهدى إلى البر ، والبر يهدى إلى الجنة ، يقول الله سبحانه { **هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم** }(٢٤) .

لهم مقعد صدق عند الله وهو الجنة { **إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر** }(٢٥) .

ولسيدنا أبى بكر مقام كبير فى الصدق ، وكذلك سمى صدِّيقا ،

---

(٢٤) سورة المائدة الآية ١١٩ .

(٢٥) سورة القمر الآيتان ٥٤ ، ٥٥ .

والصديقون من الذين أنعم الله عليهم يقول سبحانه { ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا }[26] .

وقد وجه الله سبحانه رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يسأل الله أن يكون خروجه من مكة مهاجراً مخرج صدق ، ودخوله المدينة مدخل صدق ، ولا ريب أن ذلك على سبيل التمثيل ، وإلا فمداخله كلها من أجل الصدق ، ومخارجه مخارج صدق ، إذ هى لله وبالله وبأمره وابتغاء مرضاته . { وقل ربى أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا }[27] .

أيها المسلمون إلى أخلاق الإسلام ، إلى الصدق فى القول والنية والعقيدة والعمل تسعدوا فى الدنيا وتفوزوا بالنعيم المقيم فى الآخرة والله ولى التوفيق .

يراجع فى هذا الموضوع

- « خلق المسلم » لفضيلة الشيخ الغزالى .



(٢٦) سورة النساء الآية ٦٩ .
(٢٧) سورة الإسراء الآية ٨٠ .

الصبر فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمــا بعــــــد

فيقول الله سبحانه {يايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين }[1] ويقول : { ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون }[1] { إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب }[2] .

{ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين }[3] { يايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون }[4] .

يقول صلى الله عليه وسلم وقــد سئـل : أى النـاس أشد بـلاء قـال " الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى المرء على قدر دينه ، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه ، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى على

---

(١) سورة البقرة الآيات ١٥٣ ، ١٥٥ : ١٥٧ .
(٢) سورة الزمر الآية ١٠ .
(٣) سورة آل عمران الآية ١٤٢ .
(٤) سورة آل عمران الآية ٢٠٠ .

الأرض وليس عليه خطيئة "[٥] " إن الله لايرضى لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيه من أهل الأرض فصبر واحتسب بثواب دون الجنة "[٦] .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن) .

أيها المسلمون من هذه الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة يتقرر خلق من مكارم الأخلاق ، هو خلق الصبر فى نظام الإسلام الحنيف إذا استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها ، وترادفت الضوائق وطال ليلها ، فالصبر وحده هو الذى يشع للمسلم النور العاصم من التخبط والهداية الواقية من القنوط .

والصبر هو القوة التى تحفظ للنفس توازنها وانسجامها عند النوازل والخطوب ، ويحفظها من الانهيار والضياع .

والله عز وجل قد قضت حكمته أن يجعل الحياة الدنيا دار بلاء واختبار وعمل { الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا }[٧] { أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين }[٨] { ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم }[٩] .

ومن هنا يجب على المؤمن أن يوطن نفسه على احتمال المكاره ، ومواجهة الخطوب بقلب لم تعلق به ريبة ، وعقل لا تطيش به كربة ، ويبقى

---

(٥) رواه ابن حبان .
(٦) رواه النسائى .
(٧) سورة الملك الآية ٢ .
(٨) سورة العنكبوت الآيتان ٢ ، ٣ .
(٩) سورة محمد الآية ٣١ .

موقننا أن مع العسر يسراً ، وبعد الليل يأتى النهار ، وليعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً ، وصدق الشاعر حيث يقول :

عرفنا الليالى قبل ما نزلت بنا فلما دهتنا لم تزدنا بها علما

ولاشك أن لقاء الأحداث ببصيرة مستنيرة ، واستعداد كامل أجدى على الإنسان ، وأدنى إلى إحكام شئونه .

{ وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور }[١٠] .

أيها المسلمون : الله عز وجل لم يجعل الحياة الدنيا دار جزاء وقرار بل جعلها دار تمحيص واختبار ، وقد يبتلى المسلم فيها بالشىء وضده مثلما يصهر الحديد فى النار ، ثم يرمى فى الماء وهكذا ، وكان سليمان عليه السلام عالما بطبيعة الدنيا عندما رزق التمكين الهائل فيها { قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم }[١١] .

والإيمان صلة بين العبد وربه ولا بد من اختبار المؤمن ليظهر الإيمان الصادق من الإيمان المدخول { ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين }[١٢] { الم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين }[١٣] .

---

(١٠) سورة آل عمران الآية ١٨٦ .
(١١) سورة النمل الآية ٤٠ .
(١٢) سورة الحج الآية ١١ .
(١٣) سورة العنكبوت الآيات ١ : ٣ .

والصبر من عناصر الرجولة الناضجة ، والبطولة الفارعة ، فإن أثقال الحياة لا يطيقها المهازيل ، ومن ثم كان نصيب القادة والزعماء مكافئا لما أوتوا من مواهب ، ولما أدوا من أعمال . سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أى الناس أشد بلاء " قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الناس على قدر دينهم فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى على الأرض ما عليه خطيئة "(١٤) .

فاختلاف أنصبة الناس من الجهد والتبعة والهموم يعود إلى طاقتهم فى التحمل والثبات .

فالمؤمن السارب فى الحياة هدف لمشاكلها الجمة ـ أما الهارب من الميدان فماذا يصيبه ؟

" إذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط "(١٥)

يود أهل العافية يوم القيامة ـ حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت بالمقاريض .

ومن الخطأ أن يحسب المسلم أن تلاحق الأذى عليه آية على نسيان الله له وإبعاده عن رحمته . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم " .

فهو نبى تربى فى حجور أنبياء وتحدر من شجرة عريقة وهو كريم على الله بالاجتباء والرسالة ، فإذا نظر إلى هذا الكريم كيف قضى حياته وهو

---

(١٤) رواه ابن حبان .   (١٥) رواه الترمذى .

يخرج من ضائقة ليدخل فى أختها . فقد أمه وهو طفل ثم تآمر عليه إخـوته ، رموه فى البئر ، واستنقذه السيارة ليمتلكوه عبدا . ثم يبيعونه فى سوق الرقيق بثمن بخس دراهم معدودة ، وابتاعه ملك مصر ، ثم تعرض للدسائس الماكرة فى القصر ، ثم سجن ولبث فى السـجـن بضع سنين ، ثم تراه فى السجن يذكر بالله من جهلوه { ياصاحبى السجن أأرباب متفرقـون خير أم الله الواحد القهار ، ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتـموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبـدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون }[16] { وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين }[17] .

أيها المسلمون : الصبر أنواع : صبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، وصبر على النوازل ، وصبر على ما يصيب المسلم فى سبيل الدعوة إلى الله ، والجهاد فى سبيله .

فالصبر على الطاعة أساسه أن أركان الإسلام اللازمة تحتاج فى القيام بها والمداومة عليها إلى تحمل ، فالصلاة مثلا فريضة متكررة والله يقول فيها { وأمر أهلك بالصـلاة واصطبر عليها }[18] { واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين }[19] .

وعشرة المؤمنين والتغاضى عن هفواتهم يحتاج إلى الصبر . والتواصى بالصبر قرين التواصى بالحق ، وقد أقسم الله عز وجل على أن الفلاح للبشر منوط بهما .

{ والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا

---

(١٦) سورة يوسف الآيتان ٣٩ ، ٤٠ .
(١٧) سورة الأنبياء الآيتان ٨٣ ، ٨٤ .
(١٨) سورة طه الآية ١٣٢ .
(١٩) سورة البقرة الآية ٤٥ .

بالحق وتواصوا بالصبر }[٢٠] .

والصبر عن المعاصى هو عنصر المقاومة للمغريات التى تبث فى طريق الناس وزينت لهم اقتراف المآثم المحظورة . قال صلى الله عليه وسلم " حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات "[٢١] .

والإقبال على المكاره والإدبار عن الشهوات لا يتأتى إلا لصبور .(ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين)[٢٢] .

وصبر على ما يصيب المؤمن فى سبيل الدعوة إلى الله والجهاد فى سبيله { فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولاتستعجل لهم }[٢٣] .

{ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا }[٢٤] { يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون }[٢٥] . { يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور }[٢٦] .

وصبر على النوازل على ما يصيب المؤمن فى نفسه أو ماله أو منزلته أو أهله وتلك كلها أعراض متوقعة ، وهيهات أن تخلو الحياة منها .

{ ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات

---

(٢٠) سورة العصر .
(٢١) رواه مسلم .
(٢٢) سورة الأعراف الآية ١٢٦.
(٢٣) سورة الأحقاف الآية ٣٥ .
(٢٤) سورة الأنعام الآية ٣٤ .
(٢٥) سورة آل عمران الآية ٢٠٠ .
(٢٦) سورة لقمان الآية ١٧ .

وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون }[٢٧] .

وعن أم العلاء وهى من المبايعات قالت دعانى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا مريضة فقال : "ياأم العلاء ، أبشرى فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياه كما تذهب النار خبث الحديد والفضة "[٢٨].

وفى الحديث " إن الله لا يرضى لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيه من أهل الأرض فصبر واحتسب بثواب دون الجنة "[٢٩] .

وينبغى ألا يعزب عن البال أن كل شىء نرتبط به ونزعم لأنفسنا حقا فيه فإن رباط الله به أوثق ، وحق الله فيه أسبق .

عن القاسم بن محمد قال : هلكت امرأة لى ، فأتانى محمد بن كعب القرظى يعزينى بها فقال : إنه كان فى بنى إسرائيل رجل فقيه عالم عابد مجتهد وكانت له امرأة ، وكان بها معجبا فماتت ، فوجد عليها وجدا شديدا حتى دخل فى بيت وأغلق على نفسه واحتجب فلم يكن يدخل عليه أحد ، فسمعت به امرأة من بنى إسرائيل فجاءته فقالت إن لى إليه حاجة أستفتيه فيها ليس يجزينى إلا أن أشافهه بها ولزمت بابه فأخبر بها فأذن لها فقالت أستفتيك فى أمر ، قال وماهو قالت إنى استعرت من جارة لى حليا فكنت ألبسه زمانا ثم إنها أرسلت تطلبه أفأرده إليها ؟ قال نعم ، قالت إنه قد مكث عندى زمانا ، قال ذاك أحق لردك إياه فقالت له يرحمك الله أفتأسف على ما أعارك الله ثم أخذه منك ، وهو أحق به منك !! فَأَبْصَرَ ماكان فيه ونفعه الله بقولها .

---

(٢٧) سورة البقرة الآيتان ١٥٥ ، ١٥٦ .
(٢٨) رواه أبو داود .
(٢٩) رواه النسائى .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنزلة التى لاتسامى ، والمقام الذى لايدانى فى خلق الصبر وبخاصة فى الصبر على مايصيبه فى سبيل أداء رسالته ، وكانت تنزل عليه الآيات لتسليه ، وتفرج عنه همومه وتوضح له أن طريق الداعية إلى الله ليس مفروشا بالورود والرياحين ، ولكنه محفوف بالأشواك { واصبر وماصبرك إلا بالله ولاتحزن عليهم ولاتك فى ضيق مما يمكرون }[٣٠] .

{ واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا }[٣١] { فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل }[٣٢] { ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإى المرسلين }[٣٣] .

ولقد تحمل رسول الله وتحمل صحابته الأذى الكثير فى سبيل الدعوة إلى الله والجهاد فى سبيله ، وكان خلق الصبر يهون عليهم ما يتحملون وكان الرسول يمر على صحابته وهم يعذبون فيقول "صبرا آل ياسر فموعدكم الجنة " .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولاهم ولاحزن ولاأذى ولاغم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه "[٣٤] . وعن أبى هريرة قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " ما يزال البلاء ينزل بالمؤمن والمؤمنة فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وماعليه خطيئة "[٣٥] .

---

(٣٠) سورة النحل الآية ١٢٧ .
(٣١) سورة الطور الآية ٤٨ .
(٣٢) سورة الأحقاف . الآية ٣٥ .
(٣٣) سورة الأنعام الآية ٣٤ .
(٣٤) متفق عليه .
(٣٥) رواه الترمذى .

الخطبـــة الثانيـــة

بعد حمد الله عز وجل والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـــا بعـــد

فياأيها المسلمون : لقد أشار القرآن الكريم إلى أمـور تعين علـى الصبر ، وتهونه على المسلم ،منها :

١- **المعرفة بطبيعة الحياة الدنيا** على حقيقتها فليست الحياة الدنيا دار نعيم ولادار خلود ، إنما هى دار ابتلاء وتكليف ، خلق الإنسان فيها ليصقل نفسه ويبتلى ليُعدَّ للدار الباقية ، ومن عرف الحياة على هذا النحو لم يُفْجأ بكوارثهَا ، والقرآن الكريم يشير إلى أن حياة الإنسان محفوفة بالمتاعب والمشقة حين يقول : { **لقد خلقنا الإنسان فى كبد** }[٣٦] .

كما يشير إلى أن طبيعة الحياة دوام تغيرها ، وأنها لا تثبت على حال فيوم لك ويوم عليك (**إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس**)[٣٧]

---

(٣٦) سورة البلد الآية ٤ .

(٣٧) سورة آل عمران الآية ١٤٠ .

لقد خلق الله الحياة الدنيا على طبيعة اختلطت فيها اللذائذ بالآلام والمحاب بالمكاره ، وهذا ماأدركه الحكماء والأدباء من قديم فنطقت به ألسنتهم شعراً ونثرا ، قيل لعلى بن أبى طالب صف لنا الدنيا فقال : " ماذا أصف لك من دار أولها بكاء وأوسطها عناء وآخرها فناء " .

وما أجمل ما قال في ذلك الشاعر العربي :

جُبلتْ على كدر وأنت تريدها   صفوا من الآلام والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعهـا   متطلب فى الماء جذوة نار

أيها المسلمون ؛ ومما يعين على الصبر ويهونه معرفة الإنسان نفسه بمعنى أن يعرف أنه ملكٌ لله تعالى أولا وآخراً هو الذى خلقه من عدم ، ومنحه الحياة والحس والحركة ، ووهب له السمع والبصر والفؤاد وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة وصدق الله العظيم { **ومابكم من نعمة فمن الله** }[38]. فإذا نزل بالمرء نازل سلبه شيئا مما عنده فإنما استرد صاحب الملك شيئا مما وهب ، ولا ينبغى للمودع عنده ولا للمستعير أن يسخط على المالك إذا استرد يوما من الدهر وديعته أو عاريته . قال لبيد

وما المال والأهلون إلا ودائع   ولابد يوماً أن ترد الودائع

ومن ثم علم القرآن الصابرين الذين كتبت لهم البشرى والصلوات والرحمة أن يقولوا إذا أصابتهم مصيبة { **إنا لله وإنا إليه راجعون** }[39] وهى تشير إلى أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل عند العبد عارية وأن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق ، ولابد أن يخلف الدنيا وراء

---

(٣٨) سوروة النحل الآية ٥٣ .   (٣٩) سورة البقرة الآية ١٥٦ .

ظهره ، ويشير إلى ذلك الحديث " **إن لله ما أخذ وله ما أعطى ....** " الحديث .

أيها المسلمون : ومما يعين على الصبر ويهونه كذلك **اليقين بحسن الجزاء** فإنه مما يبعث الإنسان على عمل ما أن يطمئن على حسن جزائه عليه . والقرآن الكريم يشير إلى أن الصابرين ينتظرهم أحسن الجزاء من الله تعالى حين يرجعون إليه وفى الأثر أن أهل العافية يتمنون يوم القيامة لو أن أجسامهم كانت تقرض بالمقاريض فى الدنيا لما يرون من عظيم ثواب الله لأهل البلاء ولانجد في القرآن الكريم شيئا ضخم جزاؤه ، وعظم أجره مثل الصبر ويصرح القرآن بأن أجر الصابرين غير محدود ولامعدود بعدد ولا محسوب بمقدار وذلك فى قوله تعالى : { **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** }[٤٠] .

ولقد جاء عن عمر قوله : " **ما أصبت ببلاء إلا كان لله على فيه أربع نعم . أنه لم يكن فى دينى ، وأنه لم يكن أكبر منه ، وأنى لم أحرم الرضا ، وأنى أرجو ثواب الله عليه** " .

وحدثوا أن امرأة فتح الموصلى ـ وكانت من الصالحات ـ عَثَرَتْ فانقطع ظفرها ـ وفى هذا من الألم ما فيه لكنها حمدت الله . وضحكت ، فقيل لها أما تجدين الوجع فقالت : إن لذة ثوابه أزالت عن قلبى مرارة وجعه .

ومما يعين على الصبر **اليقين بالفرج** واليقين بأن نصر الله قريب وأن فرجه آت لا ريب فيه ، وأن بعد الضيق سعة ومع العسر يسراً . وفى هذا يقول الله عز وجل { **فإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا** }[٤١] ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " **واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب ،**

---

(٤٠) سورة الزمر الآية ١٠ .

(٤١) سورة الشرح الآيتان ٥ ، ٦ .

وأن مع العسر يسرا " .

ولقد وعد الله بحسن العاقبة لأهل الصبر والتقوى وفى هذا يحكى القرآن على لسان موسى { استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين }[٤٢] .

ويخاطب الله خاتم رسله محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد أن قص عليه قصة نوح مع ابنه وما آل إليه أمرهم يعقب على القصة بقوله : {تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ماكنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين }[٤٣] .

وصبر أيوب على ماأصابه من ضر فانتهى به الصبر إلى أجمل العواقب { واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب ، اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب . ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب . وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب }[٤٤] .

وكذلك قصة يوسف { إنه من يتق ويصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين }[٤٥] .

وقصة الذبيح حين اشتد الكرب ، وصبر على الذبح فرّج الله الكرب لهما . وفدى بذبح عظيم فى اللحظة الأخيرة . { قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين }[٤٦] .

أيها المسلمون ومما يعين على الصبر الاستعانة بالله واللجوء إلى حماه

---

(٤٢) سورة الأعراف الآية ١٢٨ .

(٤٣) سورة هود الآية ٤٩ .

(٤٤) سورة ص الآيات ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ .

(٤٥) سورة يوسف الآية ٩٠ .

(٤٦) سورة الصافات الآية ١٠٢ .

فيشعر بمعيته ، وأنه فى حمايته ورعايته ، ومن كان فى حماية ربه لا يضام ، وفى هذا يقول الله سبحانه { واصبروا إن الله مع الصابرين }[٤٧] وفى خطاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ { واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا }[٤٨] .

ومن كان بمعية الله مصحوبا وكان بعين الله ملحوظا فهو أهل لأن يتحمل المصائب ويصبر على المكاره .

ولما هدد فرعونُ موسى وقومَه قال موسى لقومه : { استعينوا بالله واصبروا }[٤٩] .

ولعل حاجة الصابرين إلى الاستعانة بالله والتوكل عليه هى بعض أسرار اقتران الصبر بالتوكل فى آيات كثيرة مثل { الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون }[٥٠] .

وعلى ألسنة الرسل يقول الله سبحانه : { ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون }[٥١] .

ومما يعين على الصبر الإقتداء بأهل الصبر والعزائم ومن هنا حرص القرآن المكى خاصة على ذكر قصص الأنبياء بل تكرر الكثير منها فى العديد من سوره { وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك } .

{ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كُذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولامبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإى المرسلين }[٥٢] { فاصبر كما صبر

(٤٧) سورة الأنفال الآية ٤٦ .
(٤٨) سورة الطور الآية ٤٨ .
(٤٩) سورة الأعراف الآية ١٢٨ .
(٥٠) سورة العنكبوت الآية ٥٩ .
(٥١) سورة إبراهيم الآية ١٢ .
(٥٢) سورة الأنعام الآية ٣٤ .

أولو العزم من الرسل ولاتستعجل لهم }[٥٣] .

ومما يعين علـى الصبر ويهـونه **الإيمان بقدر الله** ، وأن قـدر الله نافـذ لا محالة وأن ما أصاب المسلم لم يكن ليخطئه ، وأن ماأخطأه لم يكن ليصيبه جفت الأقلام وطويت الصحف .

إن الارتكان على الأقدار فى مثل هذه الأحوال مشروع ومحمود حيث يخفف عن المسلم لوعة الأسى على مافاته ، والحزن على ما أصابه . وفى هذا يقول القرآن الكريم { **ماأصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم** }[٥٤] .

أيها المسلمون : تجملوا بخلق الصبر على المصائب تفوزوا بأجر الصابرين وتسعدوا فى الدنيا وتفلحوا فى الآخرة والله ولى التوفيق ،

يراجع فى هذا الموضوع

- " خلق المسلم " لفضيلة الشيخ محمد الغزالى .

---

(٥٣) سورة الأحقاف الآية ٣٥ .

(٥٤) سورة الحديد الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

الحرية فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين

أمـا بعــد

فيقول الله سبحانه { فاعلم أنه لا إله إلا الله }[١] { لا إكراه فى الدين }[٢] { أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين }[٣] { فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر }[٤] { فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب }[٥] .

{ وشاورهم فى الأمر }[٦] { وأمرهم شورى بينهم }[٧] { أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء ؟ ! }[٨] { ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين }[٩] { أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت }[١٠] .

---

(١) سورة محمد الآية ١٩ .
(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٦ .
(٣) سورة يونس الآية ٩٩ .
(٤) سورة الغاشية الآية ٢١ .
(٥) سورة الزمر الآيتان ١٧ ، ١٨ .
(٦) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .
(٧) سورة الشورى الآية ٣٨ .
(٨) سورة الأعراف الآية ١٨٥ .
(٩) سورة الروم الآية ٢٢ .
(١٠)سورة الغاشية الآيات ١٧ : ٢٠ .

أيها المسلمون : من تعاليم القرآن الكريم يبدو بكل جلاء أن الإسلام لايرى قيمة للحياة الإنسانية بدون الحرية ومن ثم قررها أتم تقرير وأوضحه يقول الله سبحانه { فاعلم أنه لا إله إلا الله } { الله لا إله إلا هو الحي القيوم }[11] فما شهادة التوحيد إلا إعلان للحرية فى أجلى معانيها فالمسلم لا يوصف بالعبودية لأحد من الناس ولكنه يوصف بالعبودية لله وحده خالق الحياة ومافيها ومن فيها ، والإنسان الحر لايملكه قومه ولا مجتمعه ولا دولته لأنه متساو مع قومه ومجتمعه فى إنسانيته الحرة ، والدولة كيان معنوى يقوم به أفراد من الشعب لصالح الشعب وخدمته لا لاستعباده حتى إن رئيس الدولة فى الإسلام ليس إلا خادما للأمة ، ومن هنا جاء قول أبى بكر (إنما أنا واحد منكم ولست بخيركم) وقد كان أبو حازم يدخل على معاوية فيقول له : (السلام عليك أيها الأجير) فإن حاولوا أن يقولوا لأبى حازم ، قل (السلام عليكم أيها الأمير) أبى عليهم ذلك ثم التفت إلى معاوية فقال له إنما أنت أجير هذه الأمة استأجرك ربك لرعايتها .

أيها المسلمون : لقد اتخذ الإسلام الحرية الفردية دعامة لجميع ما سنه للناس من عقائد ونظم وتشريع ؛ وتوسع فى إقرارها ، فلم يقيد حرية الفرد إلا فى الحدود التى يقتضيها الصالح العام أو تدعو إليها حرية الآخرين وعمد إلى كل نظام يتعارض مع هذه المبادئ فألغاه مرة واحدة إن كان لا يترتب على إلغائه زلزلة ولا اضطرابات فى الحياة الاجتماعية أو ألغاه وقيده بقيود تكفل القضاء عليه بالتدريج إن كان فى إلغائه مرة واحدة ما يؤدى إلى هذه النتائج .

وقد حرص الإسلام على تطبيق مبدأ الحرية فى هذه الحدود وبهذه المناهج فى مختلف شئون الحياة وأخذ به فى جميع النواحى التى تقتضى

(١١) سورة البقرة الآية ٢٢٥ ، آل عمران الآية ٢ .

كرامة الفرد أن يؤخذ به في شئونها ، وهى النواحى الدينية ، ونواحى التفكير والتعبير ، ونواحى السياسة والحكم ، والنواحى المدنية ، ووصل فى ناحية من هذه النواحى الأربع إلى شأو رفيع لم تصل إلى مثله شريعة أخرى من شرائع العالم قديمه وحديثه .

فقد سار الإسلام حيال الحرية الدينية على أسس سمحة نبيلة فلم يلبث أن استقر وتبينت للناس معالمه حتى قرر فى هذا الصدد أربعة مبادئ هى أسمى ما يمكن أن يصل إليه التشريع فى حرية الأديان والمعتقدات .

أحـــدها : أنه لايرغم أحداً على ترك دينه واعتناق الإسلام ، وفى هذا يقول الله تعالى { **لاإكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى** }[١٢] ويقول مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم : { **ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ !** }[١٣] والاستفهام فى الآية كما لا يخفى استفهام إنكارى أى لا يجوز لك أن تكره الناس حتى يدخلوا فى دينك وعلى هذا الأساس سار المسلمون فى معاملاتهم وحروبهم مع أهل الأديان الأخرى : فكانوا يبيحون لأهل البلد الذى يفتحونه أن يبقوا على دينهم مع أداء الجزية والطاعة للحكومة . وكانوا فى مقابل ذلك يحمونهم ضد أى اعتداء ويحترمون عقائدهم وشعائرهم ومعابدهم وفى هذا يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى معاهدته مع أهل بيت المقدس عقب فتحه له : (هذا ما أعطى أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم . . . لاتسكن كنائسهم ولاتهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم) .

---

(١٢) سورة البقرة الآية ٢٥٦ .

(١٣) سورة يونس الآية ٩٩ .

ومع أن الإسلام يجعل الرجل قواماً على امرأته فى كل ما يحقق صالح الأسرة والصالح العام ، فإنه لا يجيز للزوج المسلم المتزوج كتابية أن يرغمها على ترك دينهـا ، بل لا يجيز له أن يمنعهـا من أداء عبـاداتهـا وشعائرها ؛ بل إن بعض المذاهب لترى أنه ينبغى له أن يصطحبها إلى حيث تؤدى هذه العبادات والشعائر فى كنيستها أو بيعتها إذا رغبت فى ذلك .

والمبدأ الثانى : الذى سنه الإسلام فى هذا الصدد هو :حرية المناقشات الدينية . ولذلك ينصح الله تعالى للمسلمين أن يلتزموا جادة العقل والمنطق فى مناقشاتهم مع أهل الأديان الأخرى وأن يكون عمادهم الإقناع وقرع الحجة بالحجة ، والدليل بالدليل ، وفى هذا يقول الله تعالى مخاطبـا رسوله : { **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى احسن** }[١٤] ويقول مخاطبا المؤمنين : { **ولاتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى احسن** }[١٥] ويقول مخاطبا أهل الأديان الأخرى : { **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** }[١٦] { **هل عندكم من علم فتخرجوه لنا** }[١٧]

ولا يكتفى القرآن بذلك بل يغرى الكفار بالمناقشة والإتيان بالدليل على صحة دينهم ، فيتظاهر جدلا بأنه لا يقطع بأنه على حق وأنهم على باطل فيقول : { **وإنا أو إياكم لعلى هدى أوفى ضلال مبين** }[١٨] .

والمبدأ الثالث : الذى سنه الإسلام فى هذا الصدد هو : أن الإيمان الصحيح هو ما كان منبعثا عن يقين واقتناع ، لا عن تقليد واتباع وأخذ الله على المشركين تقليدهم الأعمى لآبائهم وإغفالهم جانب النظر والتفكير

---

(١٤) سورة النحل الآية ١٢٥ .
(١٥) سورة العنكبوت الآية ٤٦ .
(١٦) سورة البقرة الآية ١١١ .
(١٧) سورة الأنعام الآية ١٤٨ .
(١٨) سورة سبأ الآية ٢٤ .

قال تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾[19] .

والمبدأ الرابع : الذى سنه الإسلام فى هذا الصدد هو : إباحة الاجتهاد فى فروع الشريعة لكل قادر عليه ، وهو المتمكن من الكتاب والسنة واللغة العربية وقواعد الاستنباط فيباح لكل مسلم توافرت فيه هذه الشروط أن يجتهد ويستنبط الأحكام من أصولها وأدلتها ، ويعمل بما يراه ، ويجهر بما انتهى إليه رأيه . والإسلام يكفل له حرية الرأى ، ويحمى حريته ويحترم رأيه حتى لو كان غير صحيح فى نظر غيره أو كان مجانبا للحق فى الواقع ، فمن المُقَرَّرُ فى الشريعة أن المجتهد مشكور ومأجور فى حالتى صوابه وخطئه فإن أخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران .

ومن ألوان الحرية فى نظام الإسلام حرية التفكير والتعبير ، ويعنون بحرية التفكير والتعبير أن يكون للإنسان الحق فى أن يفكر تفكيراً مستقلا فى جميع ما يكتنفه من شئون وما يقع تحت إدراكه من ظواهر وأن يأخذ بما يهديه إليه فهمه ويعبر عنه بمختلف وسائل التعبير .

وقد أقر الإسلام هذا الحق فى أوسع نطاق ، فمنح كل فرد الحق فى النظر والتفكير وإبداء رأيه عن أى طريق شاء . وعلى هذا المبدأ الجليل سار الرسول عليه الصلاة والسلام ، وسار الخلفاء الراشدون من بعده فقد كانت حرية الرأى فى عهدهم جميعا مكفولة ومحاطة بسياج من القدسية . وباستقراء تاريخ هذه المرحلة الذهبية التى تمثل مبادىء الإسلام أصدق تمثيل لا تعثر على أية محاولة من جانب أولى الأمر للحجر على حرية الآراء ، بل إن العمل بهذا المبدأ قد ظل مرعيا فى عهد بنى أمية وصدر بنى العباس . فما كان الخلفاء فى هذين العصرين ليحاربوا إلا الآراء التى

---

(١٩) سورة البقرة ، ١٧٠ .

يعتقدون أنها تهدد سلامة الدولة أو تنشر الفتنة بين الناس ، وكان هؤلاء وأولئك يستوحون ما يسيرون عليه فى هذا الصدد من روح الإسلام ومبادئه ، بل إن احترام بعض الخلفاء لحرية الرأى فى عصر بنى أمية وبنى العباس قد وصل إلى حد جعلهم يتحرجون من وضع أى قيد فى هذا السبيل فقد كان الناس فى عهد عمر بن عبد العزيز والمأمون بن هارون الرشيد وغيرهما يتناقشون بكامل الحرية فى حضرة الخليفة فى شأن الأسرة المالكة ومبلغ استحقاقها .

ويدخل فى الحرية الفكرية ما يسمونه بالحرية العلمية أو حرية التفكير العلمى ، وهى أن يكون لكل فرد الحق فى تقرير ما يراه فى صدد ظواهر الفلك والطبيعة والحيوان والنبات والإنسان ، والأخذ بما يهديه إليه تفكيره وما يقتنع بصحته من نظريات ؛ والتعبير عن رأيه بمختلف وسائل التعبير .

ولا يختلف موقف الإسلام حيال هذه الحرية الفكرية الخاصة عن موقفه حيال الحرية الفكرية العامة الذى بيناه فيما سبق . فالإسلام لم يحاول مطلقا أن يفرض نظرية علمية معينة بصدد أية ظاهرة من هذه الظواهر ، ولم يعرض القرآن ولا السنة الشريفة لتفاصيل هذه الأمور . وكل ما فعله القرآن فى هذه الناحية أنه استحث العقول على النظر فى ظواهر الكون ، وحفز الناس على التأمل فى هذه الشئون واستنباط قوانينها العامة ، وأثار فى نفوسهم حب الاستطلاع حيال الأمور التى لا تثير الانتباه بطبعها لتكرر حدوثها وسيرها على وتيرة واحدة وإيلاف الناس النظر إليها كشئون الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب وتتابع الفصول ، وتناسل الحيوان وتكاثر النبات . وطفو بعض الأجسام على الماء ونزول المطر .... وما إلى ذلك من مسائل العلوم والفنون فبين لهم أن هذه الأمور جديرة بالتأمل وأن فيها مجالا كبيراً للنظر والبحث العلمى ، وفى هذا يقول الله : { **أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله من شئ** }[٢٠] { **إن فى خلق**

---

(٢٠) سورة الأعراف الآية ١٨٥ .

السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وماأنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون }[٢١] { ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، إن فى ذلك لآيات للعالمين }[٢٢] { أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت }[٢٣] .

وقد ورد ذكر العقل مصحوبا بالتبجيل فى أكثر من أربعين موضعا فى القرآن الكريم وهكذا نرى توجيه الله لنا إذ طوف بنا فى جميع أنحاء الكون سمائه وأرضه ، حيوانه ونباته وإنسانه ، لا لشئ إلا ليحث العقول على النظر والتدبر فى هذه الظواهر واستنباط القوانين العامة الدقيقة التى تحكمها وتسير بمقتضاها ، ولنتخذ من كل ذلك دليلا على قدرته وحسن صنعته : { صنع الله الذى أتقن كل شئ }[٢٤] .

وفى جميع هذه الآيات وما إليها التى يزخر بها الكتاب الكريم لا تشم أى رائحة لفرض نظرية علمية معينة ، ولم يقصد بالتوجيهات الواردة فيها إلا ما ذكرناه من حث العقول على النظر فى محتويات الكون ، ثم ترك بعد ذلك لكل فرد كامل الحرية فى تقرير مايراه ، والانتصار له ، واعتناق ما يقتنع بصحته من نظريات .

ولا أدل على ذلك من أن القرآن الكريم فى إجابته على سؤال وجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مراحل القمر وأسباب تزايد قرصه وتناقصه قد تحاشى أن يدخل فى تفاصيل هذه الأمور الفلكية وقوانينها حتى لا يفرض نظرية علمية على العقول ، كما فعلت الكاثوليكية المنحرفة

---

(٢١) سورة البقرة الآية ١٦٤ .

(٢٢) سورة الروم الآية ٢٢ .

(٢٣) سورة الغاشية الآيات من ١٧ : ٢٠ .

(٢٤) سورة النمل الآية ٨٨ .

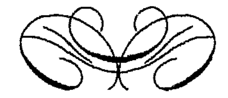
من قبل ، وحتى لا يحجر على الأذهان النظر فى هذه الأمور ، واكتفى بأن يذكر بعض فوائد القمر ، وأنه يحدد مواقيت الشهور والأيام التى تؤدى فيها شعائر الحج ، وفى هذا يقول الله تعالى : { **يسألونك عن الأهلة ، قل هى مواقيت للناس والحج** }[٢٥] فكأنه يقول لهم يكفى أن تعلموا فيما يتعلق بصلة الأهلة بشئون الدين أنها مواقيت للناس فى الشهور والصيام وشعائر الحج ؛ أما ماوراء ذلك من أسباب تزايد قرص القمر وتناقصه وخسوفه أحيانا أو حجبه عن النظر وعلاقته بالشمس والأرض . . . . أمّا هذه الأمور وما إليها فإنه ترك لعقولكم كامل الحرية فى بحثها والاهتداء إلى كنهها وأسبابها .

ومن أنواع الحرية فى الإسلام أيها المسلمون : الحرية المدنية ويقصد بها الحالة التى تجعل الشخص أهلا لإجراء العقود ، وتحمل الالتزامات وتملك العقار والمنقول والتصرف فيما يملك بالبيع والهبة وغيرها وحريته فى اختيار العمل الذى يكسب منه قوته وماله ، وقد منح الإسلام هذا الحق لجميع الأفراد ماعدا الصبى والمجنون والسفيه ، والسفيه هو المبذر الذى يتلف أمواله وينفقها فى غير مصلحة ، فسوى الإسلام بذلك فى الحرية المدنية بين الرجل والمرأة سواء أكانت متزوجة أو غير متزوجة ولم يفرق بين الناس فى هذا الحق تبعا لاختلاف شعوبهم أو طبقاتهم أو تفاوتهم فى الأحساب والأنساب بل جعلهم كلهم فى ذلك سواسية كأسنان المشط كما يعبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى حديثه الشريف ، وسوى فى هذا الحق بين المسلمين وغير المسلمين فقرر أن الذمّيين أو المعاهدين فى بلد إسلامى أوفى بلد خاضع للمسلمين لهم ماللمسلمين من حقوق ، وتطبق عليهم القوانين نفسها التى تطبق على المسلمين إلا ما تعلق بشئون دينهم فتحترم عقائدهم وشرائعهم .

---

(٢٥) سورة البقرة الآية ١٨٩ .

أيها المسلمون : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " وقال صلى الله عليه وسلم : " الدين النصيحة ، قالوا لمن يارسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم " وقال : " إذا رأيت أمتى تهاب أن تقول للظالم ياظالم فقد تودع منها " وفى رواية : " وبطن الأرض خير لهم من ظهرها " ، وقال : " سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله " .



الخطبـة الثانيـة

بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله - صلى الله عليه وسلم - وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعـــد

فيأيها المسلمون : من أنواع الحرية فى نظام الإسلام الحنيف الحرية السياسية ، ويقصد بها أن تكون الأمة نفسها مصدر السلطات ، ومن أهم الحقوق التى يجب أن تمنحها الأمة حتى تكون مصدراً للسلطات أن يكون لأفرادها عن طريق مباشر أو عن طريق ممثليهم الحق فى اختيار الحاكم والحق فى مراقبته ومحاسبته على أعماله .

وأحكام الشريعة فى نظام الإسلام لها مصادرها التى قررها علماء أصول الفقه ، ومنها الإجماع ، ومن أهم مظاهر الإجماع وأرقاها مرتبة اتفاق الصحابة رضوان الله عليهم جميعهم أو معظمهم فى عهد الخلفاء الأربعة الراشدين ، وهو العهد الذى يمثل الإسلام أصدق تمثيل على حكم لم يرد بشأنه نص صريح فى الكتاب ولا فى السنة وذلك لأنهم لا يجمعون على ضلالة ، ولأن ما يجمعون عليه لا بد أن يكون متسقاً مع روح الإسلام ومعتمدا على الأسس العامة التى يرشد إليها القرآن الكريم ، وتهدى إليها أقوال الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأعماله ، وقد انعقد إجماع الصحابة فى عهد الخلفاء الأربعة الراشدين على أحكام

صريحة فى صدد الحرية السياسية وسار عليها حينئذ نظام الحكم فى العالم الإسلامى .

وفى ضوء هذه الحقائق يتبين مبلغ الخطأ ـ فيما ذهب إليه بعض المحدثين من الباحثين إذ قرر أن الشريعة الإسلامية لم تعرض لنظم الحكم وأن هذه النظم ليست من أمور الدين فى شئ وإنما هى من الأمور الدنيوية التى ترك الإسلام للناس حرية التصرف فيها معتمداً فى ذلك على أنه لم يرد بصددها نص صريح من كتاب أو سنة(٢٦) .

فقد غفل صاحب هذا الرأى عما قررناه وما يعد من المبادىء الأولية فى التشريع الإسلامى من أن أحكام الإسلام لاتستمد من النصوص الصريحة من الكتاب والسنة فحسب ، وإنما تستمد كذلك من مصادر أخرى من أهمها الإجماع ، وأن الصحابة رضوان الله عليهم قد انعقد إجماعهم على أحكام واضحة كل الوضوح فى نظام الحكم وما يرتبط به من حقوق وواجبات ويتبين مما استقر عليه الإجماع فى عهد الخلفاء الأربعة الراشدين أن الإسلام يعطى الأمة الحق المطلق فى اختيار حاكمها الأعلى المشرف على جميع سلطات التنفيذ وهو الخليفة أو الإمام .

وفى هذا يقول العلامة المرحوم الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية الأسبق فى كتاب عن " حقيقة الإسلام وأصول الحكم " : إن منصب الخليفة إنما يكون بمبايعة أهل الحل والعقد وإن الإمام إنما هو وكيل الأمة وإن أفرادها هم الذين يولونه السلطة . . . . فمصدر قوة الخليفة هو الأمة وإنما هو يستمد سلطانه منها ، والمسلمون هم أول أمة قالت بأن الأمة مصدر السلطات ، وعلى هذا الأساس تم اختيار الأئمة الأربعة الراشدين

(٢٦) من هؤلاء الشيخ على عبد الرازق فى كتابه الإسلام وأصول الحكم وقد فند كتاب هذا الشيخ وبين خطأه المرحوم الدكتور محمد ضياء الدين الريس فى كتابه الخلافة .

وكانت وصية أبى بكر لعمر بالخلافة من بعده مجرد ترشيح فقط ، وكذلك بالنسبة لسيدنا عثمان فوصاية عمر باختيار الخليفة من واحد من ستة وضحهم بأسمائهم وهم (**عثمان بن عفان ، وعلى بن أبى طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف**) كان رأى عمر ورأى اللجنة ورأى عبد الرحمن بن عوف مجرد ترشيح لمنصب الخلافة ، وقد ترك الرأى الأعلى والنهائى لجماعة المسلمين ولم تتم خلافة عثمان بن عفان إلا بمبايعة أهل الحل والعقد ولو أن جماعة المسلمين لم تأخذ برأى عبد الرحمن بن عوف ما تولى الخلافة عثمان .

أيها المسلمون : وقد نُقرُّ فى الإسلام حق الأمة فى مراقبة الحاكم ومحاسبته على أعماله بأقوال الخلفاء الراشدين أنفسهم وأعمالهم وإجماع المسلمين فى ذلك العهد على عد هذا الحق من أهم حقوقهم ، وحرصهم على التمسك به والتصرف فى حدود ما يبيحه لهم . وفى ذلك يقول أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى الكلمة التى ألقاها عقب مبايعته بالخلافة : (أما بعد فقد وليت عليكم ولست بخيركم ... فإن رأيتمونى على حق فأعينونى وإن رأيتمونى على باطل فسددونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإن عصيت فلا طاعة لى عليكم) ويقول فى كلمة أخرى : (إنما أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن استقمت فتابعونى وإن زغت فقومونى) ففى هاتين الكلمتين تسليم صريح بمبدأ مسئولية الحاكم على أعماله أمام الأمة ، وأن لها الحق فى مراقبته ومحاسبته على مايبرمه فى شئون الحكم بل تسليم بحقها ألا تستجيب له وتعمل على تقويمه وتسديده إذا انحرف عن الجادة . وقد ورد فى كلام عمر وعثمان مضمون ما تقدم من مسئولية الحاكم وتقويمه إذا انحرف [٢٧] .

---

(٢٧) يراجع فى ما تقدم موضوع الحرية السياسية فى كتاب حقوق الإنسان فى الإسلام للدكتور على عبد الواحد وافى .

أيها المسلمون : وقبل أن ننهى الحديث عن الحرية السياسية فى نظام الإسلام الحنيف نوضح أمرين لهما صلة كبيرة بنظام الحكم فى الإسلام .

المبدأ الأول : الشورى والرجوع إلى الأمة فى الأمور الهامة . فالإسلام يحث على الشورى فى مهام الأمور على الإطلاق ، وفى قمتها من غير شك مهام الأمور فى شئون السياسة والحكم وينهى عن الاستبداد فيها بالرأى فيأمر الله تعالى نبيه ـ مع أنه معصوم من الزلل ، ولايسير إلا على هدى من ربه ـ بأن يشاور أصحابه فى الأمر ، فيقول : { **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر** }[٢٨] . ويبين القرآن الكريم أسمى صفات المؤمنين الصادقين فيذكر من بينها أن أمورهم شورى بينهم فيقول { **فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا ، وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون ، والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم . . . . .** }[٢٨] .

وقد حرص الرسول عليه السلام أو حرص الصحابة رضوان الله عليهم على أن يسموا السورة كلها التى وردت فيها هذه الجملة الأخيرة سورة الشورى لأهمية هذا المبدأ فى الإسلام .

أيها المسلمـون : الأمر الثانى الذى له صلة بنظام الحكم فى الإسلام : موقف الإسلام من السلطة التشريعية التى تتمثل فى برلمان يتألف من مجلس واحد أو من مجلسين ، وتختار الأمة جميع أعضائه أو معظمهم اختياراً حراً ، وترجع أهم اختصاصات البرلمان إلى أمرين :أحدهما مراقبة السلطة التنفيذية ومحاسبتها على أعمالها ، والأخر إصدار تشريعات

---

(٢٨) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .

(٢٩) سورة الشورى الآيات ٣٦ ـ ٣٨ .

جديدة وتعديل التشريعات القديمة بحسب مقتضيات الأحوال .

ومع أنه لم توجد نظائر لمجمع من هذا القبيل فى عصر الخلفاء الراشدين ، فإن وجوده لا يتعارض مع مبادئ الإسلام إذا حددت اختصاصاته فى إطار إسلامى .

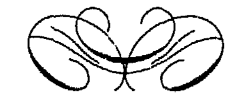
فيقر له الإسلام الوظيفة الأولى من وظيفتيه وهى مراقبة السلطة التنفيذية ومحاسبتها على أعمالها .

وأما وظيفته الثانية وهى إنشاء تشريعات جديدة وتعديل التشريعات القديمة فإن الإسلام لايقرها على هذا الوجه المعمول به فى الأمم الحديثة وذلك أن الإسلام دين متكامل ، قد وضع لمختلف شئون الحياة أحكاما ثابته لا يجوز تعديلها ، ولا استبدال غيرها بها . فلا يباح لهذا المجلس أن يبتدع تشريعا يتعارض مع أحكام الإسلام ، وكل ما يبيحه الإسلام فى هذا الصدد هو تفريع الأحكام الإسلامية وتطبيقها على ما يجد من القضايا ، والاجتهاد فى بعض الشئون التى يحتاج فيها إلى الاجتهاد بأن يستنبط حكما من الكتاب أو السنة أو الإجماع أوجريا على القياس الذى يعد أصلا من أصول التشريع الإسلامى غير أن الاضطلاع بهذه الأمور لايتاح لأناس منتخبين على أساس حزبى أو سياسى كما هو الشأن فى أعضاء المجالس النيابية الحاضرة ، وإنما يتاح لجماعة من كبار الفقهاء الراسخين فى علوم الشريعة الإسلامية أى لمجمع بحوث إسلامية يختار أعضاؤه من أصحاب هذه الكفايات .

أيها المسلمون : إلى نظام الإسلام ، إلى الحرية الإسلامية تسعدوا فى الدنيا ، وتفوزوا فى الآخرة . والله ولى التوفيق .

يراجع فى هذا الموضوع :

١ـ حقوق الإنسان فى الإسلام للدكتور على عبد الواحد وافى .
٢ـ مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى للشهيد سيد قطب .



موالاة غير المسلمين

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعـــد

فيقول الله سبحانه { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين }[1] ويقول { لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه }[2] ويقول { قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله الله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين }[3] ويقول { لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون }[4] .

أيها المسلمون : يوجه الإسلام إلى حقيقة لاعلاقة لها بالزمن . . .

(١) سورة المائدة الآية ٥١ .
(٢) سورة آل عمران الآية ٢٨ .
(٣) سورة التوبة الآية ٢٤ .
(٤) سورة الممتحنة الآيتان ٨ ، ٩ .

لأنها حقيقة نابعة من طبيعة الأشياء . إن أعداء الله من اليهود والنصارى وغيرهم لن يكونوا أولياء للجماعة المسلمة فى أى أرض ولافى أى تاريخ وقد مضت القرون ترسم مصداق هذه القولة الصادقة . . . لقد ولى بعضهم بعضا فى حرب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والجماعة المسلمة فى المدينة . وولى بعضهم بعضا فى كل فجاج الأرض ، على مدار التاريخ . .. ولم تتخلف هذه القاعدة مرة واحدة ، ولم يقع فى هذه الأرض إلا ما قرره القرآن الكريم ، فى صيغة الوصف الدائم ، لا الحادث المفرد ، واختيار الجملة الاسمية على هذا النحو { بعضهم اولياء بعض ... } ليست مجرد تعبير إنما هى اختيار للدلالة على الوصف الدائم الأصيل !

ثم رتب على هذه الحقيقة الأساسية نتائجها . . . فإنه إذا كان اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض فإنه لا يتولاهم إلا من هو منهم ، والفرد الذى يتولاهم من الصف المسلم يخلع نفسه من الصف المسلم ويخلع عن نفسه صفة هذا الصف " الإسلام " وينضم إلى الصف الآخر لأن هذه هى النتيجة الطبيعية الواقعية { ومن يتولهم منكم فإنه منهم } وكان ظالماً لنفسه ولدين الله وللجماعة المسلمة وبسبب منْ ظُلْمه هذا يدخله الله فى زمرة اليهود والنصارى الذين أعطاهم ولاءه ولاَيهديه اَللّه إلى الحق { إن الله لايهدى القوم الظالمين } .

لقد كان هذا عنيفا للجماعة المسلمة فى المدينة ولكنه تحذير ليس مبالغا فيه . فهو عنيف ، نعم ؛ ولكنه يمثل الحقيقة الواقعة فلا يمكن أن يمنح المسلم ولاءه لليهود والنصارى ـ وبعضهم أولياء بعض ـ ثم يبقى له إسلامه وإيمانه ، وتبقى له عضويته فى الصف المسلم الذى يتولى الله ورسوله والذين آمنوا . . . فهذا مفرق الطرق .

وما يمكن أن يتميع حسم المسلم فى المفاصلة بينه وبين كل من ينهج غير منهج الإسلام وبينه وبين كل من يرفع راية غير راية الإسلام ؛ ثم يمكن

أن يكون في وسعه بعد ذلك أن يعمل عملا ذا قيمة فى الحركة الإسلامية الضخمة التى تستهدف ـ أول ما تستهدف ـ إقامة نظام واقعى فى الأرض فريد ، يختلف عن كل الأنظمة الأخرى .

ويعتمد كذلك على تصور منفرد عن كل التصورات الأخرى .

إن اقتناع المسلم إلى درجة اليقين الجازم ، الذى لا أرْجحة فيه ولاتردد بأن دينه هو الدين الوحيد الذى يقبله الله من الناس ـ بعد رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبأن منهجه الذى كلفه الله أن يقيم الحياة عليه منهج منفرد ، لانظير له بين سائر المناهج ؛ ولا يمكن الاستغناء عنه بمنهج آخر ؛ ولايمكن أن يقوم مقامه منهج آخر ، ولا تصلح الحياة البشرية ولا تستقيم إلا أن تقوم على هذا المنهج وحده دون سواه ولايعفيه الله ولا يغفر له ولا يقبله إلا إذا هو بذل جهد طاقته فى إقامة هذا المنهج بكل جوانبه : الاعتقادية والاجتماعية لم يأل فى ذلك جهداً ، ولم يقبل عن منهجه بديلا ـ ولا فى جزء منه صغير ـ ولم يخلط بينه وبين أى منهج آخر فى تصور اعتقادى ، ولافى نظام اجتماعى ، ولا فى أحكام تشريعية ، إلا ما استبقاه الله فى هذا المنهج من شرائع من قبلنا . من أهل الكتاب .

إن اقتناع المسلم إلى درجة اليقين الجازم بهذا كله هو ـ وحده ـ الذى يدفعه للاضطلاع بعبء النهوض بتحقيق منهج الله الذى رضيه للناس فى وجه التبعات الشاقة ، والتكاليف المضنية ، والمقاومة العنيدة والكيد الناصب ، والألم الذى يكاد يجاوز الطاقة فى كثير من الأحيان . . . وإلا فَلِمَ العناء فى أمر يغنى عنه غيره ـ مما هو قائم فى الأرض من جاهلية ـ سواء كانت الجاهلية ممثلة فى وثنية الشرك أو فى انحراف أهل الكتاب أوفى الإلحاد السافر ـ ، بل لِمَ العناء فى إقامة المنهج الإسلامى إذا كانت الفوارق بينه وبين مناهج أهل الكتاب أو غيرهم قليلة يمكن الالتقاء

عليها بالمصلحة أو المهادنة ؟ .

إن الذين يحاولون تمييع هذه المفاصلة الحاسمة ؛ باسم التسامح والتقريب بين أهل الأديان السماوية يخطئون فى فهم معنى الأديان كما يخطئون فى فهم معنى التسامح . فالدين هو الدين الأخير وحده عند الله والتسامح يكون فى المعاملات الشخصية ، لافى التصور الاعتقادى ولا فى النظام الاجتماعى . إنهم يحاولون تمييع اليقين الجازم فى نفس المسلم بأن الله لا يقبل دينا إلا الإسلام ، وبأن عليه أن يحقق منهج الله الممثل فى الإسلام ولا يقبل دونه بديلا ؛ ولا يقبل فيه تعديلا ـ ولو طفيفا ـ هذا اليقين الذى ينشئه القرآن الكريم وهو تقرير .

{ **إن الدين عندالله الإسلام** }[٥] { **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه** }[٦] . . . { **واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك** . . . }[٧] { **يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم** }[٨] . . وفى القرآن كلمة الفصل . . . ولا على المسلم من تميع المتميعين وتمييعهم لهذا اليقين !

ووجود يهود ونصارى ــ من أهل الكتاب ــ بعد بعثة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ ليس معناه أن الله يقبل منهم ماهم عليه أو يعترف لهم أنهم على دين إلهى . . . . لقد كان ذلك قبل بعثة الرسول الأخير. أما بعد بعثته فلا دين ــ فى التصور الإسلامى وفى حس المسلم ــ إلا الإسلام ــ وهذا ما ينص عليه القرآن نصا غير قابل للتأويل . . . إن الإسلام لا يكرههم على ترك معتقداتهم واعتناق الإسلام لأنه { **لا إكراه فى الدين** }[٩]

---

(٥) سورة آل عمران الآية ١٩ .
(٦) سورة آل عمران الآية ٨٥ .
(٧) سورة المائدة الآية ٤٩ .
(٨) سورة المائدة الآية ٥١ .
(٩) سورة البقرة الآية ٢٥٦ .

ولكن هذا ليس معناه أن يعترف بما هم عليه " دينا " ويراهم على " دين " .

والمسلم يتعامل مع أهل الكتاب هؤلاء ، وهو مُطَالَبٌ بإحسان معاملتهم مالم يؤذوه فى الدين .

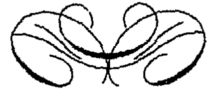
إن الإسلام قد جاء ليصحح اعتقادات أهل الكتاب ، كما جاء ليصحح اعتقادات المشركين والوثنيين سواء ، ودعاهم إلى الإسلام جميعا . لأن هذا هو " الدين " الذى لا يقبل الله غيره من الناس جميعا ، ولما فهم اليهود أنهم غير مدعوين إلى الإسلام ؛ وكَبُر عليهم أن يدعوا إليه ، جابههم القرآن الكريم بأن الله يدعوهم إلى الإسلام ، فإن تولوا عنه فهم كافرون !

والمسلم مكلف أن يدعو أهل الكتاب إلى الإسلام كما يدعو الملحدين والوثنيين سواء وهو غير مأذون فى أن يكره أحداً من هؤلاء ولاهؤلاء على الإسلام لأن العقائد لاتنشأ فى الضمائر بالإكراه ، فالإكراه فى الدين فوق أنه منهى عنه هو كذلك لاثمرة له .

ولايستقيم أن يعترف المسلم بأن ماعليه أهل الكتاب ـ بعد بعثه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو دين يقبله الله . . . .ثم يدعوهم مع ذلك إلى الإسلام ! . . . إنه لايكون مكلفا بدعوتهم إلى الإسلام إلا على أساس واحد ، هو أنه لايعترف بأن ماهم عليه دين وأنه يدعوهم إلى الدين .

أيها المسلمون : يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما أخرجه مسلم عن أبى موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **والذى نفسى بيده لايسمع بى رجل من هذه الأمة يهودى ولانصرانى ثم لايؤمن بى إلا دخل النار** " وفى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال : " بعثت إلى الأسود والأحمر "[١٠] وثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما رفعه جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلى ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة "[١١]



(١٠) رواه مسلم .
(١١) رواه الشيخان .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه ، وبعد الصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـا بعـــــد

أيها المسلمون : إن الإسلام دين سلام ، وعقيدة حب ، ونظام يستهدف أن يظل العالم كله بظله ، وأن يقيم فيه منهجه ، وأن يجمع الناس تحت لواء الله إخوة متعارفين متحابين ، وليس هنالك من عائق يحول دون اتجاهه هذا إلا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله : فأما إذا سالموهم فليس الإسلام براغب فى الخصومة ولامتطوع بها كذلك : وهو حتى فى حالة الخصومة يستبقى أسباب الود فى النفوس بنظافة السلوك ، وعدالة المعاملة انتظاراً لليوم الذى يقتنع فيه خصومه فى أن الخير أن ينضووا تحت لوائه الرفيع ، ولاييأس الإسلام من هذا اليوم الذى تستقيم فيه النفوس ، فتتجه هذا الاتجاه المستقيم .

وقد رخص الله للمسلمين فى موادة من لم يقاتلوهم فى الدين ولم يخرجوهم من ديارهم ، ورفع عنهم الحرج فى أن يبروهم وأن يتحروا العدل فى معاملتهم معهم فلا يبخسونهم من حقوقهم شيئا . ولكنه نهى أشد النهى عن الولاء لمن قاتلوهم فى الدين وأخرجوهم من ديارهم وساعدوا على إخراجهم ، وحكم على الذين يتولونهم بأنهم هم الظالمون وهو تهديد

رهيب يجزع منه المؤمن ويتقى أن يدخل فى مدلوله المخيف ! .

وتلك هى القاعدة فى معاملة غير المسلمين ، هى أعدل القواعد التى تتفق مع طبيعة هذا الدين ، ووجهته ، ونظرته إلى الحياة الإنسانية ، بل نظرته الكلية لهذا الوجود ، الصادر عن إله واحد ، المتجه إلى إله واحد ، المتعاون فى تصميمه اللّدُنّى وتقديره الأزلى ، من وراء كل اختلاف وتنويع .

وهى أساس شريعته الدولية التى تجعل حالة المسلم بينه وبين الناس جميعا هى الحالة الثابتة لايغيرها إلا وقوع الاعتداء الحربى وضرورة رده ، أو خوف الخيانة بعد المعاهدة ، وهى تهديد بالاعتداء أو الوقوف بالقوة فى وجه حرية الدعوة وحرية الاعتقاد وهو كذلك اعتداء . وفيما عدا هذا فهى السلم والمودة والبر والعدل للناس أجمعين .

ثم هى القاعدة التى تتفق مع التصور الإسلامى الذى يجعل القضية بين المؤمنين ومخالفيهم هى قضية هذه العقيدة دون غيرها ، ويجعل القيمة التى يضن بها المؤمن ويقاتل دونها هى قضية العقيدة وحدها ، فليس بينهم وبين الناس مايتخاصمون عليه ويتقاتلون إلا حرية الدعوة وحرية الاعتقاد ، وتحقيق منهج الله فى الأرض وإعلاء كلمة الله .

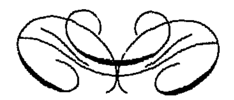
إن المسلم يعيش فى هذه الأرض لعقيدته ، ويجعلها قضيته مع نفسه ومع الناس من حوله فلا خصومة على مصلحة ، ولا جهاد فى عصبية — أى عصبية — من جنس أو أرض أو عشيرة أو نسب . إنما الجهاد لتكون كلمة الله هى العليا ، ولتكون عقيدته هى المنهج المُطَبّق فى الحياة .

ومما سبق يتضح أن الإسلام يوجه فيما يوجه إلى البر والإقساط والعدالة مع جميع من لم يقاتلوا أهله فى الدين ولم يخرجوهم من ديارهم

{ لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون }[(١٢)] .

أيها المسلمون : إلى توجيهات الإسلام إلى اتباع منهجه مع غير المسلمين تسعدوا فى الدنيا وتفوزوا فى الآخرة ، والله ولى التوفيق .

يراجع فى هذا الموضوع
ـ فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب



---

(١٢) سورة الممتحنة الآيتان ٨ ، ٩ .

بر الوالدين فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه ، ومن دعا بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين .

أمـا بعـــــد

فيقول الله سبحانه : { وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا }[1] ويقول : { واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا }[2] ويقول : { ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا }[3] ويقول : { ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير }[4] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم "أى العمل أحب إلى الله ، قال: بر الوالدين قلت ثم أى؟ قال الجهاد فى سبيل الله "[5] ـ وعنه رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ـ

(١) سورة الإسراء الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .
(٢) سورة النساء الآية ٣٦
(٣) سورة الأحقاف الآية ١٥ .
(٤) سورة لقمان الآية ١٤ .
(٥) متفق عليه .

صلى الله عليه وسلم ـ فقال يارسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال أمك . قال : ثم من ؟ قال أمك . قال ثم من ؟ قال أمك . قال ثم من ؟ قال أبوك "

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : أقبل رجل إلى نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله تعالى ، قال فهل لك من والديك أحد حى قال : نعم بل كلاهما قال : فتبتغى الأجر من الله تعالى قال : نعم قال فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما "[٦] وفى رواية " أحى والداك قال نعـم . قال : ففيهما فجاهد . "

وقال صلوات الله وسلامه عليه " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ـ ثلاثا قلنا : بلى يارسول الله قال : الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس قال ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت "[٧] وقال " الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين . وقتل النفس ، واليمين الغموس "[٨] وقال صلوات الله وسلامه عليه " من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا : يارسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه"[٩] وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " إن أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه " وعن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه ، وأعطاه عمامة كانت على رأسه قال ابن دينار فقلنا له أصلحك الله إنهم الأعراب وهم يرضون باليسير فقال عبد الله بن عمر إن أبا هذا كان ودا لعمر بن الخطاب وإنى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : " إن أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه " .

(٦) متفق عليه .
(٧) متفق عليه .
(٨) رواه البخارى .
(٩) متفق عليه .

أيها المسلمون : من هذه الآيات الكريمات ، والأحاديث النبوية الشريفة يتقرر مبدأ رعاية الوالدين والبر بهما وعدم الإساءة إليهما ـ فى نظام الإسلام الحنيف .

وبهذه العبارات الندية يستجيش القرآن الكريم وجدان البر والرحمة فى قلوب الأبناء ، ذلك أن الحياة وهى مندفعة فى طريقها بالأحياء توجه اهتمامهم القوى إلى الأمام ، إلى الذرية ، إلى الناشئة الجديدة ، إلى الجيل المقبل ، وقلما توجه اهتمامهم إلى الوراء إلى الأبوية إلى الحياة المولّية إلى الجيل الذاهب ومن ثم تحتاج البنوة إلى استجاشة وجدانها بقوة لتنعطف إلى الخلف ، وتتلفت إلى الآباء والأمهات .

إن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى رعاية الأولاد إلى التضحية بكل شىء حتى بالذات ، وكما تمتص النابتة الخضراء كل غذاء فى الحبة ، فإذا هى فتات ويمتص الفرخ كل غذاء فى البيضة فإذا هى قشر كذلك يمتص الأولاد رحيق كل عافية وكل جهد وكل اهتمام من الوالدين ، فإذا هما شيخوخة فانية ـ إن أمهلها الأجل ـ وهما مع ذلك سعيدان .

فأما الأولاد فسرعان ما ينسون هذا كله ويندفعون بدورهم إلى الأمام إلى الزوجات والذرية ، وهكذا تندفع الحياة .

ومن ثم لا يحتاج الآباء توجيهات كثيرة بالأبناء إنما يحتاج هؤلاء الأبناء إلى استجاشة وجدانهم بقوة ليذكروا واجب الجيل الذى أنفق رحيقه كله حتى أدركه الجفاف .

وهنا يجىء الأمر بالإحسان إلى الوالدين فى صورة قضاء من الله يحمل معنى الأمر المؤكد بعد الأمر المؤكد بعبادة الله .

ثم يأخذ السياق فى الآيات : { وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا . إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا }[١٠] يأخذ سياق الآيات فى تظليل الجو كله بأرق الظلال ، وفى استجاشة الوجدان بذكريات الطفولة ومشاعرالحب والعطف والحنان .

إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما . . . . والكبر له جلاله وضعف الكبر له إيحاؤه ، وكلمة عندك تصور معنى الالتجاء والاحتماء فى حالة الكبر والضعف ، فلا تقل لهما أف ولاتنهرهما وهى أول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب فلا يبدو من الولد ما يدل على الضجر والضيق ، وما يشى بالإهانة وسوء الأدب . . . .

وقل لهما قولا كريما وهى مرتبة أعلى إيجابية أن يكون كلامه لهما يشى بالإكراه والاحترام . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وهنا يشف التعبير ويلطف ، ويبلغ شغاف القلب ، وحنايا الوجدان فهى الرحمة ترق وتلطف حتى لكأنها الذل لا يرفع عينا ، ولايرفض أمراً وكأنما للذل جناح يخفضه إيذانا بالسلام والاستسلام . { وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا } فهى الذكرى الحانية ذكرى الطفولة الضعيفة يرعاها الوالدان وهما اليوم فى مثلها من الضعف والحاجة إلى الرعاية والحنان ، وهو التوجه إلى الله أن يرحمهما فرحمة الله أوسع ورعاية الله أشمل ، وجناب الله أرحب وهو أقدر على جزائهما بما بذلا من دمهما وقلبهما مما لايقدر على جزائه الأبناء .

قال الحافظ أبو بكر البزار ـ بإسناده عن بريدة عن أبيه أن رجلا كان

---

(١٠) سورة الإسراء الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

فى الطواف حاملا أمه يطوف بها فسأل النبى صلى الله عليه وسلم ـ هل أديت حقها ؟ قال لا ولا بزفرة واحدة فى حمل أو وضع ؟

أيها المسلمون : ويوصى الله بالوالدين حسنا ، وإن كانا مشركين فيقول سبحانه : { **ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير . وإن جاهداك على أن تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا** }[11] إن الوالدين لأقرب الأقرباء وإن لهما لفضلا وإن لهما لرحما ، وإن لهما لواجبا مفروضا واجب الحب والكرامة والاحترام والكفالة ولكن ليس لهما من طاعة فى حق الله . . وهذا هو الصراط . إن الصلة بالله هى الصلة الأولى والرابطة فى الله هى العروة الوثقى فإن كان الوالدان مشركين فلهما الإحسان والرعاية لا الطاعة ولا الاتباع ، لهما الصحبة الكريمة فى الدنيا { **وصاحبهما فى الدنيا معروفا** } فهى رحلة قصيرة على الأرض لاتؤثر فى الحقيقة الأصيلة ، ثم يعود الجميع إلى الله { **إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون** } يفصل بين المؤمنين والمشركين فإذا المؤمنون أهل وفاق ولو لم يعقد بينهم نسب ولا صهر .

روى الترمذى عند تفسير الآيتين السابقتين أنهما نزلتا فى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وأمه حمنة بنت أبى سفيان ـ وكان باراً بأمه ـ فقالت ما هذا الذى أحدثت ؟ والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ماكنت عليه أو أموت فَتُعَيَّر بذلك أبد الدهر يقال ياقاتل أمه ثم إنها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب فجاء سعد إليها وقال يأماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ماتركت دينى فكلى إن شئت وإن شئت فلا تأكلى ، فلما أيست منه أكلت وشربت فأنزل الله هاتين الآيتين آمراً بالبر بالوالدين والإحسان إليهما وعدم طاعتهما فى الشرك .

---

(١١) سورة لقمان الآيتان ١٤ ، ١٥ .

أيها المسلمون : لبر الوالدين فضل عظيم وجزاء جزيل عند الله عن ابن مسعود قال سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أى العمل أفضل ؟ قال الصلاة على وقتها قلت ثم أى ؟ قال بر الوالدين قلت ثم أى ؟ قال الجهاد فى سبيل الله "[١٢] وقال صلى الله عليه وسلم : العبد المطيع لوالديه والمطيع لرب العالمين فى أعلى عليين فى الجنة "[١٣]

وعن عمر بن الخطاب قال : يأتى إليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم قرن ، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم . له والدة بها بار . لو أقسم على الله لأبَرَّه فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل . وفى رواية " إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة كان به بياض فمروه فليستغفر لكم "[١٤] .

وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان خرج على وعمر من الطواف فإذا هما بأعرابى معه أمه يحملها على ظهره وهو يرتجز ويقول :

أنا مطيتها لا أنفر — وإذا الركاب ذعرت لا أذعر

لبيك اللهم لبيك .

فقال على يا أبا حفص ادخل بنا الطواف لعل الرحمة تنزل فتعمنا فدخل الرجل يطوف بها ويقول الرجز الماضى وعلى رضى الله عنه يقول :

إن تبرهـا فالله أشْكُرُ — يجزيك بالقليـل الأكثر

أيها المسلمون : بر الوالدين كفارة للذنوب الكبائر فعن ابن عمر رضى

---

(١٢) رواه البخارى ومسلم .
(١٣) أخرجه الديلمى فى مسند الفردوسى .
(١٤) رواه مسلم .

الله عنهما قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم ـ رجل فقال إنى أذنبت ذنبا عظيما فهل لى من توبة ؟ فقال : هل لك من أم ؟ وفى رواية هل من والدين ؟ قال : لا ، قال هل لك من خالة ؟ قال : نعم قال : فبرها " .

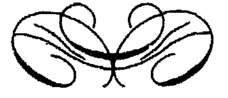
ولبر الوالدين بركة فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من سره أن يمد له فى عمره ويزاد له فى رزقه فليبر والديه وليصل رحمه " وقال صلوات الله وسلامه عليه " بروا آباءكم تبركم أبناءكم وعفوا تعف نساؤكم " وعنه قال : " دخلت الجنة فسمعت قراءة فقلت من هذا فقيل حارثة بن النعمان فقال كذلك البر وكان أبر الناس بأمه " .

أيها المسلمون : يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : " انطلق ثلاثة نفر[15] فيمن كان قبلكم حتى آواهم المبيت[16] إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت[17] عليهم الغار . فقالوا : إنه لا ينجيكم عن هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم . قال رجل منهم : اللهم إنه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق[18] قبلهما أهلا ولا مالا فنأى[19] بى طلب الشجر يوما فلم أرح[20] عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا ـ فلبثت ـ والقدح على يدى ـ أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ـ والصبية يتضاغون[21] عند قدمى ـ فاستيقظا فشربا غبوقهما : اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك[22] ففرج عنا ما نحن فيه من

(١٥) من ثلاثة إلى عشرة .
(١٦) المبيت: أوته إلى كهف : [بيت منقور فى جبل] .
(١٧) سدت الغار : أى باب الغار .
(١٨) لا أقدم فى الشرب قبلهما .
(١٩) بعد .
(٢٠) لم أرجع .
(٢١) يتضاغون : يصيحون .
(٢٢) وجهك : ذاتك .

هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه " .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له "(٢٤) .



(٢٣) فانفرجت : اتسعت .

(٢٤) رواه البخارى .

الخطبـة الثانيـة

بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـا بعـد

فياأيها المسلمون : فقد علمنا كيف وجه الإسلام إلى بر الوالدين والإحسان إليهما فى الحياة الدنيا وإن كانا مشركين ، وأنهما لا يطاعان إذا أمرا بمعصية ، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق كما ورد فى الحديث ، ولقد قرر الإسلام أن عقوق الوالدين كبيرة والله يقول : { فلاتقل لهما أف ولاتنهرهما } وأن من عق والديه ملعون ومن العقوق أن يتسبب المرء فى سب والديه .

أيها المسلمون : فى هذا القرن ظهرت فى أمريكا مشكلة أطلقوا عليها مشكلة الرجل العجوز يكبر الرجل عندهم فيتنكر له أولاده ، وتتنكر له الدولة ـ وعقدت المؤتمرات لحل هذه المشكلة ولكن ديننا الحنيف الذى هو من صنع رب العالمين قد تكفل بحل جميع مشاكل الإنسانية فى ظل من المرحمة فشريعة الله رحمة للعالمين ، { وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين }[٢٥] .

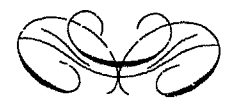
---

(٢٥) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .

أيها المسلمون : إلى البر بالوالدين ، إلى الإحسان إليهما ، إلى توجيهات الإسلام وشرائعه تسعدوا فى الدنيا وتفوزوا بالنعيم المقيم فى الآخرة والله ولى التوفيق .

يراجع فى هذا الموضوع :

١ـ رسالة بر الوالدين لفضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى .
٢ـ السلوك الاجتماعى فى الإسلام لفضيلة الشيخ حسن أيوب .



ليلة القــــدر

بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمــا بعـــد

فيقول الله سبحانه : { **إنا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ماليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر** }[1] .

أيها المسلمون : الحديث فى هذه السورة عن تلك الليلة الموعودة المشهودة التى سجلها الوجود كله فى فرح وغبطة وابتهال ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملأ الأعلى ، ليلة بدء نزول هذا القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ـ ليلة ذلك الحدث العظيم الذى لم تشهد الأرض مثله فى عظمته وفى دلالته وفى آثاره فى حياة البشرية جميعا . العظمة التى لايحيط بها الإدراك البشرى { **إنا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ماليلة القدر ؟ ليلة القدر خير من ألف شهر** } .

والنصوص القرآنية التى تذكر هذا الحادث تكاد ترف وتنير بل هى

---

(١) سورة القدر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تفيض بالنور الهادى السارى الرائق الودود . نور الله المشرق فى قرآنه { **إنا أنزلناه فى ليلة القدر** } ونور الملائكة والروح وهم فى غدوهم ورواحهم طوال الليلة بين الأرض والملأ الأعلى . { **تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر** } ونور الفجر الذى تعرضه النصوص متناسقا مع نور الوحى ونور الملائكة وهم فى غدوهم ورواحهم وروح السلام المرفرف على الوجود وعلى الأرواح السارية فى هذا الوجود { **سلام هى حتى مطلع الفجر** } .

والليلة التى تتحدث عنها السورة هى الليلة التى جاء ذكرها فى سورة الدخان { **إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين. فيها يفرق كل أمر حكيم . أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين . رحمة من ربك إنه هو السميع العليم** }[٢] .

والمعروف أنها ليلة من ليالى رمضان كما ورد فى سورة البقرة { **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان** }[٣] أى التى بدىء فيها نزول القرآن على قلب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليبلغه إلى الناس وفى رواية إسحق أن الوحى بمطلع سورة العلق كان فى شهر رمضان ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتحنث فى غار حراء .

وقد ورد فى تعيين هذه الليلة آثار كثيرة ، بعضها يعين الليلة السابعة والعشرين من رمضان ، وبعضها ليلة الواحد والعشرين ، وبعضها يعينها ليلة من الليالى العشر الأخيرة ، وبعضها يطلقها فى رمضان كله فهى ليلة من ليالى رمضان على كل حال فى أرجح الأقوال .

واسمها ليلة القدر . قد يكون معناه التقدير والتدبير ، وقد يكون

(٢) سورة الدخان الآيات ٣ : ٦ .   (٣) سورة البقرة ١٨٥ .

معناه القيمة والمقام ، وكلاهما يتفق مع هذا الحدث الكونى العظيم حدث القرآن والوحى والرسالة ، وليس أعظم منه ولاأقوم فى أحداث هذا الوجود ، وليس أدل منه كذلك على التقدير والتدبير فى حياة العبيد وهى خير من ألف شهر والعدد لايفيد التحديد إنما هو يفيد التكثير . والليلة خير من آلاف الشهور فى حياة البشر فكم من آلاف الشهور وآلاف السنين قد انقضت دون أن تترك فى الحياة بعض ماتركته هذه الليلة المباركة السعيدة من آثار وتحولات ..

الليلة من العظمة بحيث تفوق حدود الإدراك البشرى { **وماأدراك ماليلة القدر ؟** } وذلك بدون حاجة إلى التعلق بالأساطير التى شاعت حول هذه الليلة من أوهام العامة .. فهى ليلة عظيمة باختيار الله لها لبدء نزول هذا القرآن ، وإفاضة هذا النور على الوجود كله ، وإسباغ السلام الذىأفاض روح الله على الضمير البشرى والحياة الإنسانية ، وما تضمنه هذا القرآن من عقيدة وتصور وشريعة وآداب تشيع السلام فى الأرض والضمير ، وتنزيل جبريل بصفة خاصة ، بإذن ربهم ، ومعهم هذا القرآن باعتبار جنسه الذى نزل فى هذه الليلة ، وانتشارهم فيما بين السماء والأرض فى هذا المهرجان الكونى الذى تصوره كلمات السورة تصويراً عجيبا .

وحين ننظر اليوم وراء الأجيال المتطاولة إلى تلك الليلة ، المجيدة السعيدة ، ونتصور ذلك المهرجان العجيب الذى شهدته هذه الليلة ، ونتدبر حقيقة الأمر الذى تم فيها ، ونتملى آثاره المتطاولة فى مراحل الزمان وفى واقع الأرض ، وفى تصورات القلوب والعقول . . .. فإننا نرى أمرا عظيما حقا وندرك طرفا من مغزى هذه الإشارة القرآنية إلى تلك الليلة { **وما أدراك ماليلة القدر ؟** } لقد فرق فيها كل أمر حكيم ، وكم وضعت فيها من قيم وأسس وموازين وكم قررت فيها من أقدار أكبر من أقدار الأفراد ، أقدار أمم ودول وشعوب ، بل أكثر وأعظم . أقدار حقائق

واوضاع وقلوب ولقد تغفل البشرية لجهالتها ونكد طالعها ــ عن قدر ليلة القدر وعن حقيقة ذلك الحدث ، وعظمة هذا الأمر .

وهي منذ أن جهلت هذا أو أغفلته فقدت أسعد وأجمل آلاء الله عليها ــ وخسرت السعادة والسلام الحقيقي . سلام الضمير ، وسلام البيت ، وسلام المجتمع . الذي وهبها إياه الإسلام ولم يعوضها عما فقدت ما فتح عليها من أبواب كل شيء من المادة والحضارة والعمارة ، فهي شقية شقية على الرغم من فيض الإنتاج وتوافر وسائل المعاش . لقد انطفأ النور الجميل الذي أشرق في روحها مرة وانطمست الفرحة الوضيئة التي رفت بها وانطلقت إلى الملأ الأعلى ، وغاب السلام الذي فاض على الأرواح والقلوب فلم يعوضها شيء عن فرحة الروح ونور السماء وطلاقة الرفرفة إلى عليين .

أيها المسلمون : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ " **من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه** "[٤] وروى أحمد وابن ماجة والترمذي ــ وصححه ــ عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يارسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال : **قولي : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني** "[٥] .



---

(٤) رواه البخاري ومسلم .

(٥) رواه أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه .

الخطبــة الثانيــة

بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـا بعـــد

أيها المسلمون : نحن المؤمنين ـ مأمورون ألا ننسى ولانغفل هذه الذكرى فى أرواحنا لتظل موصولة أبدا ـ موصولة كذلك بالحدث الكونى الذى كان فيها . وذلك فيما حثنا الرسول عليه " **من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه** " ـ ومن تحريها فى الليالى العشر الأخيرة من رمضـان ـ فى الصحيحيـن " **تحروا ليـلة القـدر فى العشر الأواخر من رمضان** "[٦] وفى الصحيحين كذلك " **من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه** "[٧] والإسلام ليس شكليات ظاهرية . ومن ثم قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى القيام فى هذه الليلة أن يكون إيمانا واحتسابا ـ وذلك ليكون هذا القيام استيحاء للمعانى الكبيرة التى اشتملت عليها هذه الليلة " إيمانا " وليكون تجردا وخلوصا " واحتسابا " ومن ثم تنبض فى القلب حقيقة معينة بهذا القيام ترتبط بهذا المعنى الذى نزل به القرآن . فهى ليلة سُمِّيت ليلة القدر لأن فيها ابتدىء تقدير فرائض

---

(٦) رواه الشيخان .

(٧) رواه الشيخان .

الله وأحكامه وتقدير أعمال العالمين من المحقين والمبطلين ولهذا وصفها بقوله : { فيها يفرق كل امر حكيم } أى فيها ابتداء تفصيل كل شأن من شئون العقائد والقوانين والأخلاق وكل ماتقتضيه مصالح الناس أو سميت ليلة القدر لأنها ليلة الشرف والعظمة والعزة للرسول وللمؤمنين وللناس جميعا لأن القرآن رفع شأن الرسول صلى الله عليه وسلم ـ وأعلى قدره ورفع شأن الإنسانية وربأ بالإنسان عن العبودية لصنم أو وثن أو طاغوت ، فهى ليلة القدر والشرف والعظمة للناس جميعا لأنها مبدأ نزول القرآن الذى كفل للناس حقوقهم وحريتهم وأضاء لهم سبيل الرشد والهدى .

أيها المسلمون : أقول وجه الرسول صلى الله عليه وسلم ـ إلى قيام ليلة القدر من كل عام . فالمنهج الإسلامى فى التربية يربط بين العبادة وحقائق العقيدة فى الضمير ، ويجعل العبادة وسيلة لإحياء هذه الحقائق وإيضاحها وتثبيتها فى صورة حية تتخلل المشاعر ولاتقف عند حدود التفكير .

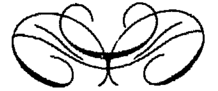
وقد ثبت أن هذا المنهج وحده هو أصلح المناهج لإحياء هذه الحقائق ، ومنحها الحركة فى عالم الضمير وعالم السلوك ، وأن الإدراك النظرى وحده لهذه الحقائق بدون مساندة العبادة ، وعن غير طريقها لايقر هذه الحقائق ، ولايحركها حركة واقعية فى حياة الفرد ولا فى حياة الجماعة وهذا الربط بين ذكرى ليلة القدر وبين القيام فيها إيمانا واحتسابا هو طرف من هذا المنهج الإسلامى الناجح القويم .

أيها المسلمون : إلى قيام ليلة القدر ، إلى إحياء المعانى والحقائق والشرائع التى ابتدىء نزولها فيها ، إلى رسالة الإسلام الحنيف ، إلى مهمتكم نحو الاستقامة عليها ودعوة الناس جميعا إليها والجهاد فى

سبيلها تسعدوا فى الدنيا وتفوزوا بالنعيم فى الآخرة والله ولى التوفيق .

يراجع فى هذا الموضوع :

- فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب .



الوقت هو الحياة

بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين

أما بعد

فيقول الله سبحانه { والله يقدر الليل والنهار }[1] .

أيها المسلمون : الوقت من ذهب وهذا صحيح من حيث القيم المادية للذين لايقيسون الوجود إلا بها ، ولكن الوقت هو الحياة للذين ينظرون إلى أبعد من ذلك .

وهل حياتك أيها الإنسان في هذا الوجود شيء غير الوقت الذى يمضى بين الوفاة والميلاد ؟ قد يذهب الذهب وينفد ولكنك تستطيع أن يكون معك منه أضعاف مافقدت ، ولكن الوقت الذاهب والزمن الفائت لانستطيع له إعادة أو إرجاعاً ! فالوقت إذن أغلى من الذهب ، وأغلى من الماس ، وأغلى من كل جوهر وعرض فى هذه الحياة .

وليس النجاح متوقفا على اللحظة الدقيقة والظروف المواتية فحسب

(١) سورة المزمل الآية ٢٠ .

ولكنه متوقف على اللحظة المناسبة كذلك وقدكانوا يحذرون من الرأى المتعجل ، ومن الرأى المتأخر أيضا ، والتوفيق أن يقع العمل فى لحظته المناسبة { والله يقدر الليل والنهار } ولهذا كان أعظم الناس تعرضا للخسارة والإخفاق الغافلون { ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون }[٢] .

ولقد كان من دعاء الصديق رضى الله عنه " اللهم لاتدعنا فى غمرة ولاتأخذنا على غرة ، ولاتجعلنا من الغافلين " .

وقد كان عمر رضى الله عنه يدعو بأن يرزقه الله البركة فى الأوقات وإصلاح الساعات . ولاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأله الله عن عمره فيم أفناه ؟ وعن ماله مم اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟ ومن أروع الصور التى عرض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قيمة الوقت الكريم " ما من يوم ينشق فجره إلا وينادى يابن آدم ، أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد فتزود منى فإنى لا أعود إلى يوم القيامة " .

ليس أغلى فى الوجود إذن من الوقت ، وإن الأوقات لتتفاوت فى يمنها وبركتها ، وحسن حظها ، وسعادة جَدّها فساعة أعظم بركة من ساعة ، ويوم أفضل عند الله من يوم ، وشهر أكرم من شهر .

هو الجد حتى تفضل العين أختها   وحتى يكون اليوم لليوم سيداً

وتلك فرصة أتاحها الله لنا نحن المؤمنين لنطرد فيها شبح الغفلة ، ولنعود فيها إلى التذكرة واليقظة ، ولنغتنم منها نفحات الفضل حين تهب

---

(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٩ .

نسمات القبول فإن الحسنة فى هذه الأوقات المباركة ، فيرفع الله فيها من درجات عباده الصالحين كما يفتح باب المتاب على مصراعيه ليدخل من أراد الله به الخير من التائبين المنيبين .

ولقد جاءت الآيات الكريمة تشير إلى هذه الأوقات اليومية والأسبوعية والسنوية ، كما أكدت ذلك التوجيهات النبوية، فالله تبارك وتعالى يقول : **{ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون }**[٣] ويقول : **{ واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولاتكن من الغافلين }**[٤] ويقول : **{ والفجر وليال عشر }**[٥] ويقول : **{ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام }**[٦] ويقول : **{ واذكروا الله فى أيام معدودات }**[٧] **{ ليلة القدر خير من ألف شهر }**[٨] ويقول : **{ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم }**[٩] ويقول : **{ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان }**[١٠] .

ولقد وجهنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى قيمة الوقت وطريقة الانتفاع به فيما ورد عنه فى كثير من الأحاديث مشيراً إلى أن المؤمن بين مخافتين ، بين عاجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه ، وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الهرم ، ومن الحياة قبل الموت .

فياأيها الأخ العزيز أمامك كل يوم لحظة بالغداة ولحظة بالعشى ،

---

(٣) سورة الروم الآيتان ١٧ ، ١٨ .
(٤) سورة الأعراف الآية ٢٠٥ .
(٥) سورة الفجر الآيتان ١ ، ٢ .
(٦) سورة الحج الآية ٢٨ .
(٧) سورة البقرة الآية ٢٠٣ .
(٨) سورة القدر الآية ٣ .
(٩) سورة التوبة ٣٦ .
(١٠) سورة البقرة الآية ١٨٥ .

ولحظة فى السحر تستطيع أن تسمو فيها بروحك الطهور إلى الملأ الأعلى فتظفر بخيرى الدنيا والآخرة . أمامك يوم الجمعة وليلتها ، تستطيع أن تملأ فيها يديك وقلبك وروحك بالفيض الهاطل من رحمة الله على عباده ، وأمامك موسم الطاعات وأيام العبادات وليالى القربات التى وجهك إليها كتابك الكريم ورسولك العظيم فاحرص على أن تكون فيها من الذاكرين لامن الغافلين ومن العاملين لا من الخاملين ، واغتنم الوقت فالوقت كالسيف ودع التسويف فلا أضر منه .

وكن صارما كالوقت ، فالوقت فى عسى وخل لعل فهى أكبر علة

نسأل الله لنا ولك التوفيق للعمل المقبول ، والوقت الفاضل .

أيها المسلمون : يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " ما من أيام العمل فيها احب إلى الله من عشر ذى الحجة قالوا ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشىء[11] وقال : " مامن يوم افضل عند الله من يوم عرفة "[12] ويقول : " لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم افضل من يوم الجمعة " قال ابن القيم وهو حديث صحيح ومن حديث أبى هريرة .



---

(١١) رواه ابن ماجة والدرامى .

(١٢) رواه أبو يعلى والبزار وابن خزيمة وابن حبان .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى ويوم الدين .

أما بعد

فيأيها المسلمون وهكذا رأينا قيمة الوقت فى نظام الإسلام ورأينا توجيه الكتاب الكريم والسنة المطهرة إلى حسن استغلاله ، وبخاصة الأوقات التى يتضاعف فيها ثواب العمل الصالح .

والرجال ياأخي ثلاثة ـ رجل حي كميت موجود كمفقود لا تدرى الدنيا بمجيئه إليها ، ولا تشعر بغيبته إذا غاب عنها وما أشبهه بهمسة ضعيفة في صحراء مقفرة ذهبت بها الريح كل مذهب فتلاشت فى أجواء الفضاء ، أولئك ياأخي هم الغافلون الذين يقول الله فيهم { **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** }[١٣] .

ورجل كل همه ـ متعة زائلة ، أو مركب فاره أو امرأة وضيئة أو حلة جميلة أو لقب أجوف أو مظهر كاذب .

---

(١٣) سورة الأعراف الآية ١٧٩ .

رضوا بالأمانى وابتلوا بحظوظهم
وخاضوا بحار الجد دعوى فما ابتلوا

أولئك قال الله فيهم { زين للناس حب الشهوات من النساء ، والبنين ، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة ، والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب }[١٤] .

ورجل أشرقت مصابيح الهداية فى قلبه وهتفت به هواتف الحقيقة فاستمع لقول الله { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون }[١٥] .

فَهُدِىَ إلى الغاية فأخذ فى التشمير وجد فى المسير فهذا هو الرجل والرجال قَليل ، والناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة { والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين }[١٦] .

فاحرص ياأخى أن تكون من هذا النوع الأخير والله يهدينا جميعا سواء السبيل .

أيها المسلمون : إلى الانتفاع بالوقت وصرفه فى صالح العمل ، إلى عبادة الله بمعناها الشامل لكل شئون الحياة بحسن النية ، فإنكم لم تُخْلَقُوا عبثا ولن تتركوا سدى . بل خلقتم لغاية هى أسمى الغايات ، ذكرها الله فى قوله : { يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم ، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم ، وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل ،

---

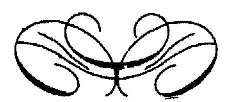
(١٤) سورة آل عمران الآية ١٤ .
(١٥) سورة الذاريات الآية ٥٦ .
(١٦) سورة العنكبوت الآية ٦٩ .

وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس ، فأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير }[١٧] .

والله أسأل أن يتولانا جميعا وهو يتولى الصالحين .

يراجع فى هذا الموضوع :

ـ منبر الجمعة للإمام الشهيد حسن البنا .



(١٧) سورة الحج الآيتان ٧٧ ، ٧٨ .

غـــزوة بـــدر الكبـــرى

بعد حمد الله عز وجل والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله وعلى اله وصحبه،ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعــد

فيقول الله عز وجل { ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون }[1] ويقول : { وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ، وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ، إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام }[2] ويقول : { فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى }[3] ويقول : { إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ، ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا }[4] ويقول : { ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٢٣ .
(٢) سورة الأنفال الآيات من ٧ : ١١ .
(٣) سورة الأنفال الآية ١٧ .
(٤) سورة الأنفال الآية ٤٢ .

الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعلمون محيط }[٥] ويقول : { **ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم }**[٦] .

أيها المسلمون : هذه الآيات الكريمات وغيرها فى سورة الأنفال توضح لنا أحداث غزوة بدر الكبرى ، تلكم الغزوة التى كانت حدثا فريدا فى تاريخ الدعوة الإسلامية والتى شرف الله قدر رجالها على لسان رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قوله " **لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم** " الحديث .

وخلاصة هذه الغزوة العظيمة كما ذكرتها كتب السيرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته من مكة إلى المدينة علم أن عيرا لقريش راجعة بتجارة لها من الشام بقيادة أبى سفيان بن حرب ، قريش التى وقفت فى سبيل دعوة الإسلام ، والتى آذت المسلمين إيذاء بينا وتآمرت على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى هاجر هو وصحبه الكرام إلى يثرب يلتمسون داراً ينشرون فيها الإسلام وينطلقون منها بالدعوة إلى دينه الحنيف ، قريش التى استولت على الكثير من أموال المسلمين ، قريش التى كانت تصل كتائبها إلى حدود المدينة ومراعيها لما سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأبى سفيان مقبلا من الشام على رأس هذه العير ندب من كان ظهره* حاضراً للخروج لملاقاة العير والتجارة وقال : عسى الله أن ينفلكموها .

ويعلم أبو سفيان بخروج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيرسل إلى قريش بمكة مستصرخا ، وتخرج قريش مسرعة ـ ويعلم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك فيستشير أصحابه ، قائلا : إن الله وعدنى إحدى الطائفتين العير أو النفير . ولكن بعض الصحابة كانوا يودون غير

---

(٥) سورة الأنفال الآية ٤٧ .   (٦) سورة الأنفال الآية ٦٧ .

* ظهره : ما يمتطى ظهرهُ من ناقة وفرس .

ذات الشوكة . كانوا يريدون العير ليستعينوا بما فيها من الأموال ، فقد قالوا هلا ذكرت لنا القتال فنستعد ، لكن الله ـ عز وجل ـ كان يريد أن يحق الحق ويبطل الباطل ويقطع دابر الكافرين الذين يقفون فى سبيل دعوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يريد أن تقوم دولة الإسلام الناشئة دولة الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ وإلى دينه الحنيف .

وفى ذلك يقول الله عز وجل : { **وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين** }[٧] .ويستشير الرسول أصحابه فيقول المقداد بن عمرو يا رسول الله : امض لما أمرك الله فو الله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى " اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون بل نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون " ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **أشيروا على أيها الناس**" وهو يريد الأنصار لأن بيعة العقبة ربما يفهم منها أنه لا تجب على الأنصار نصرته إلا إذا كان فى ديارهم لأنه كان من بنودها فإذا وصلت إليها فأنت فى ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فقال سعد بن معاذ سيد الأوس كأنك تريدنا يارسول الله ــ قال أجل . قال : " قد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك عهودنا ، فامض لما أمرك الله ، فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضنه معك ، وما نكره أن تلقى بنا العدو غدا إنا لصُبُرٌ فى الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله فأشرق وجهه عليه الصلاة والسلام وَسُرَّ بذلك وكما جاء فى رواية البخارى " **أبشروا والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم** " فعلم القوم أن الحرب حاصلة لا محالة هذا جانب الرسول صلى الله عليه وسلم ـ .

وكان عدة جيشه ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا ولم يكن معهم من الخيل إلا

---

٧) سورة الأنفال الآية ٧ .

فرسان ، وسبعون بعيراً ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ، وراية المهاجرين إلى على وراية الأنصار إلى سعد بن معاذ.

أما أبوسفيان فقد لحق بساحل البحر ونجا بالعير وبعث إلى قريش بذلك ، لكن أبا جهل يقول : " والله لانرجع حتى نرد بدراً فنشرب الخمر ، وتغنينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا وفى ذلك يقول الله عز وجل { **ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط** }[٨] .

وكان عدتهم تسعمائة وخمسون رجلا ، معهم مائة فرس وسبعمائة بعير ومضت قريش حتى نزلوا بجانب من الوادى وهو العدوة القصوى أى البعيدة عن المدينة ، ونزل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالعدوة الدنيا بجانب بدر وفى ذلك يقول الله سبحانه { **إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا** }[٩] .

ولما نزل الرسول بالعدوة الدنيا بجانب بدر قال الحباب بن المنذر يارسول الله أرأيت هذا المنزل أهو منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - " **بل هو الرأى والحرب والمكيدة** " فقال الحباب يا رسول الله ليس هذا بمنزل وأشار عليه بمكان يصلح للحرب ـ فقال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " **لقد اشرت بالرأى** " ونهض ومن معه من الناس فأتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ، وصنعوا الحياض ، وسمح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمن وردها من الكفار بالشرب وأنزل الله عز وجل فى تلك الليلة مطراً كان على المشركين وابلا شديدا منعهم من التقدم ، وكان على المسلمين رحمة

---

(٨) سورة الأنفال الآية ٤٧ . (٩) سورة الأنفال الآية ٤٢ .

وطأ الأرض ، وصلب الرمل وثبت الأقدام وربط على القلوب ، وفى ذلك يقول الله عز وجل : { إذ يغشيكم النعاس امنة منه ، وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ، وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام }[1] وتجلت عبقرية الرسول فى القيادة العسكرية ـ بجوار رسالته العظمى التى هى الأساس ومصدر الإلهام والهداية ـ فى قيادة الجيش وتعبئته الحكيمة ، وسده لمنافذ الخطر والهجوم ، وتقديره الصحيح لقوة العدو الحربية وعدده ومواضع نزوله جاءت تفاصيلها فى كتب السيرة

استعداد للمعركة :

وبُنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ عريش يكون فيه على تل مشرف على المعركة ومشى فى مواضع المعركة ، وجعل يشير بيده ، هذا مصرع فلان ، هذا مصرع فلان ، هذا مصرع فلان ، إن شاء الله فما تعدى أحد منهم موضع إشارته .

ولما طلع المشركون وتراءى الجمعان ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ " اللهم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها جاءت تحاربك وتكذب رسولك " ! .

وكانت ليلة الجمعة ، السابع عشر من رمضان ، فلما أصبحوا أقبلت قريش فى كتائبها ، واصطف الفريقان .

وعدل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الابتهال والتضرع والدعاء ، وقد علم أن الله لو وكل المسلمين إلى أنفسهم وقوتهم

(١.) سورة الأنفال الآية ١١.

فالنتيجة معلومة واضحة .

ولما رأى الكفتين ، كفة المسلمين وكفة المشركين غير متكافئتين ، وضع صنجة فى كفة المسلمين رجحت بها رجحانا ظاهراً .

فاستغاث بالله الذى لا معقب لحكمه ، ولا راد لقضائه { **وما النصر إلا من عند الله** } وشفع للكتيبة المؤمنة القليلة فى العدد الفقيرة فى العدة فقال : { **اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها فى الأرض . وجعل يهتف به عز وجل ويقول اللهم انجزنى ما وعدتنى اللهم نصرك** " ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه ، وجعل أبو بكر رضى الله عنه يسليه ويشفق عليه .

وفى ذلك يقول الله تعالى : { **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين** }[11] .

لقد شفع رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لهذه العصابة المؤمنة فى هذه الساعة الحاسمة الدقيقة بالكلمة الوجيزة ، التى تجلت فيها الثقة ، والاضطراب والسكينة والافتقار جنبا لجنب ، فكانت أدق تعريف بهذه الأمة ، وأدق تحديد لمركزها ومكانتها بين الأمم ، وقيمتها وعنائها فى هذا العالم ، والثغر الذى ترابط عليه ، وهو الدعوة إلى الله وإخلاص الدين والعبادة له ومن هنا قال ربعى بن عامر لقائد الفرس { **إن الله ابتعثنا لإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله** } .

وقد أثبت هذا الانتصار الرائع المعجز الذى أبطل كل تجربة صدق هذه الكلمة ، ودقتها ، وأنها كانت تصويرا صادقا دقيقا لهذه الأمة .

---

(١١) سورة الأنفال الآية ٩ .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ إلى الناس فحرضهم على القتال ، وخرج عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد ، فلما توسطوا بين الصفين ، طلبوا المبارزة فخرج إليهم ثلاثة فتيه من الأنصار (ابن رواحة وابنا عفراء) فقالوا من أنتم ؟ قالوا رهط من الأنصار ! قالوا أكفاء كرام ولكن أخرجوا لنا من بنى عمنا .

قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قم ياعبيدة بن الحارث (بن عبد المطلب ابن عبد مناف) قم يا حمزة قم ياعلى ، قال نعم أكفاء كرام وبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة وبارز حمـزة شيبة ، وبارز على الوليد بن عتبة ، فأما حمزة وعلى فلم يمهلا خصميهما أن قتلاهما واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه وكر حمزة وعلى بأسيافهما على عتبة وأجهزا عليه واحتملا عبيدة وهو جريح ومات شهيداً .

وتزاحم الناس ودنا بعضهم من بعض ودنا المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - (**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**) .

وقام عمير بن الحمام وقال يا رسول الله ـ جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال نعم . قال بخ بخ[١٢] يارسول الله قال ما يحملك على قولك بخ بخ قال لا ـ والله يارسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال فإنك من أهلها . فأخرج تمرات من قَرَنَه[١٣] فجعل يأكل منهن ثم قال لئن حييت حتى آكل من تمراتى هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتل حتى قتل وكان يرتجز .

ركضـا إلى اللـه بغير زاد ـ إلا التقى وعمل المعاد
والصبر فى الله على الجهاد ـ وكل زاد عرضة النفاد
إلا التقى والبر والرشاد

(١٢) بخ بخ كلمة تقال عند الرضا وتنون عند الوصل ، وكذا تقال عند تفخيم الشئ وتعظيمه.
(١٣)قَرَنَه : جعبة النشاب .

والناس صابرون ذاكرون الله كثيراً وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قتالاً شديداً وكان أقرب الناس من العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً ونَزَّل الله الملائكة بالرحمة والنصر للمؤمنين ، وقاتلوا المشركين وفى ذلك يقول سبحانه { إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان }[١٤] .

وتسابق الشباب فى الشهادة ، ونيل السعادة وكانت مسابقة بين أخلاء وأصدقاء ، وإخوة أشقاء .

يقول عبدالرحمن بن عوف : " إنى لفى الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يمينى وعن يسارى فتيان فكأنى لم آمن بمكانهما ، إذ قال لى أحدهما سرا من صاحبه ياعم أرنى أبا جهل ، فقلت يابن أخى ما تصنع به ؟ قال عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه ، وقال لى الآخر سراً من صاحبه مثله ، قال فما سرنى أنى بين رجلين مكانهما ، فأشرت لهما إليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء "[١٥] .

ولما قتل أبوجهل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ هذا أبوجهل فرعون هذه الأمة .

ولما أسفرت الحرب عن انتصار المسلمين وهزيمة المشركين قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الله أكبر ، الحمد لله الذى صدق وعده ، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، وصدق الله العظيم { ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون } .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بالقتلى أن يطرحوا فى القليب

---

(١٤) سورة الأنفال الآية ١٢ .

(١٥) رواه البخارى .

فطرحوا فيه ووقف عليهم فقال : " يا أهل القليب هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا إنى وجدت ماوعدنى ربى حقا ، بئس العشيرة كنتم لرسولكم ، لقد كذبتمونى وصدقنى الناس ، " وخذلتمونى ونصرنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس " ، وقتل من الكفار يوم بدر سبعون وأسر سبعون ومن المسلمين من المهاجرين ستة ومن الأنصار ثمانية .

وتوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة مؤيدا مظفرا وقد خافه كل عدو بالمدينة وحولها ، وأسلم بشر كثير من أهل المدينة .

ووقعت النياحة فى بيوت المشركين بمكة ودخل الرعب فى قلوب الأعداء لقد سقوا كئوس المنايا مكان الخمر ، وناحت عليهم النوائح مكان غناء القيان .

أيها المسلمون : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ " إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف "[١٦] ويقول " لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها " ويقول صلوات الله وسلامه عليه " عينان لاتمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله "[١٧] .



---

(١٦) رواه مسلم .
(١٧) رواه الترمذى .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـا بعـد

فياأيها المسلمون : ينبغي ألا نترك الحديث عن غزوة بدر حتى نذكر بعض مواقف للبأس والتربية ، وأخذ العبر والدروس .

فهذا المقداد بن عمرو يقول : " امض لما أمرك الله فو الله لانقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون بل نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون .

ويقول سعد بن معاذ لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " قد آمنا بك وصدقناك وأعطيناك عهودنا فامض لما أمرك الله فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لنخوضنه معك وما نكره أن نلقى عدونا غدا ، إنا لصبر فى الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله " .

موقف الشابين (ابنى عفراء) وقتلهما لأبى جهل " كما جاء فى حديث البخارى السابق ، وموقف عمير بن الحمام وحبه للجنة والشهادة فى سبيل

الله ، موقف مصعب بن عمير مع أخيه المشرك . فقد أسر يوم بدر أبو عزيز ابن عمير أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه ، وكان مصعب صاحب اللواء يوم بدر ، وأبو عزيز صاحب لواء المشركين . ومر به أخوه مصعب ورجل من المسلمين يشد يديه فأوصاه بأن يشد الوثاق قال إن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك . فقال له أبو عزيز ياأخي هذه وصاتك بي فقال له مصعب إنه أخي دونك . وصدق الله العظيم { **لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه** }[(١٨)] .

وموقف الحباب بن المنذر وقبول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مشورته .

دروس :

١ـ النصر من عند الله وحده للمؤمنين متى آمنوا بالله ثم استقاموا على أمره وجاهدوا فى سبيله سواء أكانوا فئة قليلة أو فئة كثيرة .

٢ـ لله جنود السموات والأرض وقد أمد الله المسلمين فى بدر بالكثير منها ـ النعاس والمطر والرمل ، والملائكة ، والرعب يقول الله فى ذلك { **إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ، ويذهب عنكم رجز الشيطان ، وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام** }[(١٩)] ويقول سبحانه { **إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان** }[(٢٠)] .

أيها المسلمون : ومن الدروس كذلك ـ

---

(١٨) سورة المجادلة الآية ٢٢ .

(١٩) سورة الأنفال الآية ١١ .

(٢٠) سورة الأنفال الآية ١٢ .

٣ـ عناية الإسلام بالعلم فقد كان فداء الذى يَعْلَمُ القراءة والكتابة أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة عملا على محو الأمية .

٤ـ العبودية لله والشعور بها دائما ودوام ذكره { ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون }[٢١] .

٥ـ معاملة الأسرى معاملة كريمة .

فقد أوصى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالأسرى فقال : " استوصوا بهم خيرا " .

يقول أبو عزيز بن عمير الأسير من المشركين " كنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصونى بالخبز وأكلوا التمر[٢٢] لوصية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إياهم بنا ماتقع فى يد واحد منهم كسرة خبز إلا نفحنى بها فأستحى فأردها فيردها على مايمسها " .

أيها المسلمون معاملة الأسير معاملة كريمة من حقوق الإنسان فلقد قرر الإسلام حقوق الإنسان قبل أن تعرف أوربا شيئا عنها وكانت عالة عليه فى الكثير منها .

أيها المسلمون : لقد كان أهل بدر رضوان الله عليهم أساتذة عباقرة فى فن الموت ، فأنتجت عبقريتهم آثاراً باقية خالدة للدنيا جميعا ، فهل تبعث هذه الذكريات النفوس إلى العمل والاقتداء ؟ نرجوا والذكرى تنفع المؤمنين ، لقد حرصوا على الموت فوهبت لهم الحياة .

---

(٢١) سورة الأنفال الآية ٤٥ .

(٢٢) كان الخبز عندهم خيرا من التمر .

أيها المسلمون : إلى الجهاد إلى التضحية بالنفس والمال فالكثير من بلاد الإسلام قد احتلها العدو وعاث فى الأرض فسادا { **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** }.[٢٣] والله ولى التوفيق

يراجع فى هذا الموضوع :

١ـ منبر الجمعة للإمام الشهيد حسن البنا .
٢ـ السيرة النبوية للأستاذ أبوالحسن الندوى .



(٢٣) سورة التوبة الآية ١١١.

عيـد الفطـر

الحمد لله والله أكبر[1] ، الله أكبر مااستجاب المسلم لربه فصام ، الله أكبر ماامتنع المسلم فى هذا الشهر عن الحرام ، الله أكبر ماأسهر المسلم ليله بالقيام وقراءة القرآن فتدبر آياته وتذكر . . . الله أكبر الله أكبر ماالتمس ليلة القدر فأحياها إيمانا واحتسابا فحظى بفضل العبادة فيها وتطهر ، الله أكبر . . .

الله أكبر ماسعد الغنى بعطاء الفقراء والمساكين فتزكى وتطهر الله أكبر . .

الله أكبر مااعتكف فى المساجد المعتكفون فحبسوا أنفسهم لطاعة الله ورفعوا إليه أيدى الضراعة طالبين المغفرة والرضوان الله أكبر الله أكبر الله أكبر .

الله أكبر مابكت عيون العابدين من خشية الله .

الله أكبر ما لانت جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله .

الله أكبر ماتدارس العلماء شريعة الله فعلموا الجاهل ونبهوا الغافل فنالوا عند الله حسن الثواب .

الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، ومامن كبير إلا والله أعظم منه وأكبر . . . .

الله أكبر الله أكبر الله أكبر

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له ، هدانا لهداية الإسلام وماكنا

---

(١) الله أكبر تسعا .

لنهتدى لولا أن هدانا الله .
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من صام لربه وقام صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ، ومن دعا بدعوته ، واهتدى بهديه إلى يوم الدين . . .
الله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

أيها المسلمون: هذا يوم من أيام الله المباركة جمعكم الله فى صباحه المبارك على طهارة وتقى بعد أن أديتم فريضة الصوم خلال شهر مضى بحمد الله ، وأنتم فى هذا الصباح تضعون يدكم فى يد الله تتسلمون منه الجائزة جائزة التوفيق فى صوم رمضان ، وتمارسون فرحتكم الخالدة التى أنعم الله بها عليكم فهنيئا لكم ما صمتم وما أفطرتم ، وما فرحتم اليوم بصومكم وفطركم ، وهنيئا لكم إقبالكم فى هذا الصباح على تكبير الله وشكره وإنه لأمر عظيم الحكمة أن يجعل الله شعار العيد هذا التكبير الذى ترتفع به أصوات المؤمنين فى مشارق الأرض ومغاربها الجميع هتافهم واحد ووجهتهم واحدة ، وإحساسهم بالرضا واحد ودعواتهم إلى الله سبحانه حاملة أسمى معانى الخضوع لجبروته ، وليس كهذا الشعار تعبير عن إيمان الأمة بربها فى يوم عيدها المبارك وذلك اختيار من الله سبحانه حين خاطب عباده بقوله : { **ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون** }[2] ولعل مالمتاز به هذا الصباح أن الدعاء فيه متقبل مستجاب فقد عقب الحق سبحانه على مشروعية التكبير بقوله: { **وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** }[3] وليس ترتيب الآيات على هذا النحو بخال من الحكمة ، وإنما هو ترتيب يعبر عن استحقاق الداعين لأن يستجيب الله لهم ، أليسوا قد صاموا الشهر كله وقاموه ، أليسوا قد أحسنوا إلى أنفسهم حين عصموا جوارحهم عن ارتكاب المعاصى ، أليسوا قد لبوا نداء الله سبحانه حين هبوا من رقادهم اليوم مكبرين مهللين حامدين شاكرين ،

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٥ .   (٣) سورة البقرة الآية ١٨٦ .

ثم أليسوا قد فرغوا من توزيع زكاة فطرهم قبل أن يغدوا إلى مصلاهم فجبروا الكسير ، وواسوا المكلوم ، وأسعدوا البائس الفقير ، إنهم بهذا جديرون بأن يستجاب لهم إذا دعوا الله وهو منهم قريب .

أيها المسلمون : يومنا هذا يوم عيد لمن أشرقت مصابيح الهداية في قلبه ، وسطعت أنوار المعرفة في فؤاده ، وهتفت به هواتف الحقيقة {وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون }[٤] { قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين }[٥] فَفَقِهَ سر وجوده ، وهدى إلى غايته ، واطمأن إلى وجهته ، فأخذ في التشمير ، وجد في المسير ، فهذا هو الرجل والرجال قليل والناس كإبل مائة لاتجد فيها راحلة .

{ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين }[٦] .
الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

أيها المسلمون : يومنا هذا يوم عيد في الأرض ويوم الجائزة في السماء " ينادي الحق تبارك وتعالى ملائكته : ماجزاء الأجير إذا عمل عمله فيقولون إلهنا وسيدنا جزاؤه أن يوفى أجره ، فيقول سبحانه أشهدكم أني جعلت ثوابهم لصيامهم وقيامهم رضائي ومغفرتي ثم يقول سبحانه وقد نظر إلى جميع المصلين للعيد نظرة رحمة وحنان سلوني ياعبادي ، فوعزتي لاتسالوني اليوم في جمعكم لآخرتكم إلا أعطيتكم ، ولا لدنياكم إلا نظرت لكم قد أرضيتموني فرضيت عنكم ، انصرفوا مغفورا لكم "[٧ ، ٨] .

أيها المسلمون : الذي أفطر في رمضان في غير رخصة لاعيد له في الأرض ولاجائزة له في السماء . الذي اقترف السيئات وبارز الله

---

(٤) سورة الذاريات الآية ٥٦ .
(٥) سورة الأنعام الآية ١٦٢ .
(٦) سورة العنكبوت الآية ٦٩ .
(٧) أخرجه ابن حبان والبيهقي عن ابن عباس .
(٨) من كتاب الصوم للشيخ عبد اللطيف مشتهري .

بالمعاصى لاعيد له ولاجائزة . الذى طوى قلبه فى رمضان على الحقد والحسد لجمع كلمة الموحدين وعمل على تفريق صفوفهم وإضعاف سلطانهم لاعيد له ولاجائزة ، الذى حابى الظالمين ، وجامل السفهاء ، وعاون المفسدين لاعيد له ولاجائزة ، الذى استغل مصالح المسلمين العامة ، واستعان بمالهم على مصالحه الشخصية لا عيد له ولاجائزة ، الذى خان الله فى عمله الذى اؤتمن عليه ولم يؤده على وجهه لاعيد له ولاجائزة ، الذى مد يده أو لسانه أو أية جارحة بالإيذاء لعباد الله لاعيد له ولاجائزة .

الذى سلّى صيامه بالاستماع والنظر إلى الأفلام الفاضحة الفاحشة لا صيام له ، فلا عيد له ولاجائزة . الذى وقف فى سبيل تحكيم الشريعة الإسلامية وعمل على إشاعة الفاحشة وشوه أحكام الإسلام لاعيد له ولاجائزة .

إنما العيد لمن طاعته تزيد .

دخل رجل على أمير المؤمنين على كرم الله وجهه يوم عيد فوجده يتناول خبزا فيه خشونة فقال ياأمير المؤمنين : يوم عيد وخبز خشن ، فقال على : اليـوم عيـد من قُبل صيـامه وقيـامه ، عيـد من غُفر ذنبه ، وشُكر سعيه ، وقُبل عمله ، اليوم لنا عيد وغدا لنا عيد وكل يوم لانعصى الله فيه فهو لنا عيد .

أيها المسلمون : عن سعيد بن أوس الأنصارى عن أبيه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - " إذا كان يوم عيد الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادوا اغدوا يامعشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير ثم يثيب عليه الجزيل ، لقد أمرتم بقيام الليل فقمتم ، وأمرتم بصيام النهار فصمتم ، وأطعتم ربكم فاقبضوا جوائزكم فإذا صلوا نادى مناد ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائـزة . .

ويسمى ذلك اليوم فى السماء يوم الجائزة .

فالله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

أيها المسلمون : يذكرنا هذا العيد فيما يذكر بوحدة المسلمين مهما نأت ديارهم ، ومهما بعدت أوطانهم فهم إخوة { **إنما المؤمنون إخوة** }[٩] بعضهم أولياء بعض متعاونون على البر والتقوى يربط بينهم الإخاء الذى يرتفع إلى مرتبة الحب الذى يعلو حتى يصير إلى الإيثار { **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** } والمسلم أخو المسلم لايظلمه ولايسلمه .

يذكرنا عيد رمضان برسالة الإسلام الحنيف ومهمة المسلم فى هذا الوجود لأنه يأتى بعد الصيام شهر القرآن الكريم ومدارسته ويذكرنا بالانتصارات الإسلامية الأولى التى كانت فى هذا الشهر على عهد رسول الله وصحابته غزوة بدر الكبرى وغزوة الفتح .

ونحن فى هذا المشهد الإسلامى الرائع ، وفى هذا الاجتماع الربانى الطاهر الذى جمعتنا عليه سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم اجتماع لصلاة العيد وسماع خطبتيه لا يسعنا إلا أن نذكر فيما نذكر بهذه المعانى جميعها فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فى العيد ويعنى فيما يعنى بالتوجيه فيما يهم المسلمين فى وقتهم ـ فعن أبى سعيد قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى وأول شىء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ، ويأمرهم ، وإن كان يريد أن يقطع[١٠] بعثا أو يأمر بشىء أمر به ثم ينصرف ، ونحن من هذا المنطلق نُذكِّر ونعظ ونُوَجِّه فيما يهم المسلم فى هذه الأيام .

---

(٩) سورة الحجرات الآية ١٠ .

(١٠) يقطع بعثا أى يخرج طائفة من الجيش إلى الجهاد .

أيها المسلمون : لقد عطلنا أحكام الله ، ونحينا الإسلام عن شئون الحياة ، واتخذنا هذا القرآن مهجوراً ، فلم نحل حلاله ، ولم نحرم حرامه ، وغفلنا عن مهمتنا فى هذا الوجود ، فنحن الأمة المجتباة المختارة لتتحمل رسالة الله ، وأمانته وتبليغها للعالمين { **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** }[11] { **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** }[12] { **وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس** }[13] وقد سهل الله الأحكام وجعلها من الصلاحية لكل زمان ومكان بحيث تجد فيها الإنسانية سعادتها وأمنها وسلامها . دعوة إلى تعاليم الإسلام ، وجهاد بالحجة والبيان فإن أبى الناس ووقفوا فى طريقها فبالسيف والسنان ، { **وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله** } .

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا
فالحرب أجدى على الدنيا من السلم

ولقد كان ذلك مهمة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه الكرام دعوا إلى الله عز وجل وشاع فيهم الإخاء تحقيقا لقول الله عز وجل { **وألف بين قلوبهم لو أنفقت مافى الأرض جميعا ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم** }[14] .

فالله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

---

(١١) سورة آل عمران الآية ١١٠ .
(١٢) سورة البقرة الآية ١٤٣ .
(١٣) سورة الحج الآية ٧٨ .
(١٤) سورة الأنفال الآية ٦٣ .

أيها المسلمون : لقد غفل المسلمون عن كل هذه التبعات فشاعت بينهم الفرقة ، وتركوا تعاليم الله وشريعته ، وغفلوا عن مهمتهم فى الوجود ، وقعدوا عن الجهاد . فكان شأنهم شأن فرقة الإطفاء تركت مضخة الماء فاحترقت فى جملة المحترقين ، فضاعت مقدسات الإسلام وانتهكت أعراض المسلمين ، وتفرق المسلمون شيعا وأحزابا ، يكيد بعضها لبعض فذهبت ريحنا ، وتمكن العدو فى أرضنا وضرب بعضنا ببعض ووقف يرمقنا ويسخر من تنابذنا بالألقاب ، وتقاذفنا بالسباب فأرحناه من عناء جهادنا ، وفعلنا بأنفسنا مالم يفعل بنا الخصوم . أوهنا الجلد ، وخسرنا المال والولد ، ولم نحصل بعد ذلك على شىء .

ضاعت أوطان ومقدسات وقامت دول على أنقاض بعض الدول الإسلامية .

أيها المسلمون : لقد جاهد المسلمون السابقون حتى فتحوا هذه الديار بدمائهم الطاهرة ، ثم جئنا نحن فأضعنا هذه الأوطان ولم نحافظ عليها حفاظ الرجال { **ولله الأمر من قبل ومن بعد** } .

أيها المسلمون : أنتم المسئولون عن إقامة هذا الدين والدعوة إليه والجهاد فى سبيله ، أنتم المسئولون عن رد هذه الأوطان المسلوبة والمقدسات المغصوبة وردها إلى حوزة الإسلام .

أيها المسلمون: لقد فهم المسلمون الأولون مهمتهم فى الحياة وغايتهم فى الوجود ، فحرصوا على الموت فوهبت لهم الحياة أما نحن فقد رغبنا بأنفسنا عن نفس رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعن أنفس أصحابه ومن تبعهم بإحسان فحاق بنا ماحاق بنا .

أيها المسلمون : الجهاد ماض إلى يوم القيامة والله يقول { **وكأين من**

نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين }[١٥].
فالله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

أيها المسلمون : ليست حياة المؤمن حياة استرخاء وركون إلى متع الحياة فذلك شأن الكافرين { والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم }[١٦].

لكن المسلم قد اختاره الله لمهمة عظمى هى هداية البشرية ودعوتها إلى الحق والخير وإنارة العالم كله بشمس الإسلام .

أيها المسلمون : لانجاة لنا ولاعز لنا إلا إذا رجعنا إلى شريعة ربنا ، وأحكام ديننا ، وإلى أخوتنا ، وإلى جهادنا ، فهذا هو الطريق والله لايغير ما بقوم حتى يغيروا مابأنفسهم . كما جاء فى قوله سبحانه { إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم}[١٧] .

أيها المسلمون : فى هذا الظلام الدامس يتلمس المسلم النور ، وينتظر الفجر إن الأيام دول ، وإن القوى لن يستمر على قوته أبد الدهر ، والضعيف لن يدوم على ضعفه مدى الحياة ، لكنها أدوار وأطوار تعترض الأمم والشعوب كما تعترض الأفراد والآحاد . { وتلك الأيام نداولها بين الناس } { ولن تجد لسنة الله تحويلا } وإن الحكمة فى ذلك أن يبلو الله المؤمنين ، ويختبر الصادقين ويميز الخبيث من الطيب فيجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم - ويأجر الصادقين الصابرين { ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم }[١٨] .

---

(١٥) سورة آل عمران الآية ١٤٦ .
(١٦) سورة محمد الآية ١٢ .
(١٧) سورة الرعد الآية ١١ .
(١٨) سورة محمد الآية ٣١ .

وأقرب ما يكون هذا النصر إذا اشتد الضيق وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر - { حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كُذِبُوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولايرد بأسنا عن القوم المجرمين }[١٩].

ولن تتخلف هذه القاعدة فكم من أمة نهضت بعد قعود ، وتحركت بعد جمود ، وكم من أمة بطرت معيشتها وكفرت بأنعم الله فزالت من الوجود وأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون { إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين ، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين }[٢٠] { الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم }[٢١] والله عز وجل يدنى من المؤمنين ما بَعُدَ ، ويوافيهم بالنصر من حيث لا يحتسبون { هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ماظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا ياأولى الأبصار }[٢٢] { ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا }[٢٣] فالله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

أيها السلمون : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " لقد تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما كتاب الله وسنتى ". وعن أنس قال : " قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال قد

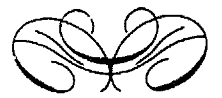
---

(١٩) سورة يوسف الآية ١١٠ .
(٢٠) سورة القصص الآيتان ٤ ، ٥ .
(٢١) سورة آل عمران الآيتان ١٧٣ ، ١٧٤ .
(٢٢) سورة الحشر الآية ٢ .
(٢٣) سورة الأحزاب الآية ٢٥ .

أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الفطر ويوم الأضحى "[٢٤] .

وعن أم عطية قالت : " أمرنا أن نخرج العواتق والحيض فى العيدين يشهدن الخير ودعوة المسلمين ويعتزل الحيض المصلى "[٢٥].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ " كان يخرج نساءه وبناته فى العيدين "[٢٦] وعنه أيضا " خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يوم فطر أو أضحى فصلى ثم خطب ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة "[٢٧]



---

(٢٤) رواه النسائى وابن حبان بسند صحيح .

(٢٥) متفق عليه .

(٢٦) رواه ابن ماجه والبيهقى .

(٢٧) رواه البخارى .

الخطبـة الثانيـة

الحمد لله والله أكبر

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـا بعـــد

أيها المسلمون : لم يفت الإسلام ـ وقد بنى عيدى المسلمين على معانى المجد والقوة والسمو والسلطان ـ أن ينظر إلى الجانب المادى فى الإنسان فيعطيه فى يوم عيده الحق فى التمتع بالملابس الجديدة ، والمآكل الطيبة ، واللهو البرىء الذى لا يخدش عرضا ، ولايقتحم كرامة ، ولايمس حرمة قضاء لحق الطبيعة البشرية فى ترويض البدن ، والترويح عن النفس لقول السيدة عائشة دخل أبو بكر وكان يوم عيد وعندى جاريتان تغنيان بما تقالت به الأنصار يوم بعاث فقال أمزامير الشيطان فى بيت رسول الله ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم - "**ياأبا بكر إن لكل قوم عيدا ، وهـذا عيدنا لتعلم يهـود أن فى ديننـا فسحة وأنى بعثت بحنيفية سمحة** " . فأعيادنا أعياد فرح وزينة ـ وشكر وعبادة تجمع بين حظى الجسم والروح ، وتذكرنا بالماضى المشرق ، وتدفعنا إلى المستقبل المؤمل . ولم يكن فرح المسلمين فى أعيادهم فرح لهو ولعب تقتحم فيه الحرمات وتنتهك

الأعـراض ، وتشرد فيه العقول بل تسلب كما تحاول أن تصوره وسائل إعلامنا ، فتعرض على الناس مايخدش الفضيلة ويدعو إلى الرذيلة ، مجارية فى ذلك أعداء الإسـلام فى مظاهر أعيادهـم . فأعيـادنا تعنـى بمظاهر الفرح والزينة ، كما تعنى بالعبادة والطاعة بالتكبير وصلاة العيد ، فهى تجمع بين حظى الجسم والروح وتبقى على المعانى الفاضلة ، وإنه لمن الشذوذ الفاضح ، أن يظن المسلم أن غيرة الله على حدوده ومحارمه فى رمضان أشد منها فى غير رمضان فيستبيح لنفسه المحرمات ، ويتخذها فى يوم عيده لهواً منه وعبثا شعارا يحتذى .

فقفوا أيها المسلمون عند الحدود ، وصوموا عن المحارم يكن لكم أعياد فى الأرض ، وأعياد فى السماء .   والله ولى التوفيق .

يراجع فى هذا الموضوع :

ـ خطبة الجمعة والعيدين موضوع خطبة عيد الفطر للأستاذ عبد الصبور شاهين



توضيح غايات الناس فى الحياة

بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعـد

فيقول الله سبحانه { ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور }[1] { كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله }[2] { ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون }[3] { وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا }[4] {ياأيهاالذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس }[5] { قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وماأنا من المشركين }[6] .

---

(١) سورة الحج الآيتان ٤٠ ، ٤١ .
(٢) سورة آل عمران الآية ١١٠ .
(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .
(٤) سورة البقرة الآية ١٤٣ .
(٥) سورة الحج الآيتان ٧٧ ، ٧٨ .
(٦) سورة يوسف الآية ١٠٨ .

أيها المسلمون : إن القرآن الكريم حدد غايات الناس فى الحياة ومقاصد الناس فيها فبين أن قوماً همهم من الحياة الأكل والمتعة فقال تبارك وتعالى : { والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم }[٧] وبين أن قوماً آخرين مهمتهم الزينة والعرض الزائل فقال تبارك وتعالى : { زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب }[٨] .

وبين أن قوما آخرين شأنهم فى الحياة إيقاد الفتن وإحياء الشرور والمفاسد أولئك الذين قال الله فيهم : { ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام . وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد }[٩] .

تلك مقاصد من مقاصد الناس فى الحياة نزه الله المؤمنين عنها ، وبرأهم منها ، وكلفهم مهمة أرقى ، وألقى على عاتقهم واجبا أسمى ، ذلك الواجب هو هداية البشرية إلى الحق وإرشاد الناس جميعا إلى الخير ، وإنارة العالم كله بشمس الإسلام . فذلك قوله تبارك وتعالى : { ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس }[١٠] .

ومعنى هذا أن القرآن الكريم يقيم المسلمين أوصياء على البشرية القاصرة ويعطيهم حق الهيمنة والسيادة على الدنيا لخدمة هذه الوصاية النبيلة .

---

(٧) سورة محمد الآية ١٢ .
(٨) سورة آل عمران الآية ١٤ .
(٩) سورة البقرة الآيتان ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
(١٠) سورة الحج الآيتان ٧٧ ، ٧٨ .

وصاية المسلم تضحية لاستفادة .

ثم يبين الله تبارك وتعالى أن المؤمن فى سبيل هذه الغاية قد باع لله نفسه وماله فليس له فيها شيء ، وإنما هى وقف على نجاح دعوته ورسالته وإيصالها إلى قلوب الناس وذلك قوله تعالى : { **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** }[11].

ومن ذلك نرى أن المسلم يجعل دنياه وقفا على دعوته ليكسب آخرته جزاء تضحيته ، ومن هنا كان الفاتح المسلم أستاذا يتصف بكل مايجب أن يتجلى به الأستاذ من نور وهداية ورحمة ورأفة ، وكان الفتح الإسلامى فتح تمدين وتحضير وإرشاد وتعليم فبربكم أيها المسلمون : هل فهم المسلمون من كتاب ربهم هذا المعنى فسمت نفوسهم ، ورقت أرواحهم ، وتحرروا من رق المادة ، وتطهروا من لذة الشهوات والأهواء ، وترفعوا عن سفاسف الأمور ودنايا المقاصد ، ووجهوا وجوههم لله الذى فطر السموات والأرض حنفاء ، يعلون كلمة الله ، ويجاهدون فى سبيله ، وينشرون دينه ، ويذودون عن حياض شريعته ، أم أنهم أسرى للشهوات ، وعبيد للأهواء والمطامع ، كل همهم لقمة لينة ، ومركب فاره ، وحلة جميلة ، ونومة مريحة ، وامرأة وضيئة ، ومظهر كاذب ، ولقب أجوف .

رضوا بالأمانى وابْتُلوا بحظوظهم
وخاضوا بحار الجد دعوى فما ابتلوا

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم " **تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة** " .

---

(١١) سورة التوبة الآية ١١١ .

أيها المسلمون : إن مهمة المسلم الحق لخصها الله تبارك وتعالى : فى آيتين من كتابه ورددها القرآن بعد ذلك فى عدة آيات فأما الآيتان اللتان اشتملتا على مهمة المسلمين فى الحياة فهما قول الله تبارك وتعالى: **{ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير }**[(١٢)] .

هذا كلام بين لا لبس فيه ولا غموض ، والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لواضح كالصبح ، ظاهر كالنور ، يملأ الآذان ، ويدخل على القلوب بغير استئذان ، فهل لم يسمعه المسلمون قبل الآن ؟ أم سمعوه ، ولكن على القلوب أقفال فلا تعى ولاتتدبر .

يأمر الله المسلمين أن يركعوا ويسجدوا وأن يقيموا الصلاة التى هى لب العبادة ، وعمود الإسلام ، وأظهر مظاهره ، وأن يعبدوا الله ولايشركوا به شيئا ، وأن يفعلوا الخير ما استطاعوا ، وهو حين يأمرهم بالخير ينهاهم بذلك عن الشر ، ومن أول الخير أن تترك الشر فما أوجز وما أبلغ ، ورتب لهم على ذلك الفلاح والنجاح والفوز تلكم هى المهمة الفردية لكل مسلم التى يجب أن يقوم بها بنفسه فى خلوة أو جماعة .

ثم أمرهم بعد ذلك أن يجاهدوا فى الله حق جهاده بنشر هذه الدعوة ، وتعميمها بين الناس بالحجة والبرهان ، فإن أبوا إلا العسف والجور والتمرد فبالسيف والسنان .

---

(١٢) سورة الحج الآيتان ٧٧ ، ٧٨ .

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا
فالحرب أجدى على الدنيا من السلم

وما أحكم قول القائل إن القوة أضمن طريق لإحقاق الحق ، وما أجمل أن تسير القوة والحق جنبا إلى جنب ، فهذا الجهاد فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية فضلا عن الاحتفاظ بمقدسات فريضة أخرى فرضها الله على المسلمين كما فرض عليهم الصوم والصلاة والحج والزكاة وفعل الخير وترك الشر ، وألزمهم إياها ، ندبهم إليها ، ولم يعذر فى ذلك أحدا فيه قوة ، وفيه استطاعة ، وإنها لآية زاجرة رادعة ، وموعظة بالغة { **انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** }[١٣] .

وقد كشف الله عن سر هذا التكليف ، وحكمة هذه الفريضة التى افترضها على المسلمين بعد هذا الأمر فبين أنه اجتباهم واختارهم واصطفاهم دون الناس ليكونوا سواس خلقه ، وأمناءه على شريعته ، وخلفاءه فى أرضه ، وورثة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومهد لهم الدين ، وأحكم التشريع ، وسهل الأحكام ، وجعلها من الصلاحية لكل زمان ومكان بحيث يتقبلها العالم ، وترى فيها الإنسانية أمنيتها المرجوة ، وأملها المنتظر { **هو اجتباكم وماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم ، وتكونوا شهداء على الناس** } وتلكم هى المهمة الاجتماعية التى ندب إليها المسلمون جميعا أن يكونوا صفا واحداً ، وقوة واحدة ، وأن يكونوا هم جيش الخلاص الذى ينقذ الإنسانية ، ويهديها سواء السبيل .

أيها المسلمون : ثم أوضح الحق تبارك وتعالى للناس بعد ذلك الرابطة

---

(١٣) سورة التوبة الآية ٤١ .

بين التكاليف من صلاة وصيام بالتكاليـف الاجتماعية ، وأن الأولى للثانية ، وأن العقيدة الصحيحة ـ أساسهما معا ، حتى لايكون للناس مندوحة من القعود عن فرائضهم بحجة أنهم يعملون للمجموع ؛ وحتى لايكون لآخرين مندوحة من القعود عن العمل للمجموع بحجة أنهم مشغولون مستغرقون فى صلتهم بربهم فما أدق وماأحكم { **ومن أصدق من الله حديثا ؟** }

أيها المسلمون : عبادة ربكم ، والجهاد فى سبيل التمكين لدينكم ، وإعزاز شريعتكم هى مهمتكم فى الحياة ، فإن أديتموها حق الأداء فأنتم الفائزون ، وإن أديتم بعضها أو أهملتموها جميعا فإليكم أسوق قول الله تبارك وتعالى : { **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق** }[١٤] .

لهذا المعنى جاء فى أوصاف أصحاب ـ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم صفوة الله من خلقه ، والسلف الصالح من عباده رهبان بالليل فرسان بالنهار ، ترى أحدهم فى محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين ويقول يادنيا غرى غيرى ، فإذا انفلق الصباح ودوى النفير يدعو المجاهدين رأيته رئبالا على صفوة جواده يزأر الزأرة فتدوى لها جنبات الميدان .

بالله ما هذا التناسق العجيب والتزاوج الغريب ، والمزج الفريد بين عمل الدنيا ومهامها ، وشئون الآخرة وروحانيتها ، ولكنه الإسلام جمع من كل شىء أحسنه .

ولهذا المعنى أيها المسلمون نفر المسلمون بعد اختيار نبيهم ـ صلى

---

(١٤) سورة المؤمنون الآيتان ١١٥ ، ١١٦ .

الله عليه وسلم ـ الرفيق الأعلى ـ فى أقطار الأرض قرآنه فى صدورهم ، ومساكنهم على سروجهم وسيوفهم بأيديهم ، وحجتهم واضحة على أطراف ألسنتهم يدعون الناس إلى إحدى ثلاث الإسلام أو الجزية أو القتال فمن أسلم فهو أخوهم له مالهم وعليه ما عليهم ، ومن أدى الجزية فهو فى ذمتهم وعهدهم يقومون بحقه ، ويرعون عهده ، ويوفون له بشرطه ، ومن أبى جالدوه حتى يظهرهم الله عليه { **ويأبى الله إلا أن يتم نوره** } .

مافعلوا ذلك لسلطان فزهادتهم فى الجاه والشهرة معروفة عند الخاص والعام ؛ ولقد قضى دينهم على تلك المظاهر الزائفة التى يستمتع بها أقوام على حساب آخرين فكان خليفتهم كأحدهم يفرض له من المال والعطاء مالرجل منهم ليس بأفضلهم ولا أدركهم وأميرهم بينهم لا يميزه إلا ما أفاض الله عليه من جلال الإيمان ، وهيبة اليقين . ولم يكن ذلك لمال فحسب أحدهم كسرة يرد بها جوعته ، وجرعة يطفىء بها ظمأته ، والصوم لديهم قربة والجوع أحب عندهم من الشبع ، وحظ أحدهم من اللباس ما يستر به عورته ، وكتابهم يناديهم بقول الله تعالى : { **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم** }[15] ونبيهم يقول : " **تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم وعبد القطيفة** " { **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض ولافسادا** }[16] .

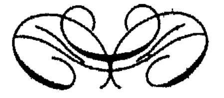
إذ لم يكن مخرجهم من ديارهم لجاه أو مال أو سلطة أو استعباد ، وإنما كان لأداء رسالة خاصة هى رسالة نبيهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ تركها أمانة بين أيديهم ، وأمرهم أن يجاهدوا فى سبيلها { **حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله** }[17] { **حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله** }[18] .

---

(١٥) سورة محمد الآية ١٢ .
(١٦) سورة القصص الآية ٨٣ .
(١٧) سورة البقرة الآية ١٩٣ .
(١٨) سورة الأنفال الآية ٣٩ .

أيها المسلمون : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم - " يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن ، فقال قائل : يارسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت " [١٩].

ويقول صلوات الله وسلامه عليه " لقد تركت فيكم ما لو اعتصمتم به لن تضلوا بعده كتاب الله وسنة رسوله " .



(١٩) رواه أبو دواد .

الخطبــة الثانيــة

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـا بعــد

فياأيها المسلمون : وهكذا رأينا مهمة المسلم وغايته فى الحياة من وحى القرآن الكريم ، وهى خلافة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الاستقامة على رسالة الإسلام ودعوة الناس إليها بالحجة والبرهان فإن أبوا إلا العسف والجور والتمرد فبالسيف والسنان . فما أولانا بالرجوع بأذهاننا وتصوراتنا إلى ذلك العصر المشرق بنور النبوة ، الزاهى بجلال الوحى ، لنقف بين يدى الأستاذ الأول ، وهو سيد المرسلين وفخر المرسلين الهادين لنتلقى عنه دروس الإصلاح من جديد وندرس خطوات الدعوة من جديد ونعمل ونجاهد كما عمل وجاهد ليعود لنا عزنا و مجدنا ، ويمكن الله لنا ديننا { **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا مابأنفسهم** }(٢.) .

أيها المسلمون : أى نور من وهج الشموس الربانية أشعله النبى الكريم فى قلوب صحابته فأشرقت وأضاءت بعد ظلمة وديجور ؟

(٢.) سورة الرعد الآية ١١ .

وأى ماء من فيض الحياة الروحية أفاضه عليها فاهتزت وربت ونمت فيها الزهور ، وأورقت بالوجدانات والمشاعر ، وترعرعت فيها العواطف والضمائر .

إن النبى صلى الله عليه وسلم ـ قذف فى قلوب صحابته بهذه المشاعر الثلاثة فأشرقت بها وانطبعت عليها .

١ ـ قذف فى قلوبهم أن ماجاء به هو الحق ، وما عداه الباطل وأن رسالته خير الرسالات ، ونهجه أفضل المناهج ، وشريعته أكمل النظم التى تتحقق بها سعادة الناس أجمعين وتلا عليهم من كتاب الله مايزيد هذا المعنى ثباتا فى النفس وتمسكا فى القلب { فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون }[٢١] { فتوكل على الله إنك على الحق المبين }[٢٢] { ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون }[٢٣] { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما }[٢٤] .

فآمنوا بهذا واعتنقوه وأصدروا عنه .

٢ ـ وقذف فى قلوبهم أنهم ماداموا أهل الحق وماداموا حملة رسالة النور وغيرهم يتخبط فى الظلام ، ومادام بين أيديهم هدى السماء لإرشاد الأرض فهم إذن يجب أن يكونوا أساتذة الناس وأن يقعدوا من غيرهم مقعد الأستاذ من تلميذه ، يحنو عليه ويرشده ويقومه ويسدده ويقوده إلى الخير ، ويهديه سواء السبيل .

---

(٢١) سورة الزخرف الآيتان ٤٣ ، ٤٤ .
(٢٢) سور النمل الآية ٧٩ .
(٢٣) سورة الجاثية الآية ١٨ .
(٢٤) سورة النساء الآية ٦٥ .

وجاء القرآن يثبت هذا المعنى ويزيده كذلك وضوحاً وصاروا يتلقون عن نبيهم من وحى السماء { **كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** }[٢٥] .

{ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** }[٢٦] { **وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس** }[٢٧] .
فآمنوا أيضا بهذا واعتقدوه وأصدروا عنه .

٣ ـ وقذف فى قلوبهم أنهم ماداموا مؤمنين بهذا الحق معتزين بانتسابهم إليه فإن الله معهم يعينهم ويرشدهم وينصرهم ويؤيدهم إذا تخلى عنهم الناس ، وإذا لم ينهض معهم جند الأرض ينزل عليهم المدد من جند السماء ، وأخذوا يقرءون هذه المعانى واضحة فى كتاب الله .

{ **إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين** }[٢٨] .

{ **أن الأرض يرثها عبادى الصالحون** }[٢٩] { **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز** }[٣٠] { **كتب الله لأغلبن أنا ورسلى** }[٣١] { **والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون** }[٣٢] { **إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان** }[٣٣] { **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** }[٣٤] { **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم فى الأرض** }[٣٥] قرأوا هذا وفقهوه فآمنوا به واعتقدوه وأصدروا عنه .

---

(٢٥) سورة آل عمران الآية ١١٠ .
(٢٦) سورة البقرة الآية ١٤٣ .
(٢٧) سورة الحج الآية ٧٨ .
(٢٨) سورة الأعراف الآية ١٢٨ .
(٢٩) سورة الأنبياء الآية ١٠٥ .
(٣٠) سورة الحج الآية ٤٠ .
(٣١) سورة المجادلة الآية ٢١ .
(٣٢) سورة يوسف الآية ٢١ .
(٣٣) سورة الأنفال الآية ١٢ .
(٣٤) سورة الروم الآية ٤٧ .
(٣٥) سورة القصص الآيتان ٥ ، ٦ .

وبهذه المشاعر الثلاثه الإيمان بعظمة الرسالة ، والاعتزاز باعتناقها ، والأمل فى تأييد الله إياها ـ أحيا الداعى الأول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قلوب المؤمنين من صحابته بإذن الله مشاعرهم ووجدانهم وضمائرهم ، وحدد لهم أهدافهم فاندفعوا يحملون رسالتهم محفوظة فى صدورهم ومصاحفهم بارزة فى أخلاقهم وأعمالهم معتقدين بتكريم الله إياهم ، واثقين بنصره وتأييده ، فدانت لهم الأرض ، وفرضوا على الدنيا مدنية المبادئ الفاضلة وحضارة الأخلاق الرحيمة والأحكام الاجتماعية العادلة ، وبدلوا سيئات المادة الجامدة إلى حسنات الربانية الخالدة { ويأبى الله إلا أن يتم نوره } .

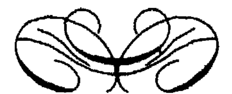
أيها المسلمون : واليوم ننظر إلى العالم الإسلامى وقد أصبح مطمع كل طامع فى خيره وثرواته ، و القضاء على إسلامه يستوى فى ذلك الأمم الشرقية الشيوعية ، والدول الكافرة الصليبية والصهيونية كل يحاول أن يحظى بنصيب الأسد . الشيوعية بعد أن استولت على أقاليم إسلامية ، ومحت شخصيتها الإسلامية تضرب الآن بشراسة وطنا إسلامياً عزيزا على المسلمين ، ولها أطماعها فى إيران ـ والخليج والقرن الإفريقى ، والدول الغربية تسعى كذلك للسيطرة على هذه الأوطان وغيرها ، وإن أسلوب هذه الدول يختلف بعضها عن بعض إلا أن الجميع يسعى لإنهاء دول الإسلام ، والسيطرة على ثرواتهم .

والمسلمون غافلون لاهون بل متدابرون متناحرون ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم . لا خلاص للمسلمين إلا بالعوذة إلى رسالة الإسلام والاستقامة عليها ، والتضحية فى سبيل الحفاظ على أوطان المسلمين فأوطانهم واحدة مهما بعدت البلدان ، ونأت الديار ، والجهاد الآن أصبح فريضة عينية لازمة محتمة على كل مسلم { إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم } { وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم } .

فإلى الإسلام من جديد يَعُدْ لنا عزنا ومجدنا ونفوز بسعادة الدنيا ومثوبة الآخرة . والله ولى التوفيق .

يراجع فى هذا الموضوع :

ـ رسائل الإمام الشهيد حسن البنا .



المساواة فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمــا بعــد

فيقول الله سبحانه : { يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها }[1] { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم }[2].

ويقول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى أشهر خطبة فى حجة الوداع : " إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية ، وتعظمها بالآباء والأجداد الناس لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى " ويقول : " ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبيه "[3] .

أيها المسلمون مما سبق نعلم أن الإسلام الحنيف جاء يعلن الأخوة الإنسانية ، ويبشر بالدعوة إلى العالمية ، ويبطل كل عصبية وقد سلك إلى

---

(١) سورة النساء الآية ١ .
(٢) سورة الحجرات الآية ١٣ .
(٣) رواه أبو داود .

تحقيق هذه الدعوة الكريمة السامية كل السبل النظرية والعملية .

فقد قرر وحدة الجنس والنسب للناس جميعا " **فالناس لآدم وآدم من تراب ولافضل لعربى على عجمى ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى** " .

وحكمة التقسيم إلى شعوب وقبائل إنما هي التعارف لا التخالف ، والتعاون لا التخاذل ، والتفاضل بالتقوى والأعمال الصالحة التى تعود بالخير على المجموع والأفراد ، والله رب العالمين يرقب هذه الأخوة ويرعاها ويطالب عباده جميعا بتقريرها ورعايتها ، والشعور بحقوقها والسير فى حدودها .

ويعلن هذه المعانى جميعها فى الآيات والأحاديث .

وبهذا التقرير قضى الإسلام تماما على التعصب للأجناس أو الألوان فى الوقت الذى لا تزال فيه الأمم المتحضرة من أوربا وأمريكا تقيم كل وزن لذلك ، وتخصص أماكن يغشاها البيض ويحرم منها السود حتى فى معابد الله ، وتضع القوائم الطويلة للتفريق بين الأجناس الآرية والسامية ، وتدعى كل أمة أن جنسها فوق الجميع .

ومما سلكه الإسلام لتقرير معنى الأخوة الإنسانية تقرير وحدة الدين فقد قرر الإسلام وحدة الدين فى أصوله العامة ، وأن شريعة الله تبارك وتعالى للناس تقوم على قواعد ثابتة من الإيمان ، والعمل الصالح ، والإخاء ، وأن الأنبياء جميعا مبلغون عن الله تبارك وتعالى ، وأن الكتب السماوية جميعا من وحيه ، وأن المؤمنين جميعا فى أية أمة كانوا هم عباده الصادقون الفائزون فى الدنيا والآخرة ، وأن الفرقة فى الدين والخصومة باسمه إثم يتنافى مع أصوله وقواعده ، وأن واجب البشرية جميعا أن تتدين وأن تتوحد بالدين ، وأن ذلك هو الدين القيم ، وفطرة الله التى فطر

الناس عليها ، وفى ذلك يقول القرآن الكريم { **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** }[٤] .

ويقول القرآن الكريم مخاطبا النبى محمدا ــ صلى الله عليه وسلم ــ (**فلذلك فادع واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم**)[٥] .

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم ــ مصوراً هذا المعنى أبدع تصوير : (**مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين** " .

أيها المسلمون : وسلك الإسلام إلى تقرير هذه الوحدة الدينية مسلكا عجيبا فالمسلم يجب عليه أن يؤمن بكل نبى سبق ، ويصدق بكل كتاب نزل ، ويحترم كل شريعة مضت ويثنى بالخير على كل أمة من المؤمنين خلت ، والقرآن يفترض ذلك ، ويعلنه ويأمر به النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ أصحابه . { **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** }[٦] ثم يقفى على ذلك بأن هذه هى سبيل الوحدة ، وأن أهل الأديان الأخرى إذا آمنوا كهذا الإيمان ــ ومنه الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ــ وأنه خاتم النبيين وأن رسالته خاتمة الرسالات ، وأنها عامة للناس جميعا . أقول إذا آمنوا كهذا الإيمان الذى آمن به أتباع محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد اهتدوا ، وإن لم يؤمنوا فسيظلون فى شقاق وخلاف ، وأن أمرهم بعد ذلك إلى الله

(٤) سورة الشورى الآية ١٣ .
(٥) سورة الشورى الآية ١٥ .
(٦) سورة البقرة الآية ١٣٦ .

فيقول : { فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم }[٧] .

أيها المسلمون : ويدعم الإسلام هذه الوحدة بين المتدينين والمؤمنين على أساسين واضحين مسلّمين لا يجادل فيهما إلا مكابر .

أولهما ـ اعتبار ملة إبراهيم عليه السلام أساساً للدين ، وإبراهيم ولاشك هو مرجع الأنبياء الثلاثة الذين عرفت رسالاتهم وقت مبعث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم عيسى وموسى ومحمد ـ صلى الله وسلم عليهم أجمعين .

وثانيهما ـ تجريد الدين من أغراض البشر وأهوائهم والارتفاع بنسبته إلى الله وحده ـ فتقرأ فى سورة البقرة { ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ، إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ، ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون }[٨] .

أيها المسلمون : إن القرآن الكريم يثنى على الأنبياء جميعا فموسى نبى كريم { وكان عند الله وجيها }[٩] وعيسى عليه السلام { رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه }[١٠] { وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين }[١١] { وأمه صديقة }[١٢] أكرمتها

(٧) سورة البقرة الآية ١٣٧ .
(٨) سورة البقرة الآيات من ١٣٠ : ١٣٣ .
(٩) سورة الأحزاب الآية ٦٩ .
(١٠) سورة النساء الآية ١٧١ .
(١١) سورة آل عمران الآية ٤٥ ، ٤٦ .
(١٢) سورة المائدة الآية ٧٥ .

الملائكة { يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين }[13] والتوراة كتاب كريم { إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور }[14] والإنجيل كذلك كتاب كريم فيه هدى ونور وموعظة { وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين }[15] وهما والقرآن معهما مصابيح الهداية للناس { نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل . من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان }[16] .

وبنو إسرائيل أمة موسى أمة كريمة مفضلة ما استقامت وآمنت { يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين }[17] وأمة عيسى أمة فاضلة طيبة ما أخلصت وعملت { وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة }[18] والتعامل بين المسلمين وبين غيرهم من أهل العقائد والأديان على أساس المصلحة الاجتماعية والخير الإنسانى { لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين }[19] .

والجدال يكون بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا وأساسه التذكير بروابط الرسالات السماوية ، ووحدة العقيدة الإيمانية . { ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون }[20] .

وبذلك قضى الإسلام على كل مواد الفرقة والخلاف والحقد والبغضاء والخصومة بين المؤمنين من أى دين كانوا ، ولفتهم جميعا إلى وجوب

---

(١٣) سورة آل عمران الآية ٤٢ .
(١٤) سورة المائدة الآية ٤٤ .
(١٥) سورة المائدة الآية ٤٦ .
(١٦) سورة آل عمران الآيتان ٣ ، ٤ .
(١٧) سورة البقرة الآية ١٢٢ .
(١٨) سورة الحديد الآية ٢٧ .
(١٩) سورة الممتحنة الآية ٨ .
(٢٠) سورة العنكبوت الآية ٤٦ .

التجمع حول "شريعة الإسلام " ونبذ كل مامن شأنه العداوة والخصام بين بنى الإنسان .{ إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون }[٢١] فإن أبى الناس إلا أن يفترقوا ويحتكموا إلى أهوائهم باسم الدين فإن الإسلام ونبى الإسلام وشريعة الإسلام الإنسانية العامة منهم براء .

{ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون . قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين }[٢٢] .

أيها المسلمون :ولهذا جاء الرسول صلى الله عليه وسلم رسولا عالميا لا رسولا إقليميا ، وأعلن القرآن الكريم هذه العالمية فى آيات كثيرة فقال تبارك وتعالى : { تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا }[٢٣] { وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا }[٢٤] وقال : { قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا }[٢٥] .

ومن هنا كانت رسالته أيضا خاتمة الرسالات فلا رسالة تعقبها أو تنسخها ولانبى بعده { ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين }[٢٦] ومن هنا كانت معجزته الباقية الخالدة هذا القرآن الكريم { وإنه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم

---

(٢١) سورة البقرة الآية ٦٢ .
(٢٢) سورة الأنعام الآيات من ١٥٩ : ١٦٣ .
(٢٣) سورة الفرقان الآية ١ .
(٢٤) سورة سبأ الآية ٢٨ .
(٢٥) سورة الأعراف الآية ١٥٨ .
(٢٦) سورة الأحزاب الآية ٤٠ .

حميد }[27] .

أيها المسلمون : لقد كان الناس يتساءلون من قبل هذا العصر كيف يكون فرد واحد من أمة واحدة رسولا للبشر جميعا فجاءهم هذا العصر الذى أمحت فيه المسافات ، وتجمعت فيه أطراف الأرض ، وتشابكت فيه مصالح الأمم والدول والشعوب . حتى لكأنها بلد واحد كبير لا ينفك جانب منه عن الجانب الآخر فى قليل ولا كثير ، وانطلقت فى أجواء الفضاء أنباء الشرق يعلمها ساعة حدوثها الغرب وأنباء الغرب يستمع إليها لحظة وقوعها الشرق ، وتركزت آمال المصلحين اليوم فى العالم الواحد و " النظام الواحد " " والضمان الاجتماعى " " والسلام العالمى " فكان ذلك آية كبرى ومعجزة أخرى لنبى الإسلام وشريعة الإسلام وصدق الله العظيم { **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق }**[28] .

أيها المسلمون : كان الإسلام عمليا كعادته فلم يقف عند حد تقرير الأصول النظرية لهذه الوحدة الإنسانية ولكنه رسم وسائل التطبيق وقرر الشعائر والشرائع التى يتأكد بها هذا المعنى فى النفوس وتثبت دعائمه فى المجتمعات ، من ذلك القبلة فعلى المؤمنين أن يصرفوا وجوههم وقلوبهم كل يوم خمس مرات على الأقل إلى الكعبة التى بناها إبراهيم أبو الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، وأن يشعر كل بما يحيط بهذا الرمز الكريم من معانى الأخوة وبهذه الوحدة بين الناس جميعا ، كما أن طواف الطائفين بهذه الكعبة المشرفة إن هو إلا توكيد لهذا الشعور عمليا كذلك .

أيها المسلمون : كما وحد الإسلام القبلة وحد اللغة وأعلن أن العربية

(٢٧) سورة فصلت الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

(٢٨) سورة فصلت الآية ٥٣ .

هى لسان القرآن { **إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون** }[٢٩] وإن القرآن هو لسان المؤمنين وإن دعوة الإسلام موجهة إلى العالمين .

ويقرر علماء الاجتماع أن اللغة العربية هى أقوى الروابط بين الأمم والشعوب وأقرب وسائل التقريب والتوحيد بينها وهى نسب من لا نسب لـه .

ولقد قرر الإسلام هذه الحقيقة ففرض العربية فرضا على المؤمنين فى صلواتهم ، وعباداتهم ، ومنح الجنسية العربية لكل من نطق بلغة العرب وجرى لسانه بها ، واعتبر أن العربية هى اللسان روى الحافظ ابن عساكر قال جاء قيس بن قطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى فقال هؤلاء الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل [يعنى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ] فما بال هذا وهذا ؟ [مشيرا إلى غيرالعرب من المسلمين] فقام إليه معاذ بن جبل رضى الله عنه فأخذ بتلابيبه ثم أتى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره بما قال له فقام النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مغضبا يجر رداءه حتى أتى المسجد ثم نودى " الصلاة جامعة " فاجتمع الناس فخطبهم قائلا " **ياأيها الناس إن الرب واحد وإن الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم إنما هى اللسان فمن تكلم العربية فهو عربى** " .

وأى تشجيع أعظم من هذا على تعلم اللغة العربية وتعميمها بين الناس لتكون هى " الاسبدانتو " العالمى الذى يربط البشرية بأقوى روابطها وهى اللسان ، وقد يقال إن ذلك خيال لا يتحقق والجواب أنه خيال حققته قوة أصحابه الروحيه والحسية من قبل وتحققه من بعد الأجيال . ولا خيال فى الحقيقة إلا مع الضعف ، وحقائق اليوم أحلام الأمس وأحلام اليوم حقائق

---

(٢٩) سورة الزخرف الآية ٣ .

الغد ، ولا تعاب الطريقة المثلى إذا هجرها الناس ، وهذه هى الطريقة للوحدة وكل من سار على الدرب وصل .

وتستمع إلى الأذان وهو الصوت العالى الذى تنطلق به حناجر المؤذنين فى الصباح والمساء وعشيا وعند الظهيرة ، ومع الغروب الله أكبر ، الله أكبر . . . الخ يكرر المؤذن أعدادها المعروفة أو هو يقول حى على خير العمل كما فى بعض الروايات فهل ترى فى هذا النداء دعوة إلى عصبية أو هتافا بنصرة طائفية ؟ لا شئ إلا تمجيد الله والحث على الخير والفلاح والطاعة والصلاة ، والإرشاد إلى الأسوة الحسنة محمد ـ صلى الله عليه وسلم .

أيها المسلمون : والمساواة التامة هى شعار الإسلام فى الحقوق والواجبات ، ومظاهر العبادات فالجنس الإنسانى مكرم كله مفضل على كثير من المخلوقات { **ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** }[30] والناس جميعا مخاطبون بهذه الدعوة الإسلامية وكثيراً مايستفتح الخطاب بياأيها الناس إشارة إلى عموم هذه الرسالة وتسويتها بين الناس فى الحقوق والواجبات ، والحقوق الروحية فضلاً عن الحقوق المدنية والسياسية والفردية والاجتماعية والاقتصادية مقررة للجميع على السواء ، فما من شعب إلا أرسل إليه رسول { **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** }[31] ومظاهر العبادات وطرق أدائها مشتركة بين الجميع يؤدونها على قدم المساواة ، فهم فى الصلاة كالبنيان المرصوص وهم فى الحج قلب واحد يفدون من كل فج عميق وهم فى الجهاد صف لا يتخلف عنه إلا أعرج أو أعمى أو مريض أو معذور ، وهم فى كل معنى من المعانى كأسنان المشط لاسيد ولا مسود

(٣٠) سورة الإسراء الآية ٧٠ .

(٣١) سورة فاطر الآية ٢٤ .

{ إنما المؤمنون إخوة }[32] وقل مثل ذلك فى جميع الحقوق والواجبات والفرائض والعبادات التى جاء بها الإسلام .

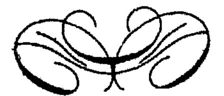
أيها المسلمون : لقد دعم الإسلام هذه المعانى النظرية والمراسيم العملية ببث أفضل المشاعر الإنسانية فى النفوس من حب الخير للناس ، والترغيب فى الإيثار ولو مع الحاجة ، { ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة }[33] والإحسان فى كل شىء حتى فى القتل . { وأحسنوا إن الله يحب المحسنين }[34] { إنا لانضيع أجر من أحسن عملا }[35] { إن الله يأمر بالعدل والإحسان }[36] وتقرير عواطف الرحمة حتى مع الحيوان فأبواب الجنة تفتح لرجل سقى كلبا وتبتلع الجحيم امرأة لأنها حبست هرة بغير طعام ، كما جاء ذلك وغيره فى كثير من أحاديث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى استغرب أصحابه وقالوا " إن لنا فى البهائم لأجرا يارسول الله ؟ قال نعم إن لكم فى كل ذات كبد رطبة أجر "[37] ولا شك أن هذه المشاعر هى التى تفيض على صاحبها أفضل معانى الإنسانية ، وتوجه إلى تقدير قيمة الأخوة العالمية .

أيها المسلمون : يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية "[38] " الناس لآدم وآدم من تراب ، لافضل لعربى على عجمى ، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى " ويقول : " والذى نفسى بيده لايسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى أو نصرانى ثم يموت لايؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار "[39] ويقول " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى نصرت بالرعب

---

(٣٢) سورة الحجرات الآية ١٠ .
(٣٣) سورة الحشر الآية ٩ .
(٣٤) سورة البقرة الآية ١٩٥ .
(٣٥) سورة الكهف الآية ٣٠ .
(٣٦) سورة النحل الآية ٩٠ .
(٣٧) رواه البخارى .
(٣٨) رواه أبو داود .
(٣٩) رواه مسلم .

مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، فايما رجل أدركته الصلاة فليصل ، واحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، واعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة " ويقول " بعثت إلى الأحمر والأسود " .



الخطبـــة الثانيـــة

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـا بعـــد

فياأيها المسلمون : لقد شاعت هذه الإنسانية عمليا فى المجتمع الإسلامى ، وإن التاريخ ليحدثنا أن المجتمع الإسلامى سعد بتحقيق هذه المعانى فى كل عصر من العصور التى ازدهرت فيها دعوة الإسلام ، وطبقها المؤمنون تطبيقا صحيحا ففى عهد النبوة كان سلمان الفارسى إلى جانب صهيب الرومى ، إلى جوار بلال الحبشى ، ومعهم فى نسق واحد أبو بكر القرشى ، تضمهم جميعا أخوة الإسلام { **واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا** }[٤٠] ولم تُعْرَف التعصبات الجنسية إلا يوم ضعف شعور المسلمين بسلطان التوجيه الإسلامى الصحيح ، واجتاحتهم شياطين التقليد فانحرفوا عن هذا الصراط المستقيم .

أيها المسلمون : لقد بشر زعماء العالم فى الحرب الماضية بهذه الإنسانية العالمية وهتفوا بالعالم الواحد السعيد الذى تسوده الطمأنينة

---

(٤٠) سورة آل عمران الآية ١٠٣ .

والعدالة والحرية والوئام ، فهل وصلوا إلى شيء من ذلك ؟ أو حاولوا أن يصلوا إليه . فيما قرروا من مؤتمرات ، وعقدوا من اجتماعات ؟ وهل استطاعت هيئة الأمم المتحدة أن تسوى فى الحقوق بين أبناء الوطن الواحد فى أفريقيا الجنوبية ، أو أن تحمل الأمريكان على ترك التفاضل بالألوان ؟ لاشيء من هذا ولن يكون إلا إذا تطهرت النفوس بماء الوحى العذب الطهور ، وسُقيَتْ من معين الإيمان ، وأخلصت للإسلام دين الأخوة والوحدة الإنسانية والسلام { **إن فى هذا لبلاغا لقوم عابدين ، وماأرسلناك إلا رحمة للعالمين** }[41] فإلى رسالة الإسلام وأخوة الإسلام وعدالة الإسلام ورحمة الإسلام أيها المسلمون ثم خذوا بعد ذلك بيد الإنسانية كلها إليها ، ارفعوا عنها هذا التدابر والتخاصم والتقاتل والضياع ففى يدكم أنتم قارورة الدواء لأدوائها ، واعلموا أن قوة الدعوة فى ذاتها أولا ، ثم فى قوة العاملين لها ثم فى نصرة الله لها متى شاء أن تكون مظهر قدرته وإرادته والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون { **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض** }[42] { **واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون** }[43] والله ولى التوفيق .

يراجع فى هذا الموضوع :

١ـ رسالة السلام فى الإسلام للأستاذ الإمام الشهيد حسن البنا .
٢ـ حقوق الإنسان فى الإسلام للدكتور على عبد الواحد وافى .
٣ـ الإسلام عقيدة وشريعة للأستاذ الشيخ محمود شلتوت .
٤ـ السيرة النبوية للأستاذ أبو الحسن الندوى .

---

(٤١) آخر الأنبياء الآيتان ١٠٦ ، ١٠٧ .
(٤٢) سورة القصص الآيتان ٥ ، ٦ .
(٤٣) سورة البقرة الآية ٢٨١.

" تحويل القبلة إلى الكعبة " ليلة النصف من شعبان

بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعد

فيقول الله سبحانه : { سيقول السفهاء من الناس ما ولَّاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ، وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله ، وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره }[1] ويقول جل شأنه : { ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون }[2] .

وروى البخارى فى صحيحه عن البراء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر

---

(١) سورة البقرة الآيات ١٤٢ : ١٤٤ . (٢) سورة البقرة الآية ١٥٠ .

شهرا وكان رسول الله يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون ، فقال أشهد بالله لقد صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت "[٣] .

وروى مسلم عن البراء عن النبى صلى الله عليه وسلم ماتقدم ولفظه " صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ثم صرفنا نحو الكعبة "[٤] .

وروى الشيخان عن ابن عمر قال " بينا الناس بقباء فى صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة "[٥] واللفظ لمسلم .

أيها المسلمون : اعتاد الناس أن يحتفلوا بليلة النصف من شعبان احتفالا تاريخيا على ما ذهب إليه أكثر المؤرخين أنها الليلة التى وجه المسلمون فيها من بيت المقدس إلى الكعبة ، وبهذا التوجيه كمل ربط قلوب المسلمين بأماكن الله المقدسة بيت المقدس وإقليمه والكعبة وإقليمها . وفى هذا الربط إيماء بالمحافظة على تلك الأماكن المقدسة وبالتضحية فى سبيل تطهيرها من عبادة غير الله ، ومن سلطان غير المسلمين .

وقد عرض القرآن الكريم لحادث تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة وإعداد النفوس له ، ولما يقول فيه الخصوم قبل وقوعه ، و بين لهم حكمته ، وهدفه ، وأنحى على الذين اتخذوه سبيلا للطعن فى رسالة

---

(٣) رواه البخارى .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه الشيخان واللفظ لمسلم .

محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والذين تزعزعوا فى إيمانهم بسببه ، وكان فى كل ذلك إيحاء بأن شأن المؤمنين المبادرة إلى امتثال ما يؤمرون به غير مكترثين بما يثيره الأعداء حول شرائعهم وأحكام دينهم .

لقد كان تحويل القبلة أولا عن الكعبة إلى المسجد الأقصى لحكمة تربوية أشارت إليها آية { **وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه** } ، فقد كان العرب يعظمون البيت الحرام فى جاهليتهم ، ويعدونه عنوان مجدهم ، ولما كان الإسلام يريد استخلاص القلوب لله ، وتخليصها من كل نعرة ، فقد نزعهم نزعاً من الاتجاه إلى بيت الله الحرام ، واختار لهم الاتجاه فترة إلى المسجد الأقصى لتخليص نفوسهم من رواسب الجاهلية ، وليظهر من يتبع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ اتباعاً مجردا من كل إيحاء آخر .

وفى الوقت ذاته بدأ يهود يتخذون من هذا الوضع حجة لهم فقالوا قولتهم " يجحد ديننا ويتبع قبلتنا " وقولهم " اشتاق إلى بيت أبيه ودين قومه " وقول المشركين " يدعى ملة إبراهيم ويخالف قبلته " وقولهم : " رجع إلى قبلتكم فيوشك أن يرجع إلى دينكم " .

وكان مما انطلق به أبواق أعداء الله قولهم " إن كان التوجه أولا إلى المسجد الأقصى باطلا فقد ضاعت صلاتكم إليه طوال هذه الفترة ، وإن كان حقا فالتوجه الجديد إلى البيت الحرام باطل وضائعة صلاتكم إليه ، وهذا دليل على أن محمداً لا يتلقى الوحى من الله .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه متجها إلى ربه دون أن ينطق لسانه بشئ تأدبا مع الله وانتظاراً لتوجيهه بما يرضيه .

إن حادث تحويل القبلة بدء مرحلة جديدة فى تاريخ الإسلام فيها تكتل

العرب ، وآمنوا بوعد الله فعقدوا الخناصر على التضحية بالنفس والمال فى سبيل إنقاذ البشرية من براثن الشرك والطغيان وتطهير الأماكن المقدسة من الأوثان ، ونشر ألوية العدل والسلام على ربوع العالم ، وقد تم ما أراد الله من ذلك على أيديهم فجاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا وتمتعوا بجمال العدل والحرية والمساواة .

فعلى المسلمين أن ينتبهوا، ويتكتلوا فى سبيل المحافظة عليها كما تكتل أسلافهم من قبل وطهروا بيت المقدس كما طهروا الكعبة فليشدوا إليها الرحال ، وليحافظوا على المجد والتراث ، والله ولى التوفيق والهداية { قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم } .

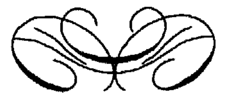
إن المشرق لله والمغرب لله فكل متجه فهو إليه فى أى اتجاه فالجهات والأماكن لا فضل لها فى ذاتها وإنما يفضلها ويخصصها اختيار الله وتوجيهه .{ . . . . والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم } .

بذلك يقرر حقيقة التصوير للأماكن والجهات ، وحقيقة المصدر الذى يتلقى عنه البشر التوجيهات ، وحقيقة الاتجاه الصحيح وهو الاتجاه إلى الله فى كل حال .

ثم يحدث هذه الأمة عن حقيقتها الكبيرة فى هذا الكون ، وعن وظيفتها الضخمة فى هذه الأرض ، وعن مكانها العظيم فى هذه البشرية وعن دورها الأساسى فى حياة الناس ، مما يقتضى أن تكون لها قبلتها الخاصة وألا تسمع لأحد إلا لربها الذى اصطفاها لهذا الأمر العظيم .

أيها المسلمون : روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - : (يدعى نوح يوم القيامة : فيقول لبيك وسعديك يارب ، فيقول هل بلغت ؟ فيقول نعم . فيقال

لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير ، فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمته ، فيشهدون أنه قد بلغ ، ويكون الرسول عليكم شهيداً فذلك قوله جل ذكره { وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا }[٦] .



(٦) رواه البخارى .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله وبعد الصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أيها المسلمون : قلنا إن الله عز وجل تفضل فاصطفى هذه الأمة الإسلامية لتحمل رسالة الله والجهاد فى سبيل إبلاغها للعالمين كما توضح الآيات السابقة { **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** } .

إنها الأمة الوسط التى تشهد على الناس جميعا ، فتقيم بينهم العدل والقسط وتضع لهم الموازين والقيم وتبدى فيهم رأيها ، فيكون هو الرأى المعتمد وتزن قيمهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفصل فى أمرها ، وتقول هذا حق منها وهذا باطل . لا التى تتلقى من الناس تصوراتها وقيمها وموازينها وهى شهيدة على الناس ، وفى مقام الحكم العدل بينهم . . . . وبينما هى تشهد على الناس هكذا ، فإن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو الذى يشهد عليها ، فيقرر لها موازينها وقيمها ، وبهذا تتحد حقيقة هذه الأمة ووظيفتها لتعرفها ، ولتشعر بضخامتها ولتقدر دورها حق قدره وتَسْتَعدَّ له استعداداً لائقا .

وإنها الأمة الوسط بكل معانى الوسط ، سواء من الوساطة بمعنى الحسن والتفضل ، أو من الوسط بمعنى الاعتدال والقصد ، أو من الوسط بمعناه الحسى المادى .

أمة وسط فى التصور والاعتقاد . . . . لا تغلو فى التجرد الروحى ولا فى الارتكاس المادى إنما تتبع الفطرة الممثلة فى روح ملتبس بجسد ، أو جسد متلبس به روح ويعطى لهذا الكيان المزدوج الطاقات حقه المتكامل من كل زاد ، وتعمل لترقية الحياة ورفعها فى الوقت الذى تعمل فيه على حفظ الحياة وامتدادها ، وتطلق كل نشاط فى عالم الأشواق ، وعالم النوازع ، بلا تفريط ولا إفراط فى تناسق واعتدال .

أمة وسطا فى التفكير والشعور ..... لا تجمد على ماعلمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة ، ولا تتبع كذلك كل ناعق وتقلد تقليد القردة المضحك ..... إنما تستمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول ثم تنظر فى كل نتاج للفكر والتجريب ، وشعارها الدائم الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها .

أمة وسطا فى التنسيق . . . لا تدع أمورها كلها للمشاعر والضمائر ولاتدعها كذلك للتشريع والتأديب إنما ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهذيب وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب وتزاوج بين هذه وتلك فلا تكل الناس إلى سوط السلطان ، ولا تكلهم كذلك إلى وحى الوجدان ولكن مزاج من هذا وذاك .

أمة وسطا فى الارتباط والعلاقات . . . . لا تلغى شخصية الفرد ومقوماته ولا تتلاشى شخصيته فى شخصية الدولة ، ولا تطلقه كذلك فرداً أثراً جشعا لاهم له إلا ذاته إنما تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدى إلى الحركة والنماء ، وتطلق من النوازع والخصائص ما يحقق شخصية الفرد . ثم تضع من الكوابح ما يقف دون الغلو ، وتقرر من التكاليف والواجبات ما يجعل الفرد خادماً للجماعة ، والجماعة كافلة للفرد فى تناسق واتساق .

أمة وسطا فى المكان والأرض وفى أوسط بقاعها ، وما تزال هذه الأمة التى غمر أرضها الإسلام إلى هذه اللحظة هى الأمة التى تتوسط أقطار

الأرض من شرق وغرب ، وجنوب وشمال وما تزال بموقعها هذا تشهد الناس جميعا ، وتشهد على الناس جميعا ، وتعطى ما عندها لأهل الأرض قاطبة . وعن طريقها تعبر ثمار الطبيعة وثمار الفكر والروح من هنا إلى هناك ، وتتحكم فى هذه الحركة ماديا ومعنويا على السواء .

أمة وسطا فى الزمان ،تنهى عهد طفولة البشرية من قبلها ، وتحرس عهد الرشد العقلى من بعدها ، وتقف فى الوسط تنفض عن البشرية ما علق بها من أوهام وخرافات من عهد طفولتها ، وتزاوج ما بين تراثها الروحى من عهود الرسالات ، ورصيدها العقلى المستمر فى النماء وتسير بها على الصراط السوى بين هذا وذاك .

وما يعوق هذه الأمة اليوم عن أن تأخذ مكانها هذا الذى وهبه الله لها إلا أنها تخلفت عن منهج الله الذى اختاره لها واتخذت لها مناهج مختلفة ليست هى التى اختارها الله لها ، واصطبغت بصبغات شتى ليست صبغة الله واحدة منها ، والله يريد لها أن تصطبغ بصبغته وحده ، وأمة هذه وظيفتها فى المجتمع الإنسانى ، وذلك دورها ، خليقة أن تتحمل التبعة ، وتبذل التضحية ، ولقيادة العالم تكاليفها وللقوامة تبعاتها ولابد أن تفتن قبل ذلك وتبتلى ليتأكد خلوصها لله وتجردها له .

أيها المسلمون : اعتاد فريق من الناس أن يجتمع لإحياء ليلة النصف من شعبان ، فى عهودهم الأخيرة وأن يحتفلوا بليلة النصف من شعبان احتفالا دينيا ، ترى مظهره فى المساجد والبيوت ويعتقد العامة وأشباههم أن الاحتفال هكذا يستند إلى أصل دينى من كتاب الله أو سنة رسوله .

إن الاحتفال باسم الدين لا بد أن يكون مبنيا على أساس صحيح من الدين وذلك مثل الاحتفال بصلاة الجمعة والعيدين والوقوف بعرفة .

فإذا لم يكن للدين فيه أمر ولا ترغيب كانت إقامته باسم الدين وإفراغ صبغة الدين عليه من الصلاة والقراءة والدعاء افتراء على الدين ، وتشريعا بالهوى فيما يعمل باسم العبادة والتقرب إلى الله ، وهذا باب يهيئ فتحه للناس وجوهاً كثيرة من صور الابتداع فى الدين ، والابتداع فى الدين من شر ما يصاب به الدين فيدخل فى الدين ما ليس منه ، ويخرج منه ما هو فيه .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول كما ورد فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها " **من احدث فى امرنا هذا ماليس منه فهو رد** " وفى لفظ لمسلم " **من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد** " .

ويرى كثير من العلماء أن صلاة النصف من شعبان لم يصح فيها حديث والاجتماع لإحيائها فى المساجد وغيرها لم يفعله النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وحديث النزول فيها إلى سماء الدنيا من رواته وضاع ودعاؤها دعاء يحتوى على أمرين كلاهما يؤدى إلى تفسير القرآن بما لا يشهد بصحته نقل ولاعقل .

نعم صحت الأحاديث بفضل شعبان كله لا فرق بين ليلة وليلة وطلب الإكثار فيه من الصوم ، تهيئة لاستقبال رمضان من ذلك قول النبى - صلى الله عليه وسلم - " **وقد سئل اى الصوم افضل بعد رمضان ؟ قال شعبان لتعظيم رمضان** ، وتعظيمه بحسن استقباله ، وعدم التبرم منه .

وإذا كان للناس أن يحتفلوا بليلة النصف من شعبان فلهم أن يحتفلوا بها تاريخيا على ما ذهب إليه أكثر المؤرخين من أنها الليلة التى وُجِّهَ فيها

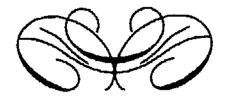
المسلمون من بيت المقدس إلى الكعبة ، وبهذا التوجيه كمل ربط قلوب المسلمين بأماكن الله المقدسة .

تراجع هذه الخطبة

١ــ فى ظلال القرآن للشهيد السيد قطب

٢ــ الفتاوى لفضيلة الشيخ محمود شلتوت .

٣ــ من توجيهات الإسلام لفضيلة الشيخ محمود شلتوت .



الحياء فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعد

فيقول الله سبحانه : **{ ألم يعلم بأن الله يرى }**[1] **{ يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور }**[2] **{ فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا }**[3] **{ وكان الله على كل شئ رقيبا }**[4] .

وفى الصحيح من حديث ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " **مر برجل ــ وهو يعظ أخاه فى الحياء ــ كأنه يقول إن الحياء قد أضر بك فقال دعه فإن الحياء من الإيمان** "[5] .

وعن عمران بن الحصين رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ـ قال : " **الحياء لا يأتى إلا بخير**"[6] وفى رواية "**الحياء خير كله** " " **الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ،**

(١) سورة العلق الآية ١٤ .
(٢) سورة غافر الآية ١٩ .
(٣) سورة القصص الآية ٢٥ .
(٤) سورة الأحزاب الآية ٥٢ .
(٥) رواه البخارى ومسلم وأحمد .
(٦) رواه البخارى ومسلم .

والحياء شعبة من الإيمان "[٧] وعن أبى سعيد رضى الله عنه أنه قال " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أشد حياء من العذراء فى خدرها فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه فى وجهه " .

وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة إذا لم تستح فاصنع ماشئت "[٨] .

أيها المسلمون : قال الجنيد : الحياء خلق يبعث على ترك القبائح ويمنع من التفريط فى حق صاحب الحق ، فالإسلام دين مكارم الأخلاق والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وقد وصى الإسلام بنيه بالحياء ، وجعل هذا الخلق السامى من أبرز ما يتميز به الإسلام من فضائل .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء "[٩] .

وقد أراد النبى الكريم أن يجعل من حساسية المسلم بما فى الفضيلة من خير وبما فى الرذيلة من شر أساساً يدفعه إلى الاستمساك بالأُولَى والاشمئزاز من الأخرى . حياء من ترك الخير ، ومن فعل الشر ، بغض النظر عن الثواب والعقاب .

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرق الناس طبعا ، وأنبلهم سيرة ، وأعمقهم شعوراً بالواجب ، ونفوراً من الحرام : فعن أبى سعيد رضى الله عنه " كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشد حياء من العذراء فى خدرها وكان إذا رأى شيئا يكرهه عرفناه فى وجهه "[١٠] .

---

(٧) رواه البخارى .
(٨) رواه البخارى .
(٩) رواه مالك .
(١٠) رواه مسلم .

إن الإيمان صلة كريمة بين العباد وربهم ، ومن حق هذه الصلة بل أثرها الأول تزكية النفوس ، وتقويم الأخلاق ، وتهذيب الأعمال ولن يتم ذلك إلا إذا تأسست فى النفس عاطفة حية ، تترفع بها أبداً عن الخطايا وتستشعر الغضاضة من سفاسف الأمور ، أما الإلمام بالمحاقر[11] دون تورع ، والوقوع فى الصغائر دون اكتراث فذلك دلالة فقدان النفس لحيائها ، ثم فقدانها لإيمانها ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " **الحياء والإيمان قرناء جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر** " رواه الحاكم .

وعلة ذلك أن المرء حينما يفقد حياءه يتدرج من سيئ إلى أسوأ ويهبط من رذيلة إلى أرذل ، ولا يزال يهوى حتى ينحدر إلى أسفل وقد روى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حديث يكشف عن مراحل هذا السقوط الذى يبتدىء بضياع الحياء وينتهى بشر العواقب " **إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتا ممقتا[12] ، فإذا لم تلقه إلا مقيتا ممقتا نزعت منه الأمانة ، فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائنا مخونا ، فإذا لم تلقه إلا خائنا مخونا نزعت منه الرحمة ، فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا رجيما ملعنا فإذا لم تلقه إلا رجيما ملعنا نزعت منه ربقة الإسلام** " .

وهذا ترتيب دقيق وضعه لأمراض النفوس وتتبعه لأطوارها وكيف تسلم كل مرحلة خبيثة إلى أخرى أشد نكراً ، فإن الرجل إذا مزق الحجاب عن وجهه ولم يتهيب على عمله حساباً ، ولم يخش فى سلوكه لومة لائم مد يدى الأذى للناس ، وطغى على كل من يقع فى سلطانه ، ومثل هذا الشخص الشرس لن يجد قلبا يعطف عليه ، بل إنه يغرس الضغائن فى النفوس وينميها فإذا صار الشخص بهذه المثابة لم يؤتمن على شئ قط ، إذ كيف يؤتمن على أموال لايخجل من أكلها ، أو على أعراض لا يستحى من فضحها ، أو على موعد لا يهمه أن يخلفه ، أو على واجب لا يبالى أن

---

(١١) المحاقر : الأمور المحقرة .
(١٢) بغيضا مبغضا .

يفرط فيه ، أو على تجارة لا يتنزه عن الغش فيها .

أيها المسلمون : إن الحياء ملاك الخير وهو عنصر النبل فى كل عمل يشهد به ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (**ما كان الفحش فى شئ إلا شانه ، وما كان الحياء فى شئ إلا زانه**)[١٣] .

فلو تجسم الحياء لكان رمز الصلاح والإصلاح ، عن عائشة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لها : (**لوكان الحياء رجلا لكان رجلا صالحا ، ولو كان الفحش رجلا لكان رجلا سوءا**)[١٤] .

ومن حياء الإنسان مع الناس أن يعرف لأصحاب الحقوق منازلهم ، وأن يؤتى كل ذى فضل فضله : فللغلام مع من يكبرونه وللتلميذ مع من يعلمونه . مسلك يقوم على التأديب والتقويم ، فلا يجوز أن يرفع فوقهم صوته ولا أن يجعل أمامهم خطوه .

وفى الحديث (**تواضعوا لمن تعلمون منه**)[١٥] وفى الحديث كذلك (**اللهم لا يدركنى زمان لايتبع فيه العليم ولا يستحيا فيه الحليم**) [١٦].

أيها المسلمون : الحياء لا يكون إلا فى الحدود الشرعية فالذى يتهيب تقريع المبطلين لا يعتبر حييا ، إن الحياء لايكون تجاه الباطل ولا موضع له مع الناس إذا ضلوا ، ولاموضع له فى السلوك عندما يقف الإنسان موقفا يناصر فيه الحق .

وقد عاب المشركون على الإسلام أنه حَقَّر الأصنام ، وفضح عجزها عن خلق ذبابة ، وقالوا إنه ليس من الإسلام أن تهاجم آلهتهم بهذا الأسلوب

---

(١٣) رواه الترمذى .
(١٤) رواه الطبرانى .
(١٥) رواه الطبرانى .
(١٦) رواه أحمد .

فنزل قوله تعالى : { إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها }[١٧] فإن إبراز الأصنام فى هذه الصورة من العجز والضعة حق ، { والله لا يستحى من الحق }[١٨] وفى سبيل إحقاق الحق لا يتهيب المسلم أحدا ولا يخشى بأساً .

والحياء فى أسمى منازله يكون من الله عز وجل ، فنحن نطعم من خيره و نتنفس فى جوه ، وندرج على أرضه ، ونستظل بسمائه ، والإنسان بإزاء النعمة الصغيرة من مثله يخزى أن يقدم لصاحبها إساءة ، فكيف لا يوجل الناس من الإساءة إلى ربهم الذى تغمرهم آلاؤه من المهد إلى اللحد ، وإلى ما بعد ذلك من خلود طويل إن حق الله على عباده عظيم ، ولو قدروه حق قدره لسارعوا إلى الخيرات يفعلونها من تلقاء أنفسهم ، ولباعدوا عن السيئات خجلا من مقابلة الخير المحض بالجحود والخسة .

عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : ـ **" استحيوا من الله حق الحياء قلنا إنا لنستحى من الله يارسول الله ـ والحمد لله ـ قال ليس ذلك ، الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة[١٩] الدنيا ، وآثر الآخرة على الأولى فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء "**[٢٠].

وهذه العظة ويقال إنها لابن مسعود ـ تستوعب كثيراً من آداب الإسلام ، ومناهج الفضيلة ، فإن على المسلم تنزيه لسانه أن يخوض فى باطل وبصره أن يرمق عورة ، أو ينظر شهوة ، وأذنه أن تسترق سراً ، أو تستكشف خبثا ، وعليه أن يفطم بطنه عن الحرام ، ويقنعها بالطيب الميسور ، ثم عليه أن يصرف أوقاته فى مرضاة الله ، وإيثار ما لديه من

---

(١٧) سورة البقرة الآية ٢٦ .

(١٨) سورة الأحزاب الآية ٥٣ .

(١٩) ترك ما حرم الله من زينة الدنيا .

(٢٠) رواه الترمذى .

ثواب ، فلا تستخفه نزوات العيش ومتعة الحياة . فإن فعل ذلك عن شعور أن الله يرقبه ، ونفور من اقتراف تفريط فى جنب الله فقد استحيا من الله حق الحياء والحياء بهذا الشمول هو الدين كله فإذا أطلق على طائفة من الأعمال الجميلة فهو جزء من الإيمان وأثر له .

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " **الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله " وفى رواية بضع وستون "**[٢١] " **والحياء خير كله "**[٢٢] .

أيها المسلمون : إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى (**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**)[٢٣] .



(٢١) البخارى .
(٢٢) رواه مسلم .
(٢٣) رواه البخارى ومسلم .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعـــد

فياأيها المسلمون : لقد كان من نتائج الإعراض عن هذه التعاليم أن تَفَشَّى فى المجتمع الاستهتار بالقيم الرفيعة ، والاستهانة بالتقاليد الحسـنة ، والتجرد من الفضائل ، وانتشار الرذائل ، وأخذت طريقها فى إفساد القلوب والعقول ، فمن مناظر التبرج ، وعرض مفاتن الجسد ، إلى أغان رخيصة مبتذلة ، إلى كتب جنسية مثيرة ، إلى قصص عابث ، إلى صور فاضحة تنشر فى الصحف والمجلات ، إلى أفلام سينمائية خليعة تسلب الإنسان الحياء ، وتزين له الشر وتغمسه فى الشهوات والآثام .

ويجب الضرب على يد هؤلاء العابثين ، ووضع خطة محكمة لتطهير المجتمع المسلم من هذه السيئات الموبقة ، وتخليصه مما ران عليه من دعاة الإباحية والتحلل .

كما يجب على الآباء والمربين أن يأخذوا أبناءهم بهذا الخلق ويرشدوهم إلى ما ينبغى فعله ، وما ينبغى تركه من الأقوال والأفعال .

وعليهم أن يتخيروا لهم الأصحاب والأصدقاء من ذوى الأخلاق الحسنة ، ويجنبوهم رفقاء السوء والسَّفَلَة من الناس ، وانتقاء الكتب الصالحة واختيار القصص التى لها تأثير خَاص فى التوجيه الحسن الذى له شأن فى اكتساب هذا الخلق الكريم .

وبمثل هذه الأساليب ينشأ الأبناء النشأة التى تجعل منهم أفراداً صالحين للحياة ، وعاملين للخير والنجاح .

ومما تجب ملاحظته ، أن يكون المربى حكيما ، فلا يبالغ فى أخذ الناشئين بهذا الخلق حتى لا يصل إلى حد الخجل ، فإن ذلك مفض إلى ضعف الشخصية ، وصرف النفس عن ارتياد معالى الأمور واقتحام المشاق والجرأة فى الحق ففى البخارى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت "**نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين**" [٢٤] .
وبهذه التربية الحكيمة تصل النفس إلى أسمى ما فيها من سمو .

يراجع
ـ خلق المسلم لفضيلة الشيخ محمد الغزالى

---

(٢٤) رواه البخارى .

الإخلاص فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعـد

فيقول الله سبحانه : { وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء }[(١)] { فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولايشرك بعبادة ربه أحدا }[(٢)] { قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين }[(٣)] { ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن }[(٤)] ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى "[(٥)] وسئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله قال : " من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فذلك فى سبيل الله " وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم "[(٦)] .

---

(١) سورة البينة الآية ٥ :
(٢) سورة الكهف الآية ١١٠ .
(٣) سورة الأنعام ١٦٢ .
(٤) سورة النساء الآية ١٢٥ .
(٥) رواه البخارى .
(٦) رواه مسلم .

أيها المسلمون : من هذه الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة يتقرر وجوب الإخلاص فى نظام الإسلام الحنيف ، فتكون الأعمال كلها ابتغاء وجه الله ، فالله هو غاية المسلم فى عمله ، وفى قوله ، وفى عطائه ، وفى منعه ، وفى حبه ، وفى بغضه . لايريد من الناس جزاء ولاشكوراً ، ولا جاها ولا محمدة ولامنزلة فى قلوبهم ، ولا هربا من ذمهم بل يعد الناس كأصحاب القبور لا يملكون له ضرا ولا نفعا ولاموتا ولا حياة ولا نشوراً ، فمن عرف الناس أنزلهم منازلهم ومن عرف الله أخلص له أعماله وأقواله .

أيها المسلمون : دعا الإسلام إلى الإخلاص ورغب فيه فقال عز وجل { قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين } وأمر به فقال { وما أمروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء } .

وجعل قبول الأعمال رهنا به روى ابن أبى حاتم عن طاوس أن رجلاً قال يا رسول الله إنى أقف المواقف أريد وجه الله وأحب أن يُرى موطنى فلم يرد عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى نزلت الاية { فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولايشرك بعبادة ربه أحدا } .

والإخلاص دليل كمال الإيمان روى أبو داود والترمذى بإسناد حسن أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان " (٧) .

والله سبحانه ينظر إلى القلوب لا إلى المظاهر والأشكال فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن الرسول قال : " إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم " (٨) .

ولقد سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الرجل يقاتل

---

(٧) رواه أبو داود والترمذى بإسناد حسن . (٨) رواه مسلم .

شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله ؟ قال : " من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فذلك فى سبيل الله " والعمل لا يعتد به ، ولا يعتبر خيراً إلا إذا كان عن نية طيبة خالصة لوجه الله ، لأن العمل حينئذ يناط بغاية واحدة ومثل أعلى هو الله ، والله لايأمر إلا بالخير ، ولا يحب إلا الخير فتكون وجهة الإنسان فى الحياة وجهة الخير لنفسه وللناس جميعا فعن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى "[٩] .

والإخلاص والنية الطيبة تبلغ بالإنسان الذروة من السمو والرفعة وينزله منازل الأبرار . يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " طوبى للمخلصين : الذين إذا حضروا لم يعرفوا ، وإذا غابوا لم يفتقدوا ، أولئك هم مصابيح الهدى تنجلى بهم كل فتنة ظلماء " .

والإخلاص نجاة مما يتعرض له المرء من محن فعن أبى عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : " انطلق ثلاثة نفر[١٠] ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار . فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم . قال رجل منهم : اللهم إنه كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق[١١] قبلهما أهلا ولا مالا فنأى[١٢] بى طلب الشجر يوما فلم أرح[١٣] عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا ، فلبثت والقدح على يدى ـ أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ـ والصبية يتضاغون[١٤] تحت قدمى ـ فاستيقظا فشربا غبوقهما :

---

(٩) رواه البخارى ومسلم .
(١٠) من ثلاثة إلى عشرة .
(١١) لا أقدم فى الشرب قبلها .
(١٢) بعد .
(١٣) لم أرجع .
(١٤) يصيحون .

اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئا لايستطيعون الخروج منه . قال الآخر : اللهم إنه كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلى " وفى رواية " كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء فأردتها على نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها ، وفى رواية فلما قعدت بين رجليها قالت اتق الله ولا تفض الخاتم[١٥] إلا بحقه فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلى وتركت الذهب الذى أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها . وقال الثالث : اللهم إنى استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال ، فجاءنى بعد حين فقال : ياعبد الله أد إلى أجرى : فقلت كل ما ترى من أجرك : من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بى . فقلت لا أستهزئ بك فأخذه كله فاستاقه ، فلم يترك منه شيئا : اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون "[١٦] .

والاتصاف بصفة الإخلاص والصدق يكسب الفرد النجاح والظفر والجماعة التى تتألف من أفراد مخلصين ، تتجه إلى الخير ، وتتنزه عن الدنايا وتترفع عن شهوات الدنيا وتسير إلى غاياتها ، تظلها المحبة والسلام .

ولقد كان التحلى بحلية الإخلاص سببا فى تطهير نفس الصحابة من الرياء والنفاق والكذب فاندفعوا إلى غاياتهم الكبرى ، ينشدون إقامة العدل والحق ويبتغون وجه الله وإعلاء كلمته ، فمكن الله لهم فى الأرض وجعلهم قادة الدنيا ، وسادة العالم .

والأعذار التى تحول بين الإنسان وبين ممارسة الأعمال الصالحة لا تنقص مكانته عند الله مادام مخلصا . فعن جابر بن عبد الله قال : " كنا

(١٥) لاتزل البكارة إلا بالتزويج والنكاح الحلال . (١٦) متفق عليه .

فى غزوة تبوك فقال إن بالمدينة لرجالا ما سرتم سيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم المرض ، وفى رواية إلا شركوكم الأجر "[١٧] وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " مامن امرئ تكون له صلاة بليل يغلبه عليها نوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه عليه صدقة "[١٨] " من سأل الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ولو مات على فراشه " .

الرياء ونية السوء .

وكما أن الإخلاص والنية الطيبة تصل بالإنسان إلى المنزلة الرفيعة وتبلغه الدرجات العلى يوم القيامة ، فالاتصاف بالرياء ونية السوء تهبط به إلى أسفل الدركات ـ لأن الباعث على العمل ـ وهو العنصر الأخلاقى هو موضع نظر الرب سبحانه . فعن أبى بكرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول فى النار ، قلت يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال إنه كان حريصا على قتل صاحبه "[١٩] .

والله يحاسب على ماأبداه الإنسان أو أخفاه { وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله }[٢٠] .

وقد أوضح رسول الله هذا المعنى فيما يرويه عن ربه عز وجل قال : " إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة . وإن هم بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة . وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها

---

(١٧) رواه البخارى ومسلم .
(١٨) رواه أبو داود الترمذى .
(١٩) رواه البخارى ومسلم .
(٢٠) سورة البقرة الآية (٢٨٤) .

الله عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة "[٢١] .

والرياء من شأنه أن يحجب المرء عن الله وينزل به إلى الحيوان فلاتزكو له نفس ولا يقبل منه عمل وذلك أن المرائى لا رأى له ولا عقيدة ، لكنه كالحرباء يَتَلَوَّن بكل لون ، ويميل مع كل ريح .

والرياء معناه طلب المنزلة والجاه من الناس بالعبادات ، والله سبحانه نهى عنه ، وحذر منه لما له من آثار سيئة فى الفرد والمجتمع فقال { **والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور** }[٢٢] والذين يمكرون السيئات هم أهل الرياء .

وهو من صفات المنافقين الذين لا يثبتون على مبدأ ولا يتقيدون بعقيدة صالحة . يقول الله سبحانه : { **إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم** }[٢٣] والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : " **من سمع**[٢٤] **سمع الله به ، ومن يرائى**[٢٥] **يرائى الله به**" . وهو نوع من الشرك المحبط للعمل ، فعن محمود بن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر ؟ قال الرياء** " .

---

(٢١) إن كان قد تركها خوفا من الله وإيمانا به أما إذا تركها لعجز عن مباشرتها فلا شئ له من الحسنات بل إذا صمم على الفعل ولم يتمكن منه بسبب خارج عن إرادته فهو يؤاخذ بنيته كما فى حديث أبى بكرة وهذا خاص بالهم أما إذا لم يبلغ الأمر درجة الهم بل بقى حديث نفس فإن الله يتجاوز عنه ، ففى الحديث الصحيح " إن الله تجاوز لأمتى عن عمل حدثت به أنفسنا " .

(٢٢) سورة فاطر الآية ١٠ .

(٢٣) سورة النساء الآية ١٤٢ .

(٢٤) سمَّع أى أظهر عمله للناس رياء . سمَّع اللهُ به (فضحه) .

(٢٥) يظهر علمه الصالح للناس ليعظم عندهم . يرائى الله به : يظهر سريرته على رءوس الخلائق .

يقول الله يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فانظروا هل تجدون عندهم جزاء .

وروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن ناساً قالوا له ، إنا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم . قال ابن عمر كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإن من تتبع الآثار السيئة للرياء والنفاق ، ومدى ما أحدثاه من فساد فى الخلق ، واضطراب فى النظم ، وتغيير للعرف الصالح ، وتعويق عن النهوض والارتقاء ليدرك بسهولة معنى مارواه مسلم فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : " إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة ، رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال إنك جرئ فقد قيل ثم أمر به فسحب حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمته عليه فعرفها قال فما عملت فيها قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن ، قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل وسع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه ، قال فما عملت فيها ، قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد وقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار " .



الخطبة الثانية

بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـــا بعـــد

فيا أيها المسلمون : يقول ابن القيم : إن الله لا يقبل من العمـل إلا ما كان صادقا صواباً ، والصدق فى العمل أن يكون خالصا لوجه الله ، والصواب فيه أن يكون على طريق السنة والشريعة ، والله يقول : { **وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا** } .

أيها المسلمون : إذا عمل المرء عملا وأخلص فيه ثم اطلع عليه الناس دون قصد منه وأعجبه ثناؤهم عليه ، فهذا لا يحبط العمل ولا ينافى الإخلاص . روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه " أن رجلا قال يا **رسول الله ، الرجل يعمل العمل فيسره ، فإذا اطلع عليه الناس أعجبه ذلك قال رسـول اللـه ـ صلى الله عليه وسلم ـ له أجران أجر السر وأجر العلانية** "(٢٦) بل قـد يكـون ثناء الناس من البشريات المعجـلة فعن أبى ذر رضـى الله عنه أن رسـول اللـه صلـى الله عليـه وسـلم قال : " **أرأيت الرجل**

(٢٦) رواه الترمذى .

يعمل العمل من الخير فيحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن "[٢٧] .

أيها المسلمون : يتقى المسلم الرياء بأن يقول فى الصباح والمساء :اللهم نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه كما ورد فى الحديث الذى رواه أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذات يوم فقال : " **يا أيها الناس : اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل قال رجل : كيف نتقيه ؟ قال: قولوا : اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه** "[٢٨] .

أيها المسلمون : ليس كل ما يظهره الإنسان من طاعة مع الرغبة فى اطلاع الناس رياء ، فقد يكون ثمة ما يستدعى إطلاع الناس على ما يفعل من طاعة مثل أن يكون قدوة فى الخير ، فيفعل قاصداً أن يقتدى به فيكون ذلك من باب الأمر بالمعروف { **وفى ذلك فليتنافس المتنافسون** }[٢٩] .

وقد يكون موضع اتهام فيكون تلبسه بالطاعة وإظهارها نافيا للتهمة فيكون من باب النهى عن المنكر . وكذلك إن خشى أن ينسب إلى التقصير لو ترك بعض العبادات فيحسن أن يدخل فيما يدفع عنه التهمة فإنه ينبغى للإنسان أن يتجنب مواقع التهم .

أيها المسلمون : قال الفضيل بن عياض : العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه قالوا ياأبا الحسن ما أصوبه ؟ وما أخلصه ؟ قال الخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة وهذا هو المذكور فى قول الله عز وجل

---

(٢٧) رواه مسلم .
(٢٨) رواه أحمد .
(٢٩) سورة المطففين الآية ٢٦ .

{ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا }[٣٠] { ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن }[٣١] فلا يقبل الله من العمل إلا ماكان خالصاً لوجهه على متابعة أمره ، وما عدا ذلك فهو مردود على عامله يرد عليه أحوج ما يكون إليه ـ هباء منثورا وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم : " كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد "[٣٢] .

أيها المسلم : " أخلص العمل يَكْفِكَ القليل "

يراجع :
خلق المسلم لفضيلة الشيخ محمد الغزالى



---

(٣٠) سورة الكهف ١١٠ .
(٣١) سورة النساء الآية ١٢٥ .
(٣٢) رواه البخارى .

التوكل فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعـــــد

فيقول الله سبحانه { الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعـــوا رضـــوان الله والله ذو فضل عظيـــم }[١] { وتوكل على الحى الذى لا يموت }[٢] { وعلى الله فليتوكـــل المتوكلـــون }[٣] { فإذا عزمت فتوكل على الله }[٤] { ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره }[٥] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : " اللهم لك أسلمت وبك آمنت ، وعليك توكلت وإليك أنبت ، وبك خاصمت : اللهـــم أعـــوذ بعزتك ، لا إله إلا أنت أن تضلنى ، أنت الحى الذى لا تموت والجن والإنس يموتون "[٦] .

---

(١) سورة آل عمران الآيتان ١٧٣ ، ١٧٤ .
(٢) سورة الفرقان الآية ٥٨ .
(٣) سورة إبراهيم الآية ١٢ .
(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .
(٥) سورة الطلاق الآية ٣ .
(٦) متفق عليه .

وفى رواية للبخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : " **كان آخر قول إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى فى النار : حسبى الله ونعم الوكيل** " وعن عمر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : " **لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا** "[7] .

أيها المسلمون : لقد وجه الإسلام فيما وجه إليه إلى التوكل على الله ، والتوكل حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله ، والإيمان بتفرده بالخلق والتدبير والضر والنفع ، والعطاء والمنع وأنه ماشاء كان وإن لم يشأ الناس وما لم يشأ لم يكن وإن شاء الناس ، فيوجب له هذا اعتمادا عليه .

ومن كان هكذا مع الله فالله كافيه ، ولابد ، قال تعالى : { **أليس الله بكاف عبده** }[8] .

وبعض الناس يقول : التوكل معناه علم القلب بكفاية الرب للعبد .

وسئل يحيى بن معاذ متى يكون الرجل متوكلا ؟ فقال إذا رضى بالله وكيلا .

وقال أبو تراب النخشبى : هو طرح البدن فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية ، والطمأنينة إلى الكفاية ، فإن أعطى شكر وإن منع صبر . وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافى الأخذ بالأسباب فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد .

فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه والتوكل متعلق بربوبيته

---

(٧) رواه الترمذى وقال حديث حسن .   (٨) سورة الزمر الآية ٣٦ .

وقضائه وقدره ، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل ، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية ، بل إن التوكل لا يصح إلا إذا اتخذ الإنسان لكل عمل يريد جميع الأسباب الموصلة إلى تحقيقه فالله سبحانه قد ربط المسببات بأسبابها والنتائج بمقدماتها .

والإنسان مسوق إلى الأخذ بالأسباب بفطرته ، وبمقتضى تكليف الله له ، وإهمال هذه الأسباب مناف للفطرة ، ومخالف لأمر الله ، والله عز وجل يقول { فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه }[٩] { يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا }[١٠] { وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم ، فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ، ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا }[١١] { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم }[١٢] .

وقال مخاطبا لوطا عليه السلام لينجو بأهله { فاسر بأهلك بقطع من الليل }[١٣] وقال لموسى فى مثل هذا الموقف { فاسر بعبادى ليلا إنكم متبعون }[١٤] .

وفى العلاج والتداوى يأمر الرسول بالأخذ بأسبابها يقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " أيها الناس تداووا ، إن الله ما وضع داء إلا وضع له شفاء "

---

(٩) سورة الملك الآية ١٥ .
(١٠) سورة النساء الآية ٧١ .
(١١) سورة النساء الآية ١٠٢ .
(١٢) سورة الأنفال الآية ٦٠ .
(١٣) سورة هود الآية ٨١ .
(١٤) سورة الدخان الآية ٢٣ .

وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو سيد المتوكلين ومع ذلك فقد كان يأخذ لكل أمر عُدَّتَه ، ويستعد لملاقاة أعدائه الاستعداد الكامل ، ويتخذ جميع أسباب النصر ، وكان يعمل ويسعى ، وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد أن يترك ناقته على باب المسجد دون أن يعقلها فقال : يارسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل فقال النبى صلى الله عليه وسلم اعقلها وتوكل .

فالتوكل لا يتحقق إلا بالأخذ بالأسباب ومتابعة سنن الله وقوانينه ثم الاعتماد على الله وتفويض الأمر إليه وترك النتائج له وقد رأى عمر رضى الله عنه " قوماً توهموا أن التوكل هو ترك مباشرة الأسباب فأعرضوا عن العمل وركنوا إلى العجز والكسل فقال لهم مأأنتم ؟ قالوا متوكلون . قال : كذبتم ما أنتم متوكلون . إنما المتوكل رجل ألقى حبة فى الأرض ثم توكل على الله "(١٥) .

ومثل من يترك العمل راجيا أن يحصل على ما يريد كمن يريد أن يطير فى الجو بلا جناح ، ويريد الولد بلا زواج ، أو يريد تحريك الآلات بلا وقود ، وإنبات النبات بلا تعهد .

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لاتجرى على اليبس(١٦)

أيها المسلمون : فى الإسلام الحث على العمل والكسب ، واعتبار الكسب واجبا على كل قادر عليه ، والثناء كل الثناء على العمال المحترفين ، وتحريم السؤال وإن من أفضل العبادة العمل ، وأن العمل من سنة الأنبياء ، وأن أفضل الكسب ما كان من عمل اليد ، والزراية على

---

(١٥) رواه الترمذى .

(١٦) من أبيات للإمام الشافعى فى ديوانه .

أهل البطالة والذين هم عالة على المجتمع مهما كان سبب تبطلهم ، ولو كان الانقطاع لعبادة الله فإن الإسلام لا يعرف هذا اللون من التبطل ..... والتوكل على الله إنما هو فى الأخذ فى الأسباب ، وأيضا بالنتائج فمن فقد أحدهما فليس بمتوكل . . . . والرزق المقدور مقرون بالعمل الدائب ، والله تبارك وتعالى يقول : { **وقل اعملوا ، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** }[17] ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده . وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده** " ويقول عمر : " لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى ، وقد علم أن السماء لاتمطر ذهبا ولا فضة " وفى الحديث : " **لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة لحم** " .

أيها المسلمون : روى ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وآله ـ " **عرضت على الأمم فرأيت النبى ومعه الرهيط**[18] **، والنبى ومعه الرجلان ، والنبى وليس معه أحدا ، إذ رفع لى سواد عظيم**[19] **فظننت أنهم أمتى : فقيل لى هذا موسى وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق**[20] **فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لى أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب** " ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب . فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا فى الإسلام فلم يشركوا بالله ـ وذكروا أشياء ـ فخرج عليهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : " **ما الذى تخوضون فيه ؟ فأخبروه**

---

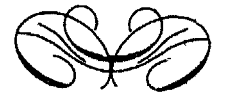
(١٧) سورة التوبة الآية ١٠٥ .

(١٨) الرهيط بضم الراء تصغير رهط وهم دون عشرة أنفس ـ وقيل الرجل وقبيلته .

(١٩) أشخاص كثيرة أى أمته المؤمنون .

(٢٠) الأفق ـ الناحية والجانب .

فقال : هم الذين لايرقون ولا يسترقون[٢١] ولا يتطيرون[٢٢] : وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم : فقال : أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال : سبقك بها عكاشة "[٢٣].



(٢١) يطلبون الرقية لهم من الغير .
(٢٢) لا يتشاءمون .
(٢٣) متفق عليه .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعـــد

فيا أيها المسلمون : لقد ظهر فى الزمن القديم وفى الزمن الحديث من يسير على منهج البعد عنْ الأخذ بالأسباب زاعمين أن الأخذ بالأسباب ينافي التوكل ، وصنف آخر يقولون : إنهم مشغولون بذكر الله عز وجل وأن ما قُدِّرَ يكون .

وهؤلاء وأولئك أقل ما يقال فيهم أنهم مخطئون فى فهم الإسلام فالإسلام نظام تعمير الأرض بمنهج الله عز وجل ومن قدر الله سبحانه أن ربط المسببات بأسبابها ، والنتائج بمقدماتها ، ولم تخرق العوائد في بعض الأحيان إلا لنبى مرسل . على أن ذلك معجزة ، أو ولى على أن ذلك كرامة .

فالذى يريد أن يكون له ولد لا بد أن يتزوج ، والذى يريد أن يعبر من شاطئ إلى شاطئ لابد أن يأخذ بسبب العبور ، والذى يريد أن يكسب ويجمع المال لابد أن يأخذ بالسبب ، والذى يريد أن يشبع لا بد أن يأكل ، والذى يريد الرى لا بد أن يشرب ، وهكذا فإن زعم أنه يصل إليه ما قدر

من الولد بغير زواج أو يحصل له الشبع من غير أكل أو يحصل له المال بغير سعى عُدَّ من جهلة العقلاء ، والبهائم فى مثل هذا الموقف أفقه منه فإنها تسعى فى السبب بالهداية العامة .

وقد استدل بعض هؤلاء بقوله سبحانه : { **والذى هو يطعمنى ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين** }[24] وهذا فهم خاطىء والمعنى الصحيح كما يقول المفسرون { **والذى هو يطعمنى ويسقين** } أى يرزقنى بما سخر ويسر من الأسباب السماوية والأرض فساق المزن وأنزل الماء وأحيا الأرض وأخرج به من كل الثمرات رزقا للعباد وأنزل الماء عذبا زلالا يسقيه مما خلق أنعاماً وأناسى كثيراً . { **وإذا مرضت فهويشفين** } أى إذا وقعت فى المرض فإنه لا يقدر على شفائى أحد غيره بما قدره من الأسباب الموصلة إليه .

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بالأسباب وهو خير المتوكلين من ذلك أنه كمن فى الغار فى الهجرة ، وأعد الراحلة ، وكان يلبس الدرع والمغفر والبيضة فى الحرب والله يقول { **فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه** } والرسول يقول : " **إذا قامت القيامة وفى يد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر** " " **إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها** " " **فر من المجزوم فرارك من الأسد** " " **إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ولا تداووا بمحرم** " .

وفى أثر إسرائيلى " **أن إبراهيم عليه السلام قال يارب ممن الداء ؟ قال منى ؟ قال فممن الدواء ؟ قال منى : قال فما بال الطبيب قال رجل أرسل الدواء على يديه** " .

وقد جاءت النصوص الخاصة والعامة فى الإسلام بحفظ النفس وحمايتها

---

(٢٤) سورة الشعراء الآيتان ٧٩ ، ٨٠ .

من التهلكة ودفع الضرر عنها ، وإثبات الأسباب والمسببات وإبطال أقوال المنكرين لها ، وورد فى الأحاديث الصحيحة والصريحة الأمر بالتداوى وأنه لا ينافى التوكل ، وأن حقيقة التوحيد لا تتم إلا بمباشرة الأسباب التى نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدراً ، وشرعاً ، وأن تعطيلها يقدح فى نفس التوكل الذى هو عبارة عن اعتماد القلب على الله فى حصول ما ينفع المرء فى دينه ودنياه فإنه لا بد فى هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب وإلا كان معطلا للحكمة والشرع والفطرة .

وفي هذا رد على الذين يمتنعون من مداواة ما ينزل بهم من أمراض أو يهملون فى معالجة ما ينتابهم من علل .

أيها المسلمون : الرسل أجمعون ظهرت على أيديهم معجزات تصديقا لهم فى دعواهم ، وظهرت على يد الأولياء كرامات كما حدث للمُطَهَّرَة مريم { **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا ؟ قالت هو من عند الله** } والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ظهرت على يديه معجزات لكنه كان يأخذ بالأسباب ، ولم تخرق العوائد فى بعض الأحيان إلا لرسول أو ولى .

فيأيها المسلمون : إلى الاستقامة على أمر الله ، إلى الأخذ بالأسباب والتوكل على الله ، تسعدوا فى الدنيا ، وتفوزوا برضـوان الله فـى الآخرة .

يراجع : ـ
ـ مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى للإمام الشهيد حسن البنا

الإحسان فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعـــد

فيقول الله سبحانه : { وأحسنوا إن الله يحب المحسنين }[(1)] { إن رحمة الله قريب من المحسنين }[(2)] { إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا }[(3)] { هل جزاء الإحسان إلا الإحسان }[(4)] { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة }[(5)] { ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى أحسن }[(6)] .

ويقول المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حينما سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكـــن تراه فإنه يراك "[(7)] ويقول : " إن الله كتب الإحسان فى كل شئ ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته "[(8)] ويقول : " إن أحبكم إلي وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا " " لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل إن الرجل يحب أن

(1) سورة البقرة الآية ١٩٥ .
(2) سورة الأعراف الآية ٥٦ .
(3) سورة الكهف الآية ٣٠ .
(4) سورة الرحمن الآية ٦٠ .
(5) سورة يونس الآية ٢٦ .
(6) سورة العنكبوت الآية ٤٦ .
(7) رواه البخارى .
(8) رواه مسلم .

يكون ثوبه حسنا و أن تكون نعله حسنة فقال : إن الله جميل يحب الجمال " .

بهذه الأيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة يوجه نظام الإسلام الحنيف إلى فضيلة الإحسان .

والإحسان يطلق على الإتقان والإجادة ، ومنه قول الله { الذى أحسن كل شئ خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين }[٩] .

ويطلق على الإنعام على الغير ، يقول الله تعالى : { واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ، وبذى القربى واليتامى ، والمساكين ، والجار ذى القربى والجار الجنب ، والصاحب بالجنب ، وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا }[١٠] .

وربما فهم العامة منه هذا المعنى فحسب ولكنه فى دين الله أوسع وأشمل . فهو يتناول كل شأن من الشئون وينتظم كل عمل وكل قول وكل نية وهو لب الإيمان وكماله .

ينتظم الإحسان فى العبادة بالإتيان بها على الوجه الأكمل " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " .

ومنه الإحسان فى القصد بأن يكون العمل خالصا صواباً وأن يقارنه عزم يمضيه ، وأن يكون صافيا من الأكدار والشوائب ، والإحسان فى العمل بأن يؤدى الإنسان واجبه فى العمل الذى يناط به على الوجه الأكمل ، وأن يبلغ به درجة الإجادة ، فإن استهانة الفرد بما كلف يستتبع شيوع التفريط فى أمور الأمة كلها واستشراء الفساد فى بنيانها مما يؤدى إلى تداعيه برمته " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه " .

---

(٩) سورة السجدة الآية ٧ .　　(١٠) سورة النساء الآية ٣٦ .

الإحسان فى كل شأن يوجه الإسلام إلى عمله " إن الله كتب الإحسان فى كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته " .

فالإحسان مطلوب فى كل شئ حتى فى حالة ما إذا أراد الإنسان أن يذبح ذبيحته ، فإنه لا ينبغى أن يتخلى عن فضيلة الإحسان وعليه أن يسوقها إلى الموت سوقا رقيقا ويحد السكين ليجهز عليها بسرعة فيريحها ويخفف آلامها .

والله سبحانه وتعالى ما خلق الإنسان وزوده بالقوى والقدر والمواهب إلا لينشط ويبدع ويأتى بجلائل الأعمال ، فإذا بدد قواه فى غير ماخلقت له كان جاحداً بهذه النعم ، وناسيا فضل الله عليه { الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا }(11) { إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا }(12) .

ويرحم الله الشهيد سيد قطب فقد قال فى " ظلال القرآن " [إن الجمال فى هذا الكون مقصود كالكمال فيه] وأنت إذا أمعنت النظر فى خلق الله وجدت الكمال والجمال معا واضحين فيه .

وقيام الليل مظهر من مظاهر الإحسان ، ومن أخص صفات الأبرار { إن المتقين فى جنات وعيون ، آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون }(13) .

واختيار منهج قويم للحياة واتخاذ مثل أعلى يسعى الإنسان لتحقيقه

---

(11) سورة الملك الآية ٢.
(12) سورة الكهف الآية ٧ .
(13) سورة الذاريات الآيات من ١٥ : ١٨ .

من الإحسان { فبشر عباد . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه }[١٤] والمجاهدة بالنفس والمال من أجل استقرار المبادئ الكريمة ، والتمكين لكلمة الله فى الأرض من الإحسان .

{ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين }[١٥] .

ومن خير ضروب الإحسان انتقاء العبادات الحسنة ، والألفاظ النظيفة فى مخاطبة الناس ، والتحدث إليهم فإن ذلك يبعد عن نزعات الشياطين التى تقطع ما أمر الله به أن يوصل ، { وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا }[١٦] .

والإحسان إلى المسئ لا يقدر عليه إلا أصحاب النفوس الكبيرة الذين لا يريدون إلا وجه الله . { ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم }[١٧] .

والإحسان فى الدعوة إلى الله عز وجل ومجادلة أعدائه { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن }[١٨] { ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم }[١٩] .

أيها المسلمون : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سأله جبريل ما الإحسان " قال الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ويقول " إن أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا " .

---

(١٤) سورة الزمر الآيتان ١٧ ، ١٨ .
(١٥) سورة العنكبوت الآية ٦٩ .
(١٦) سورة الإسراء الآية ٥٣ .
(١٧) سورة فصلت الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .
(١٨) سورة النحل الآية ١٢٥ .
(١٩) سورة العنكبوت الآية ٤٦ .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد

فيأيها المسلمون : ورعاية حقوق الوالدين والأقربين والجيران والفقراء والخدم من أعظم ضروب الإحسان ، وقد قرنها الله بعبادته ليلفت النظر إلى هذه الرعاية ، وليؤكد هذه الحقوق { **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا** . . . . }[20] الآية .

فهؤلاء يجب أن يعمهم الإحسان ليسود الجميع المودة والمحبة ويظلهم الأمن والسلام .

وهكذا إذا تتبعنا نواحي الإحسان وضروبه نجد معناه واسعا وإن الله يريد للناس أن يعيشوا في ظله لينعموا بالعافية ، ويسعدوا بالحياة ، ويحققوا رسالتهم رسالة الخلافة عن الله في أرضه وهذا هو الدين الذى يتقبله الله . { **ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن** }[21] { **وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم**

(٢٠) سورة النساء الآية ٣٦ .

(٢١) سورة النساء الآية ١٢٥ .

إن كنتم صادقين ، بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن }[٢٢] .

ولقد أخذ سلفنا بهذه الفضيلة فكانوا أئمة الهدى ، وقادة الأمم ، وسادة الشعوب ، وإذا هم يبرزون فى كل ميدان ، ويسبقون فى كل نشاط حضارى ، ويتفوقون تفوقا لم يسبقوا إليه .

أيها المسلمون : ومنفعة الإحسان وفائدته تعود على المحسن نفسه كذلك فالله يبادله بالإحسان إحسانا { هل جزاء الإحسان إلا الإحسان }[٢٣] ويضاعف ثوابه أضعافا مضاعفة فى الآخرة . قال تعالى : { للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة }[٢٤] { من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها }[٢٥] { من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون }[٢٦] { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة }[٢٧] .

أيها المسلمون : إلى فضيلة الإحسان تسعدوا فى الدنيا وتفوزوا برضوان الله فى الآخرة .

يراجع
ـ خلق المسلم لفضيلة الشيخ محمد الغزالى

---

(٢٢) سورة البقرة الآيتان ١١١ ، ١١٢ .
(٢٣) سورة الرحمن الآية ٦٠ .
(٢٤) النحل ٣٠ ، الزمر ١٠ .
(٢٥) سورة الأنعام الآية ١٦٠ .
(٢٦) سورة النمل الآية ٨٩ .
(٢٧) سورة يونس الآية ٢٦ .

وقفة بعد شهر الصوم لأخذ العبرة والعظات من مدرسته

بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على نبيه - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعـــد

فياأيها المسلمون : لقد انتهى شهر رمضان وقد ربح فيه من ربح ، وخسر فيه من خسر ، ربح فيه الصائمون عن المحارم ، القائمون القانتون البكاءون من خشية الله ، التالون لكتاب الله ، الذاكرون الله كثيرا والذاكرات ، ربح فيه من لانت قلوبهم وجلودهم إلى ذكر الله ، الذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ، وخسر فيه من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى بعث به رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وينبغى أن نقف بعد انتهاء صومه وقيامه والطاعة فيه وقفة نُقَيِّم فيها أنفسنا ، وما استفدناه منه ، فما وجدنا من خير حمدنا الله عليه وإن وجدنا غير ذلك سارعنا إلى التوبة النصوح قبل فوات الأوان .

أيها المسلمون : يقول الله سبحانه : { ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون } .

والتقوى حالة فى القلب يشير إليها اللفظ ، لكن العبارة لا تبلغ تصوير حقيقتها ـ حالة تجعل القلب يقظا حساساً شاعراً بالله فى كل حاله ـ خائفا متحرجا مستحييا أن يطلع الله عليه فى حالة يكرهها ، وعين الله على كل قلب فى كل لحظة فمتى يأمن ألا يراه ، ومقتضى ذلك أن المسلم يسير مع أحكام الله حيث سارت ركائبها ، ويستقر معها حيث استقرت مضاربها ، فهو فى جمعية على الله وفى تنقل فى مراده ـ فتراه فى الصلاة من المصلين ، وفى الصيام من الصائمين ، وفى الحج إن استطاع من الحاجين ، وفى الزكاة إن وجبت عليه من المزكين ، وفى الجهاد بالنفس والمال واللسان من المجاهدين ، وفى السعى على الرزق من الساعين ـ وهكذا يتنقل فى محارب الله عز وجل طالبا رضاه ، شاعراً بأن عين الله ترقبه ، وأن الله يعلم سره وعلانيته { **يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور** }[1] { **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شئ عليم** }[2] هذه المراقبة لله عز وجل ، وهذه اليقظة يستفيدها المسلم من الصيام ليقيم عليها بعد ذلك منهج حياته مع الله ، ومع الناس فيستقيم على شرعه وهدايته ، ومعنى هذا أنه بعد رمضان يداوم على ما استفاده من صومه بمزيد من الاستقامة وخير العمل .

أيها المسلمون : الحقيقة الثانية التى يوحى بها رمضان ، لفت النظر إلى القرآن الكريم ، وهدايته . { **شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس** } المسلم تدارس القرآن فى رمضان ، وعلم أنه هداية للإنسانية فى كل شأن من شئون حياتها . ما يتصل بالعقيدة ، وما يتصل بالعبادة ، وما يتصل بالأحكام الاجتماعية العادلة ، وما يتصل بالأخلاق ، والآداب وما يتصل بتصوره للكون { **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ** } { **ما فرطنا فى**

---

(١) سورة غافر الآية ١٩ .   (٢) سورة المجادلة الآية ٧ .

الكتاب من شئ } لقد تدبر المسلم فى قراءته وآياته فاتعظ ، وعلم أنه صاحب رسالة ـ رسالة الحق والخير للإنسانية للناس كل الناس ـ يستقيم عليها ويدعو الناس إليها بالحجة والبرهان وبالسيف والسنان .

والناس إن جهلوا البرهان واعتسفوا

فالحرب أجدى على الدنيا من السلم

{ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا } { كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله } { ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير } { قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى } { ياأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته } { قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا } { وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج } .

أيها المسلمون : المسلم قرأ واتعظ ، وعلم أنه محاسب أمام الله ومسئول عن تبليغ رسالة الله للعالمين فالإسلام رسالة عالمية إنسانية لا إقليمية ولا قومية .

ومعنى هذا أن ينطلق برسالة الله مستقيما عليها ، داعيا إليها ، مجاهداً فى سبيلها بالنفس والمال { ويأبى الله إلا أن يتم نوره } .

وتلك يا أخى هى مهمة المسلم فى الحياة ، وغايته فى هذا الوجود .

فالله عز وجل لم يخلق الإنسان عبثا ولن يتركه سدى { أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق }(٣) { أيحسب الإنسان أن يترك سدى }(٤) .

---

(٣) سورة المؤمنون الآيتان ١١٥ ، ١١٦ .

(٤) سورة القيامة الآية ٣٦ .

أيها المسلمون : وإذا كان المسلم فى رمضان قد فقه مهمته ، وهُدِىَ إلى غايته ، فليحمد الله عز وجل على هذا الفهم السليم الذى وفقه الله إليه من مدراسته للقرآن الكريم .

أيها المسلمون : وفى شهر رمضان انتصر المسلمون ببدر وهم قلة على المشركين وهم كثرة ليحق الله الحق ويبطل الباطل ، ليحيى من حيى عن بينه ويهلك من هلك عن بينة { **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة** }(٥) { **وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين . ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون** }(٦) .

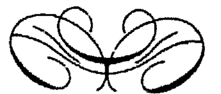
وهكذا نجد أن الله عز وجل نصر عباده المؤمنين المستقيمين على أمره الداعين إلى الحق بإذنه ـ وهزم المشركين الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله ، هؤلاء الذين زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم ـ فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنى برىء منكم إنى أرى ما لا ترون .

أيها المسلمون : وفى هذا درس يجب أن يستقر فى قلب المؤمن أن يوقن أن النصر من عند الله ، وأن الله ينصر من ينصره { **وما النصر إلا من عند الله** }(٧) { **ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** }(٨) وهذا وعد الله والله لا يخلف الميعاد { **وما يعلم جنود ربك إلا هو** }(٩) الريح من جنده ، والملائكة من جنده ، والمطر من جنده ، والبحر من جنده ، والحصى من جنده ، والطير من جنده ، ...... { **ياأيها الذين آمنوا**

---

(٥) سورة آل عمران الآية ١٢٣ .
(٦) سورة الأنفال الآيتان ٧ ، ٨ .
(٧) سورة الأنفال الآية ١٠ .
(٨) سورة محمد الآية ٧ .
(٩) سورة المدثر الآية ٣١ .

اذكــروا نعمة الله عليكــم إذ جاءتكــم جنــود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تـروها }[1.] هذا هو درس ينبغى ألا يمر رمضان دون أن يكون قد استقر فى ضمير المؤمن هذه الحقيقة الإيمانية .



(١.) سورة الأحزاب الآية ٩ .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعـــد

فياأيها المسلمون : وفى رمضان فتحت مكة ودخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير حرب تذكر فلم يكن هناك قتال إلا قتال يسير فى الجهة التى دخل منها خالد بن الوليد قائد من قواد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ دخل من جهة كُدىً ، ودخل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من جهة ـ كَدَاء ـ دخل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاشعا خاضعا لله تكاد رأسه أن تمس واسطة رحله تواضعا لله عز وجل ، لأنه يعلم أن النصر من عنده وحده . هذه قريش التى صدت عن سبيل الله وآذت الرسول وصحبه ، والتى تآمرت على قتله ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصفح عن أهلها كان مما قاله فى خطبته لهم ـ ما تظنون أنى فاعل بكم قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم ـ قال اذهبوا فأنتم الطلقاء ـ { **لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين** } [(١١)] .

أيها المسلمون : الداعى إلى الله عز وجل ينبغى أن يكون رائده هداية الناس لدين الله ، وأن يكون رحيما بهم ، وليعلم أن ما أصابه فى سبيل

---

(١١) سورة يوسف الآية ٩٢ .

دعوته إلى الله . حسابه فيه على الله ، ومثوبته عنده سبحانه ـ غزوة الفتح هذه بعض دروسها ـ ينبغى أن لا يمر رمضان بالمؤمن دون أن يكون قد أخذ منها العظة والعبرة والدرس .

أيها المسلمون : فى رمضان دروس ودروس ـ فرمضان شهر الطهارة شهر النقاء ، شهر الموعظة ، شهر تربية الإرادة القوية ، شهر الجهاد ، شهر المعرفة بالله ، رمضان مدرسة يتربى فيها المخلصون من المؤمنين على الاستقامة والعزة والحرية والجهاد والتضحية وحب الإنسانية والعمل على هدايتها والرحمة بها .

أيها المسلمون : العالم كله بحاجه ماسة إلى يد موصولة بالسماء تقوده إلى شاطئ الأمان ، وفى يدكم أنتم وحدكم الدواء لأمراضه وعلله فاستقيموا على أمر الله وتقدموا للإنسانية برسالة الله الرحيمة بذلك تكونون قد استفدتم من دروس رمضان ، فرمضان ليس شهر التسلية ، لكنه شهر الموعظة والعبرة ، شهر الخير ، لو يعلم الناس مافى رمضان من خير لتمنوا أن تكون السنة كلها رمضان .

أيها المسلمون : اعملوا والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

والله ولى التوفيق .

نظام الحكم فى الإسلام الحنيف

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعـــــد

أيها المسلمون : الإسلام يوجب إقامة " الحاكم " وهو المسمى بالإمام والتعريف الحقيقى للإمامة أنها الحكومة الإسلامية الشرعية أو كما نقول اليوم " الدستورية " أو بعبارة تعين المعنى وتحدده الحكومة التى تكون الشريعة الإسلامية قانونها : قانونها الأكبر أو الأم هو ماتسميه اليوم " بالدستور " وقانونها الفرع وهو مجموعة الأحكام التشريعية التى تنظم بها حياة الأمة سواء أكانت تلك الأحكام تتعلق بالمعاملات المالية ، أو الأحوال الشخصية أو المسئوليات الجنائية أو غير ذلك ، وهدف هذا القانون هو تحقيق مصالح الناس فى حياتهم الدنيوية والأخروية أو بعبارة أخرى تحقيق مصالحهم المادية والروحية .

أيها المسلمون : ويجدر بنا أن نوجه النظر إلى أنه لم يرد فى القرآن الكريم ولا فى نصوص السنة ، نصوص صريحة فى إقرار حق الأمة فى اختيار الحاكم . ولا فى وجوب إقامته لكن هذا لاينفى أن تكون الشريعة الإسلامية أقرت مبادئ واضحة فى هذه الشئون ، وذلك أن شريعة الإسلام

لا تستمد فقط من الكتاب والسنة فحسب وإنما تستمد كذلك من مصادر أخرى ـ ترجع إلى الكتاب والسنة ـ أهمها الإجماع ، وبحسبنا أن نقرر أن من أهم مظاهر الإجماع وأرقاها مرتبة اتفاق الصحابة رضوان الله عليهم جميعهم أو معظمهم فى عهد الخلفاء الأربعة الراشدين وهو العهد الذى يمثل مبادئ الإسلام أصدق تمثيل على حكم لم يرد بشأنه نص صريح فى الكتاب ولا فى السنة وذلك لأنهم لا يجمعون على ضلالة ولأن ما يجمعون عليه لابد أن يكون متسقا مع روح الشريعة ، ومعتمدا على الأسس العامة التى يرشد إليها الكتاب الكريم ، وتهدى إليها أقوال الرسول ، وأعماله ، وتقريراته ، وقد انعقد إجماع الصحابة فى عهد الخلفاء الراشدين على أحكام صريحة فى صدد الحرية السياسية ، وسار عليها حينئذ نظام الحكم فى العالم الإسلامى وإذن فحق الأمة فى اختيار حكامها ووجوب إقامة الحاكم مستمد من إجماع الصحابة فى عهد الخلفاء الأربعة الراشدين لامن نصوص صريحة فى كتاب الله أو سنة رسوله عليه السلام ، وكذلك الحق فى مراقبتهم .

أيها المسلمون : وقد يؤيد بعض العلماء الدليل على وجوب إقامة الحاكم ومراقبته بذكر بعض الآيات والأحاديث على أنها بعض ما استند إليه الإجماع كما فعل الماوردى إذا قال : " ولكن جاء الشرع بتفويض الأمور إلى وليه فى الدين قال عز وجل : **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا** }[1] ففرض علينا طاعة أولى الأمر فينا ، وهم الأئمة المتأمرون علينا وروى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال " **سيليكم بعدى ولاة فيكم البر ببره والفاجر بفجوره فاسمعوا لهم وأطيعوا فى كل ماوافق الحق ـ فإن أحسنوا فلكم ولهم وإن أساءوا فلكم وعليهم** " .

---

(١) سورة النساء الآية ٥٩ .

وفيما يرويه مسلم عن يحيى بن حصين عن جدته أم الحصين قالت سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول " إن أمر عليكم عبد مجدع حسبتها قالت أسود ـ يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا "[٢] .

وفى حديث آخر " كأن رأسه زبيبة " .

ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه : " إذا نزلت ببلد وليس فيه سلطان فارحل عنه " كما قال فى حديث آخر لبعض أصحابه كذلك " إذا كنتم ثلاثة فأمروا عليكم رجلا " .

فمن ظن أن الدين أو بعبارة أدق أن الإسلام لا يعرض للسياسة أو أن السياسة ليست من مباحثه فقد ظلم نفسه وظلم علمه بهذا الإسلام ، ولا أقول ظلم الإسلام فإن الإسلام شريعة الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وجميل قول الإمام الغزالى ـ رضى الله عنه ـ اعلم أن الشريعة أصل ، والملك حارس ، وما لا أصل له فمهدوم ، وما لا حارس له فضائع ، فلا تقوم الدولة الإسلامية إلا على أساس الدعوة حتى تكون دولة رسالة ، لا تشكيل إدارة ولا حكومة مادة جامدة صماء لا روح فيها ـ كما لا تقوم الدعوة إلا فى حماية تحفظها وتبلغها .

أيها المسلمون : الإسلام يفترض الحكومة قاعدة من قواعد النظام الأساسى الذى جاء به للناس ، فهو لا يقر الفوضى ولا يدع الجماعة المسلمة بغير حاكم إمام إذ على الإمامة يتوقف القيام بالواجبات الدينية ، وتحقيق الغايات التى يقصدها الدين ونظام الدين بالمعرفة ، والعبادة لا يتوصل إليها إلا بصحة البدن وبقاء الحياة وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق هذه المهمات

---

(٢) رواه مسلم .

الضرورية كما أن تحقيق العدل الكامل لا يتقرر ولا يكفل للناس سعادتهم فى دنياهم وأخراهم إلا بوجود هذا النوع من نظم الحكم وهو الإمامة أى الحكومة الإسلامية القائمة على أساس الدين إذ العدل المطلق إنما هو العدل الإلهى التى تشتمل عليه الشرائع السماوية دون القوانين الوضعية، وما الإمامة إلا امتداد لخلافة الرسول فى الدعوة إلى الله للناس كافة ، ماهى إلا استمرار لقيادة الأنبياء وهدايتهم للناس ، وماهى إلا احتفاظ بالمبادئ والعقائد التى دعوا إليها وجاهدوا من أجلها .

أيها المسلمون : والحكومة فى الإسلام تقوم على دعائم مقررة هى الهيكل الأساسى لنظام الحكم الإسلامى ، فهى تقوم على مسئولية الحاكم ، ووحدة الأمة ، واحترام إرادتها ، ولا عبرة بعد ذلك بالأسماء ولا بالأشكال ، فالحاكم مسئول بين يدى الله والناس ، وهو أجير لهم ، وعامل لديهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . الإمام راع وهو مسئول عن رعيته** . . . . " وأبو بكر يقول عندما ولى الأمر وصعد المنبر : " أيها الناس كنت أحترف لعيالى فأكتسب قوتهم ، فأنا الآن أحترف لكم فافرضوا لى من بيت مالكم " . وهو بهذا قد فسر نظرية العقد الاجتماعى أفضل وأعدل تفسير بل هو واضع أساسه فما هو إلا تعاقد بين الأمة والحاكم على رعاية المصالح العامة فإن أحسن فله أجره وإن أساء فعليه عقابه .

أيها المسلمون : والأمة الإسلامية واحدة لأن الأخوة التى جمع الإسلام عليها القلوب أصل من أصول الإيمان لا يتم إلا بها ولا يتحقق إلا بوجودها . ولايمنع ذلك حرية الرأى ، وبذل النصيحة من الصغير إلى الكبير ومن الكبير إلى الصغير وذلك هوالمعبر عنه فى عرف الإسلام ببذل النصيحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " **الدين النصيحة قالوا لمن يارسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم** " وقال : " **إذا رأيت أن أمتى تأبى أن**

تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منـها " وفى رواية " وبطن الأرض خير لهم من ظهرها " وقال : "سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله " .

ولا نتصور الفرقة فى الأمور الجوهرية فى الأمة الإسلامية لأن نظام الحياة الاجتماعية الذى يضمها نظام واحد ـ هو الإسلام ـ معترف به من أبنائها جميعا والخلاف فى الفروع لا يضر ولا يوجب بغضا ولا خصومة ، ولا حزبية يدور معها الحكم كما تدور . . . . ولكنه يستلزم البحث والتمحيص والتشاور وبذل النصيحة فما كان من المنصوص عليه فلا اجتهاد فيه إلا فى فهمه ومالا نص فيه فقرار ولى الأمر بجمع الأمة عليه ، ولا شئ بعد هذا .

أيها المسلمون : يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " الدين النصيحة قالوا لمن يارسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم " .

وقال " إذا رأيت أن أمتى تأبى أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منها " وفى رواية " وبطن الأرض خير لهم من ظهرها " وقال : " سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله " .

وقال : " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل فى أهله راع ومسئول عن رعيته ، والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها ، والخـادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيتـه "[٣] قال ابن عمر راوى الحديث سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأحسبه قال : " والرجل فى مال أبيه راع وهو مسئول عن رعيته " .

---

(٣) رواه البخارى .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعـــد

فيأيها المسلمون : ومن دعائم الحكم فى نظام الإسلام احترام إرادة الأمة .

فمن حق الأمة الإسلامية أن تراقب الحاكم أدق مراقبة وأن تشير عليه بما ترى فيه الخير ـ وعليه أن يشاورها وأن يحترم إرادتها ، وأن يأخذ بالصالح من آرائها ، وقد أمر الله الحاكمين بذلك فقال : { **وشاورهم فى الأمر** }[٤] وأثنى به على المؤمنين خيرا فقال : { **وأمرهم شورى بينهم** }[٥] ونصت على ذلك سنة رسول الله والخلفاء الراشدين المهديين من بعده إذا جاءهم أمر جمعوا أهل الرأى من المسلمين واستشاروهم ونزلوا عند الصواب من آرائهم بل إنهم لينذبونهم إلى ذلك ويحثونهم عليه . يقول أبو بكر الصديق رضى الله عنه : « إن رأيتمونى على خير فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فسددونى » وفى رواية « فقومونى » . ويقول عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : « من رأى فى اعوجاجا فليقومه » .

---

(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .　　(٥) سورة الشورى الآية ٣٨ .

والنظام الإسلامى فى هذا لايعنيــه الأشكال ولا الأسماء متى تحققت القواعد الأساسية التى لا يكون الحكم صالحاً بدونها .

أيها المسلمون : تلك هى القواعد الأساسية لنظام الحكم فى الإسلام ، فإلى هذا النظام ، إلى الأخذ به تسعدوا فى الدنيا ، وتفوزوا برضوان الله فى الآخرة .

الله ولى التوفيق

يراجع

١ـ حقوق الإنسان فى الإسلام للدكتور على عبد الواحد وافى .

٢ـ النظريات السياسية فى الإسلام للدكتور محمد ضياء الدين الريس .

٣ـ مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى للإمام الشهيد حسن البنا .



ذكرى المولد النبوى الشريف

فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول بمكة المكرمة عام الفيل افترت ثغور الزمن عن أجمل بسماتها وأشرقت آفاق السماء بأضوأ ميزاتها ، وتفتحت أكمام الأرض عن أنضج ثمراتها وانسكب فى مسمع الدهر أحلى نشيد فى تاريخ الوجود .

ولد الهدى فالكائنـــات ضياء
وفم الزمان تبســـم وثناء
الروح والملأ المـــلائك حـــوله
للدين والدنيا به بشـــراء

مظاهر العظمة والجلال التى تحيط بهذا المولود العظيم شعر لا تنقضى عجائبه ، فهو عظيم فى نسبه الطاهر المطهر ، عظيم فى خلقه الجميل المنور ، عظيم فى خلقه الكريم المكمل ، عظيم فى رسالته الخالدة لم تزل فى ضمائر الكون تختار له الأمهات والآباء فهو خيار من خيار من خيار . يقول صلوات الله وسلامه عليه " **إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم** " .

أتم الله خلقه ، وأحسن صورته . كان إذا تبسم فكأنما يفتر عن حب الغمام ، وكان إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر . كان أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ ، إذا مشى تكفأ ، أكحل العينين فى صوته صَحَلٌ ، يقول

سيدنا أنس : ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا شممت ريحا قط أو عرقا قط أطيب من ريح أو عرق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

كان راجحْ العقل فصيح اللسان يقول سيدنا أبوبكر : لقد طفت فى العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك فمن أدبك ؟ " قال : أدبنى ربى فأحسن تأديبى " .

ولما بلغ خمسا وثلاثين سنة واجتمعت قريش لبناء الكعبة ليسقفوها ، وكانت كل قبيلة تريد أن يكون لها شرف وضع الحجر الأسود حتى آل الأمر إلى الحرب ـ وكانت فى أهون من هذا بكثير فى الجاهلية ـ وأعدوا للقتال ، ثم اتفقوا على أن أول من يدخل من باب المسجد يقضى بينهم فكان أول داخل عليهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدعا بثوب وأخذ الحجر ووضعه فيه بيده ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بُنِىَ عليه .

وهكذا كان الرسول عظيما فى خلقته كأن الشاعر عناه بقوله :

خُلقْتَ مُبَرَّءاً من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

ولقد بلغ صلوات الله وسلامه عليه فى أخلاقه المقام الذى لا يدانى والمنزلة التى لا تسامى حتى قال الله فيه : { وإنك لعلى خلق عظيم }[1] { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين

(١) سورة " ن " الآية ٤ .

رءوف رحيم }[٢] . وكان صلوات الله وسلامه عليه أعدل الناس يقيد من نفسه لغيره ، يقول : " **لقد أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها** " .

وكان صلوات الله وسلامه عليه أشجع الناس يقول على رضى الله عنه وكرم الله وجهه : كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ، وقد ثبت فى معركة أحد ويوم حنين حين انكشف عنه الشجعان وخلا الميدان وهو ثابت على بغلته كأن لم يكن شئ أنا النبى لاكذب ، أنا ابن عبد المطلب .

ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت ، فاستقبلهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول : لن تراعوا لن تراعوا وهو على فرس لأبى طلحة عُرْىٍ ما عليه سَرْج وفى عنقه السيف فقال : لقد وجدته بحرا أو أنه بحر .

كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجود الناس أجود بالخير من الريح المرسلة ، يعطى عطاء من لا يخشى الفقر .

جاءه رجل يسأل فقال : ما عندى شئ ولكن ابْتَعْ عَلَىَّ فقال عمر : يارسول الله لم يكلفك الله ما لاتطيق . فقال رجل من الصحابة : أنفق يارسول الله ولا تخش من ذى العرش إقلالا . فسر لذلك واستنار وجهه . وعن أنس أن رجلا سأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى بلاده فقال : أسلموا فإن محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة .

---

(٢) سورة التوبة الآية ١٢٨ .

قال صفوان بن أمية : لقد أعطانى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ماأعطانى ، وإنه لمن أبغض الناس إلى فما برح يعطينى حتى إنه لأحب الناس إلى إنى أشهد ماطابت بهذا إلا نفس نبى ، وقد كان جوده كله لله وابتغاء مرضاته وكان يبذل ماله تارة لفقير وتارة ينفقه فى سبيل الله وتارة يتألف به على الإسلام من يقوى الإسلام بإسلامه .

كان صلى الله عليه وسلم أرق الناس حاشية وألينهم عريكة تجلت فيه المشاعر الإنسانية يجد لزوجه من الحنين مايجعله يقول : حبب إلى من دنياكم ثلاث : النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة . ويجد لابنه من الحنين ما يجعله يقول عند موت ابنه إبراهيم : إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع وإنا لفراقك ياإبراهيم لمحزونون .

كان يصلى فركب الحسن ظهره وهو ساجد فأبطأ فى سجوده فلما فرغ قال له بعض أصحابه : لقد أطلت سجودك . قال : إن ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله . كان يسمع بكاء الصبى فيخفف الصلاة رحمة به وبأمه .

دعا سبطه الحسن بن على فجاء يشتد فوقع فى حجره ، ثم أدخل يده فى لحيته ، ثم جعل النبى يفتح فاه فيدخل فاه فى فيه ، جاء أعرابى إلى المسجد فقال أتقبلون صبيانكم فما نقبلهم . فقال له النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ : **أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك** . قال أنس كان النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ يخالطنا حتى يقول لأخ لى صغير يا أبا عمير مافعل النغير ! " والنغير طائر كالعصفور أحمر المنقار " .

وقد شملت رحمته الحيوان يقول : إن لكم فى كل ذات كبد رطبة أجر ، إن الله كتب الإحسان فى كل شئ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وَ لْيُحِدَّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته .

مر ببعير لحق ظهره ببطنه فقال : اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فكلوها صالحة واركبوها صالحة . يقول عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه رضى الله عنه : كنا مع رسول الله في سفر فرأينا حُمَّرة معها فرخان لها فأخذناهما ، فجاءت الحمرة تعرش فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فجع هذه بولدها ، ردوا ولدها إليها . وروى عنه صلوات الله وسلامه عليه في الأحاديث الصحيحة ما معناه : أن الله عز وجل غفر لرجل سقى كلباً يلهث يأكل الثرى من العطش وقال صلوات الله وسلامه عليه : " **دخلت امرأة النار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتها ولاهى تركتها تأكل من خشاش الأرض** " .

ومن قبل أن تنشأ جمعيات الرفق بالحيوان في أوربا أو غيرها كان الرفق بالحيوان شعار الدين الإسلامي .

كان صلوات الله وسلامه عليه أشد الناس تواضعا لا يحب أن يقوم له الناس يقول : " **لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله** " .

تذهب به الجارية إلى أقصى مكان في المدينة فيذهب معها ويقضى حاجتها ، يدخل إليه رجل ترتعد فرائصه فيقول له : هون على نفسك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة ، وكان في بيته في مهنة أهله ، يقم البيت ، ويعقل البعير ، ويعلف ناضحه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه ، ويرقع الثوب ، ويخصف النعل ، ويحمل بضاعته من السوق ، ويقول صاحب الحاجة أولى بحملها كان يكره أن يتميز عن أصحابه . روى أنه كان في سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة . فقال رجل : يارسول الله على ذبحها . وقال آخر : على سلخها . وقال آخر : على طبخها . فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى جمع الحطب . فقالوا يارسول الله : نكفيك العمل . فقال علمت أنكم تكفوننى ولكن أكره أن أتميز عليكم وإن

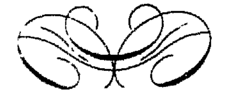
الله يكره من عبده أن يراه متميزا عن أصحابه .

وقد جاء وفد النجاشى فقام ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخدمهم . فقال له أصحابه نكفيك قال : إنهم كانوا لإخواننا مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم .

كان صلوات الله وسلامه عليه أزهد الناس يقول . اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة . ويقول : مالي وللدنيا وما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها . رآه عمر مضطجعا على حصير أثر فى جنبه فهملت عينا عمر فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ما بك . قال عمر يارسول الله أنت صفوة الله من خلقه وكسرى وقيصر فيما هما فيه . فاحمر وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال أو فى شك أنت يابن الخطاب ثم قال : أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا . وكان يحب حياة الزهد لا لنفسه فقط بل لأهله وعياله كذلك . روى عنه اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا . يقول سيدنا أبوهريرة : ماشبع نبى الله وأهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا ، وعن عائشة رضى الله عنها " إنا كنا آل محمد ليمر بنا الهلال تلو الهلال ما يوقد فى بيت رسول الله نار . إن هو إلا الأسودان التمر والماء " وكانت له درع عند يهودى فما وجد ما يفكها حتى مات . كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء . يقول أبوسعيد الخدرى : كان أشد حياء من العذراء فى خدرها وكان إذا كره شيئا عرفناه فى وجهه . وكان يمنعه الحياء من أن يجابه أحدا بما يكره فيكل ذلك إلى غيره .

تقول عائشه رضى الله عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحد ما يكره لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال أقوام يصنعون ويقولون كذا ينهى عنه ولا يسمى فاعله ، أيها المسلمون : يقول

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبى يومئذ فمن سواه إلا تحت لوائى وأنا أول من تنشق عنه الأرض " ويقول : " إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا لى الوسلية فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو . من سأل لى الوسلية حلت عليه شفاعتى " . .



الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـا بعـــد

فقد كان صلى الله عليه وسلم كذلك أعبد الناس يصلى من الليل حتى تتورم قدماه فقيل لـه : وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك ومـا تأخر . فقال : أفلا أكون عبدا شكورا . وقال أبو ذر : قام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بآية حتى أصبح " **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** " (٣) .

وقالت عائشة :كان يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصـوم . وقال أنس :لا تشاء أن تراه مصليا من الليل إلا رأيته ، ولا نائما إلا رأيته ، وكان يقول أرحنا بالصلاة يابلال وجعلت قرة عينى فى الصلاة .

أيها المسلمون : إلى التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه فالله يقول { **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو**

---

(٣) سورة المائدة الآية ١١٨ .

الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا }[٤] .

يراجع

ـ السيرة النبوية للأستاذ أبى الحسن الندوى



(٤) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

الخطبة الثانية
تكملة المولد النبوى الشريف

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعـــد

فيأأيها المسلمون : تحدثنا فى الجمعة الماضية عن جوانب من عظمة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى نسبه وفى خلقته وفى أخلاقه واليوم نتحدث عن جوانب من عظمة رسالته الخالدة هداية الله للناس أجمعين فى كل شأن من شئون حياتهم ، لقد أمدت هذه الرسالة العالم الإنسانى بعقيدة التوحيد الصافية النقية . توحيد الله فى ألوهيته ، وتوحيده فى ربوبيته ، لا خالق للكون غيره ، ولامتصرف فيه سواه ومن ثم فلا يستحق العبادة غيره ، لا معطى لما منع ، ولامانع لما أعطى . يقول الله سبحانه : { **ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم** }[1] .

لقد كان الإنسان قبل بعثة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسجد

(١) سورة فاطر الآية ٢ .

لأشياء تافهة لا تضر ولا تنفع ، ولا تعطى ولاتمنع { وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب }[٢] وكان يركع أمام أشياء صنعها بنفسه ويخافها ويرجو منها الخير ، بل لقد سجد فى بعض أحيانه للحشرات والديدان ، ولقد كانت اليهودية تنظر إلى الله على أنه رب إسرائيل فقط وتحرفه المسيحية والديانة الهندوكية والديانات الفارسية ، فجاء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعقيدة التوحيد الصحيحة الصافية النقية سهلة سائغة حافزة للهمم باعثة للحياة .

قررت هذه الرسالة الخالدة مبدأ الوحدة والمساواة الإنسانية البشرية والإخاء والحرية والعدل وما كلمة التوحيد إلا إعلان للحرية فى أسمى معانيها ، فلا ذل ، ولا استعباد ، ولا مصادرة للحريات كما قررت مبدأ العدل ـ العدل فى الحكم { وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل }[٣] العدل ولو مع الخصوم { ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى }[٤]. العدل فى القول : { وإذا قلتم فاعدلوا ولوكان ذا قربى }[٥] العدل ولو مع النفس والأقارب والفقراء {ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا }[٦]. قررت مبدأ السلام فتحية المسلمين السلام والقرآن قد تنزل فى موكب سلام { سلام هى حتى مطلع الفجر . . . }[٧] وختام الصلاة للخروج منها السلام ، وتحية الله للمؤمنين يوم يلقونه السلام { تحيتهم يوم يلقونه سلام }[٨] وتحية الملائكة لهم السلام { والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم }[٩] والإسلام مشتق من

---

(٢) سورة الحج الآية ٧٣ .
(٣) سورة النساء الآية ٥٨ .
(٤) سورة المائدة الآية ٨ .
(٥) سورة الأنعام الآية ١٥٢ .
(٦) سورة النساء الآية ١٣٥ .
(٧) سورة القدر الآية ٥ .
(٨) سورة الأحزاب الآية ٤٤ .
(٩) سورة الرعد الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

مادة السلام ، ومن أسماء الجنة السلام { **لهم دار السلام عند ربهم** }[10] والغاية من القرآن إقرار السلام { **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام** }[11] .

أيها المسلمون : قررت هذه الرسالة الخالدة التى جاء بها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كرامة الإنسان وسموه وشرف الإنسانية وعلو قدرها فلقد بلغ الإنسان قبل البعثة المحمدية إلى حضيض الذل والهوان فلم يكن على وجه الأرض شئ أصغر منه وأحقر وكانت بعض الحيوانات المقدسة . وبعض الأشجار المقدسة التى علقت بها أساطير ومعتقدات خاصة أكرم وأعز عند عبادها ، وأجدر بالصيانة والمحافظة عليها من الإنسان ، ولوكان ذلك على حساب قتل الأبرياء ، وسفك الدماء وكانت تقدم لها القرابين من دم الإنسان ولحمه .

فأعادت رسالة الإسلام إلى الإنسانية كرامتها وردت إليها اعتبارها وقيمتها وأعلنت أن الإنسان أعز شئ فى هذا الوجود وأغلى جوهر فى هذا العالم ، خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، ووهب له السمع والبصر والفؤاد ، وأمده بالهداية ، وسخر له كل مافى هذا الكون ، وكرمه وفضله على كثير من خلقه ، ويسر له السبيل ، فهو بإذنه وصنعته يغوص فى الماء ، ويطير فى الهواء ، ويسابق الكهرباء ، ويحطم الذرات ، ويتجاوز بتفكيره أقطار السموات ، فهل رأيت أعظم وأطهر وأكرم منه ؟

أيها المسلمون : إن رسالة الإسلام رفعت مكانة الإنسان حتى صار خليفة الله ونائبه خلق له العالم وهو خلق لله وحده { **هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا** }[12] وليس أدل على كرامته والاعتراف بعظمته من قول

---

(10) سورة الأنعام الآية ١٢٧ .

(11) سورة المائدة الآيتان ١٥ ، ١٦

(12) سورة البقرة الآية ٢٩ .

الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " **الخلق عيال الله ، وأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله** " .

وليس هنا أبلغ فى الدلالة على سمو الإنسانية ، والتقرب إلى الله بخدمتها والعطف عليها من الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه

عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : إن الله عز وجل يقول يوم القيامة « **يابن آدم مرضت فلم تعدنى ، قال : رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ، قال : أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ، أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده ، يابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى ، قال : يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ، قال : استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ، يابن آدم استسقيتك فلم تسقنى ، قال : رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ، قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى ...** "[١٣] وهكذا أكرم الإسلام الإنسان .

أيها المسلمون : ومن مميزات هذه الرسالة الخالدة أنها ملأت هذه الفجوة الواسعة بين الدين والدنيا ، وجعلت هذين المتنافرين اللذين عاشا فى خصام دائم يتعانقان فى إلف ، ويتعايشان فى وئام وسلام ، إنه رسول الوحدة وبشير ونذير فى الوقت ذاته ، إنه أخذ النوع البشرى من المعسكرين المتحاربين إلى جبهة واحدة من الإيمان والاحتساب والعطف على البشرية ، وابتغاء رضوان الله ، وعلمنا هذا الدعاء الجامع المعجز الواسع { **ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** }[١٤] وإنه أعلن بالآية القرآنية { **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين** }[١٥] أن حياة المؤمن ليست وحدات متفرقة متضادة بل هى وحدة تسيطر عليها روح العبادة ، والاحتساب ، ويقودها الإيمان بالله ، والاستسلام لأوامره ، وهى تشمل شعب الحياة كلها إذا تحقق الإخلاص وصحت النية وأريد بها وجه

---

(١٣) رواه مسلم

(١٤) سورة البقرة الآية ٢٠١ .

(١٥) سورة الأنعام الآية ١٦٢ .

الله وكانت علىٰ المنهج الذى جاء به الأنبياء فدل ذلك على أنه رسول الوحدة والوئام ، والانسجام بالكمال ، والتمام ، وأنه البشير النذير فى نفس الوقت ، إنه قضى على نظرية الانفصال بين الدين والدنيا ، فجعل الحياة كلها عبادة ، وجعل الأرض كلها مسجدا .

أيها المسلمون : إن رسالة الإسلام جمعت بين الدين والدنيا ، ووحدت الصفوف المتنافرة ، فقد وزعت الديانات القديمة وبخاصة المسيحية الحياة الإنسانية قسمين : قسم للدين وقسم للدنيا ووزعت هذا الكوكب فى معسكرين : معسكر رجال الدين ومعسكر رجال الدنيا وذلك النداء المشئوم بين رجال الدين ورجال الدنيا فتح الباب على مصراعيه للإلحاد واللادينية وكانت فريسته دول الغرب أولا والأمم التى دانت له فى الفكر والثقافة أو عاشت تحت رايته .

وأعظم هدية للرسالة الإسلامية الخالدة ، ومنتهى العظمة كان نداؤها الذى دوت به فى الآفاق أن أساس الأعمال والأخلاق هو الهدف الذى ينشده المرء ، والذى عبر عنه الشارع بلفظ مفرد بسيط لكنه واسع عميق " النية " فقال : " **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى** " وأن كل عمل يقوم به الإنسان ابتغاء مرضاة الله وبدافع الإخلاص ، وامتثال أمره وطاعته هو وسيلة إلى التقرب إلى الله والوصول إلى أعلى مراتب اليقين ودرجات الإيمان وهو دين خالص لا تشوبه شائبة ، ولوكان هذا العمل جهاداً وقتالا أو حكما وإدارة أو تمتعا بطيبات الأرض ، وتحقيقا لمطالب النفس وسعيا للرزق والحياة الزوجية ـ وكل عبادة وخدمة دينية تعتبر دنيا إذا تجردت من طلب رضا الله سبحانه والخضوع لأوامره ونواهيه وغشيتها غاشية من الغفلة ونسيان الآخرة ، ولوكانت صلوات مكتوبة ، ولو كانت هجرة وجهادا أو تسبيحا ولا يثاب عليها العامل والعابد والداعى والمجاهد بل قد تعود عليه بالوبال .

أيها المسلمون : لقد أخذت الرسالة الخالدة بيد الإنسان من معسكرات متحاربة إلى جبهة واحدة واسعة من العمل الصالح وخدمة الإنسانية النافعة ابتغاء مرضاة الله ، فترى هناك ملوكا فـى أطمـار الفقراء ، وزهاداً في زى الملوك والأمراء جبال حلم ، وينابيع علم ،عباد ليل وأحلاس خيل من غير تناقض أو صعوبة أو تعسف .

أيها المسلمون : من مآثر هذه الرسالة الخالدة تعيين الأهداف والغايات وميادين العمل والكفاح . إنها هدت الإنسان إلى محل لائق كريم يصرف فيه قواه وترفعه إلى أجواء فسيحة عالية يحلق فيها ، فقد كان الإنسان قبل الرسالة الإسلامية جاهلا لهدفه الحقيقى لا يدرى إلى أين يتجه وإلى أين المصير ، وما هو المجال الأفضل والحقيقى لمواهبه وطاقته وجهوده ؟

إنه وضع لنفسه مقاصد وهمية صناعية وحصر نفسه فى دائرة ضيقة محدودة كانت تستنفد قواه وطاقاته وذكائه وكان المثل الأعلى عند الرجل الناجح واللامع من يكون أكثر جمعا ومالا ، وأوسع نفوذا وقوة متحكما فى أكثر مجموعة من البشر وأوسع بقعة من بقاع الأرض ، كان هناك ملايين لم يزد طموحهم على التمتع بألوان زاهية وأصوات مطربة ، وأطعمة لذيذة ، وأكثر من تقليد البلبل في صوته أو الطاووس فى لونه بل أكثر من مسايرة الماشية والغنم والأنعام والدواب ، بل كان هناك آلاف عاشوا دائما بين بلاط الملوك وحاشيتهم وبذلوا نبوغهم فى التزلف إلى الأمراء ، والتملق أمام الأغنياء أو الخضوع للجبابرة والأقوياء أو التسلى بالأدب الفارغ الذى لا قيمة له فى الدنيا والآخرة .

فجاءت رسالة الإسلام ، ورسخت فى قلب الإنسان أن المجال الحقيقى لجهده واجتهاده ومواهبه وأشواقه وطموحه وسموه وطيرانه وتحليقه هو معرفة فاطر السموات والأرض ، والاطلاع على أثر صفاته وقدرته وحكمته وسعة ملكوت السموات والأرض وعظمتها ، والحصول على

الإيمان واليقين ، والفوز برضوان الله وحده ، والرضا به وبقدره ، وتنمية قواه الباطنة ، ومداركه الروحية للوصول إلى درجات القرب واليقين ، والحث على خدمة الإنسانية والإيثار والتضحية والوصول بذلك إلى مكان لا تصل إليه الملائكة المقربون ، تلك هى السعادة الحقيقية للإنسان ونهاية كماله ومعراج قلبه وروحه .

أيها المسلمون : ومن مآثر هذه الرسالة الخالدة محاربة اليأس والتشاؤم وبعث الأمل والرجاء والثقة والاعتزاز فى نفس الإنسان .

فقد كان أكثر أفراد النوع الإنسانى مصابين باليأس من رحمة الله وبسوء الظن بالفطرة السليمة وكان فى إيجاد هذا الجو الخاص والحالة العقلية الخاصة دور لبعض الديانات الشرقية القديمة والمسيحية المحرفة فى أوربا ، وفى الشرق الأوسط ، فقد نادت المسيحية بأن الإنسان عاص ومذنب بالولادة ، والفطرة ، والمسيح صار كفارة وفداء له عن هذه الذنوب فأنشأت هذه العقيدة بطبيعة الحال فى نفوس الملايين فى العالم المتمدن المعمور الذين اعتنقوا المسيحية سوء ظن بنفوسهم ويأسا من مستقبلهم ومن الرحمة الإلهية .

هنا أعلنت الرسالة بكل قوة وصراحة أن فطرة الإنسان هى كاللوح الصافى الذى لم يكتب عليه بعد ، ويمكن أن تنقش فيه أروع النقوش ، ويحرر فيه أجمل تحرير وأن الإنسان يستهل حياته بنفسه ويستحق الثواب والعقاب والجنة والنار بعمله وهو غير مسئول عن عمل غيره فقد ذكر القرآن فى مواضع كثيرة أن الإنسان مسئول عن عمله فحسب وأنه مثاب ومشكور على سعيه { **ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** }[16] هذا الإعلان أعاد إلى الإنسان ثقته المفقودة بفطرته ، ومواهبه

---

(١٦) سورة النجم الآيتان ٣٨ ، ٣٩ .

الطبيعية وانطلق إلى الأمام بعزم قوى وحماس زائد ، وعاطفة جياشة لصنع مصيره ومصير الإنسانية ، ويجرب حظه وقدرته فى تلك الإمكانات الهائلة والفرص العالية .

أيها المسلمون : يقول الرسول صلى الله عليه وسلم – " لقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتى " .



الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعـــد

فيأيها المسلمون : لازلنا نحيا فى ظلال محاسن الرسالة الخالدة التى جاء بها محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ صاحب هذه الذكرى العطرة ذكرى ميلاده ـ صلوات الله وسلامه عليه .

فقد امتازت رسالته كذلك بإحياء الضمير الإنسانى الموصول برب العالمين المذكور فى القرآن الكريم { فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره }[١٧] { ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين }[١٨] { وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين }[١٩] .

---

(١٧) سورة الزلزلة الآيتان ٧ ، ٨ .
(١٨) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .
(١٩) سورة يونس الآية ٦١ .

وحرمت هذه الرسالة الخالدة الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق { **قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق** }[٢٠].

وأحلت الطيبات وحرمت الخبائث { **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق** }[٢١].

واعتبرت المال الصالح قوام الحياة ، وأوجبت الحرص عليه وحسن تثميره وأشادت بمنزلة الغنى الشاكر الذى يستخدم ماله فى نفع الناس ، وحثت على العمل والكسب واعتبار الكسب واجبا على كل قادر عليه ، وأثنت على العمال المحترفين .

وحرمت موارد الكسب الخبيثة وحددت الخبث فى الكسب بأنه ما كان من غير مقابل من عمل كالربا والقمار واليانصيب ونحوها أو كان بغير حق كالنصب والسرقة والغش ونحوها ، أو كان ثمنا لما يضر كثمن الخمر والخنزير والمخدرات ونحوها فكل هذه موارد للكسب لا يبيحها الإسلام ولا يعترف بها . وعملت هذه الرسالة الخالدة على التقريب بين الطبقات تقريبا يقضى على الثراء الفاحش ، والفقر المدقع وذلك بتحريم الكنز ، ومظاهر الترف على الأغنياء والحث على رفع مستوى المعيشة بين الفقراء ، وتقرير حقهم فى مال الدولة ، ومال الأغنياء ووصف الطريق العملى لذلك .

وأكثرت من الحث على الإنفاق فى وجوه الخير والترغيب فى ذلك وذم البخل والمن والأذى وتقرير طريق التعاون والقرض الحسن ابتغاء مرضاة الله ورجاء ما عنده { **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم**

---

(٢٠) سورة الأعراف الآية ٣٣ .
(٢١) سورة الأعراف الآية ٣٢ .

والعدوان }[٢٢]وقررت حرمة المال واحترمت الملكيات الخاصة مادامت لاتتعارض مع المصلحة العامة : " **كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه** " " **لا ضرر ولا ضرار** " .

ونظمت هذه الرسالة الخالدة المعاملات المالية فى حدود مصلحة الأفراد والمجتمع ، واحترمت العقود والالتزامات ، ودققت فى شئون النقد حتى أفرد له علماء الفقه الإسلامى أبوابا تحرم التلاعب فيه كالصرف ، ونحوه ولعل هنا موضعا من مواضع الحكمة فى تحريم استخدام الذهب والفضة فى أدوات الأكل والشرب ونحوها باعتبارهما الرصيد العالمى للنقد ــ وحرمت الذهب زينة للرجال .

وقررت هذه الرسالة الحكيمة الضمان الاجتماعى لكل مواطن ، وتأمين راحته ومعيشته كائنا من كان ، ولقد مر عمر على يهودى يتكفف الناس فزجره واستفسر عما حمله على السؤال فلما تحقق من عجزه رجع على نفسه باللائمة ، وقال ما أنصفناك ياهذا أخذنا منك الجزية قويا ، وأهملناك ضعيفا ، افرضوا له فى بيت المال ما يكفيه .

وأعلن الإسلام مسئولية الدولة عن حماية هذا النظام وعن حسن التصرف فى المال العام ، تأخذه بحقه ، وتصرفه بحقه ، وتعدل فى جبايته ولقد قال عمر ما معناه " إن هذا المال مال الله وأنتم عباده ، وليصلن الراعى بأقصى الأرض قسمة من هذا المال ، وإنه ليرعى فى غنمه ومن غل غل فى النار ، وحذر الإسلام من استخدام السلطة والنفوذ ، ولعن الراشى والمرتشى والرائش ، وحرم الهدية على الحكام والأمراء وكان عمر يقاسم عماله ما يزيد عن ثروتهم ويقول لأحدهم " من أين لك هذا " إنكم تجمعون المال وتورثون العار ، وليس للوالى من مال الأمة إلا ما يكفيه . وقال أبو

(٢٢) سورة المائدة الآية ٢ .

بكر لجماعة المسلمين حين ولى عليهم كنت أحترف لعيالى ، فأكسب قوتهم ، وأنا الآن أحترف لكم ، فافرضوا لى من بيت مالكم ، ففرض له أبوعبيدة قوت رجل من المسلمين ليس بأعلاهم ولا بأوكسهم ، وكسوة الشتاء وكسوة الصيف ، وراحلة يركبها ويحج عليها ، وقومت هذه الفريضه بألفى درهم ، ولما قال أبو بكر لا يكفينى زادها له إلى خمسمائة وقضى الأمر .

أيها المسلمون : تلكم بعض نواحى عظمة رسالة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نذكر بها فى ذكرى ميلاده . والذكرى تنفع المؤمنين .

أيها المسلمون : ويوم حمل الفاتح المسلم سيفه على عاتقه وانطلق غازيا فى أرض الله لم يرجُ من ذلك مغانم دنيوية ، ولم يكن يتطلع إلى خيرات الأمم والشعوب ليستأثر بها دونهم ، وإن امتلأت يده منها بغير قصد منه ـ ولكنه كان يؤمن بدعوة ، ويحمل رسالة ، ويحمى فى العالم مبادئ الحق والعدل والسلام ، وتاريخ الصدر الأول من المسلمين الراشدين المهديين وهم الحجة ـ للإسلام ـ يعطيك هذه الصورةَ بَيِّنَةَ المعالم ، واضحة الحدود .

والإسلام يعتبر الأمة الإسلامية أمينة على رسالة الله فى أرضه ، ولها فى العالم مرتبة الأستاذية ـ ولا نقول مرتبة السيادة ـ بحكم هذه الأمانة فلا يسمح لها أن تذل ولا تستعبد لأحد ، أو تلين قناتها لغائر ، أو تخضع لغاصب معتد أثيم { **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** }.[٢٣]

ويوم قرر الإسلام هذا قرر الطريق العملى إلى صيانة هذه الحرية فافترض الجهاد بالنفس والمال ، وجعله فرض كفاية لتأمين الدعوة ، وفرض

---

(٢٣) سورة النساء الآية ١٤١ .

عين على كل أبناء الأمة لرد العدوان عن الوطن إذا واجهته قوة الغزاة من غير المسلمين ، وجعل الشهادة أعلى مراتب الإيمان { **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم** }[٢٤].

أيها المسلمون : إذا أقبلت عليكم ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم فاذكروا أخلاقه ، واذكروا رسالته وواجبكم نحو هذه الرسالة ، اذكروا جهاد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سبيل الله ، وجهاد صحابته الأبرار والتابعين لهم بإحسان ، اذكروا هذا واعملوا كما عملوا تفوزوا في الدنيا والآخرة { **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** }[٢٥] { **وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم** }[٢٦].

والله ولي التوفيق .



---

(٢٤) سورة التوبة الآيتان ٢٠ ، ٢١ .

(٢٥) سورة التوبة الآية ١٠٥ .

(٢٦) سورة محمد الآية ٣٨ .

قصة الفداء وعبرتها

بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعـــد

فيقول الله سبحانه فى قصة إبراهيم عليه السـلام فى سـورة الصافـات : { وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين ، رب هب لى من الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين سـلام على إبراهـيم كذلك نجزى المحسنين إنه من عبـادنا المؤمنين }[1] .

أيها المسلمون : تذكرنا أيام شهـر ذى الحجـة بحادثة عظيمة فى حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام بل فى حياة البشر أجمعين ، موقف يعرضه القرآن الكريم للأمة المسلمة من حياة أبيها إبراهيم ـ فى سورة الصافات ـ { فلما بلغ معه السعى } ...الآيات يالله وبالروعة الإيمان ، والطاعة ، والاستسلام والتسليم هذا إبراهيم الشيخ المقطوع من الأهل والقرابة ،

(١) سورة الصافات الآيات من ٩٩ : ١١١ .

المهاجر من الأرض والوطن ها هو ذا يرزق في كبرته وهرمه بغلام طالما تطلع إليه ، فلما جاءه جاء غلاماً ممتازا يشهد له ربه بأنه حليم ، وها هو ذا ما يكاد يأنس به ، وصباه يتفتح ويبلغ معه السعي ويرافقه في الحياة حتى يرى في منامه أنه يذبحه فيدرك أنها إشارة من ربه بالتضحية ، وهذا يكفي ليلبي ويستجيب دون أن يعترض ؛ دون أن يسأل ربه لماذا ياربي أذبح ولدي الوحيد ؟

والأمر شاق مافي ذلك شك فهو لا يطلب منه أن يرسل ابنه الوحيد إلى معركة ، ولا يطلب منه أن يكلف ابنه أمراً تنتهي به حياته إنما يطلب منه أن يتولى هو بيده ، يتولى ماذا ؟ يتولى ذبحه ، ويأخذ إبراهيم الأمر ويعرضه على ابنه كالذي يعرض عليه المألوف من الأمر ، فالأمر في حسه هكذا ربه يريد فليكن ما يريد ، وابنه ينبغي أن يعرف وأن يأخذ الأمر طاعة وإسلاما لينال هو الآخر حلاوة الطاعة التي ذاقها ، وأن ينال الخير الذي يراه أبقى من الحياة وأقيم ، فماذا يكون من أمر الغلام الذي يعرض عليه الذبح ؟ إنه يرتقي إلى الأفق الذي ارتقى إليه أبوه من قبل { **قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين** } إنه يتلقى الأمر في رضا ، وفي يقين ، وفي مودة وقربى فشبح الذبح لا يزعجه ، ولا يفزعه ، ولا يفقده أدبه ورشده يأبت افعل ما تؤمر فمادام ذلك أمر الله فهو خير .

ويخطو المشهد خطوة أخرى إلى التنفيذ { **فلما أسلما وتله**[٢] **للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين** }[٣] ومرة أخرى يرتفع نبل الطاعة ، وعظمة الإيمان وطمأنينة النفس ،إن الرجل يمضي فيكب ابنه على جبينه استعدادا ، وإن الغلام يستسلم فلا يتحرك

---

(٢) استل السكين ، وتلّ للجبين ـ صرعه على شقه فوقع جنبه على الأرض ، وهي أحد جانبي الجبهة ، وتله أصل معناه رماه على التل وهو التراب ثم عم لكل صرع .
(٣) سورة الصافات الآيات من ١٠٣ : ١٠٥ .

امتناعاً ، وقد وصل الأمر إلى أن يكون عيانا ، فلما أسلما : هذا هو الإسلام حقيقة ثقة وطمأنينة وطاعة ورضا وتسليم ، وتنفيذ وكلاهما لا يجد فى نفسه إلا المشاعر التى يصنعها الإيمان ، وهنا كان إبراهيم وإسماعيل قد أدّيا حقا الأمر والتكليف ، ولم يكن باقيا إلا أن يذبح إسماعيل ، ويسيل دمه وتزهق روحه .

هنا كان الابتلاء قد تم ، والامتحان قد وقع ونتائجه قد ظهرت ، وأهدافه قد تحققت ، فاعتبرهما الله قد أديا وصدقا { **وناديناه أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم** } . قد صدقت الرؤيا وحققتها فعلا فالله لا يريد إلا الإسلام والاستسلام : بحيث لا تستبقى النفس لنفسها فى نفسها شيئا تعزه عن الله ، ويفدى الله هذه النفس التى أسلمت وأدت بذبح عظيم قيل إنه كبش وجده إبراهيم مهيئا بفعل ربه وإرادته ليذبحه مكان إسماعيل وقيل له { **إنا كذلك نجزى المحسنين** } .... نجزيهم باختيارهم لمثل هذا البلاء ، ونجزيهم بتوجيه قلوبهم ورفعها إلى مستوى الوفاء ، ونجزيهم بإقدارهم وإصبارهم على الأداء ، ونجزيهم كذلك باستحقاق الجزاء .

ومضت بذلك سنة الذبح فى الأضحى ذكرى لهذا الحادث العظيم ، الذى يرتفع منارة لحقيقة الإيمان ، وجمال الطاعة ، وعظمة التسليم ، والذى ترجع إليه الأمة المسلمة لتعرف حقيقة أبيها إبراهيم الذى نتبع ملته ، والذى ترث نسبه وعقيدته . ولندرك طبيعة العقيدة التى تقوم بها أو تقوم عليها ولتعرف الاستسلام لقدر الله فى طاعة راضية واثقة .

{ **وتركنا عليه فى الآخرين** } .

فهو مذكور على تولى الأجيال والقرون هو أمة هو أبو الأنبياء هو أبو هذه الأمة المسلمة وهى وارثة ملته وقد كتب الله لهاوعليها قيادة البشرية

على ملة إبراهيم فجعلها الله له عقبا ، ونسبا إلى يوم الدين . { **سلام على إبراهيم** } سلام عليه من ربه سلام يسجل فى كتابه الباقى ويرقم فى طوايا الوجود الكبير .

أيها المسلمون : ترد القصة فى القرآن الكريم للعبرة والعظة وصدق الله العظيم { **لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى** }(٤).

ويقول جل شأنه { **فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** }(٥) { **نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين** }(٦) .

أيها المسلمون : يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " **أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل** " .



---

(٤) سورة يوسف الآية ١١١ .
(٥) سورة الأعراف الآية ١٧٦ .
(٦) سورة يوسف الآية ٣ .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله عز وجل والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعـــــد

فياأيها المسلمون : قد شرع الله لنا الأضحية بقـوله سبحـانه : { **إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر** }[7] وقوله { **والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير** }[8] وثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم ضحى وضحى المسلمون وأجمعوا على ذلك .

وقد روى فى فضلها عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " **ما عمل آدمى من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم ، إنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها ، وإن الدم ليقع عند الله بمكان قبل أن يقع على الأرض فيطيبوا بها نفسا** " .

وعن زيد بن أرقم قال : **قلت أوقالوا يارسول الله ما هذه الأضاحى ؟ قال**

---

* قيلت هذه الخطبة فى العشر الأوائل من ذى الحجة للاستعداد للأضحية وحثا عليها وقيلت التى قبلها للعظة والعبرة .

(٧) سورة الكوثر الآيتان ١ ، ٢ .

(٨) سورة الحج الآية ٣٦ .

سنة أبيكم إبراهيم . قالوا مالنا منها قال : بكل شعرة حسنة . قالوا . فالصوف ؟ قال بكل شعرة من الصوف حسنة "[٩] .

وهى سنة موكدة ويكره تركها مع القدرة عليها لحديث أنس الذى رواه البخارى ومسلم أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ " ضحى بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر " .

وروى مسلم عن أم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إذا رأيتم هلال ذى الحجة وأراد أحدكم أن يضحى فليمسك عن شعره وأظافره "[١٠] .

ويرى الإمام أبو حنيفة أنها واجبة على ذى اليسار "من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا "[١١] . وصححه الحاكم ورجح الأئمة وقفه .

والأضحية شرعها الله إحياء لذكرى إبراهيم وتوسعة على الناس يوم العيد كما قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنما هى أيام أكل وشرب وذكر لله عز وجل .

وهى تكون من الإبل والبقر والغنم ولا تجزئ من غير هؤلاء الثلاثة يقول الله عز وجل : { ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام }[١٢] وتجزئ من الضأن ماله نصف سنة ، ومن المعز ماله سنة ، ومن البقر ماله سنتان ومن الإبل ماله خمس سنين .

ومن شروط الضحية السلامة من العيوب .

---

(٩) رواه أحمد وابن ماجه .
(١٠) رواه مسلم .
(١١) رواه أحمد وابن ماجه .
(١٢) سورة الحج الآية ٢٨ .

وتذبح بعد صلاة العيد لما رواه الشيخان عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ « من ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه ومن ذبح بعد الصلاة والخطبتين فقد أتم نسكه وأصاب سنة المسلمين » .

وتجزئ الضحية الواحدة عن الرجل وأهل بيته .

وتجوز المشاركة فيها إذا كانت من الإبل أو البقر وتجزئ البقرة أو الجمل عن سبعة أشخاص إذا كانوا قاصدين الضحية . والتقرب إلى الله تعالى .

ويسن للمضحى أن يأكل من أضحيته ويهدى الأقارب ويتصدق على الفقراء وقد قال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " **كلوا وأطعموا وادخروا** " . وقد قال العلماء الأفضل أن يأكل الثلث ، ويتصدق بالثلث ، ويدخر الثلث ، ويجوز نقلها إلى بلد آخر ولايجوز بيعها ولابيع جلدها وإنما يتصدق به المضحى أو يتخذ منه ماينتفع به ، وعند أبى حنيفة يجوز بيع جلدها ويتصدق بثمنه أو يشترى بعينه ماينتفع به فى البيت ، ولا يعطى الجزار منها شيئا كأجر .

والمضحى يذبح بنفسه ويقول باسم الله الله أكبر اللهم هذا عن فلان ويسمى نفسه .

فإن كان لا يحسن الذبح فليشهد ، ويحضر فإن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لفاطمة يافاطمة قومى فاشهدى أضحيتك فإنه يغفر لك عند أول قطرة من دمها كل ذنب عملته .

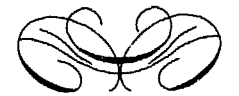
وقولى : { **إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين** }[١٣] عن

(١٣) سورة الأنعام الآية ١٦٢ .

على بن الحسين أبى رافع أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان إذا ضحى اشترى كبشين سمينين أقرنين أملحين فإذا صلى وخطب الناس أتى بأحدهما وهو قائم فى مصلاه فذبحه بنفسه بالمدية ، ثم يقول اللهم هذا عن أمتى جميعا من شهد لك بالتوحيد ، وشهد لى بالبلاغ ، ثم يؤتى بالآخر فيذبحه بنفسه ويقول : هذا عن محمد وعن آل محمد فيطعمها جميعا المساكين ويأكل هو وأهله منهما .

يراجع

ـ فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب " سورة الصافات " .



فى ذكرى الإسراء والمعراج

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعـــد

فيقول الله سبحانه وتعالى : { **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** }[1] . آية كريمة من كتاب الله عزّ وجل يتلوها المسلمون فى كل زمان ومكان ويرددونها فى صلواتهم وعباداتهم ، والإيمان بها جزء من إيمانهم بقرآنهم . والآية تحكى لنا معجزة الإسراء فى عبارة موجزة تبدأ بتنزيه الله عز وجل وبيان قدرته . وتنتهى ببيان بعض صفاته وكماله .

ولقد ورد فى كتب السنة وبخاصة صحيحى البخارى ومسلم الحديث عن معجزة الإسراء والمعراج ، وفيها أنه أتى بدابةٍ دون البغل وفوق الحمار ، أبيض يضع خطوه عند أقصى طرفه ، وأنه دخل المسجد الأقصى فصلى ركعتين ، وأنه صلى إماما بالأنبياء ، وفيها أنه قُدِّمَ إليه إناء من خمر وإناء من لبن فاختار اللبن ، اختار الفطرة وفيها أنه عرج به حتى أتى

---

(١) سورة الإسراء الآية ١ .

السماء الدنيا ، فَرُحِّبَ به ، وإنه سلم على آدم فرد عليه السلام ثم قال : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء الثانية ، فسلم على يحيى وعيسى ابنى الخالة فردا عليه السلام وقالا : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة فسلم على يوسف فرد عليه السلام وقال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فسلم على إدريس فرد عليه السلام ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فسلم على هارون فرد عليه السلام وقال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح ، ثم صعد إلى السماء السادسة فسلم على موسى فرد عليه السلام وقال : مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح ، ثم صعد حتى أتى السماء السابعة ، فسلم على إبراهيم فرد عليه السلام وقال : مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ، ثم رُفِعَ إلى سدرة المنتهى ثم إلى حيث دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ، وأوحى الله إليه ما أوحى ، وفرضت عليه وعلى أمته الصلاة خمسين ، ثم خففها الله إلى خمس فى العمل لها ثواب الخمسين .

أيها المسلمون : لقد عانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كثيرا من ألوان المحن وضروب الاضطهاد والعنت ، فحينما قام بدعوته ورسالته ناصبته قريش العداء ، ولم يتركوا طريقا لإنهاء الرسالة والرسول إلا سلكوه .

سلكوا طريق الإيذاء له ولأتباعه ليثنوه عن التبليغ فما فعل ، وسلكوا طريق الضغط الأُسَرى ليثنوه عن التبليغ فما فعل ، وسلكوا طريق الإغراء ليثنوه عن التبليغ فما فعل ، وسلكوا طريق التآمر على قتله ليثنوه عن التبليغ فما فعل { **وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب** }[2] { **وقالوا ياأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون** }[3] حاول عقبة بن

---

(٢) سورة ص الآية ٤ .　　(٣) سورة الحجر الآية ٦ .

أبى معيط أن يخنقه بثوبه وهو يصلى فى حجر الكعبة وأقبل مرة بسلا جزور فألقاه على ظهره وهو يصلى ، وكان كلما مر على الملأ من قريش يوجهون إليه فنونا من السخرية فيقولون : هذا ابن أبى كبشة يكلم من السماء وهذا غلام عبد المطلب يكلم من السماء .

ذهب إليه عتبة يعرض عليه أمورا علّه يقبل بعضها ويكف عن دعوته ، عرض عليه المال ، وعرض عليه الملك ، وعرض عليه السيادة عليهم ، وعرض علّيه الطب إن كان مريضا . فأعرض الرسول عن كل ذلك وقرأ عليه آيات من أول سورة فُصِّلت إلى قوله تعالى : { **فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** } . فناشده عتبة أن يكف خشية أن تنزل الصاعقة عليهم .

ذهبت قريش إلى عمه أبى طالب ليمنعه عن التبليغ فقال له : " **ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه** " . ثم كان الحصار الاقتصادى والمقاطعة فى شعب بنى هاشم حتى قيض الله لرسوله وقومه من بنى هاشم من نقض صحيفة المقاطعة هذه الظالمة ، وخرج بنو هاشم من شعبهم وخالطوا الناس . وكان خروجهم فى سنة عشر من النبوة .

ومات أبوطالب بعد ذلك بستة أشهر ، وماتت خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها بعد موت أبى طالب بأيام ، فاشتد البلاء على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قومه بعد موت خديجة وعمه وتجرأوا عليه وكاشفوه بالأذى وأرادوا قتله فمنعهم الله من ذلك .

ولما اشتد البلاء من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بعد موت عمه . خرج إلى الطائف رجاء أن يؤووه وينصروه على قومه ويمنعوه

منهم حتى يبلغ رسالة ربه . ودعاهم إلى الله عز وجل ، فلم ير ناصرا وآذوه أشد الأذى . ونالوا منه مالم ينل منه قومه ، وأغروا به سفهاءهم يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماه الشريفتان فانصرف إلى مكة محزونا ، وفي مرجعه دعا بالدعاء المشهور .

{ اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ! أم إلى عدو ملكته أمرى ؟! إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، غير أن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل على غضبك ، أو ينزل بى سخطك لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك " .

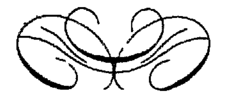
فكانت رحلة الإسراء والمعراج تكريما له ، وتثبيتا وتشريفا وتنويها بمقام العبودية ، وبيانا لمقامه ومنزلته عند الله .

أيها المسلمون : ورحلته من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير . تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لدن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلى محمد خاتم النبيين وتربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعا ، وكأنه يريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثة الرسول الخاتم لمقدسات الرسل قبله ، واشتمال رسالته على هذه المقدسات ، وارتباطها بها جميعا . فهى رحلة ترمز إلى أبعد من حدود الزمان والمكان ، وتتضمن معانى أكبر من المعانى القريبة التى تكشف عنها النظرة الأولى . وإذا كان الله عز وجل قد مَنَّ على نبيه بعروجه إليه وتقريبه منه ومناجاته فقد أكرم أُمّتَه بلون من العروج كذلك ، وهو الصلاة ، فيها يناجون الله عز وجل ، ويتقربون { **واسجد واقترب** }[٤] " **وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد** " .

---

(٤) سورة العلق الآية ١٩ .

أيها المسلمون : يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " لما كذبنى قريش قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه " وقال صلوات الله وسلامه عليه : " لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى " .



الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعـــــد

فياأيها المسلمون : أليس من المفارقات العجيبة أن تهتم الأمة الإسلامية أعظم الاهتمام بالاحتفال بذكرى الليلة العظيمة التى أسرى فيها بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حيث أراه من آياته الكبرى ، وتجلي عليه بالنعمة العظمى ، وهذا المسجد الأقصى والأرض المباركة حوله تقع فى قبضة أعداء الله يعيثون فيها بالفساد ، والمسلمون فى بقاع الأرض لا يؤدون واجبهم ، ويقولون ولا يفعلون ، وغيرهم جادون ماضون إلى ما يريدون . أوليس من المفارقات العجيبة كذلك أن تستعرض الأمة المسلمة فى هذه الليلة كيف أن الله تبارك وتعالى رفع فيها نبيها العظيم فوق السماوات العلى بل إلى حيث جاوز سدرة المنتهى ، ثم دنى فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى . وتقرأ قول الله تعالى : { **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**}[٥] إلى جانب قول الرسول العظيم ـ صلى الله عليه وسلم ـ " **من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منى** " .

---

(٥) سورة المنافقون الآية ٨ .

وتردد الآية الكريمة { لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة }[٦] ثم هى بعد ذلك ترضى بالدون من المنازل وتقنع بالذليل من الأوضاع وتجئ فى أخريات الأمم والشعوب ، وتستكين لسلطان الغاصبين والظالمين وقد وعدها الله ثواب المجاهدين . أو ليس من المفارقات العجيبة كذلك أن تعلم هذه الأمة أن أول آية نزلت فى قرآننا { اقرأ باسم ربك الذى خلق }[٧] وأن الله تبارك وتعالى حين أسرى بنبيه وعرج به إنما أراد أن يريه من آياته الكبرى ، وأن يطلعه على أسرار الكون ، وأن يملأ بالعلم والمعرفة قلبه وعقله حتى يبلغ ذروة الإيمان والعرفان معا . وأن الله تبارك وتعالى أمرها أمرا جازما بالمسير فى الأرض ، والنظر فى الكون { قل انظروا ماذا فى السموات والأرض }[٨] ثم هى بعد ذلك تقنع بهذه القشور من علم الدنيا ، وأسرار الدين ، وتتخلف عن ركب الأمم المجاهدة فى تسخير قوى الطبيعة التى جعلها الله للإنسان من المسخرات حتى تتحكم فيها غيرها بحكم القوة المادية ، ويسبقها سواها فى ميادين المعارف الكونية .

أيها المسلمون : ومنذ أن أسرى برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعرج به فقد دخل هذا المسجد الأقصى فى حوزة المسلمين ، وبخاصة بعد أن أعلن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك بقوله : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى " .

ولما وجه أبو بكر رضى الله عنه الجيوش لفتح إقليم الشام واستنقاذه من براثن الروم ، وانطلقت مجاهدة فى سبيل إعلاء كلمة الله ، ورفع راية العدل والرحمة فيها . وفيها زهرة المسلمين من مهاجرين وأنصار ومن أهل بدر ذوى المكانة وكتب الله لها النصر فى مواقع متتالية اتجه عمرو بن العاص لحصار ـ بيت المقدس مسرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأولى القبلتين ، فشددوا عليها الحصار فلما يئس المدافعون عنها آثروا

---

(٦) سورة الأحزاب الآية ٢١ .
(٧) سورة العلق الآية ١ .
(٨) سورة يونس الآية ١٠١ .

التسليم على المقاومة ، لكنهم اشترطوا أن يكون ذلك على يد عمر بن الخطاب خليفة المسلمين آنذاك تنويها بشأن القدس ومركزها الدينى فى الإسلام والنصرانية. فاستجاب لهم عمرو وكتب بذلك إلى الفاروق ، ودعاه لتسلم المدينة فوافق عمر وغادر المدينة إلى الشام ، وأقام بالجابية حتى وافاه وفود بيت المقدس يعرضون عليه التسليم والصلح ، فصالحهم وكتب لهم أمانا . وسار أمير المؤمنين إلى بيت المقدس بعد عقد الصلح فى موكب تغمره البساطة وتحفه المهابة ، ويعلوه الجلال ثم دخل المدينة فاستقبله البطريرك وكبار رجاله ، وصعدوا معه إلى كنيسة القيامة فلما أدركته الصلاة صلى خارجها خشية أن يدعى المسلمون ملكيتها بحجة أن عمر صلى فيها ، وبنى فى المكان الذى صلى فيه مسجد سمى مسجد عمر .

أيها الإخوة : ولله الأمر من قبل ومن بعد ، فقد أخذ أعداء الإسلام من قديم الزمان يكيدون له ، وعملوا على اغتصاب هذه البلاد وأخذها من المسلمين ، واغتصب الصليبيون بيت المقدس واستولوا عليه سنة ١٠٩٩ م وقتلوا فى جوار بيت المقدس ما يزيد على سبعين ألفا من المسلمين . ثم قيض الله رجلا من رجالات الإسلام المجاهدين هو صلاح الدين الأيوبى ، فهزم هؤلاء الصليبيين ودخل المسلمون بيت المقدس فى السابع والعشرين من رجب سنة ٥٨٣ هـ ـ الجمعة أكتوبر ١١٨٧ م وكان يوم الإسراء فكان يوما مشهودا . وأعيدت للمسجد الأقصى حرمته ، وردت إليه كرامته وأقيمت فيه الصلاة وخطب الجمعة الأولى فيه القاضى محيى الدين قاضى حلب . فمما قال فيها :

" أيها الناس أبشروا برضوان الله لما يسره على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الأمم الضالة بعد ابتذالها فى أيدى الصليبيين قريبا من مائة عام ، واحذروا بعد أن شرفكم الله بهذا الفتح الكبير وخصكم بهذا النصر المبين أن تقترفوا الذنوب والآثام فتكونوا كالتى نقضت غزلها من

بعد قوة أنكاثا . فالجهاد الجهاد أفضل عباداتكم وأشرف عاداتكم ، انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم - وتمضى الأيام ويتآمر أعداء الإسلام من الكفرة ويقيمون لليهود وطنا فى هذه الأماكن المقدسة ، ويحتلون أرض فلسطين . ولله الأمر من قبل ومن بعد .

فهل يمن الله عز وجل على المسلمين برجل كصلاح الدين يجمع شتات المسلمين ويوحد بينهم ، ويجاهد هؤلاء الصهاينة وأعداء الإسلام ، ليستردوا هذه البقاع المقدسة ويعيدوها إلى حوزة الإسلام اللهم أنت المأمول فى كل ذلك وأنت نعم المولى ونعم النصير .

. أيها المسلمون : إذا جاءت ذكرى الإسراء والمعراج واحتفلتم بها فاذكروا جهاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذى كرمه الله به ، وجهاد صحابته الكرام ، واذكروا رسالته وواجبكم نحو هذه الرسالة ونحو مقدسات الإسلام .

يراجع فى هذا الموضوع :

١- حديث الإسراء والمعراج فى منبر الجمعة للإمام الشهيد حسن البنا .
٢- كتب السنة وبخاصة صحيحى البخارى ومسلم .

اليوم الآخر

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعـــد

فيقول الله سبحانه { **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر** }[1] .

أيها المسلمون : الإيمان باليوم الآخر وما يقع فيه من جزاء ركن من أركان الإيمان وجزء من أجزاء العقيدة فى نظام الإسلام .

وقد قرنه الله تعالى بالإيمان به فى بعض الآيات القرآنية ذلك أن الإيمان بالله يعرف الإنسان بخالق هذا الكون ، والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذى ينتهى إليه هذا الوجود ، وعلى نور الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر تتضح أمام الإنسان غايته ويختار طريقه . ومتى فقد الإنسان هذه المعرفة فإن حياته سوف تبقى بلا هدف ولا غاية صحيحة . والقرآن الكريم يلفت الأنظار إلى أن الله لم يخلق الإنسان من غير هدف عال ، ولا غاية سامية ، لأن ذلك يتنافى مع كماله الأقدس ، وحكمته

---

(١) سورة البقرة الآية ١٧٧ .

العليا . فالله لم يخلق الإنسان بيده ، وينفخ فيه من روحه ، ويسجد له ملائكته ، ويسخرله الكون ، ويجعله سيده دون غرض أو غاية { أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون }[٢] .

لقد خلق الإنسان وأوضح له غايته وهى الاستخلاف فى الأرض والحياة فيها وفق منهجه ورسالته وشريعته وهو مسئول عن ذلك أمام الله ، وحسبان غير ذلك ضلال مبين { أيحسب الإنسان أن يترك سدى }[٣] ، { قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى }[٤] .

ولقد اهتم القرآن اهتماما بالغا بتقرير الإيمان بهذا اليوم وذلك عن طريق الإكثار من ذكره ، فلا تكاد تخلو سورة من القرآن عن الحديث عنه مع تقريبه إلى الأذهان بالبرهان وضرب الأمثال .

وكان من مظاهر الاهتمام به كذلك أن الله أورده فى القرآن بأسماء كثيرة يدل كل منها على معنى مما سيحدث فيه . فهو يوم البعث { وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث }[٥] ، ويسمى يوم القيامة { ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة }[٦] ويسمى الساعة { ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم }[٧] ، ويسمى الآخرة { بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى }[٨] . ويسمى يوم الدين { مالك يوم الدين }[٩] أى الجزاء ، ويسمى يوم الحساب { إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب }[١٠] ،

(٢) سورة المؤمنون الآية ١١٥ .
(٣) سورة القيامة الآية ٣٦ .
(٤) سورة طه الآيتان ١٢٣ ، ١٢٤ .
(٥) سورة الروم الآية ٥٦ .
(٦) سورة الزمر الآية ٦٠ .
(٧) سورة الحج الآية ١ .
(٨) سورة الأعلى الآيتان ١٦ ، ١٧ .
(٩) سورة الفاتحة الآية ٤ .
(١٠) سورة غافر الآية ٢٧ .

ويسمى يوم الفتح { قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون }(١١) الآية ، ويسمى يوم التلاق { رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق }(١٢) الآية ويسمى يوم التناد { وياقوم إنى أخاف عليكم يوم التناد }(١٣) . ويسمى يوم الخلود { ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود }(١٤) ، ويسمى يوم الخروج { يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج }(١٤) . ويسمى الواقعة { إذا وقعت الواقعة }(١٦) .

ويسمى الحاقة { الحاقة ما الحاقة }(١٧) .

ويسمى الطامة { فإذا جاءت الطامة الكبرى }(١٨) .

ويسمى الصاخة { فإذا جاءت الصاخة }(١٩) .

ويسمى الغاشية { هل أتاك حديث الغاشية }(٢٠) .

ويسمى القارعة { القارعة ما القارعة }(٢١) .

أيها المسلمون : وقد استأثر الله وحده بعلم ميعاد يوم القيامة لم يطلع عليه نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا { إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث }(٢٢) { إليه يرد علم الساعة }(٢٣) { يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربى }(٢٤) .

ومن أول مشاهد هذا اليوم تغيير نظام هذا الكون ، فتبدل الأرض غير الأرض والسموات . فتنفطر السماء وتنشق ، وتتناثر الكواكب ، وتتكدر

---

(١١) سورة السجدة الآية ٢٩ .
(١٢) سورة غافر الآية ١٥ .
(١٣) سورة غافر الآية ٣٢ .
(١٤) سورة ق الآية ٣٤ .
(١٥) سورة ق الآية ٤٢ .
(١٦) سورة الواقعة الآية ١ .
(١٧) سورة الحاقة الآيتان ١ ، ٢ .
(١٨) سورة النازعات ٣٤ .
(١٩) سورة عبس الآية ٣٣ .
(٢٠) سورة الغاشية الآية ١ .
(٢١) سورة القارعة ١ ، ٢ .
(٢٢) سورة لقمان الآية ٣٤ .
(٢٣) سورة فصلت الآية ٤٧ .
(٢٤) سورة الأعراف الآية ١٨٧ .

النجوم ، ويخسف القمر ، ويجمع الشمس والقمر ، وترتج الأرض ، وتندك ، وتنسف الجبال فتكون هباء منبثا . { إذا السماء انفطرت }[٢٥] الآيات { إذا الشمس كورت }[٢٦] الآيات { فإذا برق البصر وخسف القمر }[٢٧] الآيات { كلا إذا دكت الأرض دكا دكا }[٢٨] الآيات { ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا }[٢٩] الآيات .

ثم يأتى مشهد البعث وهو إعادة الحياة فى الإنسان كما كان فى الدنيا { ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون }[٣٠] ولقد ساق القرآن الكريم الأدلة الكثيرة على قدرة الله عز وجل على البعث وحصوله { كما بدأكم تعودون }[٣١] { وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه }[٣٢] { وضرب لنا مثلا ونسى خلقه }[٣٣] { ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت }[٣٤].

ثم إلى مشهد آخر من مشاهد القيامة هو مشهد الحساب .

الله سبحانه وتعالى يتصف بكل صفات الكمال والجلال ، ومنزه عن جميع صفات النقص . ومن صفات الكمال العدل ، ومن عدله وحكمته ألا يسوى بين البر والفاجر ولا بين المؤمن والكافر فإن التسوية بينهما ظلم ، والله منزه عن الظلم { ولايظلم ربك أحدا }[٣٥] الذين اهتدوا كلفتهم الهداية جهادا شاقا وتضحيات كثيرة ومغالبة للهوى ومحاربة للباطل . فهل يستوى هؤلاء الأبرار مع التافهين الفسقة الذين استحبوا العمى على الهدى ، وآثروا الغواية وتعجلوا شهواتهم الخسيسة .

---

(٢٥) سورة الانفطار الآية ١ .
(٢٦) سورة التكوير الآية ١ .
(٢٧) سورة القيامة الآيتان ٧ ، ٨ .
(٢٨) سورة الفجر الآية ٢١ .
(٢٩) سورة طه الآية ١٠٥ .
(٣٠) سورة يس الآيتان ٥١ ، ٥٢ .
(٣١) سورة الأعراف الآية ٢٩ .
(٣٢) سورة الروم الآية ٢٧ .
(٣٣) سورة يس الآية ٧٨ .
(٣٤) سورة فصلت الآية ٣٩ .
(٣٥) سورة الكهف الآية ٤٩ .

لقد قضى كل فريق حياته هذا يجاهد فى سبيل إعلاء كلمة الله ويرفع راية الحق ويطهر الأرض من الفساد والشر . وذاك يجاهد من أجل شهواته وغرائزه الدنيا سائرا فى ركب الشيطان ومؤتمرا بأمر نفسه الأمارة بالسوء . فهل من العدل والحكمة أن يكون مصير هؤلاء جميعا واحدا إن الحكم بالتسوية بين الفريقين حكم جائر تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا { **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا** }(٣٦) { **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصلحات كالمفسدين فى الأرض** }(٣٧) { **وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسئ** }(٣٨) { **ولله مافى السموات وما فى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى** }(٣٩).

يحشر الناس للحساب ليحاسب كل فرد على ماعمل من خير أو شر ، ولقد أحصى الله أعمال العباد جميعا ـ وهو العليم بها ـ بواسطة الملائكة { **وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين** }(٤٠) { **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** }(٤١) { **هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق** }(٤٢) { **بلى ورسلنا لديهم يكتبون** }(٤٣)

وتعرض الأعمال على أصحابها { **وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه** }(٤٤) { **فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه** }(٤٥) { **فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا** }(٤٦) .

والله عز وجل يتولى الحساب بنفسه ، فالله وحده هو الذى يسأل الناس ويحاسبهم على أعمالهم وهو الحكيم وإليه وحده المصير { **فإنما عليك البلاغ**

---

(٣٦) سورة الجاثية الآية ٢١ .
(٣٧) سورة ص الآية ٢٨ .
(٣٨) سورة غافر الآية ٥٨ .
(٣٩) سورة النجم الآية ٣١ .
(٤٠) سورة الانفطار الآية ١٠ ، ١١ .
(٤١) سورة ق الآية ١٨ .
(٤٢) سورة الجاثية الآية ٢٩ .
(٤٣) سورة الزخرف الآية ٨٠ .
(٤٤) سورة الإسراء الآية ١٣ .
(٤٥) سورة الحاقة الآية ١٩ .
(٤٦) سورة الانشقاق الآيتان ٧ ، ٨ .

وعلينا الحساب } [47] { إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم } [48] وهذه المسئولية أمام الله مسئولية فردية شخصية بين الإنسان وربه ، فلا يسأل المرء فيها عن خطأ غيره ، ولا يتحمل خطيئة أبيه أو ابنه أو أخيه إلا بمقدار ما شارك بنفسه فى الخطيئة { ألا تزر وازرة وزر أخرى } [49] { وكلهم آتيه يوم القيامة فردا } [50] { ولقد جئتمونا فرادى } [51] الآية .

{ كل نفس بما كسبت رهينة } [52] { قل لا تسألون عما أجرمنا } [53] { لنا أعمالنا ولكم أعمالكم } [54] { ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده } [55] .

والحساب دقيق { ونضع الموازين القسط ليوم القيامة } [56] { يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله } [57] { فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره } [58] ثم تكون النتيجة وفق رجحان ميزانه { فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية } [59] .

ومن الشهود على الإنسان الأرض التى عاش عليها ونفسه التى بين جنبيه { يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها } [60] { يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم } [61] { ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون } [62] .

والمؤمن لا يناقش الحساب لأن من نوقش الحساب عذب كما ورد فى

---

(47) سورة الرعد الآية 40 .

(48) سورة الغاشية الآيتان 25 ، 26 .

(49) سورة النجم الآية 38 .

(50) سورة مريم الآية 95 .

(51) سورة الأنعام الآية 94 .

(52) سورة المدثر الآية 38 .

(53) سورة سبأ الآية 25 .

(54) سورة الشورى الآية 15 .

(55) سورة لقمان الآية 33 .

(56) سورة الأنبياء الآية 47 .

(57) سورة لقمان الآية 16 .

(58) سورة الزلزلة الآيتان 7 ، 8 .

(59) سورة القارعة الآيتان 6 ، 7 .

(60) سورة الزلزلة الآيتان 4 ، 5 .

(61) سورة النور 24 .

(62) سورة فصلت الآيات من 19 : 24 .

الحديث . قيل لابن عمر " كيف سمعت رسول الله يقول فى النجوى قال سمعته يقول: "يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول : عملت كذا وكذا ، فيقول : نعم فيقرره ثم يقول : إنى سترت عليك فى الدنيا وأنا اغفرها لك اليوم ثم يعطى صحيفة حسناته . وأما الكافر فينادى على رءوس الأشهاد { هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين }"(٦٣) وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك . فقلت : يارسول الله أليس الله قد قال : { فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا } فقال : إنما ذلك العرض وليس أحد يناقش الحساب إلا عذب " .

سئل الإمام على فقيل له : ياأمير المؤمنين كيف يحاسب الله الناس كلهم فى آن واحد ؟ قال : كما يرزقهم فى آن واحد .

عن عدى بن حاتم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " مامن أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ماقدم من عمل ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ماقدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة "(٦٤) .

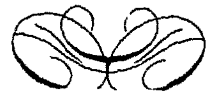
عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى : أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون فى نهر الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل . ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية " .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير " " ويخرج

(٦٣) رواه البخارى ومسلم .

(٦٤) رواه البخارى .

من النار من قال لاإله إلا الله وفى قلبه وزن برة من خير " " ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير "[٦٥] .



(٦٥) رواه البخارى .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد

فياأيها المسلمون : إن لكل نبى حوضا يشرب منه هو والمؤمنون من أمته بعد الموقف و قبل دخول الجنة . ولنبينا حوض كذلك ماؤه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ؛ وأطيب من المسك ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا . فعن سهل بن سعد أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " أنا فرطكم على الحوض من مر على شرب ومن شرب لا يظما أبدا ، سيردن على أقوام أعرفهم ويعرفوننى ثم يحال بينى وبينهم فأقول إنهم منى ـ فيقال : لا تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول : سحقا سحقا لمن غير بعدى "(٦٦) .

أيها المسلمون : إن إيمان المسلم باليوم الآخر والجزاء والحساب والاستحضار الدائم له وتصوره المستمر للمصير والجزاء للنعيم والشقاء الأبديين له أثر كبير فى حسن سلوكه واستقامة طريقه سواء فى نفسه أو مع الناس أو فيما بينه وبين ربه وخالقه المنعم عليه .

---

(٦٦) رواه البخارى ومسلم .

ولذلك فإن فكرة رعاية الآخرة والاستعداد للحساب والجزاء تقترن فى القرآن مع كل أمر أو نهى ، ومع كل حكم من أحكام الشريعة وكل توجيه أخلاقى ، وذلك كقوله تعالى : { والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون }[٦٧] .

وورد فى نهاية آيات المواريث { تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين }[٦٨] .

وفى موضوع الحث على الجهاد { إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم }[٦٩] إن الإيمان بالحياة الآخرة والمسئولية العظمى أمام الله وجزاء الأعمال يكون فى أعماق النفس دافعا قويا إلى عمل الخير ومكافحة الشر ، ويكون هذا الشعور النفسى ضامنا تنفيذ قواعد الأخلاق والتشريع أقوى من الجزاء الدنيوى ومن قواعد الزجر والعقاب ، ومن آثار هذا الإيمان أيضا أنه يسبب الإخلاص فى العمل فلا يكون الإحسان فى العمل ترقبا لمكافأة من الناس ، ولكنه يعمل ابتغاء مرضاة الله { إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا }[٧٠] .

أيها المسلمون : إن الناظر فى حياة المسلمين ابتداء من المثل الإنسانى الأعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو خاتم النبيين إلى أصحابه

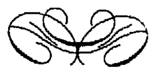
---

(٦٧) سورة التوبة الآيتان ٣٤ ، ٣٥ .
(٦٨) سورة النساء الآيتان ١٣ ، ١٤ .
(٦٩) سورة التوبة الآية ١١١ .
(٧٠) سورة الإنسان الآية ٩ .

الذين كانت خطتهم المثلى الجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الله ليرى أنهم كانوا يؤثرون الحياة الآخرة ورضاء الله على كل ما فى الدنيا من ملذات وإن لهم فى التضحية والإقدام والإيثار منزلة لا تكاد تضاهى وتصلح أن تكون قدوة للناس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ويجد أن هذا الدافع المحرك والمذكر القوى الذى هو رجاء السعادة الأخروية كان سببا فى بلوغ مختلف طبقات الأمة من الخلفاء والأفراد والتجار والصناع وغيرهم فى جميع العصور مرتبة من المثالية لم تبلغها أمة من الأمم ، إن المؤمن لا يكترث لمشاق الحياة ولا يستغرق فى ملذاتها إذ يتذكر دائما لقاء ربه ويرجو حسن العاقبة وينتظر رحمة ربه فى الآخرة ، إن تفضيل الحياة الأخرى له أثر كبير فى توجيه سلوك الفرد وفى تكوين المجتمع ويتجه ذلك فى توجيه الحضارة وبنائها على التعاون والإيثار .

يراجع فى هذا الموضوع :

١ـ العقائد الإسلامية لفضيلة الشيخ سيد سابق .
٢ـ العقيدة للشهيد حسن البنا .
٣ـ نظام الإسلام فى العبادة للأستاذ محمد المبارك .



التوبة

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعد

فيقول الله سبحانه : { **وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** }[١] الآية { **ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا** }[٢] { **واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربى رحيم ودود** }[٣] .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم " **ياأيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة** "، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ : " **إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة** " .

أيها المسلمون : من مثل هذه الآيات الكريمات والأحاديث النبوية الشريفة يوجه الإسلام الحنيف إلى التوبة ، ويقرر العلماء أن التوبة واجبة ، والتوبة كما يقول رجال السلوك أول منزلة من منازل السالكين

---

(١) سورة النور الآية ٣١ .
(٢) سورة التحريم الآية ٨ .
(٣) سورة هود الآية ٩٠ .

إلى الله وأول مقام من مقامات الطالبين . وهى فى لغة العرب الرجوع يقال تاب أى رجع ، وفى الشرع الرجوع عما كان مذموما إلى ماهو محمود . وأجمع العلماء على أن التوبة واجبة من كل ذنب فإن كانت معصية بين العبد وبين الله تعالى فلها شروط ثلاثة :

أحدها : الإقلاع عن المعصية .
والثانى : أن يندم على فعلها .
والثالث : أن يعزم على ألا يعود إليها أبدا .

فإن كانت معصية تتعلق بحق آدمى فشروطها أربعة الثلاثة المتقدمة والرابع أن يبرأ من حق صاحبها فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه وإن كانت غيبة استحله منها وإن كانت حد قذف أو نحوه مكنه من القصاص أو طلب عفوه وإن كان استحلال صاحب الحق يتركب عليه قتل المذنب كالاستحلال من الزنا فيكفى الاستحلال العام كأن يقول لصاحب الحق سامحنى .

أيها المسلمون : ومن رحمة الله أن جعل باب التوبة مفتوحا فى كل لحظة فإذا نسى ثم تذكر وإذا عثر ثم نهض وإذا غوى ثم تاب . . . وجد الباب مفتوحا له ، وقبل الله توبته ، وأقال عثرته فإذا استقام على طريقه بدل الله سيئاته حسنات وضاعف له ما شاء .

أيها المسلمون : إن الشيطان الذى عصى الله عز وجل قد أقسم ليعملن على إغواء بنى آدم وطلب من الله أن ينظره إلى يوم الوقت المعلوم ليقوم بهذه المهمة ثم بين أنه سيقعد الصراط المستقيم يمنع السالكين إليه . { **قال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين** }[٤]

---

(٤) سورة ص الآيات من ٧٩ : ٨٣ .

{ قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين }[٥] { قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا }[٦] .

لقد اختار اللعين أن يزاول هذا الكيد وأن ينظر لمزاولته على المدى الطويل وبين أنه سيقعد لبنى آدم على طريق الله لا يمكنهم من سلوكه وأنه سيأتيهم من كل جهة يصرفهم عن هداه وهو إنما يأتيهم من ناحية الضعف ومداخل الشهوة ولا عاصم لهم منه إلا التقوى والإيمان والذكر والتَّقَوِّى على إغوائه ووسوسته والاستعلاء على الشهوات ، وإخضاع الهوى لهدى الله . أيها المسلمون : المعركة مع الشيطان هى المعركة الرئيسية إنها المعركة مع الهوى لاتباع الهدى ، والمعركة مع الشهوات بالاستعلاء والإرادة ، والمعركة مع الشر والفساد فى الأرض الذى يقوده الشيطان ، والمعركة مع الطواغيت الذين هم أعوان الشياطين من الإنس الذين يقفون فى طريق هداية الله ، ولقد بين الله عز وجل أن الشيطان عدو للإنسان وحذر من اتباعه ووسوسته { إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا}[٧] { وامتازوا اليوم أيها المجرمون }[٨] الآية .

وخالف النفس والشيطان واعصهما   وإن هما محضاك النصح فاتهم

قد يضعف الإنسان المؤمن فى موقف من المواقف فيرتكب ما نهى الله عنه ، أو يقعد عما أمر الله به فيقع فى المعصية سواء أكانت كبيرة أم صغيرة ، والكبيرة كما يقول جمهور العلماء هى ماتوعد الله عليها فى الكتاب أو السنة كالزنا والسرقة وشهادة الزور وعقوق الوالدين واليمين الغموس والفرار من الزحف . والصغيرة هى اللمم كظلم إنسان فيما يساوى حبات من قمح أو تطفيف يسير ومن الذنوب مايتعدى ضرره إلى الغير

---

(٥) سورة الأعراف الآية ١٦ ، ١٧ .
(٦) سورة الإسراء الآيتان ٦٢ ، ٦٣ .
(٧) سورة فاطر الآية ٦ .
(٨) سورة يس الآية ٥٩ .

ومنها مالا يتعدى ضرره ، ومن رحمة الله تعالى أن يكفر الذنوب الصغائر باجتناب الكبائر { إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما }[9] ويكفر الله عز وجل الذنوب الكبائر بالتوبة منها والرجوع إلى الله بالشروط التى سبق الإشارة إليها .

أيها المسلمون : إذا صَحّت التوبة من العبد فقد وعد الله عز وجل بقبول التوبة من التائب { وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون }[10] { إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين }[11] الآية .

{ غافر الذنب وقابل التوب }[12] الآية .

{ وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا }[13] الآية .

{ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون }[14]

{ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا }[15]ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها " ، " التائب حبيب الرحمن والتائب من الذنب كمن لا ذنب له " " لله أشد فرحا بتوبة أحدكم حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها ، وقد يئس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك . أخطأ من شدة الفرح " .

" يابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ماكان منك ولا أبالى يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك . يابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك

---

(٩) سورة النساء الآية ٣١ .
(١٠) سورة الشورى الآية ٢٥ .
(١١) سورة البقرة الآية ٢٢٢ .
(١٢) سورة غافر الآية ٣ .
(١٣) سورة طه الآية ٨٢ .
(١٤) سورة آل عمران الآيتان ١٣٥.
(١٥) سورة الزمر الآية ٥٣ .

بقرابها مغفرة " وأخرج مسلم عن جندب " أن رسول الله حدث أن رجلا قال : والله لا يغفر الله لفلان وأن الله تعالى قال : من ذا الذى يتألى على ألا أغفر لفلان فإنى قد غفرت له وأحبطت عملك " . وإنما غضب الله على هذا الرجل لأنه حجر واسعا من رحمة الله ولم يحب لأخيه ما يحب لنفسه . ولما قال صحابى : اللهم اغفر لى ولمحمد ولا تغفر لأحد قال له الرسول " لقد حجرت واسعا " وأخرج مسلم " والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم " وهذا لأن الذنوب والاستغفار فيه زيادة معرفة بالله وإقرار بالعبودية والذل بين يديه وتحقيق صفة الغفران لله وليس المراد الأمر بارتكاب الذنب .

أيها المسلمون : والتوبة كما أنها واجبة على العبد وواجبة على الفور فقد رتب الله عليها الفلاح ودخول الجنة { وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون }(١٧){ توبوا إلى الله توبة نصوحا }(١٨) الآية والتوبة النصوح هى الخالصة لله .

والتوبة واجبة على الفور لأن الأجل مغيب والموت قريب ، وقد تعوذ الرسول من موت الفجاءة . والله عز وجل يقول : { إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما }(١٩) وقد سمى الله المذنبين جهلاء لجهلهم حق الله عليهم وقد دعاهم إلى العلم والعرفان بحقه ، وعلى قبولها على القرب { ثم يتوبون من قريب } .

أما إذا سوّفوا حتى حضرتهم الوفاة ، فإن الله لا يقبل توبة اضطرارية

---

(١٧) سورة النور الآية ٣١ .
(١٨) سورة التحريم الآية ٨ .
(١٩) سورة النساء الآية ١٧ .

فات أوانها { **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن** }[٢٠] الآية وفى الحديث " **إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر** " .

أيها المسلمون : والتوبة والاستغفار باب من أبواب القوة والثروة والغنى ماديا ومعنويا يقول الله عز وجل : { **ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين** }[٢١] { **فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا** }[٢٢] .

أيها المسلمون : والمذنب إذا تاب من ذنبه ثم عاد إليه أو إلى غيره فإن كان صادقا فى توبته الأولى ولم يصر على ذنبه ولم يكن فى نيته العودة إليه عند التوبة ثم وقع فيه ثانيا أو فى غيره فيجب عليه المسارعة إلى التوبة بشروطها وصحت توبته الأولى ، والثانية مهما تكرر منه الذنب بشرط عدم الإصرار وعدم التفكر فى ارتكابه ، وإذا تاب من الذنب الأول على حب له وتمن لمقارفته مرة أخرى ولم يقتلع حب المحرم من قلبه ثم عرض له الذنب فارتكبه فهذا مستهزئ بربه ، وتسمى توبته توبة الكذابين لأنه يتوب بلسانه وهو على نية العود إلى الذنب بقلبه .

أيها المسلمون : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم - " **التائب من الذنب كمن لا ذنب له** " . والتائب حبيب الرحمن .

---

(٢٠) سورة النساء الآية ١٨ .
(٢١) سورة هود الآية ٥٢ .
(٢٢) سورة نوح الآيات ١٠ ، ١١ ، ١٢ .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـا بعـد

فيأيها المسلمون : وهكذا علمنا أن التوبة واجبة وعد الله بقبولها إذا صحت النية من العبد { وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات ويعلم ما تفعلون }(٢٣) . { إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما }(٢٤) { وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى }(٢٥) { والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين }(٢٦) .

وقد حكى أن رجلا عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين أخرى ثم أراد أن يتوب فسمع هاتفا يقول أطعتنا فأثبناك وعصيتنا فطردناك ولو عدت إلينا قبلناك .

---

(٢٣) سورة الشورى الآية ٢٥ .
(٢٤) سورة النساء الآية ١٤٦ .
(٢٥) سورة طه الآية ٨٢ .
(٢٦) سورة آل عمران الآيتان ١٣٥ ، ١٣٦ .

وذكروا أن الفضيل بن عياض كان فى أول حياته قاطع طريق على الحجاج ، وكان الطريق الذى يقف فيه معروفا باسمه وفى عام من الأعوام حج رجل صالح وكان معه رفيقه فلما وصلا إلى مفترق الطريق ، والطريق الذى به الفضيل وعصابته وكان أقصر الطريقين ، والطريق الآخر وكان أطولهما قال الرفيق للرجل الصالح : حُلْ بنا عن هذا الطريق فإن به عياضا . فقال له الرجل الصالح سر بنا فيه فوالله إن وجدته لأرمينّه بسهم من سهام الله ، فلما خرج عليهما الفضيل تلا الرجل الصالح قوله تعالى : { **الم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون** }[27] فَخَرَّ الفضيل مغشيا عليه وهو يردد : آن الأوان ياربى آن الأوان ، ثم تاب ورجع إلى الله ، وذهب معهما لأداء فريضة الحج ، ثم طلب العلم حتى كان من العلماء المرموقين .

أيها المسلمون : إلى التوبة النصوح إلى رضوان الله تسعدوا فى الدنيا وتفوزوا بالنعيم المقيم فى دار المقامة .

يراجع فى هذا الموضوع :

١ـ القرآن الكريم
٢ـ كتب السنة
٣ـ فى ظلال القرآن

---

(٢٧) سورة الحديد الآية ١٦ .

تكريم المرأة فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعـد

فيقول الله سبحانه { يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء }[1] { فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض }[2] { ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة }[3] { ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا }[4] { وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين }[5] .

أيها المسلمون : خفض الإسلام للمرأة جناح الرحمة ، وشملها فى جميع تشريعاته بعطف كريم ، ورعاية رحيمة ، وسما بها إلى منزلة رفيعة لم تصل إلى مثلها فى أية شريعة من شرائع العالم قديمه وحديثه ، وسوى

---

(١) سورة النساء الآية ١ .
(٢) سورة آل عمران الآية ١٩٥ .
(٣) سورة البقرة الآية ٢٢٨ .
(٤) سورة النساء الآية ١٢٤ .
(٥) سورة التحريم الآية ١١.

بينها وبين الرجل فى معظم شئون الحياة ، ولم يفرق بينهما إلا حيث تدعو إلى هذه التفرقة طبيعة كل من الجنسين ، ومراعاة الصالح العام ، وصالح الأسرة وصالح المرأة نفسها فقد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة فى الحقوق المدنية بمختلف أنواعها فأعطى المرأة الحقوق المدنية نفسها التى أعطاها للرجل لا فرق فى ذلك بين وضعها من قبل الزواج ووضعها من بعده .

وإن من يقرأ تاريخ الأمم يجد أن الناس قد اختلفت نظرتهم إلى المرأة اختلافا يدعو إلى العجب والدهشة ، فيجد أن منهم من كان يعتبرها رقيقا ، وأن منهم من كان يعتبرها من سقط المتاع ، ومنهم من لم ير فيها إلا ملهاة وملعبة حتى فى نظرة الناس فى الأمم الحديثة وكانت بعض القبائل العربية تئدها وتدسها فى التراب فلما جاء الإسلام جعل قضية المرأة قضية إنسانية بالدرجة الأولى ، وعالجها القرآن علاجا فيه الفقه والصراحة ، فمن قبل الزواج يكون للمرأة فى نظر الإسلام شخصيتها المدنية المستقلة عن شخصية أبيها أو من هى تحت رعايته ، فإن كانت بالغة يحق لها أن تتعاقد وتتحمل الالتزامات ، وتملك العقار والمنقول ، وتتصرف فيما تملك ، ولا يحق لوليها أن يتصرف أى تصرف قانونى فى شئ من أموالها إلا إذا أذنت له بذلك أو وكلته فى إجراء عقد بالنيابة ، ويجيز لها الإسلام كذلك أن تختار الزوج الذى تريده اختيارا حرا ، ويحظر أن تزوج البالغة العاقلة بدون رضاها .

ويروى فى هذا أن فتاة ذهبت إلى السيدة عائشة أم المؤمنين تشكو إليها أن أباها زوجها من ابن أخيه ليرفع خسيسته فقالت انتظرى حتى يحضر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما حضر ذكرت له ما ذكرته لأم المؤمنين فقال عليه السلام " **الأيم أحق بنفسها من وليها فقالت الفتاة يارسول الله لقد أمضيت ما فعل أبى وإنما قلت ما قلت ليعلم النساء أن ليس للرجال فى هذا أمر** " .

ويحيط الإسلام كذلك حقوق القاصرات بسياج من الرعاية والحماية ، فإن كان لغير البالغة مال خاص انتقل إليها عن طريق من طرق التمليك ، كالميراث والوصية والهبة وجب على وليها المحافظة على مالها واستثماره حتى تكبر فيؤديه إليها مع ما عسى أن يكون قد نجم عن استثماره وقد نهى الإسلام أن يأخذ الرجل من مال زوجته شيئا إلا بطيب نفس منها { **فإن طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا** }[٦] .

أيها المسلمون : ولما كان الإسلام دين العلم والمعرفة وأن أول آية نزلت منه { **اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم** }[٧] فقد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة فى حق التعلم والثقافة وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم أروع مثل فى تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة فى حق التعلم والثقافة وفى حرصه على تعليم المرأة وتثقيفها بما فعله مع زوجه حفصة أم المؤمنين ، فقد روى البلاذرى فى كتابه فتوح البلدان أن الشفاء العدوية وهى سيدة من بنى عدى رهط عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانت كاتبة فى الجاهلية ، وكانت تعلم الفتيات وأن حفصة بنت عمر أخذت عنها القراءة والكتابة قبل زواجها بالرسول - صلى الله عليه وسلم - ولما تزوجها عليه السلام طلب إلى الشفاء العدوية أن تتابع تثقيفها ، وأن تعلمها تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة .

وتدل شواهد كثيرة على أن أبواب التعلم والثقافة بمختلف صنوفها ، كانت مفتوحة على مصاريعها للبنت العربية منذ عصر بنى أمية ، وأنه قد نبغ بفضل ذلك عدد كبير من النساء العربيات ، وبرزن فى علوم القرآن والحديث والفقه واللغة وشتى أنواع المعارف والفنون ، بل لقد كانت منهن

---

(٦) سورة النساء الآية ٤ .

(٧) سورة العلق الآيات من ١ : ٥ .

فضليات تخرج على أيديهن كثير من أعلام الإسلام فقد ذكر ابن خلكان أن السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن بن على بن أبى طالب وهى صاحبة المقام المعروف فى مصر كان لها مجلس علم حضره الإمام الشافعى نفسه وسمع عليها فيه الحديث وعد أبو حيان من بين أساتذته ثلاثا من النساء هن مؤنسة الأيوبية بنت الملك العادل أخى صلاح الدين الأيوبى ، وشامية التيمية وزينب بنت المؤرخ الرحالة الطبيب عبد اللطيف البغدادى صاحب كتاب " الإفادة والاعتبار " ومن هذا يظهر أن الإسلام قد هيأ للنساء وعلى العموم فرصا للتربية الراقية من انتهزها منهن بلغن أعلى المراتب التى قدر للرجال بلوغها .

وإذا كانت الأمم الإسلامية قد اتجهت فى العصر الحاضر إلى تربية البنت وتثقيفها فإنها بذلك لم تأت بدعا من العمل فى تاريخها وإنما أحيت سنة صالحة سنها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأخذ بها الخلفاء والأمراء من بعده .

وقد سوى الإسلام كذلك بين الرجل والمرأة فى حق العمل ، وقد كانت النساء فى عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقمن بكثير من الأعمال فى داخل بيوتهن وفى خارجها وإليك مثلا أسماء بنت أبى بكر الصديق (وهى أخت عائشة أم المؤمنين وزوجة الزبير بن العوام) فقد كانت تقوم بكثير من الأعمال اللازمة لزوجها وأسرتها فى داخل البيت وخارجه وفى ذلك تقول هى نفسها : " كنت أخدم الزبير خدمة البيت كله ، وكنت أسوس فرسه وأعلفه وأحفش له ، وكنت أخرز الدلو وأسقى الماء وأحمل النوى على رأسى من أرض له على ثلثى فرسخ " .

بل لقد اضطلعت المرأة ببعض شئون الحرب نفسها فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . فلم تخل غزوة من غزواته من نساء يقمن بمساعدة

الرجال فى شئون الإسعاف للجرحى ومن بين هؤلاء من حفظ لهن التاريخ مواقف بطولة مجيدة كالسيدة أمية بنت قيس الغفارية التى أكبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حسن بلائها فى غزوة خيبر ، فقلدها هذه الغزوة قلادة تشبه الأوسمة الحربية فى عصرنا الحديث ، وظلت هذه القلادة تزين صدرها طول حياتها ، ولما ماتت دفنت معها عملا بوصيتها .

وسوى الإسلام كذلك بين الرجل و المرأة فى جميع ما يتعلق بشئون المسئولية والجزاء فى الدنيا والآخرة وفى هذا يقول الله تعالى : { **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** }[8] . ويقول { **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله** }[9] .

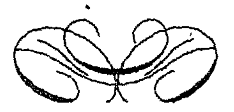
أيها المسلمون : وسوى الإسلام بين الرجل والمرأة فى القيمة الإنسانية وأنه ليس لأحدهما من مقومات الإنسانية أكثر مما للآخر فالجنسان كلاهما يرجع إلى أصل واحد فيقول الله سبحانه : { **فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض** } أى الذكور من الإناث والإناث من الذكور وليس بينهما فرق فى جوهر الطبيعة { **ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء** }[10] .

والمفاضلة بين أى رجل وأية امرأة إنما تقوم على أمور أخرى خارجة عن طبيعتها ، وهى الأمور المتعلقة بالكفاية ، والعلم ، والأخلاق .... وما إلى ذلك .

---

(٨) سورة النحل الآية ٩٧ .
(٩) سورة المائدة الآية ٣٨ .
(١٠) سورة النساء الآية ١ .

أيها المسلمون : يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه الإمام مسلم بسنده فى خطبته يوم عرفة " فاتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف "(١١) .



---

(١١) رواه مسلم .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد

فياأيها المسلمون : ماسبق قبس من تكريم الإسلام للمرأة حتى إن القرآن الكريم ليضرب المثل بالمرأة للإيمان والكفر فيقول عز وجل { ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ، وقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين ، ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين }[١٢] .

أيها المسلمون : وهكذا نجد أن رسالة الإسلام التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم لم تغفل حقوق المرأة وواجباتها وأنها كرمتها أحسن تكريم وأوصت بها خيراً . فإلى العمل برسالة الإسلام تسعدوا فى الدنيا ، وتفوزوا بالفلاح فى الآخرة . والله ولى التوفيق .

---

(١٢) سورة التحريم الآيات من ١٠ : ١٢ .

يراجع فى هذا الموضوع :

١- حقوق الإنسان فى الإسلام د. على عبد الواحد وافى .
٢- نظرات فى كتاب الله للإمام الشهيد حسن البنا .
٣- الإسلام عقيدة وشريعة لفضيلة الشيخ محمود شلتوت .
٤- فقه السنة لفضيلة الشيخ سيد سابق .



التعليق على خطب الرسول فى حجة الوداع

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعـد

فياأيها المسلمون : روى مسلم بسنده عن جابر ـ رضى الله عنه ـ فى بيان حجة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : خطب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى يوم عرفة فقال " إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا وإن كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ، وكان مسترضعا فى بنى سعد فقتلته هذيل ، وربا الجاهلية موضوع كله ، وأول ربا أضع ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله ، فاتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسألون عنى فماذا أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد "[1] .

(١) رواه مسلم .

وقال الله عز وجل { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا }[٢] .

قال فى معنى الحديث الذى رواه مسلم " اسمعوا وأطيعوا وإن ولى عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة يقودكم بكتاب الله " .

وفى معنى الحديث كذلك الذى رواه أحمد والبخارى عن أبى بكرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال " أتدرون أى يوم هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال أليس يوم النحر ؟ قلنا بلى ، قال أى شهر هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم قال : أليس ذا الحجة ؟ قلنا بلى ، قال أى بلد هذا ؟ فقلنا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال : أليست البلدة ؟ قلنا بلى ، قال فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام . كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم ، ألا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " هكذا ساقه البخارى فى الحج وذكره فى كتاب العلم بزيادة " وأعراضكم " .

وهكذا نجد أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطب فى حجة الوداع خطبا قرر فيها قواعد الإسلام وهدم فيها قواعد الشرك والجاهلية وقرر فيها تحريم المحرمات التى اتفقت الملل على تحريمها ، وهى الدماء والأموال والأعراض ، ووضع فيها أمور الجاهلية تحت قدميه ، ووضع ربا الجاهلية وأبطله ، وأوصاهم بالنساء خيراً ، وذكر الحق الذى لهن وعليهن ، وأن الواجب لهن الرزق والكسوة بالمعروف .

وأوصى بالاعتصام بكتاب الله عز وجل ، وأخبرهم أنهم لن يضلوا ماداموا معتصمين به ثم أخبرهم أنهم مسئولون عنه ، واستنطقهم بماذا

(٢) سورة المائدة الآية ٣ .

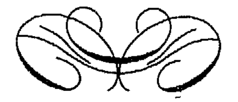
يقولون وبماذا يشهدون فقالوا نشهد أنك قد أديت وبلغت ونصحت فرفع إصبعه إلى السماء ، واستشهد الله عليهم ثلاث مرات ، وأمرهم أن يبلغ شاهدهم غائبهم ، وذكر لهم أن المبلغ قد يكون أوعى من سامع ، وأعلمهم بحرمة يوم النحر وتحريمه وفضله عند الله ، وحرمة مكة ، وفضلها على جميع البلدان ، وأمرهم بالسمع والطاعة لمن يقودهم بكتاب الله ، وأمر الناس ألا يرجعوا بعده كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض ، وأمرهم بالتبليغ عنه .

أيها المسلمون : لقد أوصى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الأمة بالاعتصام بكتاب الله ، ولقد نزل على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ آخر آية من كتاب الله عز وجل فى حجة الوداع وهى قوله سبحانه { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا } كما يقول أكثر المفسرين جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال ياأمير المؤمنين إنكم تقرءون آية فى كتابكم لو علينا معشر يهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال وأى آية قال : قوله { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا } يقول عمر رضى الله عنه إنى لأعلم اليوم الذى نزلت فيه والساعة التى نزلت فيها على رسول الله عشية يوم عرفة فى يوم جمعة .

هذه هى أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبى غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه ـ ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء ، وبعثه إلى الإنس والجن ، فلا حلال إلا ما أحله ، ولا حرام إلا ما حرمه ، ولا دين إلا ما شرع ، وكل شئ أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خُلْف كما قال تعالى : { وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا } أى صدقا فى الأخبار عدلا فى الأوامر والنواهى فلما أكمل لهم الدين تمت عليهم النعمة ، ولهذا قال

{ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا** } أى فارضوه أنتم لأنفسكم ، فإنه الدين الذى أوجبه الله ورضيه لكم وبعث به أفضل الرسل وأنزل به أشرف الكتب .

أيها المسلمون : يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " **لقد تركت فيكم مالن تضلوا بعده أبدا إن اعتصتم به " كتاب الله** " [٣] .



(٣) رواه مسلم .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد

فياأيها المسلمون وهكذا بلغ الرسول الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وترك هذا الدين من بعده أمانة فى أعناق المسلمين جميعا يبلغ الشاهد الغائب ، ونحن نشهد أن الرسول قد بلغ ونصح ، وأدى وجاهد .

ولقد أوصى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حجة الوداع بالاعتصام بكتاب الله ، وتنفيذ أحكامه ، هذا الكتاب الذى أنزله هداية للبشرية ، ونورا للإنسانية ورحمة للعالمين . يقول الله عز وجل فيه { **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** }[٤] { **إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم** }[٥] .

أى يهدى للتى هى أقوم فى شئون العقيدة ، ويهدى للتى هى أقوم فى شئون العبادة ، ويهدى للتى أقوم فى شئون المعاملات ، ويهدى للتى هى

---

(٤) سورة النحل الآية ٨٩ .

(٥) سورة الإسراء الآية ٩ .

أقوم فى شئون القضاء ، ويهدى للتى هى أقوم فى شئون الحكم والسياسة ، ويهدى للتى هى أقوم فى شئون المال والاقتصاد واستغلال منابع الثروة ، ويهدى للتى هى أقوم فى شئون المعرفة والتربية والتعليم ، ويهدى للتى هى أقوم فى أمور الجندية واستخدام القوة ، ويهدى للتى هى أقوم فى الأخلاق وصدق الله العظيم { **ما فرطنا فى الكتاب من شئ** }[٦].

" كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه "[٧] .

وفى رواية عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ "**هو الذى لا تنتهى الجن إذ سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به آجر ، ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم** " .

أيها المسلمون : من أراد العزة ففى هداية القرآن العزة { **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** }[٨] { **من كان يريد العزة فلله العزة جميعا** } [٩] { **ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون** }[١٠] .

ومن كان يريد الأمن والسلام ففى هداية القرآن تحقيق الأمن وتحقيق السلام { **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** }[١١] { **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع**

---

(٦) سورة الأنعام الآية ٣٨ .
(٧) رواه الترمذى .
(٨) سورة المنافقين الآية ٨ .
(٩) سورة فاطر الآية ١٠ .
(١٠) سورة المائدة الآية ٥٦ .
(١١) سورة الأنعام الآية ٨٢ .

رضوانه سبل السلام }[١٢] .

ومن أراد الرخاء الاقتصادى ففى هداية القرآن الرخاء { ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض }[١٣] { فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا }[١٤] { وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون }[١٥] .

ومن أراد القوة ففى هداية القرآن الكريم توجيه الدولة إلى الإعداد والقوة { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم }[١٦] .

ومن أراد العلم ففى هداية القرآن الكريم التوجيه إلى العلم سواء أكان علما كونيا يتخذه الإنسان لرفاهيته ورخائه ويصل بالتفكير فيه إلى قدرة الله عز وجل والمعرفة به { ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور }[١٧] { ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السماوات ومافى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة }[١٨] أو كان علما بكتاب الله وسنة رسوله وهداية شريعته وفى القرآن الكريم مبادئ الكرامة الإنسانية ، وتقرير حقوق الإنسان { ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا }[١٩] { إذ قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من طين فإذا

---

(١٢) سورة المائدة الآيتان ١٥ ، ١٦ .
(١٣) سورة الأعراف الآية ٩٦ .
(١٤) سورة نوح الآيات من ١٠ : ١٢ .
(١٥) سورة النحل الآية ١١٢ .
(١٦) سورة الأنفال الآية ٦٠ .
(١٧) سورة فاطر الآية ٢٧ ، ٢٨ .
(١٨) سورة لقمان الآية ٢٠ .
(١٩) سورة الإسراء الآية ٧٠ .

سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين }[٢٠] فى القرآن الكريم السعادة فى الدنيا والنعيم المقيم فى دار المقامة لمنْ أحسن العمل لأن القرآن يقرر أن هذه الدار دار ابتلاء واختبار وعمل { الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا }[٢١] والآخرة هى دار القرار وهى دار المتعة للمتقين { وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون }[٢٢] { الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب }[٢٣].

ومنذ كان المسلمون السابقون والسلف الصالح يأخذون أنفسهم بتعاليم القرآن ، كانوا أئمة يهدون الناس بأمر الله ، وأقاموا دولة الإسلام الرحيمة ، ومنذ تخلوا عن هذه الآداب صاروا شيعا وأحزابا يضرب بعضهم رقاب بعض ، ويلعن بعضهم بعضا ، وهذا ما حذر منه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حجة الوداع فقد قال فى بعض خطبها " ألا لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " ومنذ تركوا هذه الهداية ضاعت الأوطان والمقدسات وانتهكت الحرمات وسالت الدماء هينة رخصية .

أيها المسلمون : إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، إن الله لايغير ما بنا إلا إذا رجعنا إلى هداية قرآننا واستقمنا على أمر الله ، القرآن الكريم هو الذى تربى عليه صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدانت لهم الدنيا ، وأنازوا العالم بشمس الحق والخير ، وقامت فى ظله الدولة الإسلامية الرحيمة العادلة .

أيها المسلمون : اعلموا دائما أنكم أصحاب رسالة وحملة دعوة الرسول من بعده تركها أمانة فى أيديكم ، وأنكم مسئولون عنها بين يدى

(٢٠) سورة ص الآيات من ٧١ : ٧٤ .
(٢١) سورة الملك الآية ٢ .
(٢٢) سورة العنكبوت الآية ٦٤ .
(٢٣) سورة فاطر الآية ٣٥ .

الله يوم القيامة { فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين }[٢٤] { قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى }[٢٥] { ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين }[٢٦] { وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ }[٢٧] { ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته }[٢٨] .

أيها المسلمون : العالم يحيا على بركان من الحمم ، وهو بحاجة ماسة إلى يد موصولة بالسماء تقود سفينته إلى شاطئ النجاة .

{ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون }[٢٩] .

والله ولى التوفيق



(٢٤) سورة الأعراف الآية ٦ .
(٢٥) سورة يوسف الآية ١٠٨ .
(٢٦) سورة فصلت الآية ٣٣ .
(٢٧) سورة الأنعام الآية ١٩ .
(٢٨) سورة المائدة الآية ٦٧ .
(٢٩) سورة يوسف الآية ٢١ .

ذكر الله فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعد

فياأيها المسلمون : يقول الله سبحانه : { ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا }[1] { فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون }[2] { الذين ءامنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب }[3] { واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين }[4] { فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون }[5] { فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا }[6] .

أيها المسلمون : يمتاز نظام الإسلام الحنيف بأنه يصل المسلم بالذات القاهرة القوية القادرة المتصرفة فى هذا الكون فيحيا ضميره ، وتزكو نفسه ، ويتطهر قلبه ، ويستمد منه العون والتوفيق ، ومن هنا دعا القرآن

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان ٤١ ، ٤٢ .
(٢) سورة البقرة الآية ١٥٢ .
(٣) سورة الرعد الآية ٢٨ .
(٤) سورة الأعراف الآية ٢٠٥ .
(٥) سورة الروم الآية ١٧ ، ١٨ .
(٦) سورة نوح الآية ١٠ .

الكريم والسنة النبوية المطهرة إلى المزيد من ذكر الله عز وجل على كل الأحيان ، وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو القدوة الحسنة ذاكراً لله على جميع أحيانه ، ولقد أثرت عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو أعرف الخلق بربه تلك الصيغ البليغة من الذكر والدعاء والشكر والثناء والتسبيح والتحميد فى كل الأحوال صغيرها وكبيرها عظيمها وحقيرها .

أيها المسلمون : وقد ورد الأمر بالذكر ، والإكثار منه ، وبيان فضله فى كثير من آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول العظيم ، وحسبنا أنه كان خاتمة المراتب فى قول الله سبحانه . { إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما }[7] .

ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه عن ربه " أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فإذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم " وعن عبد الله بن بسر أن رجلا قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام كثرت على فأخبرنى بشئ أتشبث به فقال : " لا يزال لسانك رطبا بذكر الله " .

ألوان الذكر

واعلم أيها المسلم أن الذكر ليس المقصود به الذكر القولى فحسب بل إن التوبة ذكر ، والتفكير فى ملكوت الله من أعلى أنواع الذكر ، وطلب

---

(٧) سورة الأحزاب الآية ٣٥ .

العلم ذكر ، وطلب الرزق إذا أحسنت فيه النية ذكر ، وكل أمر راقبت فيه ربك وتذكرت نظره إليك ورقابته فيه عليك ذكر ، ولهذا كان العارف ذاكرا لله على جميع أحيانه ، .

أيها المسلمون : ولا بد ليكون للذكر أثره فى القلب من مراعاة آدابه وإلا كان مجرد ألفاظ لا تأثير فيها ، وقد ذكر العلماء آدابا كثيرة مستنبطة من القرآن الكريم ، ومن سنة الرسول العظيم أهمها وأولاها بالرعاية .

الخشوع ، والتأدب ، واستحضار معانى العبادات ومحاولة التأثر بها ، وملاحظة مقاصدها وأغراضها مع خفض الصوت ما أمكن ذلك ، واليقظة التامة ، والهمة الكاملة حتى لايشوش على غيره ، وقد أشارت الآية الكريمة إلى هذه الآداب يقول الله سبحانه : { **واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولاتكن من الغافلين** }[^(٨)] .

فإذا لاحظ المسلم هذه الآداب فإنه سينتفع بما قرأ ويجد أثر ذلك حلاوة فى قلبه ، وانشراحا فى صدره ونوراً لروحه وفيضا من الله إن شاء الله .

أيها المسلمون : والذكر يكون والإنسان منفردا ويستحب أن يكون فى جماعة ففى الحديث الذى يرويه مسلم : " **لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده** "[^(٩)] .

وروى الإمام مسلم عن معاوية رضى الله عنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج على حلقة من أصحابه فقال " **ما أجلسكم ؟** قالوا:

---

(٨) سورة الأعراف الآية ٢٠٥ .
(٩) رواه مسلم .

جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا إلى الإسلام وَمَنَّ به علينا قال : آلله ما أجلسكم إلا ذلك ؟ قالوا : آلله ما أجلسنا إلا ذلك قال : أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة "(١٠) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه فيما رواه الترمذى وحسَّنه أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر "(١١) ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم . . . . " وعن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " ليبعثن الله أقواما يوم القيامة فى وجوههم النور ، على منابر من اللؤلؤ ، يغبطهم الناس ليسوا بأنبياء ، ولاشهداء فجثا أعرابى على ركبتيه فقال : يارسول الله صفهم لنا نعرفهم قال : هم المتحابون فى الله من قبائل شتى ، وبلاد شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرون " . ومن السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه .

ويكفى الذاكرين الشرف ما جاء فى الحديث القدسى " أنا جليس من ذكرنى " وفى قوله تعالى { واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون } .

أوقات الذكر

وليس للذكر وقت معين وذلك أن جميع الأوقات صالحة له يقول الله تعالى : { وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا }(١٢) لقد جعل الله سبحانه جميع آناء الليل والنهار صالحة للذكر

---

(١٠) رواه مسلم .

(١١) رواه الترمذى وحسنه .

(١٢) سورة الفرقان الآية ٦٢ .

يقول ابن عباس فى قوله تعالى { **فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم** }[١٣] يقول أى بالليل والنهار فى البر والبحر فى السفر والحضر والغنى والفقر والصحة والمرض والسر والعلانية ويقول صاحب الرسالة القشيرية : " ومن خصائص الذكر أنه غير مؤقت ، والصلاة وإن كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز فى بعض الأوقات ، والذكر بالقلب مستدام فى جميع الحالات ، ويقول : الذكر ركن قوى فى طريق الحق سبحانه وتعالى بل هو العمدة فى هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر " .

أيها المسلمون : عن أبى هريرة رضى الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " فقالوا ، ذهب أهل الدثور[١٤] بالدرجات العلى ، والنعيم القيم ، يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ولهم فضل أموال يحجون ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون فقال : **ألا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم** قالوا : بلى يارسول الله قال : **تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين** " متفق عليه وزاد مسلم فى روايته " فرجع فقراء المسلمين إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** "

---

(١٣) سورة النساء الآية ١٠٣ .

(١٤) الدثور : جمع دَثْر بفتح الدال وسكون الثاء وهو المال الكثير .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـا بعـــد

فيأيها المسلمـون : فقد ورد عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألوان من الذكر فى مناسبات مختلفة فمن أدعية الاستيقاظ من النـوم " **الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور** " رواه البخارى ، وفى لبس الثوب وخلعه " **الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة** "[١٥] .

وكان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا لبس ثوبا سماه باسمه قميصا أو رداءً أو عمامة " **اللهم إنى أسألك من خيره وخير ماهو له وأعوذ بك من شره ومن شر ما هو له** "[١٦] ، وعند الخروج من المنزل ودخوله ، " **من قال** (يعنى إذا خرج من بيته) **باسم الله توكلت على الله يقال له كفيت وهديت ووقيت وتنحى عنه الشيطان** "[١٧] ، إذا ولج الرجل بيته فليقل : " **اللهـم إنى أسألك خير المولج وخير المخرج ، باسم الله ولجنا ، وباسم الله خرجنا**

(١٥) رواه البخارى وابن السنى .

(١٦) رواه ابن السنى .

(١٧) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وقال الترمذى حسن صحيح .

وعلى ربنا توكلنا ، ثم ليسلم على أهله "[١٨] ومن أدعية المشى إلى المسجد ودخوله وخروجه منه " اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى بصرى نورا ، وفى سمعى نورا وعن يمينى نورا وعن يسارى نورا وفوقى نورا ، وتحتى نورا ، وأمامى نورا ، وخلفى نورا واجعل لى نورا "[١٩]، وإذا دخل المسجد قال : " أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم ، وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم باسم الله ، اللهم صلى على محمد ، وإذا دخل قال : " اللهم صلى على محمد ، اللهم افتح لى أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليقل : " اللهم إنى أسألك من فضلك "[٢٠].

من أدعية التخلى والمباشرة

" اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث "[٢١] " الحمد لله الذى أذاقنى لذته ، وأبقى فى قوته ، ودفع عنى أذاه "[٢٢] " غفرانك " " لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : باسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولد ، لم يضره شيطان أبدا " .

دعاء الوضوء والغسل والآذان :

من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال : " أشهد ألا إله إلا الله ، وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين فتحت له ثمانية أبواب الجنة "[٢٣] من قال حين يسمع النداء " اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته " حقت له شفاعتى يوم القيامة "[٢٤] .

الطعام " اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار بسم الله "[٢٥]

---

(١٨) رواه أبو داود .
(١٩) رواه البخارى .
(٢٠) رواه مسلم .
(٢١) رواه الشيخان .
(٢٢) رواه ابن السنى .
(٢٣) رواه مسلم والترمذى .
(٢٤) رواه البخارى .
(٢٥) رواه البخارى .

بعد الفراغ من الطعام " الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين "[٢٦] " الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة " " أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة " .

إذا رأى باكورة ثمرة أو فاكهة قال " اللهم بارك لنا فى ثمرنا ، وبارك لنا فى حديقتنا ، وبارك لنا فى صاعنا وبارك لنا فى مدنا ، اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره ثم يعطيه أصغر من عنده من الصبيان "[٢٧] .

التهجد

إذا قام يتهجد قال " اللهم لك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والجنة حق ، والنار حق والنبيون حق ، ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وانت المؤخر لا إله إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله "[٢٨] .

ختام المجلس

" سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك " " سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين " .

---

(٢٦) رواه الترمذى والنسائى .
(٢٧) رواه مسلم .
(٢٨) رواه البخارى .

دعاء السفر

يقول المقيم للمسافر " أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك " ثم الوصية فيقول : " عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف " " اللهم اطو لنا البعد ، وهون علينا السفر[٢٩]" ويقول المسافر للمقيم " أستودعك الله الذى لا تضيع ودائعه "[٣٠].

إذا رأى المطر

إذا رأى المطر قال : " اللهم صيبا نافعا " مرتين أو ثلاثا (والصيب المنهمر المتدفق) .

إذا خاف الضرر " اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والآجام والظراب[٣١] والأودية ومنابت الشجر " .

إذا رأى الهلال

وإذا رأى الهلال قال " الله أكبر اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى ربى وربك الله هلال خير ورشد " ثم يقول ثلاثا " اللهم إنى أسألك من خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شره "[٣٢] .

---

(٢٩) رواه الترمذى والنسائى .

(٣٠) رواه الطبرانى .

(٣١) الآكام : جمع أكمة وهى الرابية . والآجام : الشجر الكثير الملتف . والظراب : الجبال الصغار .

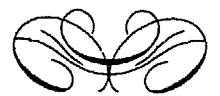
(٣٢) رواه الترمذى .

تعويذ الأطفال

" أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة [٣٣] " [٣٤].

يراجع فى هذا الموضوع :

ـ رسالة المأثورات للإمام الشهيد حسن البنا .



---

(٣٣) الهامة : هى كل ذى سُم يقتل .
واللامة : ذات لمم وهى التى تصيب بسوء من نظرت إليه .

(٣٤) رواه البخارى .

الرحمة فى نظام الإسلام الحنيف

بعد حمد الله عز وجل ، وبعد الصلاة والسلام على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعد

فيقول الله عز وجل { **فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** }[1] { **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** }[2] .

ويقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " **جعلت الرحمة مائة جزء وأنزل الله فى الأرض جزءا واحدا فمن هذا الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه** " " **من لا يرحم لا يرحم** "

أيها المسلمون : الإسلام دين الرحمة فهى قرين السلام فى تحية المسلمين ، ونبى الإسلام إنما أرسله الله رحمة للعالمين ، والوصية بين المسلمين الصبر والمرحمة { **ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة** "[3] وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم وأعماله وتصرفاته كلها تدل على سمو منزلة الرحمة بين الأخلاق التى يأمر بها هذا الدين .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩ .
(٢) سورة التوبة الآية ١٢٨ .
(٣) سورة البلد الآية ١٧ .

لقد فتحت أبواب الجنة وشملت مغفرة الله ومنته رجلا سقى كلبا يلهث يأكل الثرى من العطش روى البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " **بينما رجل يمشى بطريق اشتد به العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج ، وإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل هذا الذى كان بى فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله تعالى له فغفر له قالوا يارسول الله وإن لنا فى البهائم أجرا ؟ قال فى كل ذات كبد رطبة أجر** " وفى رواية " **أن امرأة بغيا رأت كلبا فى يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له موقها فغفر لها به** " .

لئن كانت الرحمة بكلب تغفر ذنوب البغايا فإن الرحمة بالبشر تصنع العجائب .

وفتحت أبواب النار لامرأة حبست هرّة وقست عليها روى البخارى ومسلم أن ابن عمر قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " **دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض** "[٤] .

أيها المسلمون : الإنسان من غير قلب أشبه بالآلة الصماء والحجر الصلد فإن حقيقة الإنسان ليست فى هذا الغلاف الطينى من لحم ودم وعظم إنما هى فى تلك اللطيفة الربانية والجوهرة الروحية التى بها يحس ويشعر وينفعل ويتأثر ويتألم ويرحم هى القلب الحى .

ومن أخص أوصاف المؤمن أنه يتميز بقلب مرهف لين رحيم يتجاوب مع الأحداث والأشخاص فيرق للضعيف ، ويألم للحزين ، ويحنو على المسكين ، ويمد يده للملهوف ، وبهذا القلب الحى الرحيم ينفر من الإيذاء ،

---

(٤) رواه البخارى ومسلم .

وينبو عن الجريمة ، ويصبح مصدر خير وسلام لما حوله ولمن حوله .

والرحمة فى أفقها الأعلى وامتدادها المطلق صفة المولى تباركت أسماؤه فإن رحمته شملت الوجود كله ، وعمت الملكوت ، ولذلك كان من صلاة الملائكة له { ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما }[٥] .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه " قدم على رسول الله بسبى فإذا امرأة من السبى تسعى قد تحلب ثديها إذ وجدت صبيا فى السبى فأخذته فألصقته ببطنها فأرضعته فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أترون أن هذه المرأة طارحة ولدها في النار وهى تقدر على ألا تطرحه ـ قالوا لا ـ قال فالله أرحم بعباده من هذه بولدها "[٦] .

والمؤمن إنسان ذو قلب رحيم لأن مثله الأعلى أن يتخلق بأخلاق الله تعالى وأن يكون له حظ من أسماء الله الحسنى ومن أبرز أسماء الله الحسنى اسما الرحمن والرحيم ، وهما أشهر الأسماء بعد اسم الجلالة الله ، والمؤمن كلما تلا كتاب الله أو بدأ بسورة منه افتتحها ببسم الله الرحمن الرحيم .

وللإمام الغزالى كتاب سماه المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى يشرح فيه الاسم الإلهى ثم يعقب بما يمكن أن يكون حظ الإنسان منه وبعد أن شرح الاسمين الرحمن والرحيم قال ، وحظ العبد من اسم الرحمن أن يرحم عباد الله الغافلين فيصرفهم عن طريق الغفلة بالوعظ والإرشاد والنصح بطريق اللطف دون العنف رحمة لذلك العاصى من أن يتعرض لسخط الله سبحانه ، وحظ العبد من اسم الرحيم ألا يدع فاقة لمحتاج إلا ويسدها بقدر طاقته والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه .

---

(٥) سورة غافر الآية ٧ .

(٦) رواه البخارى .

والمؤمن يعتقد دائما أنه فقير إلى رحمة الله فبهذه الرحمة الإلهية يعيش فى الدنيا ويفوز فى الآخرة لكنه يوقن أن رحمة الله لا تنال إلا برحمة الناس وإنما يرحم الله من عباده الرحماء " **ومن لا يرحم لا يرحم** " **ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء** " .

وقال : " **طوبى لمن تواضع فى غير منقصة ، وذل فى نفسه من غير مسألة ، وأنفق مالا جمعه فى غير معصية ، ورحم أهل الذلة والمسكنة ، وخالط أهل الفقه والحكمة** "[(٧)] .

وقد وصف الله المجتمع المسلم أنه متماسك بهذا العطف المتبادل فقال عن أهله { **أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** }[(٨)] { **أشداء على الكفار رحماء بينهم** }[(٩)] ومعنى الشدة فى سياق الحديث عن الرحمة أن الإسلام يوصى بالرحمة العامة لا يستثنى منها إنسانا ولادابة ولا طيراً بيد أن هناك من الناس والدواب من يكون مصدر خطر على غيره ومثار رعب وفزع فتكون رعاية الصالح العام للجماعة أن يحبس شره ، وقد تكون الشدة معه رحمة به وتقويما لعوجه والإسلام رسالة خير وسلام وعطف على البشر كلهم ، وقد قال الله تعالى : { **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** }[(١٠)] .

وسور القرآن كلها مبدوءة ببسم الله الرحمن الرحيم ولكن ذئاب البشر أبوا إلا اعتراض الرحمة المرسلة ، ووضع العوائق فى سبيلها فلم يكن بد من إزالة هذه العوائق والأغلاط لأصحابها ويوم ينقطع تعرضهم له تشملهم الرحمة فليس في هذه الرحمة قصور ، وإنما القصور فيمن حرم نفسه منها أفلست ترى أن رحمة الله وسعت كل شئ ، ولكن لا ينالها مشرك ولا جحود { **ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون** }[(١١)] .

---

(٧) رواه الطبرانى .
(٨) سورة المائدة ٥٤ .
(٩) سورة الفتح الآية ٢٩ .
(١٠) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .
(١١) سورة الأعراف الآية ١٥٦ .

ومثل ذلك قول الرسول : " كل أمتى يدخل الجنة إلا من أبى فقالوا ومن يأبى ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى "[١٢].

ولقد نبه القرآن الكريم إلى أن هناك أقواماً مخصوصين ينبغى بأن يحظوا بأضعاف من الرحمة .

من هؤلاء ذوو الأرحام مَنْ وصل الرحم وصله الله ، ومن قطعها قطعه الله ، وعن عائشة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم قال ـ " الرحم متعلقة بالعرش تقــول من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعــه الله "[١٣] .

ومنهم الوالدان يقول الله عز وجل { واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا }[١٤].

ومنهم الأولاد فعن أبى هريرة رضى الله عنه قَبَّل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الحسن والحسين ابنى على رضى الله عنه وعنده الأقرع بن حابس التميمى فقال الأقرع إن لى عشرة من الولد ما قَبَّلْتُ أحداً منهم فنظر إليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال : " من لا يرحم لا يرحم " وفى بعض الروايات " أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة " .

وممن تجب الرحمة بهم اليتامى : فعن أبى هريرة أن رجلا شكا إلى رسول الله قسوة قلبه فقال " امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين "[١٥] وتجمل الرحمة مع المرضى وذوى العاهات ، وأن يحسن المسلم معاملة الخدم فعن أبى مسعود البدرى قال كنت أضرب غلاما لى بالسوط فسمعت صوتا خلفى اعلم أبا مسعود فلم أفهم الصوت من الغضب فلما دنا منى إذا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإذا هو يقول " اعلم أبا مسعود أن

(١٢) رواه البخارى .
(١٣) رواه البخارى ومسلم .
(١٤) سورة الإسراء الآية ٢٤ .
(١٥) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

الله أقدر عليك منك على هذا الغلام " فقلت يارسول الله هو حر لوجه الله فقال : " أما لم تفعل للفحتك النار "[١٦] وقال " من ضرب سوطا ظلما اقتص منه يوم القيامة "[١٧].

أيها المسلمون : وتمضى الشريعة فى تشريع الرحمة بالحيوان فتحرم المكث طويلا علـى ظهـره وهـو واقف فقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ " لا تتخذوا ظهور دوابكم منابر إنما سخرها لكم لتبلغوا عليها إلى بلد لم تكـونوا بالغـيه إلا بشـق الأنفـس وجعـل لكـم الأرض فعليـها فاقضـوا حاجاتكم "[١٨] وتحرم إجاعته وتعريضه للضعف والهزال ، فقد مر ـ عليه الصلاة والسلام ـ ببعير قد لصق ظهره ببطنه فقال : " اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة " .

كما تحرم إرهاقها بالعمل فوق ما تتحمل " دخل رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بستانا لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل فلمـا رأى النبى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ حن وذرفت عيناه فأتاه رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فمسح دموعه ثم قال من صاحب هذا الجمل ؟ فقال صاحبه أنا يا رسول الله فقال ـــ عليه الصلاة والسلام ـــ أفلا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها فإنه شكا إلى أنك تجيعه وتدئبه "[١٩] ـــ أى تتعبه بكثرة استعماله .

كما تحرم التلهى به فى الصيد" من قتل عصفوراً عبثا عج إلى الله يوم القيامة يقول يارب إن فلانا قتلنى عبثا ولم يقتلنى منفعة " وتحرم اتخاذه هدفا لتعليم الإصابة " لعن رسول الله من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا " أى هدفا .

---

(١٦) رواه مسلم وغيره .
(١٧) رواه الترمذى والبزار والطبرانى بإسناد حسن .
(١٨) رواه أبو داود .
(١٩) رواه أحمد وأبو داود .

ونهى عن التحريش بين الحيوانات ووسمها فى وجهها بالكى بالنار أى كيها فى وجهها لتعلم بين الحيوانات الأخرى فقد مر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على حمار قد وسم فى وجهه فقال " لعن الله من وسمه " .

أما إذا كان الحيوان مما يؤكل فإن الرحمة أن تحد الشفرة ويسقى الماء ويراح بعد الذبح قبل السلخ " إن الله كتب الإحسان فى كل شئ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته " وقال عبد الله بن مسعود كنا مع رسول الله فى سفر فرأينا حمرة (طير يشبه العصفور) معها فرخان لها فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة تعرش (ترفرف) فوقنا فلما جاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها " ورأى قرية نمل قد أحرقناها قال : " من أحرق هذه ؟ قلنا نحن يارسول الله قال : " إنه لا ينبغى أن يحرق بالنار إلا ربها " .

وعلى ضوء هذه التعاليم يقرر الفقهاء المسلمون من أحكام الرحمة بالحيوان مالا يخطر بالبال فهم يقررون أن النفقة على الحيوان واجبة على مالكه فإن امتنع أجبر على بيعه أو الإنفاق عليه أو تسييبه إلى مكان يجد فيه رزقه ومأمنه أو ذبحه إذا كان مما يؤكل وقد ذهبوا إلى أبعد من هذا فقال بعضهم إذا لجأت هرة عمياء إلى بيت شخص وجب نفقتها عليه حيث لم تقدر على الانصراف ، ومنعوا من تحميل الحيوان أكثر مما يطيق وتعرضوا لمقدار ما يستطيع البغل والحمار حمله ، ومن الطريف أن بعض الفقهاء قدر لكل منهما مقداراً لم يُرْضِ فقيها آخر فعقب على ذلك بقول : ـ لعمرى ـ إن هذا إنصاف للبغل وإجحاف كبير للحمار .

أما جناية الحيوان على غيره فهى جبار فالحيوان لا يعاقب بما جنى على غيره ، وإنما يعاقب صاحبه إذا فرط .

ولقد كان الخلفاء يذيعون البلاغات العامة على الشعب يوصونهم فيها بالرحمة بالحيوان ومنع الأذى عنه والإضرار به .

فقد أذاع عمر بن عبد العزيز فى إحدى رسائله إلى الولاة نهى الناس عن ركض الفرس فى غير حق وكتب إلى صاحب السكك ألا يسمحوا لأحد بإلجام دابته بلجام ثقيل أو بنخسها بمقرعة فى أسفلها حديدة .

أيها المسلمون : هذه ألوان من الرحمة والرفق بالحيوان قبل أن تنشأ فى أوربا أو غيرها جمعيات الرفق بالحيوان لقد كان الرفق بالحيوان شعار الدين الإسلامى ووصية النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

أيها المسلمون : يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " **بينما رجل يمشى بطريق اشتد به العطش فوجد بئرا ونزل فيها فشرب ثم خرج وإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب ، فشكر الله تعالى له فغفر له** . قالوا : يارسول الله وإن لنا فى البهائم أجرا ؟ **قال . فى كل ذات كبد رطبة أجر** " وقال " **من لا يرحم لا يرحم** " .



الخطبة الثانية

بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد

فياأيها المسلمون : خلق الرحمة من مكارم الأخلاق وقد رأينا كيف قرره الإسلام رحمة بالناس ورحمة بالحيوان ويحفظ لنا التاريخ الإسلامى أمثله رائعة من شيوع هذا الخلق بين المسلمين ، وتجلت هذه المشاعر النبيلة فيما عرف بنظام الوقف الخيرى عند المسلمين .

فقد كان المواسون من المؤمنين بدافع الرحمة التى قذفها الإيمان فى قلوبهم والرغبة فى مثوبة الله لهم قد وقفوا أموالهم كلها أو بعضها على إطعام الجائع ، وسقاية الظمآن ، وكسوة العريان ، وإيواء الغريب ، وعلاج المريض ، وتعليم الجاهل ، وإعانة المحروم ، وعلى كل غرض إنسانى نبيل ، وأشركوا فى برهم الحيوان مع الإنسان ، وقد تأخذنا الدهشة حين نرى كيف بلغت الرحمة من نفوسهم مبلغا عظيما فيما نعرضه من بعض الأمثلة .

١ ـ وقف الزبادى : وهو وقف تشترى منه صحاف الخذف الصينى ، فكل طفل أو خادم كسرت آنيته وتعرض لغضب مخدومه له أن يذهب إلى إدارة

الوقف فيترك الإناء المكسور ويأخذ إناء صحيحا بدلا منه وبهذا ينجو من أذى مخدومه وقد تحدث ابن بطوطة فى رحلته عن هذا الوقف فى دمشق .

٢ـ **وقف الأعراس :** وهو وقف لإعارة الحلى والزينة فى الأعراس والأفراح يستعير الفقراء منه ما يلزمهم فى أفراحهم ثم يعيدون ما استعاروه إلى مكانه ، وبهذا يتيسر للفقير أن يبرز يوم عرسه بحلة لائقة له ولعروسه حتى تنجبر الخواطر المكسورة .

٣ ـ **وقف الغاضبات :** وهو وقف يؤسس من ريعه بيت ويعد فيه الطعام والشراب وما يحتاج إليه الساكنون تذهب إليه الزوجة التى يقع بينها وبين زوجها نفور ، وتظل آكلة شاربة إلى أن يذهب ما بينها وبين زوجها من الجفاء وتصفو النفوس فتعود إلى بيت الزوجية من جديد .

٤ـ **نقطة الحليب :** كان مما أوقفه صلاح الدين الأيوبى وقف لإمداد الأمهات بالحليب اللازم لأطفالهن جعل فى أحد أبواب قلعة دمشق ميذابا يسيل منه الحليب ، وميذبا آخر يسيل منه الماء المذاب بالسكر تأتى الأمهات يومين كل أسبوع فيأخذن لأطفالهن ما يحتاجون إليه من الحليب والسكر .

٥ـ **وقف للحيوانات الأليفة :** فى بيت وإطعامها كوقف القطط الذى كان إلى عهد قريب فى إحدى ضواحى دمشق ، وكان فيه ما يزيد على أربعمائة قطة من الفارهات السمان .

٦ـ **تطبيب الحيوان :** وكان لعلاج الحيوانات المريضة وتطبيبها ومن ذلك وقف المرج الأخضر الذى يقوم عليه الملعب البلدى بدمشق حاليا فقد كان وقفا للخيول والحيوانات العاجزة ترعى فيه حتى تلاقى حتفها .

٧ـ **وقف الكلاب الضالة** : وهو وقف ينفق من ريعه على إطعام الكلاب التى ليس لها صاحب استنقاذا لها من عذاب الجوع حتى تستريح بالموت أو الاقتناء .

أيها المسلمون : إلى رحمة الإسلام تفوزوا فى الدنيا وتفلحوا فى الآخرة .

يراجع فى هذا الموضوع :

١ـ من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعى .

٢ـ خلق المسلم لفضيلة الشيخ محمد الغزالى .

٣ـ الإسلام دين السلام للإمام الشهيد حسن البنا .



سورة العصر

بعد حمد الله سبحانه والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعد

فيقول الله سبحانه { **والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر** }[1] .

أيها المسلمون : فى هذه السورة القصيرة ذات الآيات الثلاث يتمثل منهج كامل للحياة البشرية كما يريدها الإسلام إنها تضع الدستور الإسلامى كله فى كلمات قصار ، وتصف الأمة المسلمة : حقيقتها ووظيفتها فى آية واحدة هى الآية الثالثة من السورة ، وهذا هو الإعجاز الذى لا يقدر عليه إلا الله .

والحقيقة الضخمة التى تقررها هذه السورة بمجموعها أنه على امتداد الزمان فى جميع الأعصار ، وامتداد الإنسان في جميع الأدهار ليس هناك إلا منهج واحد رابح ، وطريق واحد ناج ، هو ذلك المنهج الذى ترسم السورة حدوده ، وهو هذا الطريق الذى تصف السورة معالمه وكل ما وراء ذلك ضياع وخسار .

(١) سورة العصر .

والإيمان هو اتصال هذا الكائن الإنسانى الفانى الصغير المحدود بالأصل المطلق الذى صدر عنه هذا الوجود ، ومن ثم اتصاله بالكون الصادر عن ذات المصدر ، وبالنواميس التى تحكم هذا الكون ، وبالقوى والطاقات المذخورة فيه ، ومقومات الإيمان هى بذاتها مقومات الإنسانية الرفيعة الكريمة ، التعبد لإله واحد ، يرفع الإنسان عن العبودية لسواه ويقيم فى نفسه المساواة مع جميع العباد فلا يذل لأحد ، ولا يحنى رأسه لغير الله الواحد القهار ومن هنا الانطلاق التحررى للإنسان .

والربانية تحدد الجهة التى يتلقى منها الإنسان تصوراته وقيمه وشرائعه وقوانينه ، وكل ما يربطه بالوجود وبالناس فينفى من الحياة الهوى والمصلحة ، ويحل محلهما الشريعة والعدالة .

ويمنحه الإيمان إلى جانب هذا متاعا بالوجود ، وما فيه من جمال ومن مخلوقات تتعاطف أرواحها مع روحه فإذا الحياة رحلة فى مهرجان إلهى مقام للبشر فى كل زمان وكل أوان ، وهى سعادة رفيعة وفرح نفيس وأنس بالحياة وبالكون كأنس الحبيب بالحبيب وهو كسب لا يعدله كسب وفقدانه خسران لا يعدله خسران .

القلب الذى يوحد الله يدرك القرابة بينه وبين كل ما أبدعت يد الله فى هذا الكون من أشياء وأحياء ، ويحيا فى كون صديق يعاطفه ويتجاوب معه ، ويحس يد الله فى كل ما حوله فيعيش فى أنس بالله وبدائعه التى تلمسها يداه وتقع عليها عينه ، ويشعر كذلك بالتحرج فى إيذاء أحد أو إتلاف شئ أو التصرف فى إحداث شئ إلا بما أمره الله خالق كل شئ ومحيى كل حى .

ووضوح الصلة بين الخالق والمخلوق ، وتبين مقام الألوهية والعبودية على حقيقتها الناصعة مما يصل هذه الخليقة الفانية بالحقيقة الباقية فى غير

تعقيد ، وبلا وساطة فى الطريق ، ويودع القلب نوراً ، والروح طمأنينة ، والنفس أنسا وثقة وينفى التردد والخوف والقلق ، كما ينفى الاستكبار فى الأرض بغير الحق والاستعلاء على العباد بالباطل { **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين** }[٢] .

الإيمان هو أصل الحياة الكبير الذى ينبثق منه كل فرع من فروع الخير وتتعلق به كل ثمرة من ثماره ، وإلا فهو مقطوع من شجرته .

ومن ثم يهدر الإسلام قيمة كل عمل لا يرجع إلى هذا الأصل والقرآن الكريم صريح فى ذلك كل الصراحة { **مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف** }[٣] { **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب** }[٤] .

والعمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان فالإيمان حقيقة إيجابية متحركة ما إن تستقر فى الضمير حتى تسعى بذاتها لتحقيق ذاتها فى الخارج فى صورة عمل صالح هذا هو الإيمان الإسلامى لايمكن أن يظل خامداً لا يتحرك ومن هنا قيمة الإيمان إنه حركة وعمل وبناء وتعمير يتجه إلى الله .

أما التواصى بالحق والتواصى بالصبر فتبرز من خلالهما صورة الأمة المسلمة ذات الكيان الخاص والرابطة المميزة ، الأمة التى تعرف حقيقة ماهى مقدمة عليه من الإيمان والعمل الصالح الذى يشمل فيما يشمل قيادة البشرية فى طريق الإيمان والعمل الصالح فتتواصى فيما بينها بما يعينها على النهوض بالأمانة الكبرى .

الحق الذى أنزل به الكتاب { **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل** }[٥] { **إنا أنزلنا**

---

(٢) سورة القصص الآية ٨٣ .
(٣) سورة إبراهيم آية ١٨ .
(٤) سورة النور الآية ٣٩ .
(٥) سورة الإسراء الآية ١٠٥ .

إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ، ألا لله الدين الخالص }[6] { إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها }[7] الحق الذى قامت به السموات والأرض { ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق }[8] الحق الذى تشهد به وحدة النظام ، والذى يصرف السموات والأرض والذى ينطق به هذا الكتاب الحق الذى يتسم به كل ماخرج من يد الصانع المبدع فى هذا الوجود الحق الذى هو منهج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذى يدعو إليه الناس كافة عبادة الله وحده وإخلاص الدين له وحده وقيام الحياة كلها على هذا التوحيد .

والتواصى بالحق ضرورة ، فالنهوض بالحق عسير والمعوقات عن الحركة كثيرة ، هوى النفس والشيطان ، ومنطق المصلحة ، وتصورات البيئة ، والتواصى تذكير وتشجيع وإشعار بالقربى فى الهدف ، والغاية ، والأخوة فى العبء والأمانة .

والتواصى بالصبر كذلك ضرورة فالقيام على الإيمان والعمل الصالح وحراسة الحق والعدل من أعسر ما يواجه الداعين إلى الله لابد من الصبر على جهاد النفس ، وجهاد الغير ، والصبر على الأذى والمشقة ، والصبر على طول الطريق ، وبطء المراحل ، وانطماس المعالم ، وبعد النهاية .

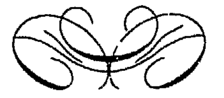
{ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل }[9] { يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله }[10] { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين }[11] { ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا }[12] { واصبر على مايقولون واهجرهم هجرا جميلا }[13] .

---

(٦) سورة الزمر الآيتان ٢ ، ٣ .
(٧) سورة الزمر الآية ٤١ .
(٨) سورة الأحقاف الآية ٣ .
(٩) سورة الأحقاف الآية ٣٥ .
(١٠) سورة آل عمران الآية ٢٠٠ .
(١١) سورة آل عمران الآية ١٤٢ .
(١٢) سورة الأنعام الآية ٣٤ .
(١٣) سورة المزمل الآية ١٠ .

والتواصى بالصبر يضاعف المقدرة ، بما يبعثه من إحساس بوحدة الهدف ، ووحدة المتجه ، وتساند الجميع ، وتزودهم بالحب والعزم والإصرار ... إلى آخر ما يثيره من معانى الجماعة التى تعيش حقيقة الإسلام إلا فى جوها ولا تبرز إلا من خلالها .... وإلا فهو الخسران والضياع .

أيها المسلمون : يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " **كل أمتى يدخل الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى يارسول الله قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى** "[١٤] .



(١٤) رواه البخارى .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله سبحانه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد

فياأيها المسلمون : وننظر اليوم من خلال هذا الدستور الذى يرسمه القرآن الكريم لحياة الفئة الرابحة الناجية من الخسران فيهولنا أن نرى الخسران يحيق بالبشرية فى كل مكان على ظهر الأرض بلا استثناء ، يهولنا هذا الضياع الذى تعانيه البشرية فى الدنيا ـ قبل الآخرة ـ يهولنا أن نرى إعراض البشرية ذلك الإعراض البائس عن الخير الذى أفاضه الله عليها مع فقدان السلطة الخيرة المؤمنة القائمة على الحق فى هذه الأرض ، والبقاع التى انبعث منها هذا الخير أول مرة تترك الراية التى رفعها الله لها راية الإيمان لتتعلق برايات عنصرية لم يكن تحتها خير قط فى تاريخها كله ، لم يكن لها تحتها ذكر فى الأرض ولا فى السماء حتى جاء الإسلام فرفع لها هذه الراية المنتسبة لله لا شريك له المسماة باسم الله لا شريك له ، المسبوقة ببسم الله لا شريك له ، الراية التى انتصر العرب تحتها وسادوا وقادوا البشرية قيادة خيرة قوية واعية ناجية لأول مرة فى تاريخهم وفى تاريخ البشرية الطويل .....

يقول الأستاذ أبو الحسن الندوى فى كتابه القيم (ماذا خسر العالم

بانحطاط المسلمين ؟) ... عن هذه القيادة الخيرة الفذة فى التاريخ كله وتحت عنوان " عهد القيادة الإسلامية " الأئمة المسلمون وخصائصهم : ظهر المسلمون وتزعموا العالم وعزلوا الأمم المزيفة من زعامة الإنسانية التى استغلتها وأساءت عملها ، وساروا بالإنسانية سيراً حثيثا متزنا عادلا ، وقد توفرت فيهم الصفات التى تؤهلهم لقيادة الأمم ، وتضمن سعادتها وفلاحها فى ظلهم ، وتحت قيادتهم .

أولا ـ أنهم أصحاب كتاب منزل وشريعة إلهية فلا يُقَنِّنُون ولا يشرعون من عند أنفسهم لأن ذلك منبع الجهل والخطأ والظلم وقد جعل الله لهم نوراً يمشون به فى الناس ، وجعل لهم شريعة يحكمون بها الناس { **أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها؟** }[١٥] وقد قال تعالى : { **ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** }[١٦].

ثانيا ـ أنهم لم يتولوا القيادة والحكم بغير تربية خلقية وتزكية نفس ، بخلاف غالب الأمم والأفراد ورجال الحكومة فى الماضى والحاضر ، بل مكثوا زمنا طويلا تحت تربية محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا يزال يقرع سمعهم : { **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين** }[١٧] .

ثالثا ـ أنهم لم يكونوا خدمة جنس ورسل شعب أو وطن يسعون لرفاهيته ومصلحته وحده ، ويؤمنون بفضله وشرفه على جميع الشعوب والأوطان .

فالأمم عندهم سواء ، والناس عندهم سواء ، والناس كلهم من آدم وآدم

(١٥) سورة الأنعام الآية ١٢٢ .
(١٦) سورة المائدة الآية ٨ .
(١٧) سورة القصص الآية ٨٣ .

من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى { ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم }[18] .

وقد قال عمر لعمرو بن العاص عامل مصر وقد ضرب ابنه مصريا وافتخر بآبائه قائلا خذها من ابن الأكرمين فاقتص منه عمر ... " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ "

فى ظل هؤلاء وتحت حكمهم استطاعت الأمم والشعوب أن تنال نصيبها من الدين والعلم والأدب .

رابعا ــ أن الإنسان جسم وروح وهو ذو قلب وعقل وعواطف وجـوارح لا يسعد ولا يفلح ولايرقى رُقياً متزنا عادلا حتى تنمو فيه هذه القوى كلها نموا متناسبا لائقـا هذه بعض ملامح تلك الحقبـة السعيدة التى عاشتها البشرية فى ظل الدستور الإسلامى التى تضع سورة " العصر " قواعده فأين منها هذا الضياع الذى تعانيه البشرية اليوم فى كل مكان وحين وضعت الأمة العربية هذه الراية إذا هى فى ذيل القافلة ، وإذا القافلة كلها تخطو إلى الضياع والخسران ذلك شأن الربح والخسران فى هذه الأرض وهو على عظمته إذا قيس بشأن الآخرة صغير ، وهناك . هناك الربح الحق والخسران الحق ، هناك فى الأمد الطويل ، وفى الحياة الباقية وفى عالم الحقيقة هناك الربح والخسران ربح الجنة والرضوان أو خسران الجنة والرضوان { يوم ينظر المرء ما قدمت يـداه ويقـول الكافر ياليتنى كنت ترابا }[19] وهذه السورة حاسمة فى تحديد الطريق .. إنه الخسران .. { إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر } وتقوم متضامنة على حراسة الحق متزودة بزاد الصبر .

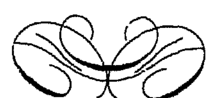
---

(١٨) سورة الحجرات الآية ١٣ . (١٩) سورة النبأ الآية ٤٠ .

إنه طريق واحد ومن ثم كان الرجلان من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ، ثم يسلم أحدهما على الآخر ... لقد كانا يتعاهدان على هذا الدستور الإلهى ..... يتعاهدان على الإيمان والصلاح . ويتعاهدان على التواصى بالحق والتواصى بالصبر ويتعاهدان على أنهما حارسان لهذا الدستور ، ويتعاهدان على أنهما من هذه الأمة القائمة على هذا الدستور ....

يراجع فى هذا الموضوع :

ـ فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب " سورة العصر " .



صلاة الجمعة فى نظام الإسلام الحنيف .

بعد حمد الله سبحانه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعـد

فيقول الله عز وجل { **يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع** }[1] .

أيها المسلمون : قامت دعوة الإسلام على الإيمان بالله والعمل الصالح والأخوة الإنسانية الكريمة وسياج ذلك كله صلاح النفس واستقامتها على مناهج الحق والخير . أصول قررتها الأديان من قبل وجاءت بها الشرائع من لدن آدم إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ { **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا، والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** }[2] .

واعتمد الإسلام فى تقرير هذه المعانى فى النفوس وتثبيتها فى القلوب على الدعوة الدائبة والكلمة الطيبة والحجة الواضحة والبرهان المنير { **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين** }[3] { **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** }[4] وهكذا نرى مادة الدعوة منبثة

---

(١) سورة الجمعة الآية ٩ .

(٢) سورة الشورى الآية ١٣ .

(٣) سورة فصلت الآية ٣٣ .

(٤) سورة النحل ١٢٥ .

فى القرآن الكريم فى عدة سور وآيات فى مواضع مختلفة إشارة إلى جليل أثرها وعظيم منزلتها . { **ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء** }[٥] .

وأراد الإسلام الحنيف أن يذكر الناس بالغاية والوسيلة فى صورة عملية واضحة تتراءى لهم كل أسبوع فاختار يوم الجمعة ـ يوم الآخرة بين أيام الدنيا ، ودعا الناس فيه دعـوة مؤكدة إلى بيوت الله { **ياأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع** }[٦] يجلسون فى هذه المساجد ، وقد تهيئوا لهذا المجلس بالنظافة والطيب ، والهدأة والسكون ، والإخبات والخشوع ، والتجمل والنظام التام ، فى ظل مساواة عجيبة لا فرق فيها بين كبير وصغير ، وغنى وفقير فالكل بين يدى الله فى بيته سواء متعاطفين متراحمين ، متآخين متساوين ، معان اجتماعية هى عماد الأخوة الحقيقية تلمسها الفلاسفة والمصلحون بالأقوال والنظريات ، وقررها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بالأعمال والعبادات ، وحققوها صوراً ماثلة فى مواطن العبادة بين يدى الله رب العالمين .

يجلس الناس هذه الجلسة أسبوعيا ليستمعوا آيات تتلى ، وعظات تقرأ ، وتذكيرا يردد ، ووحيا ينشر ، وعبرا تذكر ، وليقفوا بعد ذلك فى صف الصلاة مؤمنين قانتين ، متوجهين إلى قبلة واحدة لغاية واحدة ، هى التقرب إلى الله رب الخلق ، ومالك الملك " **وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد** " .

وهكذا يذكر الناس ربهم ، فيقوى الإيمان ويشتغلون بأفضل الأعمال

---

(٥) سورة إبراهيم الآية ٢٤ .
(٦) سورة الجمعة الآية ٩ .

الصالحة وهى الصلاة ، ويجتمعون فى صعيد واحد ساعة من نهار تتأكد بها الأخوة وفى ذلك صلاح أنفسهم وأرواحهم وحياة ضمائرهم ووجدانهم ويقرر الخطيب بما يتلو من آيات الله والحكمة هذه المعانى كلها فى نفوسهم ، فهل رأيت نظاما أحكم وأبدع وأجمل وأروع ؟ وصدق الله العظيم { **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** }[7] .

ومن الإمام من يقود الأمة فى المحراب ويشرح لها السنة والكتاب ويؤمها فى الصلوات ويدعو إلى الصالحات .

أهو ممثل السلطة الدينية ، وسادن الحقائق الروحية ؟

لا وأبيك ، فليس هناك سلطتان ولا تتنازع المجتمع الإسلامى جهتان ، ولكنها سلطة واحدة لاتتعدد ، إنها الدولة وحدها تشرف على شئون المجتمع فى الدنيا والدين ، وتوجه الأمة جميعا إلى خيرهما معا ، تقيم فيها الأحكام ، وتحرس الأمن والنظام وتؤم فى المعبد ، وتدرس فى المعهد وتوزع العدالة بالقسطاس .

{ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل** }[8] .

وتأمل اشتراط كثير من الفقهاء إذن الإمام حتى تكون الصلاة مستوفية للشرائط والأحكام .

فياأيها الأئمة ، اقدروا مهمتكم وقودوا هذه الأنفس إلى الخير ووجهوها إلى الحق والخلق والفضيلة والنور وأنتم لها ضامنون ، فالإمام ضامن

(٧) سورة النساء الآية ٨٢ .

(٨) سورة النساء الآية ٥٨ .

والمؤذن مؤتمن .

يأيها المصلون أصيخوا آذانكم ، وأحضروا قلوبكم وتدبروا فى هذه العظات الأسبوعية ولا تجعلوها أعمالا عادية فالعلم علمان : علم فى القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم يأيها القاعدون عن الصلاة لماذا تقعدون وهى رياضة لأرواحكم ، ونور لقلوبكم وطمأنينة لأنفسكم ، وصلة بينكم وبين ربكم وعمل صالح فى الدنيا ومثوبة فى الآخرة ، وليس فيها بعد ذلك من تعب ولا إرهاق ؟

فبادروا أيها الإخوة إلى الصلاة وأجيبوا داعى الله { **ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء** }[9] .

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : " **نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ثم هذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله إليه فالناس لنا فيه تبع . اليهود غدا والنصارى بعد غد** "[10].

وعن عبد الله بن مسعود أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لقوم يتخلفون يوم الجمعة " **لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون بيوتهم** "[11] . وعن أبى هريرة رضى الله عنه وابن عمر أنهما سمعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول على أعواد منبره " **لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين** "[12].

---

(٩) سورة الأحقاف الآية ٣٢ .
(١٠) رواه البخارى ومسلم .
(١١) رواه أحمد ومسلم .
(١٢) رواه مسلم .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله وبعد الصلاة والسلام على رسوله وعلى أهله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعـــد

فيقول ابن القيم كان من هديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ تعظيم هذا اليوم وتشريفه وتخصيصه بعبادات يختص بها عن غيره .

الخاصية الأولى : كان صلى الله عليه وسلم يقرأ فى فجره بسـورتى : آلم تنزيل ، السجدة ـ وهل أتى على الإنسان ويظن كثير مما لا علم عنده تخصيص هذه الصلاة بسجدة زائدة ويسمونها سجدة الجمعـة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية إنما كان يقرأ هاتين السورتين فى فجر الجمعة لأنها تضمنتا ذكر المعاد وحشر العباد فيه وذلك يكون يوم الجمعة ويكون قراءتهما تذكيرا لما يكون فيه ، والسجدة جاءت تبعا ليست مقصودة حتى يقصد المصلى إلى قراءتها .

الخاصية الثانية : استحباب كثرة الصلاة على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة الجمعة ويومها .

وقد ورد عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " **إن أفضل أيامكم يوم**

الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة على . قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت ؟ قال إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء "(١٣) .

الخاصية الثالثة : استحباب قراءة سورة الكهف يوم الجمعة ، وليلته فعن أبى سعيد الخدرى أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاءت له من النور ما بين الجمعتين" (١٤) .

الخاصية الرابعة : الغسل يوم الجمعة والتجمل والسواك والتطيب للمجتمعات وخاصة الجمعة .

فعن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " على كل مسلم الغسل يوم الجمعة ويلبس من صالح ثيابه ، وإن كان له طيب مس منه "(١٥) .

وعن ابن سلام رضى الله عنه أنه سمع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول على المنبر يوم الجمعة : " ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته "(١٦) " حق على كل مسلم الغسل والطيب والسواك يوم الجمعة " .

الخاصية الخامسة : التبكير يوم الجمعة ويندب التبكير يوم الجمعة للصلاة قال علقمة : خرجت مع عبد الله بن مسعود إلى الجمعة فوجد ثلاثة قد سبقوه فقال رابع أربعة وما رابع أربعة من الله ببعيد : إنى سمعت رسول

---

(١٣) رواه الخمسة إلا الترمذى .
(١٤) رواه البيهقى والنسائى والحاكم .
(١٥) رواه أحمد والشيخان .
(١٦) رواه أبو داود وابن ماجه .

الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : " إن الناس يجلسون يوم القيامة على قدر تراوحهم إلى الجمعات . الأول ، ثم الثانى ، ثم الثالث ، ثم الرابع وما رابع أربعة من الله ببعيد "(١٧) .

الخاصية السادسة : الدعاء فى يوم الجمعة . ينبغى الاجتهاد فى الدعاء ، عند آخر ساعة من يوم الجمعة ، فعن عبد الله بن سلام قال " إنا لنجد فى كتاب الله تعالى فى يوم الجمعة ساعة لا يوافيها عبد مؤمن يصلى يسال الله عز وجل فيها شيئا إلا قضى له حاجته . قال عبد الله ، فأشار إلى رسول الله ، أو بعض ساعة ، فقلت صدقت أوبعض ساعة . قلت أى ساعة هى ؟ قال آخر ساعة من ساعات النهار ، قلت إنها ليست ساعة صلاة ، قال إن العبد المؤمن إذا صلى ثم جلس لا يجلسه إلا الصلاة فهو فى صلاة "(١٨) .

وعن أبى هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح ، فكأنما قرب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح فى الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر "(١٩) .

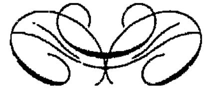
وذهب الشافعى وجماعة من العلماء إلى أن هذه الساعات هى ساعات النهار منذ قدموا إلى الرواح من أول النهار ، وذهب مالك إلى أنها أجزاء ساعة واحدة قبل الزوال وبعده ، وقال قوم هى أجزاء ساعة قبل الزوال ، وقال ابن رشد وهو الأظهر لواحدة السعى بعد الزوال .

وورد أن " فى يوم الجمعة ساعة لا يسأل العبد فيها شيئا إلا آتاه الله

(١٧) رواه ابن ماجه والمنذرى .
(١٨) رواه ابن ماجه .
(١٩) رواه الجماعة إلا ابن ماجه .

إياه مالم يسال حراما ، وفيه تقوم الساعة ، ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة "[2] .

فياأيها المسلمون : بادروا إلى صلاة الجمعة ، وانتفعوا بما فيها من عظات وعبر تفوزوا في الدنيا ، وتفلحوا في الآخرة .



---

(٢) رواه أحمد وابن ماجه قال العراقي إنه حسن .

عيد الأضحى المبارك فى نظام الإسلام الحنيف

الحمد لله والله أكبر " تسعا "

الله أكبر ما رفع الحجيج أصواتهم بالتلبية مستجيبين لنداء الله عز وجل لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

الله أكبر ما هتفوا عند رؤية البيت قائلين اللهم زد هذا البيت تكريما وتشريفا وتعظيما ومهابة ، وزد من شرفه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتكريما وتعظيما وبرا اللهم إنك أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام .

الله أكبر ما ابتدأوا طوافهم من الحجر الأسود مقبلين أو مستلمين أو مشيرين ، جاعلين البيت عن يسارهم قائلين بسم الله والله أكبر ، اللهم إيمانا بك ، وتصديقا بكتابك ، ووفاء بعهدك ، واتباعاً لسنة نبيك ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

الله أكبر ما أتموا طوافهم بالبيت العتيق خاشعين ضارعين طالبين من الله المغفرة والرضوان .

الله أكبر ماصلوا ركعتين عند مقام إبراهيم .

الله أكبر ما شربوا من ماء زمزم ذاكرين قول الرسول " **ماء زمزم لما شرب له** " .

الله أكبر ما وقفوا بعرفات موقف الضراعة الصادقة وموقف التجرد من الحول والقوة إلى حول الله وقوته .

الله أكبر ما ذكروا قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " **يوم عرفة من أيام الله عز وجل ، مامن يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ، ينزل الله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا فيقول انظروا إلى عبادى جاءونى شعثا غبرا ضاحين ، جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتى ، ولم يروا عذابى ، فلم ير يوم أكثر عتقا من النار من يوم عرفة** " .

وما رؤى الشيطان يوما هو أصغر فيه وأدحر ، ولا أغيظ منه فى يوم عرفة ، وماذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رأى يوم بدر ، قالوا وما رأى يوم بدر يارسول الله ، قال رأى جبريل يزع الملائكة " أى يقودهم " .

الله أكبر ما أفاضوا من عرفات إلى المزدلفة ذاكرين الله عند المشعر الحرام .

الله أكبر ما أتموا مناسك الحج ذاكرين قول الله { **ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** }(١) .

الله أكبر ما رجعوا إلى بلدانهم متزودين بخير الزاد ، وقد تعرضوا لنفحات الله فائزين بالغفران .

{ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب** }(٢) .

---

(١) سورة الحج الآية ٣٢ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٧ .

إذا لقيت الحاج فسلم عليه ، ومره أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته فإنه يرجع مغفورا له .

" **من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من الذنوب كيوم ولدته أمه** " " **والحج يهدم ما قبله** " .

الله أكبر الله أكبر ومامن عظيم إلا والله أعظم منه وأكبر ، وأشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله خير من حج واعتمر ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين .

أيها المسلمون : المسلم ملك لله عز وجل ، يسير حياته وفق تعاليمه وشريعته ، مسلماً وجهه إليه بحيث لا يبقى فى نفسه ما يكنه عن الله عز وجل ، أو يعزه عن أمره ، أو يحتفظ به دونه ، ولو كان هو الابن فلذة الكبد ، ولو كانت هى النفس والحياة ، لايسأل ربه لماذا ؟ ولا يتلجلج فى تحقيق أمره عند أول إشارة منه ، وأول توجيه ، ولا يختار فيما يقدمه لربه هيئة ولا طريقة إلا كما يطلب هو إليه { **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** }[٣].

أيها المسلمون : وتذكرنا هذه الأيام المباركات بحادث عظيم فى حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام بل فى حياة البشر أجمعين موقف يعرضه الله للأمة المسلمة من حياة أبيها إبراهيم جاء ذكره فى سورة الصافات { **فلما بلغ معه السعى قال يابنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك ، فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ، فلما أسلما وتله للجبين**[٤] **وناديناه أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه فى الآخرين ،**

---

(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٦ .

(٤) صرعه على شقه فوقع جبينه على الأرض ، وهو أحد جانبى الجبهة . وتَلَّهُ أصل معناه رماه على التل وهو التراب المجتمع ثم عم لكل صرع .

سلام على إبراهيم ، كذلك نجزى المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين }[5] .

يالله ويالروعة الإيمان والطاعة والاستسلام والتسليم ، هذا إبراهيم الشيخ المقطوع من الأهل والقرابة ، المهاجر من الأرض والوطن ، ها هو ذا يرزق فى كبرته وهرمه بغلام طالما تطلع إليه فلما جاءه جاء غلاما ممتازا يشهد له ربه بأنه حليم ، وها هو ذا ما يكاد يأنس به وصباه يتفتح ويبلغ معه السعى ويرافقه في الحياة . حتى يرى فى منامه أنه يذبحه فيدرك أنها الإشارة من ربه بالتضحية ، وهذا يكفى ليلبى ويستجيب دون أن يعترض ودون أن يسأل ربه لماذا ـ يارب ـ أذبح ابنى الوحيد ؟

والأمر شاق مافى ذلك شك فهو لايطلب منه أن يرسل ابنه الوحيد إلى معركة ، ولا يطلب منه أن يكلف ابنه أمراً تنتهى به حياته إنما يطلب منه أن يتولى هو بيده ، بنفسه يتولى ماذا ؟ يتولى ذبحه ويأخذ إبراهيم الأمر ويعرضه على ابنه كالذى يعرض عليه المألوف من الأمر ، فالأمر فى حسه هكذا ربه يريد فليكن ما يريد على العين والرأس ، وابنه ينبغى أن يعرف وأن يأخذ الأمر طاعة وإسلاما لينال هو الآخر أجر الطاعة والاستسلام ويتذوق حلاوة التسليم ، إنه يريد لابنه أن يتذوق حلاوة الطاعة التى ذاقها وأن ينال الخير الذى يراه هو أبقى من الحياة وأقيم ، فماذا يكون من أمر الغلام الذى يعرض عليه الذبح إنه يرتقى إلى الأفق الذى ارتقى إليه أبوه من قبل { قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين } .

إنه يتلقى الأمر فى رضا ، وفى يقين ، وفى مودة وقربى فشبح الذبح لا يزعجه ، ولا يفزعه ولا يفقده أدبه ورشده { يا أبت افعل ما تؤمر } . مادام ذلك أمر الله فهو خير .

ويخطو المشهد خطوة أخرى إلى التنفيذ " فلما أسلما وتله للجبين " .

(٥) سورة الصافات الآية من ١٠٢ : ١١١ .

ومرة أخرى يرتفع نبل الطاعة وعظمة الإيمان وطمأنينة النفس .

إن الرجل يمضى فيكب ابنه على جبينه استعدادا وإن الغلام يستسلم فلا يتحرك امتناعا وقد وصل الأمر إلى أن يكون عيانا ، فلما أسلما هذا هو الإسلام حقيقة . ثقة ، وطمأنينة ، وطاعة ، ورضا وتسليم ، وتنفيذ . . . وكلاهما لا يجد فى نفسه إلا المشاعر التى يصنعها الإيمان وهنا كان إبراهيم وإسماعيل قد أديا حقاً الأمر والتكليف ، ولم يكن باقيا إلا أن يُذبَح إسماعيل ويسيل دمه وتزهق روحه .

هنا كان الابتلاء قد تم والامتحان قد وقع ونتائجه قد ظهرت وتحققت فاعتبرهما الله قد أديا وصدقا { **وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم** } قد صدقت الرؤيا قد حققتها فعلا ، فالله لا يريد إلا الإسلام والاستسلام بحيث لاتستبقى النفس لنفسها وفى نفسها شيئا تعزه عن الله ، ويفدى الله هذه النفس التى أسلمت وأدت بذبح عظيم قيل إنه كبش وجده إبراهيم مهيئا بفعل ربه وإرادته ليذبحه مكان إسماعيل ، وقيل له إنا كذلك نجزى المحسنين نجزيهم باختيارهم لمثل هذا البلاء ، ونجزيهم بتوجيه قلوبهم ورفعها إلى مستوى الوفاء ، ونجزيهم بإقدارهم وإصبارهم على الأداء ونجزيهم باستحقاق الجزاء .

ومضت بذلك سنة الذبح فى الأضحى ذكرى لهذا الحادث العظيم الذى يرتفع منارة لحقيقة الإيمان ، وجمال الطاعة وعظمة التسليم ، والذى ترجع إليه الأمة المسلمة لتعرف حقيقة أبيها إبراهيم الذى تتبع ملته ، والذى ترث نسبه وعقيدته ، ولتدرك طبيعة العقيدة التى تقوم بها أو تقوم عليها ، ولتعرف أنها الاستسلام لقدر الله فى طاعة راضية واثقة .

{ **وتركنا عليه فى الآخرين سلام** } .

فهو مذكور على توالى الأجيال والقرون ، هو أمَّة هو أبو الأنبياء ، هو أبو هذه الأمة المسلمة ، وهى وارثة ملته ، وقد كتب الله لها وعليها قيادة البشرية على ملة إبراهيم ، فجعلها الله عقبا له ، ونسبا إلى يوم القيامة .

{ **سلام على إبراهيم** } سلام عليه من ربه سلام يسجل فى كتابه الباقى ويرقم فى طوايا الوجود الكبير .

أيها المسلمون : عن أم عطية قالت " **أمرنا أن نخرج العواتق والحيض فى العيدين يشهدن الخير ودعوة المسلمين ويعتزل الحيض المصلى** "[٦] .

وعن ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " **كان يخرج نساءه وبناته فى العيدين** "[٧] .

" **وقدم النبى - صلى الله عليه وسلم - المدينة ولهم يومان يلعبون فيها فقال : قد أبدلكم الله خيرا منهما يوم الفطر ويوم الأضحى** " .



---

(٦) متفق عليه .

(٧) رواه ابن ماجه والبيهقى .

الخطبة الثانية

الحمد لله والله أكبر " سبعا " وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، ومامن عظيم إلا والله أعظم منه وأكبر .

أيها المسلمون : إنه لمن أجمل الجميل أن تأتى الأعياد الإسلامية مصاحبة لجو روحى طاهر ، وعبادات إسلامية مزكية ، فعيد الفطر يأتى بعد أداء الصيام وتزكية النفس وتطهيرها من المدنسات ، وتحليتها بالفضائل ، وتحقيق معانى التقوى ، وعيد الأضحى يأتى فى جو تلبية المسلمين لنداء الله عز وجل بأداء فريضة الحج يأتى العيد فى هذا الجو الإيمانى الغامر ، وتلك النفحات القدسية الربانية ، يعطر هذه الأجواء تكبير وتهليل وتحميد وزكاة وصلاة وأضحية ينتفع بها الفقير ويذكر المسلمين بهذه التضحية أن ما حصل عليه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة من فتح مكة ، وكسر شوكة المشركين ، وذيوع الإسلام وانتشاره لم يكن سبيله إلا القدوة والتضحية بالنفس والمال والولد ، وذلك شأن المسلمين اليوم إن أرادوا أن يكونوا مسلمين .

ومن هنا كان على المسلم أن يحيا فى العيد هذا الجو الفضيل فليس العيد فى الإسلام إطلاقا للغرائز المكبوتة ، وممارسة للفوضى السلوكية فى غير تحرج أو حياء ، وعدم التزام بآداب الإسلام كما تحاول أن تصوره بذلك

وسائل الإعلام المرئية والمسموعة بما تعرضه من الأفلام الماجنة والأغانى الخليعة الداعية إلى الفسوق والعصيان وإشاعة الفاحشة { إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون }(8) لذا كان على المسلم أن يصون سمعه وبصره وتفكيره عن محارم الله عز وجل { إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا }(9) .

وأنتم مسئولون عن أنفسكم وعن أهليكم فقوهم عذاب النار { ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة }(10) { كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته }(11) .

أيها المسلمون : لم يقف الإسلام وقد بنى عيدى المسلمين على معانى الربانية والعزة والقوة أن ينظر إلى الجانب المادى فى الإنسان فيعطيه فى يوم عيده الحق فى التمتع بالملابس الجديدة ، والمآكل الطيبة ، واللهو البرىء الذى لا يخدش عرضا ، ولا يقتحم كرامة ، ولا يمس حرمة قضاء لحق الطبيعة البشرية فى ترويض البدن ، والترويح عن النفس ، تقول السيدة عائشة رضى الله عنها " دخل أبو بكر وكان يوم عيد وعندى جاريتان تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث فقال أمزامير الشيطان فى بيت رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فقال رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يا أبا بكر إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا لتعلم اليهود أن فى ديننا فسحة " .

فهذا عيدنا الأكبر وهذا هو العيد فى الإسلام عيد شكر وعبادة وفرح وزينة يجمع بين حظى الروح والجسم .

---

(8) سورة النور الآية ١٩ .
(9) سورة الإسراء الآية ٣٦ .
(10) سورة التحريم الآية ٦ .
(11) رواه البخارى .

ويذكرنا بالماضى المشرق ويدفعنا إلى المستقبل المؤمل فقفوا أيها المسلمون عند الحدود ، وصونوا أنفسكم عن المحارم تكن أعياد لكم فى الأرض ، وأعياد فى السماء . والله ولى التوفيق

يراجع فى هذا الموضوع

١ـ فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب .

٢ـ الإسلام عقيدة وشريعة لفضيلة الشيخ محمود شلتوت .

٣ـ خطبة عيد الأضحى للدكتور عبد الصبور شاهين .



أيها الإنسان ما أنت

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعــد

فيقول الله عز وجل : { ياأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك } [1] .

أما نحن المؤمنون المصدقون فنقول : أنت لطيفة ربانية ونفحة قدسية ، وروح من أمر الله ، خلقك بيديه ، ونفخ فيك من روحه ، وفضلك على كثير من خلقه ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك الأسماء كلها ، وعرض عليك الأمانة فحملتها ، وأسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة ، وسخر لك مافى السموات والأرض جميعا منه ، وكرمك أعظم تكريم فخلقك فى أحسن تقويم ، وأعدك أكمل إعداد ووهب لك السمع والبصر والفؤاد ، وأوضح لك الطريقين وهداك النجدين ، ويسر لك السبيل فأنت بإذنه وصنعته تغوص فى الماء ، وتطير فى الهواء ، وتسابق الكهرباء ، وتحطم الذرات ، وتتجاوز بتفكيرك وتقديرك أقطار السموات ، فهل رأيت أجل وأعظم وأطهر منك ؟

---

(١) سورة الانفطار الآيات من ٦ : ٨ .

دواؤك فيك وما تبصر وداؤك منك وما تشعر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

وأنت بعد هذه الحياة القصيرة خالد لا تبيد ، تُحْيَى وتُنشَرُ وتُبْعَثُ وتُحشَرُ ، وتَسْتَأنفُ حياة الكرامة فى دار النعيم والمقامة ، إن كنت أدركت سر مهمتك فى الوجود فأخلصت العمل للملك المعبود .

{ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين }[٢] .

وما الموت الذى نخشاه إلا نقلة من هذه الحياة إلى تلك الحياة { وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون }[٣] .

وما هذا الجسم إلا قفص أنت فيه من المسجونين ، وثوب تخلعه إلى حين ، ثم يعود إليك يوم الدين ، ورحم الله العارف بالله إذ يقول :

أنا عصفور وهـذا قفصى طرت عنه وبقى مرتهنا
أنا فى الصور وهذا جسدى كان ثوبى وقميصى زمنا
وأنا الآن أناجى الملأى وأرى الله جهارا علنا
لا تظنوا الموت موتا إنه ليس إلا نقلة من ها هنا

أيها المسلمون : هذا ما نقوله نحن المصدقون المؤمنون عن الإنسان ويقول الماديون الجدليون : أنت أيها الإنسان حفنة من تراب ونطفة من أصلاب ، قذفت بك الأرحام وأفنتك الأيام ، وابتلعتك الآكام ، ثم لا شئ

(٢) سورة الذاريات الآيات من ٥٦ : ٥٨ .
(٣) سورة العنكبوت الآية ٦٤ .

وبعد ذلك { من يحيى العظام وهى رميم }[٤]. كذلك قال قدماؤهم

{ وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر }[٥] .

وهكذا قال محدثوهم : أثر أنت من تفاعل العناصر المادية والتطورات الفزيولوجية ، فالشعور والوجدان ، والفكر والإدراك والعزم والإرادة ، كل أولئك من آثار المادة الصماء ، ونتائج اختلاط التراب بالماء ، وما هذه الحياة إلا هذه الأيام المعدودات ، تقضى فيها اللبانات ، وتنتهز الفرص للذات

إنما الدنيـا طعـام   وشـراب ومنـام
فإذا فاتك هـذا   فعلى الدنيا السلام

تلك ياأخى قضية الحياة إن أمعنت فيها النظر ، وأجلت فيها الفكر ، ولم تكن من الغافلين المستهزئين بوجودهم ، المحتقرين لإنسانيتهم ، استطعت أن تحدد فى الوجود غايتك وأن تتبين سبيلك .

وكل الذى أنصح لك به : أن تخلو بنفسك ساعة من ليل أو نهار لترى أفضل الرأيين ، وأثر الخطتين فى حياة الفرد و الجماعة ، حتى إذا اقتنعت بالرأى الأول ، وهو الفطرة أقبلت على نفسك ، فاستكملت فضائلها ، وسموت بها عن سفاسف الأمور ، وصغار الغايات ، ووصلتها بربها العلى الأعلى ، وطهرتها بذكره وطاعته ومراقبته وخشيته " ومن عرف نفسه فقد عرف ربه " .

قد رشحوك لأمر لو فطنت له   فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

ولاتستغرب أن يختار بعض الناس الرأى الثانى فهى الفتنة أو الهداية .

---

(٤) سورة يس الآية ٧٨ .

(٥) سورة الجاثية الآية ٢٤ .

{ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون }(٦) .

ألهمنا الله وإياكم الرشد وهدانا سواء السبيل آمين . سئل الشهيد حسن البنا من أنت ؟ فقال أنا سائح يطلب الحقيقة ، وإنسان يفتش عن مدلول الإنسانية بين الناس ومواطن ينشد لوطنه الكرامة والحرية والاستقرار ، والحياة الطيبة فى ظل الإسلام الحنيف ، أنا متجرد أدرك سر وجوده فنادى { إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين }(٧) هذا أنا فمن أنت ؟

أيها المسلمون : أخرج الإمام مسلم فى صحيحه قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه عن ربه .

" إن الله عز وجل يقول يوم القيامة يابن آدم مرضت فلم تعدنى ؟ قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده ، يابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى ؟ قال يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ، قال أما علمت أن عبدى فلانا استطعمك فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ؟ يابن آدم استسقيتك فلم تسقنى؟ قال يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى ؟ "(٨) .

---

(٦) سورة الأعراف الآيتان ١٧٥ ، ١٧٦ .

(٧) سورة الأنعام الآية ١٦٢ .

(٨) رواه مسلم .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـا بعـد

فياأيها المسلمون : لم نر إحاطة أعظم ، ولا رقابة أحكم ، ولا تسجيلا أتم مما صور به القرآن الكريم هذه الصلة بين الله والناس فالحق تبارك وتعالى مع الناس أينما كانوا .

قال تعالى : { ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد }[9] { وما تكون فى شأن وماتتلو منه من قرآن ، ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين }[10] { وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون }[11] .

فهى رقابة تخترق حجب الضمائر ، وتبعد إلى أعماق القلوب والسرائر .

---

(٩) سورة ق الآية ١٦ .

(١٠) سورة يونس الآية ٦١ .

(١١) سورة الأنعام الآية ٦٠ .

وليس ذلك فحسب ولكن كل قول أو عمل أو فعل محصى مكتوب مسجل مرقوم { فى صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة }[12] { وكل شئ فعلوه فى الزبر ، وكل صغير وكبير مستطر }[13] { مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد }[14] { وكل إنسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا }[15] .

ولعل من لطائف هذا التسجيل ما ورد فى الحديث " أن رجلا قال فى بعض أدعيته ومناجاته : ياربى لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبان ثوابها فقال الحق تبارك وتعالى : اكتباها كما قال عبدى فإذا لقينى جزيته بما قال " .

ولعل من لطائف صوره كذلك ما ورد من أن العبد إذا ندم وتاب واستغفر ، محا الله سيئاته ، وأنسى جوارحه ما عملت ، ومسح آثار معصيته عن مشاهده ومغانيه ، وأماكنه حتى يلقى الله وليس عليه شاهد بذنب { إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين }[16] .

وقد تبدو هذه الصور غريبة مستبعدة أمام أنظار الماديين الذين لايؤمنون إلا عن طريق هذا الحس الغليظ مع أنهم يجاهرون بالإيمان بتسجيل الأصوات والأشكال والأضواء وبقائها فى طيات الأثير والراديو والهواء مهما تطاولت بها الأزمان ، وليس وراء ذلك من دليل أو برهان { سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق }[17] .

فياأيها المستمع العزيز ، إن أقواما استشعروا هذه الرقابة فبلغوا فيها مرتبة الإحسان ، وكان أحدهم لاينطق إلا بما يعلم أنه الخير ولايفعل إلا ما

---

(١٢) سورة عبس من ١٣ : ١٦ .
(١٣) سورة القمر الآيتان ٥٢ ، ٥٣ .
(١٤) سورة ق الآية ١٨ .
(١٥) سورة الإسراء الآية ١٣ .
(١٦) سورة هود الآية ١١٤ .
(١٧) سورة فصلت الآية ٥٣ .

يعود بالفائدة بل إن بعضهم فرض هذه الرقابة على خطرات نفسه كما أحكمها مع جوارحه وحسه وكان يردد وهو يعنى ما يقول :

ولو خطرت لى فى سواك إرادة

على خاطرى يوما حكمت بردتى

فماذا أنت صانع ؟ وليس أضر على النفوس من الغفلة ولا أضيع للفائدة من التسويف ، وقلم التسجيل دقيق لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، والبر لا يبلى والذنب لا ينسى ، والديان لا يموت ولكل كتابه فكتاب فى سجين وكتاب فى عليين { فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه إنى ظننت أنى ملاق حسابيه فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية ، كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية ، وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ، ياليتها كانت القاضية . ما أغنى عنى ماليه ، هلك عنى سلطانيه ، خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ، ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه }[18] .

يراجـع فى هذا الموضوع :

ـ منبر الجمعة للإمام الشهيد حسن البنا .

---

(١٨) سورة الحاقة الآيات من ١٩ : ٣٢ .

الأمة الواحدة

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم .

يقول الله عز وجل { وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ، فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون ، فذرهم فى غمرتهم حتى حين }[1] .

أيها المسلمون : لهذا الإسلام فى هذا الوجود مهمتان : -

أولاهما : صياغة الأفراد صياغة إنسانية جديدة ، أساسها الصلة بالله ، والتعرف إلى الملأ الأعلى ، وإبراز خصائص الإنسان العليا وتطهيره من أدران الغرائز الدنيا ، والتجافى به عن كل ما لا يتفق مع كمال إنسانيته ، وطبيعة فطرته ، وميزته واستكمال معانى القوة والجمال ، والسمو ببدنه وعقله ووجدانه ليكون فى أحسن تقويم . إنما يكون ذلك بالقدوة الصالحة ، والتزكية الصالحة .

{ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، إنك أنت العزيز الحكيم }[2] .

---

(١) سورة المؤمنون الآيات من ٥٢ : ٥٤ .
(٢) سورة البقرة الآية ١٢٩ .

وثانيتهما : صياغة المجتمعات البشرية صياغة إنسانية عالمية جديدة كذلك بتأليف بناء متماسك تام ، ومجتمع موحد فاضل من هذه اللبنات الصالحة ، يبدأ بالجماعة الممتازة ويتطور إلى الأمة الممتازة ، ويسرى وينتشر ويعم حتى يشمل العالم كله فيتحقق قول الله تعالى : { **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** }[٣] { **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** }[٤] .

ومن هنا كانت الجماعة التى تؤمن بالإسلام ، والشعب الذى يؤمن بالإسلام ، ومجموعة الشعوب التى تؤمن بالإسلام مهما اختلفت أوطانها وألوانها وناسها وأجناسها ، تعتبر جميعا فى عرف الإسلام أمة واحدة قوية التماسك ، عظيمة الترابط ، قد ارتفعت صلتها إلى درجة الأخوة ، ثم تجاوزتها إلى الحب ، ثم علت حتى صارت إلى الإيثار { **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** }[٥] .

ومن هنا كان الإسلام عقيدة وجنسية ، ليست جنسية الدم والأرض ، ولكنها جنسية الأخوة والروح وهما أقوى وأفعل . ومن هنا جاء الإسلام يقرر هذه الحقائق فيقول : { **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** }[٦] . ويقول : { **إنما المؤمنون إخوة** }[٧] ويقول : { **واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا** }[٨] .

ويؤكد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا المعنى فى أحاديثه الشريفة فيقول " **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** " .

---

(٣) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ .
(٤) سورة آل عمران الآية ١١٠ .
(٥) سورة الحشر الآية ٩ .
(٦) سورة التوبة الآية ٧١ .
(٧) سورة الحجرات الآية ١٠ .
(٨) سورة آل عمران الآية ١٠٣ .

ويقول : " لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أدلك على شئ إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم " ويقول : " إن أحبكم إلى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة ، المشاءون بالنميمة ، والمفرقون بين الأحبة ، الملتمسون للبرءاء العيب " " من نفس عن مسلم كربة نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة " وكما قرر الإسلام لهذه الوحدة هذه المعانى الإيجابية فقد حرص على أن يحتاط من الناحية السلبية فيحذر أمته من كل معانى الفرقة وعواملها فيقول القرآن الكريم { ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين }[9] ويقول : { ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون . ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم }[10] .

ويقول النبى – صلى الله عليه وسلم – " ألا أدلكم على أفضل من درجة الصلاة والصوم – وفى رواية والصدقة – قالوا : بلى يارسول الله قال : إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هى الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين } .

وكثيرا ما ترد كلمة الإيمان بمعنى الوحدة ، وكلمة الكفر بمعنى الفرقة فى لسان الكتاب والسنة . فيقول القرآن الكريم { ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم }[11] وسياق الآيات وحادثة نزولها تعين

---

(٩) سورة الأنفال الآية ٤٦ .

(١٠) سورة الحجرات الآيتان ١١ ، ١٢ .

(١١) سورة آل عمران الآيتان ١٠٠ ، ١٠١ .

أن المعنى والله أعلم ـ يردوكم بعد وحدتكم متفرقين ، وكيف تتفرقون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ؟
{ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم } .

ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم وجوه بعض " والسياق كذلك يحتم أن يكون المعنى لاترجعوا بعدى مختلفين يضرب بعضكم وجوه بعض وفى رواية (يضرب بعضكم رقاب بعض) وفى هذا الاستعمال والتعبير أعظم الترغيب فى الوحدة ، وأعظم التنفير من الخلاف والفرقة .

فياأيها المؤمنون بكتاب الله الكريم وحديث النبى العظيم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : هذا كتاب الله يدعوكم إلى الوحدة وهذا حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحرم عليكم الخلاف والفرقة ، فبأى حديث بعد الله وآياته تؤمنون ؟

اختلفتم فى الدين خلاف أهواء وجدل ومراء لا خلاف تمحيص وبحث واستهداء ، فعميت عليكم حقيقته وفرت من بين أيديكم هدايته وبقيت فى رءوسكم ونفوسكم قشوره وصورته فكنتم مسلمين بالأسماء والمواطن لا بالقلوب والمواجد . و" إن الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " .

واختلفتم على الدنيا فانتزعها الأجانب من بين أيديكم وتعاونوا عليها شركات وجماعات ومصارف وهيئات ففازوا بها دونكم واستذلوكم بفتاتها ، ومنوا عليكم بالحقير التافه من أعراضها .

واختلفتم فى السياسة شيعا وأحزابا وطوائف وألقابا فذهبت ريحكم ، واستعبدت دولكم ، وتمكن العدو فى أرضكم ، وضرب بعضكم ببعض ،

ووقف يرمقكم ويسخر من تنابزكم بالألقاب ، وتقاذفكم بالسباب ، فكفيتموه أمركم ، وأرحتموه من عناء جهادكم ، وفعلتم بأنفسكم مالم يفعل بكم الخصوم : قللتم العدد ، وأوهنتم الجلد ، وخسرتم المال والولد ، ولم تحصلوا بعد ذلك على شئ ، دنياكم ذلة وخصام ، وآخرتكم تبعات بين يدى الله جسام ، فإلى متى والزمن يدور ويجرى والفرص تسنح وتمضى ؟

أيها المؤمنون بالله ورسوله وكتابه تنادوا بكلمة سواء وتعالوا إلى منهج واضح مبين :
{ ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله }(١٢) .

وأن نرضى بالله ربا فنفر من المطامع الشخصية إليه ، وبالإسلام دينا فننهج نهجه ، ونأخذ عنه ونطبق كل تصرفاتنا عليه ، وبمحمد نبيا ورسولا فنقتدى بسيرته ونهتدى بسنته ، ونسير تحت لوائه إلى حيث النصرة والسيادة فى الدنيا ، والجنة .... فى الآخرة .
{ فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون }(١٣) .

أيها المسلمون : روى مسلم بسنده عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم - " **وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله** " .
والله ولى التوفيق

يراجع فى هذا الموضوع :

- منبر الجمعة للإمام الشهيد حسن البنا .

---

(١٢) سورة آل عمران الآية ٦٤ .

(١٣) سورة آل عمران الآية ٦٤ .

وقفة فى آخر العام الهجرى

بعد حمد الله عز وجل والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعــد

فيقول الله عز وجل {وختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون}[1] .

أيها المسلمون : كان دعاء أبى بكر رضى الله عنه " اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم لقائك ، اللهم لاتدعنا فى غمرة ولا تأخذنا على غرة ، ولا تجعلنا من الغافلين " وقد جاء فى الأثر " أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم ، إن المؤمن بين مخافتين عاجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه ، وبين آجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الهرم ومن الحياة قبل الموت " .

ونحن الآن فى آواخر أيام ذى الحجة لهذا العام الهجرى فلا جمعة فيه بعد اليوم ، وجمعتكم القادمة غرة عام جديد تستفتح به صفحات بيضاء من صفحات الحياة ، لا يدرى أحد ماذا يُسَطَّرُ فيها إلا الله وأستار غيب

(١) سورة المطففين الآية ٢٦ .

الله دون العواقب . وإن للمؤمن لوقفات فى مراحل حياته يحاسب بها نفسه ويستقيل من ذنبه ، ويستغفر ربه ، ويطالع عمله ، فإن يكن خيرا ازداد ، ولا شئ خير منه إلا ثوابه ، وإن يكن غير ذلك أقلع وتاب ولا شئ شر من الشر إلا عقابه وإنما تمحى السيئة بالحسنة .

{ إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين }(٢) .

عجيب أمر هذا الإنسان أينما تلفت وجد آثار القدرة الإلهية ، وتبين مواطن الرحمة الربانية ، وأدرك أنه مامن لحظة من اللحظات إلا وهو محفوف بألطاف ربه ، مغمور ببره وفضله ، وهو يعلم علم اليقين أنه هو الضعيف وربه القوى وهو الفقير ومولاه الغنى **{ يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغنى الحميد ، إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز }**(٣) .

وهو كذلك يعلم أن الرب الغنى العزيز لم يأمره إلا بما فيه خيره ، ولم ينهه إلا عما فيه ضرره وشقاوته **{ ورحمتى وسعت كل شئ . . . }** الآيات إلى قوله تعالى **{ أولئك هم المفلحون }**(٤) .

كما يعلم أن من رحمة الله بخلقه ولطفه بعباده يستجيب لسؤالهم إذا سألوا ويتقبل توبتهم إذا تابوا ، ويغفر لهم الذنوب والآثام إذا استغفروا ويحتسب هذه التوبة قربة يثيبهم عليها الأجر الجزيل والثواب الجميل .

{ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين }(٥) .

---

(٢) سورة هود الآية ١١٤ .
(٣) سورة فاطر الآيات من ١٥ : ١٧ .
(٤) سورة الأعراف الآيتان ١٥٦ ، ١٥٧ .
(٥) سورة آل عمران الآيتان ١٣٥ ، ١٣٦ .

ومع هذه المقدمات جميعا يأبى إلا جماحا فؤاده ، وتَغْلِبُهُ على الشر نفسُه ، وينسيه الشيطان ذكر ربه فيقصر فى الطاعات ، ويقبل على المخالفات ، ويهمل فى الإنابة والمتاب وتضيع منه الفرص فلا يحاسب نفسه قبل يوم الحساب ! !

فيأيها المسلم العزيز : مبارك ختام هذا العام ومبارك استقبال عامك الجديد إن شاء الله فاجعل ما بقى من شهر ذى الحجة مراجعة لعملك ومحاسبة لنفسك ، وتوبة من ذنبك ، وتطهيرا من الآثام ، وبراءة من التقصير ، وعزما أكيدا على الجد والعمل والتشمير ، وأن تتعرف قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله فى أرضه محارمه ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب " .



الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله والصلاة والسلام على رسوله الكريم وصحابته وآله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد

فياأيها المسلم : سل نفسك ما موقعها من إقامة الصلاة ، وماذا فعلت فى أداء الزكاة ، وأين هى من المحافظة على حقوق الناس ، وتمسكها بعروة الصدق والوفاء وجميل الأخلاق ونبيل الفعال وما شعورها حين يخطر بالبال ذكر الكبير المتعال ؛ وماكسبها الحسى والمعنوى أهو حرام خبيث ؟ أم هو مما أحل الله من الطيبات ؟ وأنت اليوم أقدر منك على العلاج غدا فإنك لا تدرى ما يأتى به الغد { **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** }[6] ونعم الختام لعامك الحساب الدقيق والتوبة النصوح والعمل الصالح والعزم الصادق { **وفى ذلك فليتنافس المتنافسون** }[7] .

قال أحد العارفين " قلت للواقف أمام باب العام الجديد أعطنى نورا أستضيئ به فى ظلمات هذا العام . فقال : ضع يدك فى يد الله فإنه سيهديك سواء السبيل .

---

(٦) سورة النحل الآية ١٢٨ .

(٧) سورة المطففين الآية ٢٦ .

أيها المسلمون : روى مسلم بسنده عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله } .

يراجع فى هذا الموضوع :

ـ منبر الجمعة للإمام الشهيد حسن البنا .



الإيمان والصبر

بعد حمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله وبعد الصلاة على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصلاة على آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أيها المسلمون : يقول عز وجل { قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى }[1] وقف الحق الأبلج الأعزل أمام الباطل القوى المسلح يجابهه ويطارده ويتحداه ، وقف رجل الحق موسى المبعوث من عند الله أمام فرعون المتجبر على عباده يخاطبه : { إنا رسول رب العالمين ، أن أرسل معنا بنى إسرائيل }[2].

فهى إذن دعوة الحرية وأى حق أوضح وأعز من الدعوة إلى الحرية والمساواة والعدالة والإنصاف ، وترك الناس أحرارا كما ولدتهم أمهاتهم يمشون على الأرض أعزة ويبتغون من فضل الله .

وما كان فرعون القوى ليستجيب لهذه الدعوة العزلاء وإن كانت حقا ، { فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى } ، واستكبر هو وجنوده فى الأرض

---

(١) سورة طه الآيتان ٧٢ ، ٧٣ . (٢) سورة الشعراء الآيتان ١٦ ، ١٧ .

وقال لقومه : { ماعلمت لكم من إله غيرى } ، وأرسل فى المدائن حاشرين ليبعثوا إليه بكل ساحر عليم وجاء السحرة وفى قلوبهم غيظ ، وفى أفئدتهم حقد وفى نفوسهم طمع ، وفى أعينهم تطلع إلى المال الوفير يبذله فرعون الغنى بسخاء ، وإلى الجاه العريض يمد لهم فيه ما استطاع ، ولم يخيب هو ظنهم ، ولكن مد لهم فيه مدا . وحين قالوا { ائن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين ؟ قال : نعم وإنكم إذا لمن المقربين } ، وهم يصدقون وعده ويؤمنون كل الإيمان بقدرته وقوته وجبروته { فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون } ، وخيل للنبى الكريم موسى من سحرهم أنها تسعى { فأوجس فى نفسه خيفة موسى } . ولكن السكينة التى ثبت الله بها أفئدة أوليائه ساعة العسرة تنزلت عليه ، ونودى من سرادقات الجلال : { لا تخف إنك أنت الأعلى ، وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث أتى } وكأنما اتصل بهذه العصا قبس من نور الإيمان الحق ، وشعاع من سناه لامس هذه الأفئدة ، أو فاض عليها سبب من رحمة الله ونعمته . فغشى هذه القلوب { ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم }[٢] .

وفى النفس المصرية رقة ولين وفى الصدر المصرى منذ فجر التاريخ تقوى ودين ، وكما لقفت العصا المباركة ما لقفت من حبال وعصى لقفت أدران الشرك والشك وأزاحت حجب الغفلة والران عن هذه القلوب ، ووصلتها بحبل الإيمان المتين ، وأشرقت عليها بنوره المبين ، { فالقى السحرة ساجدين قالوا : آمنا برب العالمين رب موسى وهارون } ، وجن جنون فرعون ، وذهب بلبه الغضب فكال لهم التهم قال : { آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر }[٣] { إن هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها }[٤] ويتهددهم بالعذاب المهين والعقاب الشديد الأليم { فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد

(٢) سورة الحجرات الآية ٧ .
(٣) سورة طه الآية ٧١ .
(٤) سورة الأعراف الآية ١٢٣ .

عذابا وأبقى } [٥] .

لقد كان هؤلاء يعيشون ـ قبل هذه اللحظة ـ فى حدود من شهوات الدنيا الفانية ومطالبها الزائلة ولذائذها الحقيرة . أما بعد أن خالط الإيمان شغاف هذه القلوب وأدركوا بعين البصيرة سر هـذا الوجـود فقـد وزنـوا بكفتين ، وقارنوا بين حياتين ، فآثروا الباقية على الفانية واختاروا ما عند الله ، وما عند الله باق { إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لايموت فيها ولايحيى ، ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى }[٦] .

فياأيها المؤمنون بالله واليوم الآخر هكذا الإيمان الحق اعتقاد صادق يهز المشاعر والوجدان ويستولى على القلب والجنان ، وينتج صدق اللسان والعمل بالأركان وخشية الواحد الديان ، وألا يرهب المؤمن أحدا فى الحق إلا الله ، وأن تصغر فى نظره الدنيا حتى لاتساوى عنده قلامة ظفر عن قولة الحق . فهل أنتم مؤمنون ؟ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " الدين النصيحة قالوا : لمن يارسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم "

وقال : " إذا رأيت أمتى تهاب أن تقول للظالم ياظالم فقد تودع منها وفى رواية " وبطن الأرض خير لهم من ظهرها " وقال سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب : ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله " .

(٥) سورة طه الآية ٧١ .
(٦) سورة طه الآيتان ٧٤ ، ٧٦ .

الخطبــة الثانيــة

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله ، وبعد الصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين قال الله تعالى : { قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود . ومانقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد }[٧] .

وقف أحد العارفين بالله عند هذه السورة الكريمة ـ سورة البروج ـ وهو يتلو الجزء الثلاثين من كتاب الله ، فأعادها مرارا ووجد نفسه مدفوعا بشعور قوى إلى الوقوف عندها فترة من الزمن ، فقد تمثل أولئك الكفرة المتمردين يُدلُّونَ بقوتهم ، ويعتزون بسلطانهم ويستطيلون بالقهر والجبروت على المؤمنينَ من عباد الله فيشقون الأخدود فى الأرض ، ويقذفون فيه النار ذات الوقود ، ويقعدون حوله يترقبون أولئك المؤمنين المحتسبين ، وقد حشدتهم القوة القاهرة ، ودفعتهم إلى جوفه اليد الباطشة ، وهم صابرون لايترددون ولايتهيبون ، قد استعذبوا طعم الموت بعذوبة طعم الإيمان ، وذهلوا عن قسوة العذاب بشهود رحمة الإله الديان ، حتى حدثوا أن امرأة منهم معها صبى ترددت بعض الشيء وهى على حافة هذا الأخدود الملتهب . وكأنها أشفقت على صبيها لا على نفسها فسبقها هذا الصبى إلى التضحية والفداء ، وقذف بنفسه فى أعماق هذا البلاء وهتف بها أن اقتحمى ياأماه فإنما هى برد وسلام لانار وضرام ، كل ذلك وهؤلاء القساة شهود على مايفعلون بالمؤمنين الذين لاذنب لهم ولاجريرة إلا أن يؤمنوا

(٧) سورة البروج الآيات من ٤ : ٨ .

بالله العزيز الحميد .

والإيمان جريمة عند الجاحدين ، والحق إثم كبير فى أعين المبطلين ، والمعرفة ظلام أمام الجاهلين { إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين }[8] .

ارتسمت فى نفسه هذه الصورة المثيرة فأخذ يكرر آيات هذه السورة ، وتداعت المعانى تترى يتبع بعضها فتلا قول الله العلى الكريم : { وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا ، فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد }[9] .

وقوله تعالى حكاية عن قوم شعيب : { قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا قال أو لو كنا كارهين ، قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم بعد إذ نجانا الله منها ، وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا ، وسع ربنا كل شىء علما ، على الله توكلنا ، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين }[10] .

ومرت على خاطره هذه الصور التاريخية الكثيرة من عصور الأنبياء والمرسلين والشهداء والصديقين والدعاة والمصلحين ، وليس منهم إلا من قارع الباطل بحقه ، وأخذ من كأس الجهاد والمحنة بحظه ، ثم كانت له العاقبة بعد ذلك والعاقبة للمتقين .

{ حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من

---

(٨) سورة القصص الآية ٥٦ .

(٩) سورة إبراهيم الآية ١٣ ، ١٤ .

(١٠) سورة الأعراف الآية ٨٨ ، ٨٩ .

نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ، لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون }[11] .

فيأيها العاملون المجاهدون اقرأوا سورة البروج وتدبروها مرات ، وقفوا عندها وعند أمثالها من السور والآيات ، واستلهموا منها الصبر ، وخذوا عنها وعن أخواتها بشائر النصر ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون .

واعلموا أنه ليس للمؤمن فى نفسه لنفسه شيء يعزه عن الله عز وجل ولو كانت حياته ، ولو كان ماله أو فلذة كبده .

{ قل إن كان آباؤكم ، وأبناؤكم ، وإخوانكم ، وأزواجكم ، وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لايهدى القوم الفاسقين }[12] . والله ولى التوفيق .

يراجع

١ــ منبر الجمعة للإمام الشهيد حسن البنا .

٢ــ فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب .

---

(١١) سورة يوسف الآيتان ١١٠ ، ١١١ .

(١٢) سورة التوبة الآية ٢٤ .

فن الموت

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله وبعد الصلاة والسلام على آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين قال الله تعالى : { ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ، ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون }[1] . يقول أحد العارفين بالله : الموت فن . وفن جميل أحيانا على مرارته بل لعله أجمل الفنون . إذا تناولته يد الفنان الماهر ولقد عرضه القرآن الكريم على المؤمنين به عرضا كريما جعلهم يحرصون عليه ، ويحبونه ويهيمون به . حب غيرهم للحياة ، وللناس فيما يعشقون مذاهب ، ولن ينجى المسلمين اليوم مما هم فيه إلا أن يعودوا إلى فلسفة القرآن فى الموت ويتلقونه على أنه فن بل فن جميل حقا . عرض القرآن الموت على المؤمنين على أنه نهاية هذه الحياة القصيرة الفانية المتعبة الكادحة لاستقبال حياة مطمئنة هانئة وادعة منعمة فيها مالا عين رأت ، ولاأذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر من صنوف الإنعام والتكريم وذلك لمن عرف كيف يحسن العمل فى الحياة ويحسن التخير فى أسلوب الموت كذلك .

{ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى }[2] ثم عرضه على أنه قدر محتوم لاينجى منه فرار أو حذر ولايتخلف عن لقائه أحد فالكل سيموتون الموتة التى كتبها الله لهم

---

(١) آل عمران الآيتان ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢) سورة النازعات الآيتان .٤٠ ، ٤١ .

ولكنهم سيختلفون فى الطريقة التى يموتون بها فمنهم من يموت بين يدى غانية فاتنة يتمثل قول القائل .

يقولون جاهد ياجميل بغزوة وأى جهاد غيرهن أريـد

لكل حديث بينهن بشـاشة وكل قتيل عندهن شـهيد

ومنهم من يموت فى ساحة الوغى وميدان الجهاد فى سبيل الله وهو ينشد

ركضـا إلى الله بغيـر زاد إلا التقى وعمل المعاد

والصبر فى الله على الجهاد وكـل زاد عرضة النفاد

إلا التقى والبر والرشاد .

وانظر كيف عرض القرآن هذا المعنى وعاتب المترددين فيه وأفحمهـم .

{ ألم تر إلى الذين قيل لهـم كفـوا أيديكـم وأقيمـوا الصلاة وءاتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولاتظلمون فتيلا أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة }[3] .

وقد أبى القرآن على المؤمنين به أن يكونوا من الكافرين بهذه الحقائق فقال : **{ ياأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وماقتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير }**[4] .

وعاب أصنافا من الناس بحبهم الحياة حبا أنساهم الواجب وصرفهم عن

---

(٣) سورة النساء الآيتان ٧٧ ، ٧٨ .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٥٦ .

الخير فقال : { ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون }[5] .

وكشف خبيئة النفوس عن أقوام كرهوا أن يموتوا فى سبيل الله فقال :

{ وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون : هل لنا من الأمر من شيء ؟! قل إن الأمر كله لله يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شئ ماقتلنا هاهنا قل : لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم }[6] وقد أدرك المؤمنون الأولون هذه الحقائق فأحبوا الموت فوهبت لهم الحياة ولَخَّصَ ذلك أبو بكر رضى الله عنه فى كلمته الخالدة : " ياخالد احرص على الموت توهب لك الحياة " كما لخصه على كرم الله وجهه . " والله لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى أمه " .

وأوضح النبى صلى الله عليه وسلم نتائج انصرافها عن هذا الفن الجميل فن الموت فى سبيل الله إلى أهواء الدنيا والإغراق فى التعلق بها فقال : " يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن فقال قائل : وما الوهن يارسول الله ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت " فياأيها المسلمون أنتم الآن بين يدى عام جديد إن استقبلتموه بهذه النفوس التى بين جنوبكم تحبون الحياة وتكرهون الموت وتفرون من تبعات الجهاد فلن تصلوا إلى شيء أبدا أما إذا غيرتم هذه النفوس وبدلتم ما بها من جبن وضعف وأحببتم الموت فى سبيل الحق وتفننتم فى وسائله وطرقه فأنتم ولاشك واصلون بإذن الله إلى النصر فى الدنيا والخلود فى الجنة فى

---

(٥) سورة البقرة الآية ٩٦ .

(٦) سورة آل عمران الآية ١٥٤ .

الآخرة وإن فناء فى الحق لهو عين البقاء .

يقول رحمه الله :

ولعل من جميل الذكرى أن نكتب هذه الكلمات عقيب تاريخ غزوة بدر فلقد كان أهل بدر رضوان الله عليهم أساتذة عباقرة فى فن الموت فأنتجت عبقريتهم آثارا باقية خالدة للدنيا جميعا فهل تبعث هذه الذكريات النفوس إلى العمل والاقتداء نرجو والذكرى تنفع المؤمنين .



الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله وبعد الصلاة والسلام على النبى وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أيها المسلمون : أحسنوا صناعة الموت وكونوا أهل فن فى الجهاد والتضحية تسعدوا فى الدنيا بالنصر والتأييد ، وفى الآخرة بالفوز والفلاح والنعيم المقيم فى جنة عرضها السموات والأرض { **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن . ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم** }(٧) .

واحذروا أن تكونوا من الذين قال الله فيهم { **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين** }(٨) .
الدعاء للمؤمنين والمؤمنات وبما فيه صلاح الناس .

---

(٧) سورة التوبة الآية ١١١ .
(٨) سورة التوبة الآية ٢٤ .

بين اليأس والأمل

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله وبعد الصلاة والسلام على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين يقول الله عز وجل : { **ولاتيئسوا من روح الله إنه لاييئس من روح الله إلا القوم الكافرون** }[1] .

لاأتصور أن مؤمنا بالله وبالقرآن يجد اليأس إلى قلبه سبيلا ، مهما أظلمت أمامه الخطوب واشتدت عليه وطأة الحوادث ووضعت فى طريقه العقبات .

إن القرآن ليضع اليأس فى مرتبة الكفر ويقرن القنوط بالضلال قال الله تعالى : { **ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون** }[2] .

وإن القرآن ليرسله قانونا كونيا لايتبدل ونظاما ربانيا لا يتغير ، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ، إن الأيام دول بين الناس ، وإن القوى لن يستمر على قوته أبد الدهر ، والضعيف لن يدوم على ضعفه مدى الحياة ، ولكنها أدوار وأطوار تعترض الأمم والشعوب كما تعترض الآحاد والأفراد { **وتلك الأيام نداولها بين الناس** }[3] .

---

(١) سورة يوسف الآية ٨٧ .

(٢) سورة الحجر الآية ٥٦ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٤٠ .

وإن حكمة الله فى ذلك أن يبلو المؤمنين ويختبر الصادقين ويميز الخبيث من الطيب فيجعل الخبيث بعضه علي بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم ، ويأجر الصادقين الصابرين نصرا وتأييدا فى الدنيا ومثوبة ومغفرة فى الآخرة { ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم و الصابرين ونبلوا أخباركم }[٤] { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين }[٥] { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب }[٦] .

وأقرب مايكون هذا النصر إذا اشتد الضيق وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر .

{ حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين }[٧]

ولم تتخلف هذه القاعدة الربانية فى الأمم السابقة فكم من أمة ضعيفة نهضت بعد قعود ، وتحركت بعد خمود ، وكم من أمة بطرت معيشتها وكفرت بأنعم الله فزالت من الوجود وأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون { وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد ، فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا }[٨] .

{ إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم إنه كان من المفسدين ، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكن لهم فى الأرض

(٤) سورة محمد الآية ٣١ .
(٥) سورة آل عمران الآية ١٤٢ .
(٦) سورة البقرة الآية ٢١٤ .
(٧) سورة يوسف الآية ١١٠ .
(٨) سورة الإسراء الآيات من ٤ : ٦ .

ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ماكانوا يحذرون }[9] .

وإن القرآن ليمد هؤلاء الصابرين الآملين الذين لايجد اليأس إلى نفوسهم سبيلا بمعين من القوة لايفيض إلا من رحمة الله وقدرته تتحطم أمامها قوى المخلوقين ، وتعجز عن إضعافها والنيل منها محاولة العالمين ، ومايعلم جنود ربك إلا هو . { الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ، إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين }[10] .

{ قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين }[11] .

وقد لا يخطر ببال هؤلاء المؤمنين الصابرين أنهم سيصلون إلى الغاية بمثل هذا اليسر ، أو يتحقق لهم الأمل بهذه السهولة ، ولكن الله العلى يدنى منهم مابعد ويهون عليهم ماصعب ويوافيهم بالنصر من حيث لايحتسبون .

{ هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار ، ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار }[12]

{ ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من

---

(9) سورة القصص الآيات من ٤ : ٦ .

(10) سورة آل عمران الآيات من ١٧٣ : ١٧٥ .

(11) سورة المائدة الآية ٢٣ .

(12) سورة الحشر الآيتان ٢ ، ٣ .

صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب ، فريقا تقتلون وتأسرون فريقا }[13]

فياأيها المؤمنون بهذا الكتاب الكريم ، أيليق بكم أن يقول قائل ماذا نصنع ونحن ضعاف وخصومنا أقوياء ؟ أو يجمل بأحد منكم أن يتخلف وفى صدره هذا الأمل الواسع ومن ورائه هذا التأييد الشامل عن صف الجهاد ؟ اللهم لا .

يراجع فى هذا الموضوع :

- منبر الجمعة للإمام الشهيد حسن البنا .



(١٣) سورة الأحزاب الآيتان ٢٥ ، ٢٦ .

نظرة عامة فى كتاب الله

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

يقول الله عز وجل :

{ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان }[1] { ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين }[2] { ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين }[3] { اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون }[4] { وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا }[5] { ورتل القرآن ترتيلا }[6] { كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب }[7] .

أيها المسلمون : إنا نتلوا كتاب الله تبارك وتعالى ونتصفحه ونتنقل فى رياض سوره وبين الأزاهير الشهية الطيبة من آياته ، ونجيل النظر فيه . وكما يقول ابن مسعود : إذا تلوت الٓمٓ، حم نزلت فى رياض يانعات أتألق فيهن ، وذلك لما فيها من روعة التصوير وجمال الأسلوب والترغيب

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٥ .
(٢) سورة النحل الآية ٨٩ .
(٣) سورة يونس الآية ٥٧ .
(٤) سورة الأعراف الآية ٣ .
(٥) سورة الإسراء الآية ١٠٦ .
(٦) سورة المزمل الآية ٤ .
(٧) سورة ص الآية ٢٩ .

والترهيب .

ومن قرأ كتاب الله يستطيع أن يحصر العناصر الكلية لكتاب الله فى أمور أربعة :

الأمر الأول : هو العقيدة السليمة :

إن كتاب الله تبارك وتعالى قد عالج العقيدة الإنسانية لأن الإنسان لايستطيع أن يعيش بغير عقيدة والعقيدة فطرة فى النفس الإنسانية ويقول فى هذا المعنى أحد علماء الغرب : " إننى إذا سئلت لماذا أنا مؤمن بالله لا أستطيع الإجابة عن هذا السؤال إلا بنفس الجواب الذى أجيبه إذا سئلت لماذا آكل ؟ ولماذا أشرب ؟ ولماذا أنام ؟ لأن الأكل والشرب والنوم ضروريات لوجودى المادى وكذلك الإيمان ضرورى لوجودى الروحى " .

وقد جاء القرآن الكريم لينظم هذه الضرورة الإنسانية الروحية تنظيما سهلا هينا ، ونستطيع أن نحصر العقائد التى جاءت فى كتاب الله ، فهى إيمان بالله ورسله وكتبه وملائكته ، وبالجزاء وماوراء ذلك ، وهو إيمان هين سهل ليس فيه دقائق يصعب عليك تفهمها وهو يريد منك أن تضع نصب عينيك حقيقة أنك متصل بالقوة المتصرفة فى هذا الكون ، القوة التى تهيمن على كل شىء والقوة التى تقدر على كل شىء ، وهى قريبة منك من نفسك إليك فأنت تقرأ فى القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى { **الٓمٓ ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وماأنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون** }[8] { **ياأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة** }[9] { **قل اللهم مالك الملك تؤتى**

---

(٨) سورة البقرة الآيات من ١ : ٤ .   (٩) سورة الحج الآية ٥ .

الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير . تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب }[١٠]
ثم انظر أيها المسلم كيفية الاستدلال بالعجز الإنسانى على قدرة الله تبارك وتعالى { هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين }[١١] هنا ياأخى تتجلى الفطرة الإنسانية فى أروع إيمانها { دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين }[١٢] وقد نحا القرآن الكريم منحى غريبا لم يسبقه فيه كتاب من كتب العقيدة فأنت تجد فيه المعنى البسيط المؤثر المبنى على الفطرة الإنسانية الخالية من كل كلفة ومن كل تصنع فهو يخاطب الفطرة مجردة من كل لون صناعى فى يسر وسهولة بعيدا عن فلسفة الفلاسفة لأن ذلك كله من وضع الناس للناس .

إن كتاب الله تبارك وتعالى يستثير القلب ليؤمن بما يجب أن يؤمن به القلب ثم لايقف الإنسان عند هذه الناحية لأنه إذا وقف عندها كان إيمانه علميا نظريا لكنه يشعرك بأن الآخرة تنتظرك ورقابة الله تلازمك .
{ وماتكون فى شأن وماتتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا }[١٣] { يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور }[١٤] فأينما توجهت رأيت عين الله ناظرة إليك وأحسست رقابة الله عليك والنتيجة العملية لذلك أن تظل مراقبا لله " فإن لم تكن تراه فإنه يراك " والآخرة تراها باستمرار أمامك { ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلا أحصاها }[١٥] { وترى كل أمة

---

(١٠) سورة آل عمران الآية ٢٦ ، ٢٧ .
(١١ ، ١٢) سورة يونس الآية ٢٢ .
(١٣) سورة يونس الآية ٦١ .
(١٤) سورة غافر الآية ١٩ .
(١٥) سورة الكهف الآية ٤٩ .

جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون }[١٦] { ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا }[١٧]

إذن فهى عقيدة فطرية عملية تعتمد على الفطرة وتسوق الفطرة إلى العمل وإلى الخير وهى عقيدة سليمة تجمع البساطة والعمق معا هذا هو الأمر الأول .

الأمر الثانى : عبادة صحيحة :

إنك تقرأ أيها المسلم فى كتاب الله تبارك وتعالى
{ فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة }[١٨] وتقرأ **{ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا }**[١٩] **{ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم }**[٢٠] **{ ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا }**[٢١] **{ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا }**[٢٢].

ففى كتاب الله عبادات إيجابية نعملها وعبادات سلبية نتركها ، وذلك لأن ترك المحرمات عبادة **{ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم } { وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن }**[٢٣] **{ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون }**[٢٤] **{ لايسخر قوم من قوم . . . . }**[٢٥] فالله تبارك وتعالى يعتبر ترك المحرمات عبادة ينال صاحبها عليها مثوبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتب له**

---

(١٦) سورة الجاثية الآية ٢٨ .
(١٧) سورة الأنبياء الآية ٤٧ .
(١٨) سورة الحج الآية ٧٨ .
(١٩) سورة آل عمران الآية ٩٧ .
(٢٠) سورة البقرة الآية ١٨٣ .
(٢١) سورة الأحزاب الآيتان ٤١ ، ٤٢ .
(٢٢) سورة نوح الآية ١٠ .
(٢٣) سورة النور الآية ٣٠ / ٣١ .
(٢٤) سورة المائدة الآية ٩٠ .
(٢٥) سورة الحجرات الآية ١١ .

عشر حسنات إلى سبعين إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت عليه سيئة " .

ويجب فى العبادات الإيجابية أن تعملها كما أمرت فتتم أشكالها الظاهرة وتحسن أعمالها الباطنة لتكون مخلصا لله تعالى أما العبادات السلبية فتبتعد عنها ابتغاء مرضاة الله .

فقد ورد : من غض بصره خشية الله أعقبه الله إيمانا يجد حلاوته فى قلبه ، وأنت أيها المسلم تجد آيات العبادات موجودة فى ثنايا السور والآيات من كتاب الله تعالى وهو لم يعرض لتفاصيل هذه العبادات فنجد مثلا فى كتاب الله { **وأقيموا الصلاة** } لكنه لم يوضح عدد الركعات فتأتى الأحاديث والسنة المطهرة فتبين ذلك { **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون** } . { **وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا** } .

الأمر الثالث : الأخلاق الفاضلة .

والفرق بين الأخلاق والعبادات أن العبادات نعملها لله والأخلاق صفات فى النفس تصدر عنها أفعالك الإنسانية كالصدق والأمانة والوفاء والعفو والتسامح يقول الله سبحانه { **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** }[٢٦] { **والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا** }[٢٧] { **واستعينوا بالصبر والصلاة** }[٢٨] { **اصبروا وصابروا ورابطوا** }[٢٩] { **الذين يوفون بعهد الله ولاينقضون الميثاق** }[٣٠] { **وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا** }[٣١] { **والذين**

---

(٢٦) سورة آل عمران الآية ١٣٣ ، ١٣٤ .
(٢٧) سورة البقرة الآية ١٧٧ .
(٢٨) سورة البقرة الآية ٤٥ .
(٢٩) سورة آل عمران الآية ٢٠٠ .
(٣٠) سورة الرعد الآية ٢٠ .
(٣١) الإسراء ٣٤ .

هم لأماناتهم وعهدهم راعون }[٣٢] { والصادقين والصادقات }[٣٣] ويقول الإمام الشافعى رضى الله عنه لو أخذ الناس بهذه الآية لكفتهم { إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون }[٣٤] وهناك أيها المسلم أخلاق سلبية كالجزع ، والبخل والخيانة ، وكتاب الله يأمر بالأخلاق الأولى الإيجابية ، وينهى عن الأخلاق السلبية { ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها }[٣٥] .

الأمر الرابع :

من العناصر الكلية لكتاب الله عز وجل أحكام اجتماعية عادلة ، إن صلات الناس بعضهم ببعض لاينفع فيها صلاح الفرد وحده لأن احتكاك الناس يولد عدوانا ، فلا بد من زاجر لهذا العدوان ، والعدوان يقع على العرض والدم والمال ، وقد جاء كتاب الله تبارك وتعالى ليحفظ على الناس ذلك حتى من الكلمة الخارجة { والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة }[٣٦] { الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة }[٣٧] .

وأمر الله بالكسب وحث على السعى { فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه }[٣٨] . ونهى أن تمتد الأيدى إلى أموال الناس فمن خالف ذلك واعتدى فهذا جزاؤه { والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله }[٣٩] .

---

(٣٢) سورة المعارج الآية ٣٢ .
(٣٣) سورة الأحزاب الآية ٣٥ .
(٣٤) سورة النحل الآية ٩٠ .
(٣٥) سورة الشمس الآيات من ٧ : ١٠ .
(٣٦) سورة النور الآية ٤ .
(٣٧) سورة النور الآية ٢ .
(٣٨) سورة الملك الآية ١٥ .
(٣٩) سورة المائدة الآية ٣٨ .

وجاء كتاب الله ليحفظ الدماء فمن اعتدى أخذ جزاءه { وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص }[40] { ولكم فى القصاص حياة ياأولى الألباب لعلكم تتقون }[41] .

وفى القرآن القانون العام والقانون الدولى أيضا { وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لايحب الخائنين }[42] .

وفى كتاب الله قواعد الاتفاق الدولى
{ إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين }[43]

فالعقيدة السليمة ، والعبادة الصحيحة ، والخلق الفاضل والحكم العادل هى الأركان الأربعة التى يتكون منها البناء القرآنى ، وكتاب الله يرمى إلى تحقيق هذه الأمور الأربعة الأساسية فى نفوس المؤمنين قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتى " وجاء فى الحديث عن القرآن الكريم ما معناه " هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم " .

وفى الحديث الصحيح " إن من أحب عباد الله إلى الله الحال المرتحل . قالوا : وما الحال المرتحل يارسول الله ؟ قال : من يختم فيبدأ ويبدأ فيختم ، هكذا لايزال فى حل وترحال مع كتاب الله تبارك وتعالى " .

---

(٤٠) سورة المائدة الآية ٤٥ .
(٤١) سورة البقرة الآية ١٧٩ .
(٤٢) سورة الأنفال الآية ٥٨ .
(٤٣) سورة التوبة الآية ٤ .

وفى الحديث " من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة "[٤٤] " الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران "[٤٥] " خيركم من تعلم القرآن وعلمه " .



(٤٤) رواه أحمد .
(٤٥) رواه البخارى ومسلم .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله وبعد الصلاة على النبى وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أيها المسلمون : إن أسلافنا حين نظروا إلى القرآن هذه النظرة السابقة وحين أدركوا مرامى هذه الأمور الأربعة عملوا بها فكانت عقيدتهم سليمة سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحد الصحابة **كيف تجدك ؟ قال : أجدنى مؤمنا بالله . قال : انظر ماتقول . قال : يارسول الله لكأنى أرى عرش ربى قائما ، والجنة عن يمينى والنار عن يسارى والصراط تحت قدمى . قال رسول الله : قد عرفت فالزم " .**

وفى هذا المعنى يقول بعض العارفين " لو كشف عنك الحجاب لوجدت الآخرة أقرب إليك من أن ترحل إليها " .

وكانت عباداتهم صحيحة كاملة والدليل على شدة حرصهم على أن تكون عباداتهم صحيحة كاملة هذا الذى كان من أمر " أبى طلحة " حين كان يعمل فى حديقته فنظر فوجد الشمس على رءوس الشجر فألقى الفأس وأسرع إلى المسجد وأدرك العصر فى آخر وقته وذهب باكيا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول هلك أبو طلحة يارسول الله ، الحديقة ومافيها صدقة لله . أما أخلاقهم فهى فى غاية الكمال فقد حكى أن سيدنا " عمر " رضى الله عنه جاءته أكسية من الشام فوزعها على

المسلمين وبقيت عباءة ممتازة فتحير لمن يعطيها ثم اهتدى إلى " المسور بن مخرمة " وكان شابا تقيا صالحا ، وقال إذا أعطيته إياها لم يغضب المسلمون . وفى صلاة الفجر وقف " المسور بن مخرمة " لابسا تلك العباءة بجوار سيدنا " سعد بن أبى وقاص " فغضب حين رآها أحسن من عباءته . فقال : والله لأضربن بها وجه عمر ، فذهب إلى عمر وقال ياأمير المؤمنين قد فعلت كذا وكذا . قال عمر : اجلس ياأبا مالك ، وقص عليه القصص وقال ، لو كنت مكانى ماذا كنت تصنع ؟ قال لا أصنع إلا ماصنعت ، ثم قال ياأمير المؤمنين ومارأيك فى يمين حلفتها قال : وماهى قال : كذا ، فمد عمر وجهه وقال بر بيمينك ، وقال وليرفق الشيخ بالشيخ .

هذا معنى من معانى الخلق السامى سيدنا عمر لايغضب ، وسيدنا سعد ينصف ، ثم يتواضع عمر فيحل من نفسه .

أما أحكامهم فيكفى قول سيدنا أبى بكر الصديق " لوضاع منى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله " بهذا كافأهم الله وجعلهم سادات الدنيا فى بضع سنين { **أولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون** } .

أما نحن الآن فعقائدنا فيها ثغرات كثيرة وفيها ضعف كثير ، وعباداتنا كثير منها لايؤدى إلى العبادات الإيمانية ، وقليل من يحسنها ممن يؤدونها ، وأخلاقنا محطمة ، وأحكامنا أنتم تعلمون من أين تستمد فالأركان الأربعة محطمة فى أنفسنا ، نسأل الله أن يعيننا إلى تحقيق هذه الأمور لنكون بحق أمة قرآنية تحل ما أحل الله وتحرم ما حرم ، وتحكم بما أنزل الله . والله ولى التوفيق .

يراجع فى هذا الموضوع :

- نظرات فى القرآن الكريم للشهيد حسن البنا

طلب الرزق عن طريق الزراعة

بعد حمد الله عز وجل والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام ــ على رسوله صلى الله عليه وسلم ــ وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمــا بعــــد

فيأأيها المســـلمون : يقول الرســـول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " **ما من مسلم يزرع زرعا أو يغرس غرسا فيأكل منه طير أو إنسان أوبهيمة إلا كان له به صدقة** " وقال " **إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر** " ويقول الله عز وجل { **فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه** }[1] { **وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** }[2] { **ألم تر أن الله سخر لكم مافى السموات ومافى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** }[3] .

أيها المسلمون : الإسلام منهج حياة كامل فيما يوجه إلى عمارة الأرض والسعى فى مناكبها لاستغلال مافيها من ثروات ومن هذه الثروات الثروة النباتية .

(١) سورة الملك الآية ١٥ .
(٢) سورة الجاثية الآية ١٣ .
(٣) سورة لقمان الآية ٢٠ .

{ والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شئ موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين}[٤] { هو انشاكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه }[٥] وحين يقرأ المسلم كتاب الله عز وجل وسنة رسوله يجد التوجيه إلى استغلال الأرض عن طريق الزراعة والغرس واضحا فيهما بل يمن الله على عباده أن جعل لهم الأرض ممهدة للزراعة ويوضح أن ذلك من دلائل قدرته وعظمته واقرأ إن شئت قول الله عز وجل { وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين }[٦] { وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون }[٧] { وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون }[٨] { وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين }[٩] ويوجه الإسلام إلى استعمال العقل للتوصل إلى أحسن نتاج { قل انظروا ماذا فى السموات والأرض }[١٠] ويوجه إلى أن استخدام الزراعة والغرس لون من ألوان العبادة ، فالإسلام لايفرق بين شئون الدنيا وشئون الآخرة متى حسنت النية " إنما الأعمال بالنيات "[١١] { ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار }[١٢] ومن هنا يجعل الزارع والغارس متصدقا بقدر ما ينتفع الإنسان والطير والبهيمة .

وكان توجيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " إن قامت القيامة وبيد

---

(٤) سورة الحجر الآيتان ١٩ ، ٢٠ .
(٥) سورة هود الآية ٦١ .
(٦) سورة الرعد الآية ٣ .
(٧) سورة الرعد الآية ٤ .
(٨) سورة الأنعام الآية ٩٩ .
(٩) سورة الأنعام الآية ١٤١ .
(١٠) سورة يونس الآية ١٠١ .
(١١) رواه البخارى .
(١٢) سورة البقرة الآية ٢٠١ .

أحدكم فسيلة فاستطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر "

ولعل آخر مايدور فى ذهن السامعين أن يقول لهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك الحديث ولعلهم توقعوا أن يقول لهم الرسول الذى جاء ليذكر الناس بالآخرة ويحثهم على العمل لها ويدعوهم إلى تنظيف ضمائرهم وسلوكهم من أجل اليوم الأكبر يوم الحساب الذى تدان فيه النفوس لعلهم توقعوا أن يقول لهم فليسرع كل منكم فليستغفر ربه عما قدمت يداه ، وليتوجه بدعوة خالصة أن يميته على الإيمان ويقبل توبته ويبعثه على الهدى .... ولعلهم توقعوا أن يقول لهم أسرعوا فانفضوا أيديكم من تراب الأرض .... ولو قال ذلك فهل من عجب فيه ؟ أليس من الطبيعي والهول المهول على الأبواب أن ينسلخ الناس من كل وشيجة تربطهم بالأرض ، ويتطلعوا فى رهبة الخائف وذهول المرتجف إلى قيام اليوم الذى تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد فإذا قال لهم الرسول لا تقفوا مذهولين مرجوفين مرعوبين ولكن توجهوا إلى الله أن ينقذكم من هذا الكرب العظيم وأخلصوا له الدعاء فهو قريب يجيب دعوة الداعى إذا دعاه ، ولاتيئسوا من روح الله إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون . هلموا تطهروا وصلوا خاشعين ....

إذا قال لهم الرسول ذلك وضع البلسم الشافى على الأرواح المكلومة .

ولكن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يقل شيئا من ذلك كله الذى توقعه السامعون بل قال أغرب ما يمكن أن يخطر على قلب بشر قال لهم " **إن كانت بيد أحدكم فسيلة فاستطاع أن يغرسها قبل أن تقوم الساعة فليغرسها فله بذلك أجر** " يالله يغرسها ؟ وماهى فسيلة النخل التى لاتثمر إلا بعد سنين والقيامة فى طريقها أن تقوم وعن يقين بالله لن يقول هذا إلا نبى الإسلام خاتم النبيين .

الإسلام وحده الذى يمكن أن يوجه هذا التوجيه ونبى الإسلام وحده هو الذى يمكن أن يهتدى هذا الهدى ويهدى به الآخرين .

وهذا تاريخ الأرض كلها ليس فيه مثل هذه القبس من قبسات الرسول وهى كلمة بسيطة لا غموض فيها ولا صنعة ولا تفنن ، تخرج بسيطة كبساطه الفطرة ، عميقة كعمق الفطرة ، شاملة واسعة فسيحة تضم بين دفتيها منهج حياة ، منهج الحياة الإسلامية وكم من معنى تستخلصه النفس من هـذه الكلمات البسيطة العميقة فى آن ؟ أول ما يخطر على البال هو هذه العجيبة التى يتميز به الإسلام . إن طريق الآخرة هو طريق الدنيا بلا اختلاف ولا افتراق ، إنهما ليسا طريقين منفصلين أحدهما للدنيا والآخَر للآخرة وإنما هو طريق واحد فى نظر الإسلام وكلاهما يسير جنبا إلى جنب فى هذا الطريق الواحد الذى لا طريق سواه ، العمل إلى آخر لحظة من لحظات العمر ، إلى آخر خطوة من خطوات الحياة يغرسها والقيامة تقوم عن يقين ، وتأكيد قيمة العمل والحض عليه فكرة واضحة شديدة الوضوح فى مفهوم الإسلام ولكن الذى يلفت النظر ليس هو تقدير قيمة العمل فحسب وإنما إبرازه على أنه الطريق إلى الآخرة لا طريق سواه .

وقد مرت على البشرية فترات طويلة فى الماضى والحاضر كانت تحس بالفرقة بين الطريقين وكانت تعتقد أن العمل للآخرة يقتضى الانقطاع عن الدنيا والعمل للدنيا يزحم وقت الآخرة ولقد كانت التفرقة بين عمل الدنيا وعمل الآخرة تؤدى فى القديم إلى عزلة بعض الناس وتنسكهم ، وتكالب آخرين على الحياة يجعلونها همهم الأوحد ينهبون ما فيها قبل فوات الأوان وما تزال هذه التفرقة تؤدى إلى نتائجها فى العلم الحديث ، ولكنها تزيد فى مدنيتنا الحاضرة حتى تبلغ مبلغ الجنون وحالات الهستريا وضغط الدم واضطراب الأعصاب والجنون الكامل والانتحار يتزايد فى الحياة الحديثة إلى درجة خطرة تؤذن بتدمير الطاقة البشرية وتفتيتها .

وهى صدى لتلك الفرقة التى توزع النفس الواحدة فى وجهات شتى ثم لاتربط بينها برباط ، والكيان النفسى بحكم فطرته التى فطره الله عليها وحدة تشمل الجسم والعقل والروح ، تشمل المادة واللا مادة . تشمل شهوات الجسد ورغبات النفس ، وتأملات العقل ، وسبحات الروح تشمل نزعات الحس الغليظة ، وتأملات الفكر الطليقة ورفرفات الروح الطائرة ، والطريق الأكبر لتوحيد هذا الشتات النافر المنتشر وربطه فى كيان هو توحيد الدنيا والآخرة فى طريق .

والإسلام يصنع هذه العجيبة ويصبغها فى سهولة ويسر يصبغها بتوحيد الدنيا والآخرة فى نظام { **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا** }[13] { **قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة** }[14] { **ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** }[15] وقد كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الترجمة الصادقة للحياة الإسلامية وهو القدوة الحسنة .

كان يحارب فى سبيل الله ، ويسالم فى سبيل الله ويدعو الناس إلى سبيل الله . ويأكل باسم الله ، ويتزوج على سنة الله ، ويهدم ويبنى ، ويحطم وينشئ ، ويهاجر ويتوطن كل ذلك فى سبيل الله ، والطريق أمامه طريق واحد وهو يبتغى الآخرة ويعمل للآخرة بالعمل فى الأرض حتى نزلت الآية الكريمة { **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** } وأحس عمر أنها النهاية فدمعت عيناه .

وبهذا قضى الإسلام على الفكرة القائمة على فصل أعمال الدنيا عن أعمال الآخرة ، بل وضح أن أعمال الدنيا من أعمال الآخرة متى حسنت النية " **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى** "[16] { **قل إن صلاتى**

---

(١٣) سورة القصص الآية ٧٧ .

(١٤) سورة الأعراف الآية ٣٢ .

(١٥) سورة البقرة الآية ٢٠١ .

(١٦) رواه البخارى .

ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين } .

أيها المسلمون : يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " ما من مسلم يزرع زرعا أو يغرس غرسا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة " .



الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله وبعد الصلاة والسلام على رسوله وصحبه وآله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أيها المسلمون : ليس الدرس السابق وحده هو الذى نتعلمه من قول الرسول " إن قامت القيامة وفى يد أحدكم فسيلة فاستطاع أن يغرسها قبل أن يقوم فليغرسها فله بذلك أجر " فلا يأس مع الحياة .

فالدعاة إلى الله لهم فى هذا الحديث درس أى درس . فالدعاة إلى الله هم أشد الناس تعرضاً لنوبات اليأس وأشدهم حاجة إلى الثبات .

قد ييأس التاجر من الكسب لكن دفعه المال لا يلبث أن يدفعه مرة أخرى إلى السير فى الطريق .

قد ييأس السياسى ولكن تقلبات السياسة لا تلبث أن تفتح له منفذا فيستغله لصالحه . قد ييأس العالم من الوصول إلى النتيجة ولكن المثابرة على البحث والتدقيق كفيلة أن توصله إلى النهاية ، كل ألوان البشر المحترفون حرفة معرضون لليأس وهم فى حاجة إلى التشجيع الدائم والحث الطويل ولكنهم ليسوا مع ذلك كالدعاة فى هذا الشأن فأهدافهم غالبا ما تكون قريبة ، وعوائقهم غالبا ما تكون قابلة للتذليل ، وليس كذلك المصلحون .

إنهم لا يتعاملون مع المادة ولكن مع النفوس ، والنفوس أعصى من

المادة وأقدر على المقاومة والانحراف { بل هم قوم خصمون } .[17]

والسّم الذى يأكل قلوب الدعاة هو انصراف الناس عن دعوتهم ، وعدم الإيمان بما فيها من الحق والخير ، بل مقاومتها فى كثير من الأحيان بقدر ما فيها من الحق ، وعصيانها بقدر ما فيها من الصلاح . عندئذ ييأس الدعاة ويتهاوون فى الطريق إلا من قبست روحه من الأفق الأعلى المشرق الطليق ، إلا من أطاقت روحه أن يغرس الفسيلة ولو كانت القيامة تقوم اللحظة عن يقين ، الدعاة أحوج الناس إلى هذا الدرس أحوج الناس أن يتعلموا من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا التوجيه العجيب الذى تضمنته تلك الكلمات القليلة البسيطة الخالية من الزخرف والتنسيق .

هم أحوج الناس أن يقبسوا من قبسات الرسول هذه اللمحة المضيئة ، الكاشفة ، الدافعة ، الموحية فتنير فى قلوبهم ظلمة اليأس ، وتغرس فى نفوسهم نبتة الأمل كما تغرس الفسيلة فى الأرض لتثمر بعد حين .

إنه يقول ليس عليكم ثمرة الجهد ، ولكن عليكم الجهد وحده ابذلوه ولا تتطلعوا إلى نتائجه .

ابذلوه بإيمان كامل إن هذا واجبكم ومهمتكم فى الحياة وإن واجبكم ومهمتكم ينتهيان هناك عند غرس الفسيلة فى الأرض لا فى التقاط الثمار ..... " ا . هـ "

يراجع

ـ كتاب قبسات من حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – للأستاذ محمد قطب

---

(١٧) سورة الزخرف الآية ٥٨ .

طلب الرزق عن طريق الصناعة

بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحابته ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أمـا بعـــد

فياأيها المسلمون : يقول الله عز وجل : { والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين ، والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم }[1] { آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا }[2] { وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون }[3] { وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا ، إنى بما تعملون بصير }[4] { وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه }[5] { وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس }[6] { ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه }[7] .

---

(١) سورة النحل الآيتان ٨٠ ، ٨١ .
(٢) سورة الكهف الآيتان ٩٦ ، ٩٧ .
(٣) سورة الأنبياء الآية ٨٠ .
(٤) سورة سبأ الآيتان ١٠ ، ١١ .
(٥) سورة سبأ الآية ١٢ .
(٦) سورة الحديد الآية ٢٥ .
(٧) سورة هود الآية ٣٨ .

أيها المسلمون : الإسلام منهج حياة كامل يوجه إلى أن الصناعة من روح الإسلام الذى يقول نبيه " **إن الله يحب المؤمن المحترف** " و " **من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له** " والذى أثنى كتابه على داود وسليمان بهذا التقدم الصناعى وذكر لنا من دقائق الرقى فيه ما أعجز البشر ، واستغل قوى الجن والشياطين . حرام على الأمة التى تقرأ فى كتاب ربها من الثناء على داود عليه السلام { **وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا** } وتقرأ { **وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون** } ثم تقرأ فى كتاب ربها { **وأسلنا له عين القطر** } وتقرأ فى سورة الكهف عن ذى القرنين وقد بلغ فى التقدم العلمى وهو ما يسمى الآن " بالتكنولجيا الحديثة " { **حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا . قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا. قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما . آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال : انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا . فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا** }[٨] أقول حرام على الأمة التى تقرأ فى كتاب ربها هذا التوجيه ثم لا يكون فيها مسابك مناسبة ، ومصانع متطورة للأدوات المعدنية ثم تقرأ { **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس** } ثم تهمل ماعندها من هذا المعدن وهو أجود الأنواع ويكفى العالم مائتى عام كما قدر الخبراء ويوجه الإسلام إلى صناعة الغزل ودبغ الجلود وفن العمارة .

وقد ورد فى الأثر أن امرأة جاءت ببردة قال أتدرون ما البردة فقيل نعم هى الشملة منسوجة فى حاشيتها قالت يارسول الله إنى نسجت هذه بيدى أكسوكها يارسول الله فأخذها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ محتاجا إليها فخرج إلينا وإنها إزاره فقال رجل من القوم يارسول الله أكسنيها

(٨) سورة الكهف الآيات من ٩٣ : ٩٧ .

فقال نعم فجلس النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه فقال القوم ماأحسنت سألتها إياه لقد علمت أنه لايرد سائلا فقال الرجل ما سألته إلا أن تكون كفنى يوم أموت قال سهـل فكانت كفنه " ولما سئل سهل بن سعد عن المنبر قال بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى فلانة امرأة قد سماها سهل أن مرى غلامك النجار يعمل لى أعوادا أجلس عليهن إذا كلمت الناس فأمرته بعملها من طرفاء الغابة ثم جاءت بها فأرسلت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بها فأمر بها فوضعت فجلس عليه .



الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـا بعـــد

فياأيها المسلمون : لقد لفت الإسلام النظر إلى مافى الوجود من منابع الثروة ومصادر الخير والحث على العناية بها ووجوب استغلالها وأن كل مافى هذا الكون العجيب مسخر للإنسان ليستفيد منه وينتفع به { **ألم تروا أن الله سخر لكم مافى السموات وما فى والأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** }[9] { **وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون** }[10] ومن قرأ القرآن الكريم علم تفصيل ذلك بأوسع بيان وأوفاه .

أيها المسلمون : إلى شريعة الإسلام ، إلى تعاليم الإسلام تسعدوا فى الدنيا ، وتفوزوا بالنعيم المقيم فى الآخرة .

والله ولى التوفيق

---

(٩) سورة لقمان الآية ٢٠ .
(١٠) سورة الجاثية الآية ١٣ .

توجيه الإسلام إلى كسب الرزق عن طريق التجارة

بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعـــــد

فيقول الله عز وجل { **وأشهدوا إذا تبايعتم** }[1] ويقول { **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكـــم بينكم بالباطل إلا أن تكـــون تجــارة عن تراض منكم** }[2] { **وأحل الله البيع وحرم الربا** }[3] .

وجاء عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه أبو سعيد أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال " **التاجر الأمين الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء** "[4] وروى رفاعة أنه خرج مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المصلى " **فرأى الناس يتبايعون فقال يامعشر التجار فاستجابوا لرسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال إن التجار يبعثون يوم القيامة فجـارا إلا من بر وصـــدق** "[5] " **من غشنا فليس منا** " .

أيها المسلمون : وهكذا يوجه الإسلام إلى الكسب عن طريق التجارة

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٢ .
(٢) سورة النساء الآية ٢٩ .
(٣) سورة البقرة الآية ٢٧٥ .
(٤) قال الترمذى حديث حسن .
(٥) قال الترمذى حديث حسن صحيح .

ذلك أن الحكمة تقتضيه ؛ لأن حاجة الإنسان تتعلق بما فى حوزة صاحبه ، وصاحبه لايبذله بغير عوض ففى شرع البيع وتجويزه شرع طريق إلى وصول كل منهما إلى غرضه ودفع حاجته .

ولقد كان عبد الرحمن بن عوف تاجرا ، وكان عثمان تاجرا ، وكانت للإمام أبى حنيفة تجارة يتكسب منها ، واتفق أن شريكه باع صفقة من ثياب الخز وفيها ثوب معيب دون أن يطلع المشترى على عيب الثوب ، وكان المشترى رجلا غريبا فلم يعثر له على أثر ، فتصدق أبو حنيفة بقيمة الثياب كلها تورعاً أن يدخل عليه قيمة الثوب المعيب .

وكان الإمام البخارى يتكسب من التجارة .

وقد اقتضت سنة الله فى الخلق أن هذه الأرزاق التى ضمنها والأقوات التى قدرها والمعايش التى يسرها حيث قال سبحانه ، { **ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون** }(٦) { **وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها** }(٧) .

اقتضت سنة الله ألا ينال ذلك إلا بجهد يبذل وعمل يؤدى ولهذا رتب الله الأكل من رزق الله على المشى فى مناكب الأرض فقال { **فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه** }(٨) فمن مشى أكل ومن لم يمش كان جديرا ألا يأكل . وقال : { **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله** }(٩) .

وقد روى أن عمر رأى بعد الصلاة قوما قابعين فى المسجد بدعوى التوكل على الله فعلاهم بدرته ، وقال كلمته المشهورة " لا يقعد أحدكم

(٦) سورة الأعراف الآية ١٠ .
(٧) سورة هود الآية ٦ .
(٨) سورة الملك الآية ١٥ .
(٩) سورة الجمعة الآية ١٠ .

عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة " وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ " ما بعث الله نبيا إلا ورعى الغنم قالوا وانت يارسول الله قال كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة "[10] والرزق المقدور مقرون بالعمل الدائب والله يقول { وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون }[11] .

أيها المسلمون : يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى " " يأتى على الناس زمان لايبالى المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام " " تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم ، قالوا ما عملت من الخير شيئا ؟ قال كنت آمر فتياتى أن ينظروا ويتجاوزا عن المعسر قال : فتجاوزوا عنه » ومعنى تلقت الملائكة أى استقبلت روحه عند الموت .



---

(١٠) رواه البخارى .

(١١) سورة التوبة من الآية ١٠٥ .

الخطبة الثانية

بعد حمد الله والثناء عليه وبعد الصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أمـا بعـــــد

فياأيها المسلمون : من تعاليم الإسلام تحريم موارد الكسب الخبيثة ، وتحديد الخبث فى الكسب بأنه ما كان من غير مقابل من عمل كالربا والقمار واليانصيب ونحوها .

أو كان بغير حق كالنصب والسرقة والغش ونحوها ، أو كان عوضاً لما يضر كثمن الخمر والخنزير والمخدر ونحوها ، فكل هذه موارد للكسب لا يبيحها الإسلام ولا يعترف بها وقد امتدح الإسلام المال الصالح . وأوجب الحرص عليه ــ وحسن تدبيره وتثميره ، وأشاد بمنزلة الغنى الشاكر الذى يستخدم ماله فى نفع الناس ومرضاة الله .

وليس فى الإسلام هذا المعنى الذى يدفع الناس إلى الفقر والفاقة من فهم الزهد على غير معناه . . . .

وما ورد فى ذم الدنيا والمال والغنى والثروة إنما يراد به ما يدعو إلى الطغيان والفتنة والإسراف ويستعان به على الإثم والمعصية والفجور

وكفران نعمة الله .

وفى الحديث " نعم المال الصالح للرجل الصالح " وفى الآية الكريمة { ولاتؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما }[١٢] .

وفى ذلك الإشارة إلى أن الأموال قوام الحياة والأعمال ، وقد نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن إضاعة المال فى غير وجهه فقال " إن الله ينهاكم عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال " رواه مسلم كما أن من مات مدافعا عن ماله فهو شهيد كم جاء فى الحديث " من مات دون عرضه فهو شهيد ، ومن مات دون ماله فهو شهيد " الحديث .

أيها المسلمون : إلى تعاليم الإسلام ، إلى هدى الإسلام ، إلى نور الإسلام تسعدوا فى الدنيا ، وتفوزوا بدار المقامة فى الآخرة ،
والله ولى التوفيق



(١٢) سورة النساء الآية ٥ .



الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ١٨٨٢ / ٨٨

الترقيم الدولى ٣ ـ ٦٠ ـ ١٤٢١ ـ ٩٧٧

مطابع الوفاء ـ المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٢١ ـ ص.ب : ٢٣٠

تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN



